ثقافة الهند

يصدرها أربع مرات فى السنة : يناير ، إبريل ، يوليو ، أكتوبر

مجلس الهند للروابط الثقافية

ثمن الاشتراك خالص الأجرة

فى الهند	فى الخارج
الاشتراك السنوى : عشر روبيات	الاشتراك السنوى : عشرون شلنا
العـــدد الواحد : روبيتان ونصف	العـــدد الواحد : خمس شلنـات

ترسل المجلة عندما يسدد الدفع مقدما ، ولا ترسل بالحوالات البريدية .

توجه المراسلات والطلبات بهذا الشان إلى سكرتير المجلس ، لا إلى رئيس التحرير .

توجه الكتب للاستعراض والمجلات المتبادلة والمراسلات المتعلقة بهما ، إلى رئيس التحرير .

طبعها ونشرها السيد إنعام الرحمن ،
سكرتير مجلس الهند للروابط الثقافية .

آزاد بهون ، دلهى الجديدة ١

فى مطبعة لورى المحدودة بمدراس ١٣ (جنوب الهند)

ثقافة الهند

يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية

رئيس التحرير ـ شمعون طيب على لوكهندوالا

المجلد الخامس عشر | يناير سنة ١٩٦٤ | العدد الاول

الصفحة

محتويات هذا العدد

١ ـ مكانة التعليم والموسيقى فى ثقافة الهند .... الفيلسوف رابندرانات طاغور ٥
(تعريب : ناصر الانصارى)

٢ ـ الهند فى مدخل عالم جديد .... للاستاذ ز . رام (١) ١٤
(تعريب : محى الدين الالوائى)

٣ ـ روابط الهند مع بلاد آسيا (٣)
فى القرن الثالث قبل الميلاد .... للاستاذ ر . ك . وكيب [illegible]
(تعريب : ناصر الانصارى)

٤ ـ شعراء البنجاب الصوفيون .... الاستاذ شاكر پرشادى ٢٨
(تعريب : عبدالرحمان الكيرالوى)

[illegible] .... السيد مصطفى شعبان [illegible]

[illegible] فى أدب اندونيسيا وحياتها .... الاستاذ محمد فياض [illegible]
(تعريب : حبيب الرحمن)

[illegible] .... الاستاذ أحمد [illegible]

[illegible] .... السيد صلاح [illegible]

مجلس الهند للروابط الثقافية

الرئيس : البروفيسور همايون كبير

يهدف المجلس — كما ينص دستوره — إلى إنشاء وإحياء وتعزيز الروابط الثقافية بين الهند والبلاد الأخرى بالوسائل التالية :

(١) التوسع في معرفة وتقدير لغاتها وآدابها وفنونها
(٢) إنشاء الروابط الوثيقة بين الجامعات والمعاهد الثقافية
(٣) اتخاذ جميع التدابير الأخرى لتنمية الروابط الثقافية

مكانة التعليم والموسيقى فى ثقافة الهند

الفيلسوف رابندرانات طاغور

لقد ولدت انا حينما كانت نجوم العهد القديم فى ولاية بنغال تأفل، وكان صباح عصر جديد يتنفس، على ان نجومه مازالت باقية ولو متضائلة. فاستطعت ان اغترف من مناهل الماضى واحتضنت عنه فكرة. اما بايعاء الظروف والحالات او بواسطة تجاربى الشخصية. وكم للعهد القديم من ميزات قاربت الانتهاء وكم من آثار له كادت تمسح من طول البلى، مما يندم عليه المشاهد ـ ولما ينفعه الندم ـ اذا ما قارنه بالمستويات العصرية. نعم الفينا منها نبذة لم تسلبها ايد الفناء بعد، كانها اشعة تترقرق فى الفيئات المكفهرة او اسارير تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد. ابت بقايا الآثار هذه على ان يصفح عنها المؤرخ عند ما يسجل احداث واحوال العهود واوضاعها. ومن ازهى هذه الآثار النغم والموسيقى فلم تزل تحتل مكانتها السامية، تحظى بنفس الاحترام والاستعظام تمتعت بهما فى الآونة الخالية.

انى شهدت بنفسى ان كانت البراعة فى فن الموسيقى تعد عصر ذالك اكبر شاهد على التثقف والتمدن. ولئن الخطل فى تطبيق القواعد النحوية او الصرفية او الزلل فى الخط، الكتابة او التهجى يلام فى عصرنا هذا فكان هذا موشأن معظم العشائر والاسر المثقفة الاغنياء بالنسبة الموسيقى آنذاك. فاذا لم يطاطئ بعض اعضائها راسه عند الانصات للالحان او لم يتسر من رئيس فرقة الانشاد ان يتمسك هو وزملاؤه فى قواعد الموسيقى التى نشأت عليها الاغنية، عد ذالك مما يزرى بهم

ازراء . ومن حسن الحظ ان لم تكن بيئتنا تورطت الى ذاك الحين فى رجس صندوق الارغن وكأنى بالمطرب وقد التى آلة تان پوره[1] المصنوعة بيده على كاهله ، واذا باجواء الغرفة قد طارت نغماته بالحان دهورپاد[2] الرنانة من نتاج الاساتذة القدماء الخصب وتبعتها الحان آلاپ[3] الخلابة . كل ذلك يمر امام عينى كالصور على لوحة السينما .

ومن الواجبات التقليدية للمترفين وخاصة لذوى الميول الارستقراطية عصر ذاك ان يستوفدوا كبار الموسيقيين من شتى الولايات ويقيموا الحفلات الغنائية اكبارا وشرفا لانفسهم . والحق ان كان كل فرع من فروع العلم يتمتع بكبير الاهمية ، وكان المجتمع يبذل فى سبيل ترقيته وانعاشه كل نفس ونفيس . وبما إن اعتبر هذا من اسباب العزة والفخر كان الأثرياء يحسبون من مسئولياتهم ان يحتفظوا بثروة الموسيقى ويستبقوها . ولاجل هذه الضريبة المتطوعة تيسر لاهل الفضل والادب فى العهود السابقة ان يوسسوا للتعليم مراكز رفيعة ويسعوا لترقيتها . واذا ماتقاعد احد من ذوى الثروة عن القيام بما يطلب منه المجتمع او يتهاون فى اداء ماعليه من واجبات كهذه كان ذلك يعود عليه فى مكانته وسمعته بالخزى والعار ، وتصبح كلتاهما عرضة اللوم والطعن فى المجتمع كله . وكيف لا ، فليست

---

(١) آلة ذات اوتار طوال تلحن عليها الاغنية ، والاوتار اربع مكشوفة تعاد بها التقاسيم متتابعة باستمرار .

(٢) نوع قديم من الاغانى ، يعد من طلائع الموسيقى الكلاسيكية الحديثة ، يمتاز باستساغته فى الانشاد وابهته فى الموضوع .

(٣) تقاسيم موسيقى تمثل بها النغمات اى راكاز .

هى سرسواتى من انت مطرقة الرأس مستجدية إلى باب لكشمى ، بل انماهى لكشمى التى وطئت الارض الى مربع سرسواتى فقدمت اليها بضاعتها الثرية . فذلك هوشأن المجتمع ، وهذه هى اوضاع الحياة لتلك العهود . كان علية القوم وذوو الثروة يحتفظون بعرض الموسيقى بغية ان يحتفظوا به بعرضهم ومكانتهم ، وعدوه من الواجبات الاجتماعية لهم . وانتج ذلك ـ وهو الطبيعى ـ ان اصبحت الموسيقى تعد فى عهودهم من ارفع الفنون قدرا واعلاها منزلة واثمنها بضاعة .

اما التعليم فكان منقسما الى قسمين ، الاعلى ودونه . والمراد بالاول اسفار الفيداس وعلم القانون والفلسفة والآداب بينما اريد بالثانى دراسات عامة الشعب . وكل منهما كان يتمتع بكبير العناية والتشجيع من قبل علية القوم واثريائهم . كان كلا القسمين من التعليم ومراكزهما تستقى بوابل منحهم وتبرعاتهم كما ان كان اهل العلم فتحوا للشعب ابواب التعليم على مصراعيها ، ينهل من فائض مناهلهم مرتادو العلم مجانا . واغتصت الارجاء وخاصة المناطق القروية بعديد المراكز الدراسية ، كأنها اشجار مثمرة ذات ظلال وارفة اصلها ثابت وفرعها فى السماء . وافدانت هذه المراكز على صغرها بفوائد جمة ثمينة . وحتى التعليم الاعلى ، لم يكن مقصورا حصوله فى جامعة او جامعتين ماتنأى عن منال الجماهير ، بل كانت ذخائرها الثرية مندثرة فى ارجاء البلاد كلها .

اما المدارس الابتدائية فكانت تؤسس فى بعض الغرف المنزلية وتجرى على قدم بتبرعات اهل البوادى الحنفاء تبث باشعة العلم الى شتى الارجاء غير مفرقة بين غنى وفقير من طلابها ولم تكن هذه المسئوليات ملقاة على الحكومة ، بل كانت الامة تحملها بمفردها .

هذا ، وكانت الموسيقى ايضا مثل التعليم منقسما الى قسمين - الموسيقى الرفيعة وكان مسكنها دور الاثرياء وصروح الاغنياء وحدهم نعم كان كل فرد من العوام والخواص يستمع لها ويستمتع بها على السواء . وكانت الاجواء عن آخرها تدوى برناتها الخلابة غير مقصورة فى بروج الاغنياء المشيدة ، فيستفيد المستمعون على قدر كفائتهم فنهم الموهوب بروية ناضرة كان يعيها ويشيد عليها لتعليمه بنيانا مرصوصا ومنهم ذو قلب سليم يلقى اليه السمع فيستلهم بها . وكذلك لم يكن افراد الاسرة وحدهم يستفيدون من الاساتذة الموظفين عندهم بل كانت الاستفادة مفتحة ابوابها لافراد المجتمع باجمعهم . كان الطلاب ياتون اليهم من كل فج عميق ويغترفون من مناهلهم سواء بسواء . وبعبارة اخرى كانت هذه الحلقات بمثابة كليات صغيرة ازدهرت فيها الفن والعلم والموسيقى . ومن الامثلة ان كان كثير من الناس يأتون الى الموسيقار الشهير مايستروجادوبهتا حينما كان هومعنا فى منزلنا الشهير بـ « دار جورا سانكو » فمن المتلمذين من تعلم منه باس[1] ومنهم من دعى ميريدنجا[2] وغيرها من الحان الاپ[3] والنغمات والتقاسيم الأخرى . ولم تكن ثمة حائلة تحول دون هذه الجموع المحتشدة او فارق يفرق بينهم . فهذه هى الوسائل التى استخدمت والتسهيلات التى وفرت عهد ذاك لبث العلوم والفنون وذيوعها .

هذا عن الموسيقى الكلاسيكية . اما الموسيقى الشعبية فلن تجدها ايضا من المتخلفات رقية وازدهارا . كانت ارجاء البلاد مستضاءة بمصابيحها

---

(١) اسماء لاصوات الدف .

(٢) دف كبير يصنع من الخزف ، يستعمل عادة فى موسيقى فيشناقا .

(٣) نغمات الموسيقى الهندية تعرف بـ « راكنى » .

المستنيرة ومتروية بمناهلها الفائضة. فكما تجد البنغال اليوم، تناثرت فى منازلها البحيرات المتلالئة والانهر المتدللة لتجدها يومئذ انشقت فى ارجائها انهار الفن والموسيقى، وتهب فى اجوائها نسم النغمات الخلابة. يالها من فرحة وبجون حملتها مطايا الرياح فافرغتها فى قلوب البنغال اهلها. كانت اجواء بنغال تدوى بنغمات جاترا[1] وپانتشالى[2] وكاتها كاتا[3] وكابى[4] وكيرتن[5].

لست ادرى هل يوجد فى اية موسيقى شعبية من التنوع مثلما يوجد فى موسيقى بنغال. وكان من دأب العائلات المبسوطة اليد ان كانوا يتفننون فى اظهار ولعهم بالموسيقى. كانوا يقيمون لها حفلات على نطاق واسع وغير مغلقين ابوابها دون الفقراء الذين لايستطيعون على اقامتها بانفسهم كما هو عادة الارستقراطيين فى عديد البلاد الأخرى. كان يستمتع بها كل فرد من المجتمع لوشاء. وانا استمعت بنفسى حينما كنت طفلا لحفلة جاترا المختصة بـ «نل دمينتى». هى قصة ترمز الى غرام بين بالا ودمينتى.

ومن العادة المتبعة لاقامة الحفلات ان يبسط فى افنية الدار فراش يجلس عليه الحضور اكثرهم من غير افراد الأسرة، وكثيرمنهم من ذوى الحاجة. والدليل ان كانت تسرق من المجلس احذية حضور عديدين. وان كشورى تشيترجى، احد خدام ابى، كان يرأس ابان شبابه فرقة پنچالى

---

(١) موسيقى الافتتاح لتمثيلية شعبية.

(٢) اغان تقليدية شعبية.

(٣) تصوير الاساطير بالاغانى.

(٤) تاليف الاغانى على مواضيع سبقت فى اغانى مؤلف آخر.

(٥) موسيقى تقليدية اخترعها شعراء فيشناقاس.

(احد انواع الموسيقى) وكثيرا ما خاطبنى «باخى» وقال «يا أخى ياليتنا جعلناك تشارك فى فرقتنا اذن لكان .....» ينقطع الكلام على هذا عجزا منه عن اظهار عواطفه الجائشة. واما اخوه هذا ـ اى انا ـ فجرد ان خيل نفسه فنانا ذائع الصيت كان ايضا يهتز طربا وبهجة، مع ان تعذر له تحقيق هذه الامنية اى تعذر «تجرى الرياح بما لاتشتهيه السفن».

وكانت اغانى كشورى تشيترجى التى كنت استمع منه فى پنچالى ملحنة على الموسيقى الكلاسيكية بيد ان تسربت الى عروقها الدم السنغالي وبدى اثره على ملامح الاغنية وهى لم تشعربه. فمنها ما مغزاه :ـ

يا اماه الالاهة! ضحى هذا المسكين الكئيب على قدميك السعيدتين

فانما انت التى تقيه من الهم والخوف.

عليك ان تحمى وتحنى على هذا البئيس المحزون من خلقك. ارجومنك

ان تقى هذا العبد العاصى، فانه لاملجأ ولامنجأ منك الا اليك!!!

فمازلت اذكر هذه الالحان حتى اليوم ـ نغمات يموج بعضها فى بعض:

لقدتناثرت اشعة الشمس وملئت الاجواء والآفاق نورا وبهجة

بينما التوت الاجواء المغبرة المكفهرة حول عمود الصبح الصبيح الفضى، او انطوت فى متلألأ الاهداب المزركشة المذهبة عند ما تجنح الشمس المشرقة للافول.

اوتمايل زهوا وتدللا على متون النسم السكرى:

فما اثمن وما انعم هذا، وانه من الضرورى بحيث لامندوحة منه.

ومنها: «ما انا احبك لكى تبادلنى بالحب» ـ فليس فى هذا المصراع من اطراء فى الخيال ولاتعقيد فى البيان الا انه على سذاجته يطفح طراوة

ورقة. وان من شك انه لامندوحة منه للرجل العامى فحسب، بل ما الذه وما احلاه للمترف المرح ايضا.

هذا، ويمتاز كالى داس بانه اماط اللثام عن سرائر غير المتعلمات ورواياها. ولا اجدنى بحاجة الى التبرهن على ان الانسان يجد بنغمات الموسيقى الشعبية ويهيم بها فرحة ومجونا. فانه ليس ببعيد ان تفتخر سيدة البيت على عمتها الايم المقتصدة فى النفقات وخاصة فى نفقات الطعام، لاجل ان الاسرة تجد عند السيدة اطعمة شهية تتطاير روائحها المطمعة الى منازل الجيران بينما لايشمل مطبخ العمة الايم الا خضراوات رخيصة. لكن الحق ان الأسرة قد تستمرئ هذه الخضراوات وتستلذها اكثر من تلك الاطعمة المغولية الشهية.

ومنها:

اخلائى! انما اعرف ما فى نفسى من الهم والبؤس،

اذطعن عنى حبيبى، فلم اتمكن من التفوه ببنت شفة

ابدى بها عما فى قلبى من الوله والجوى

(وما ابدع ماجاء الشاعر المتنبى فى هذا الباب :-

«قيد مسلمة وطرف شاخص وحشا تذوب ومدمع مسفوح»

هذا مغزى اغنية بنغالية خالصة. ان البنغاليين فيهم طموح وغلة للموسيقى وتحمل طبائعهم من العاطفية قسطا وافرا حملهم على خلق موسيقى تلائم طبيعتهم. ومن ثم تجد الآداب البنغالية تبدت عليها صبغة موسيقاها الى حد كبير. ولربما يكون بنغال بلدا فريدا لايضاهيها بلد آخر يحمل فى حجوره مثل هذه التقاليد الفنية الرائعة. وكيف فان التقاليد

تنبع عن الفطرة وتدور حولها ، ولا يمكنك ان تتغاضى عنها او تستنكرها .
وذات مرة طلب منى الممثل الكبير الاستاذ سيسيربهدورى أن اؤلف له
نبذة من الاغانى يستعملها فى بعض المآسى المريعة . وليت شعرى هل
خطر ببال ممثل انكليزى آخر ان يقترح شيئا كهذا . فان الممثلين الانكليزيين
يحسبون - وقد يكونون على صواب - ان لن تستنتج هذه البدع الا افساد
الفن المسرحى وتشويهه . كذلك عسى ان يتقول طلاب الا نكليزية الاقاويل
على ما لم يعهدوا به من تعديل كهذا . لكنى لاارى رايهم . بل الاصوب
عندى ان اذهاننا ستضطر بحكم حناننا الفطرى الى خلق مثلنا الخاصة
ولاغرو فان الفطرة تكن فيها دواعى اليه . نعم من اللازم ان يكون الخلق
وفق قواعد الفنون الجميلة ولايحيد عن مقتضيات الفن الموسيقى قيد شبر .
ولكن اذا لم تكن صورتها انكليزى الطابع فليس من الضرورى عندى ان
نحولها الى صورة اخرى . فقد كانت موسيقانا الشهيرة بـ «جاترا» برزت
الى حيز الوجود قبل دراسة مبادئ الفن الاجنبى بكثير . وتحذو اللغة
البنغالية حذو وطنها ، فهى للماء اشمل منها للارض . وحتى ان كاتها كاتا
المنتمية عند ذوى البصائر فى الفنون الى الادب الروائى تتفرغ فيها النغمات
بيسر وسهولة كانها نواهد فى آونة الحرية والمجون ، على رغم ان اساس
كاتها كاتا هومن الكلام المنثور ليس الا . ولازلت اذكر الفرح والحبور
الذين غشيانى حينما نعمت باغانيها ذات مرة . ولم يحل دون استلذاذى
واستحلائى حتى القواعد المتبعة آنذاك .

ومهما كان الأمر ، فلم تزل روح بنغال تتطلع ظمآى الى الموسيقى والنغم
كوسيلة الابداء عن احاسيسها وعواطفها . ولن نجد سواد البنغال من حي

المقلدين لمذاهب الموسيقى الهندية. ومن ثم تجرؤا على ايجاد نوع آخر يعرف بكيرتان مع ان كانت ذخائر الموسيقى حافلة من قبل بامثال «كناداء و «اداناء و «مالكاوس» و «درباری» من الاصناف الموسيقية الرائعة. بل آثر البنغاليون ان يؤلفوا بانفسهم موسيقى تمثل امانيهم واحلامهم. والنتيجة الطبيعية لذلك ان الموسيقى البنغالية مهما احرزت التقدم، ضئيلا او مرموقا - عاجلا او آجلا - لتسير بجراها غير عابئة بالمجارى والمناهج الأخرى.

ولنعد الى حيث ابتدأنا الكلام منه. اذا نظرنا الى ماضينا الذى كاد ولى عنا الى غير رجعة نجد ان كانت الموسيقى تحظى بكبير الاعتناء والتشجيع من بين ذخائرنا الثقافية الثمينة كما سبق آنفا.

هذا عن ذكريات فى طفولتى. ثم آن فى ان ترعرعت يافعا فاخذت اعى المذكرات الدراسية واستظهر دراساتى متطلعا الى الشهادات التى سوف انالها من المعاهد. فاخذ ولعى بالموسيقى ينطمس وكادت آثارها المرموقة تمسح من ذهنى. واصبحت ارباع المتنعمين الاثرياء بعد ان كانت مهد الموسيقى ومهد «آهاء، تدوى اجوائها باصوات القرا آت والتدارس من الطلاب، كانها ديار موسيقى بلاقع آوى اليها التعليم والدراسات. وكان شبان ذلك العهد ذوى حماس متدفق وفكرة جامدة جعلتهم يحسبون ان ينابيع الموسيقى انما تتفجر من عند الذين اتخذوها صرفة وذريعة لكسب معيشتهم - ولعمرى انهم لفى ضلال مبين - فبدأوا يموهون عارض الموسيقى الصبيح النقى بالوان بشعة مغبرة اخترعوها من تلقاء انفسهم. ومضافا الى ذلك، لم تستحسن مصلحة التعليم فى بنغال ان تدخل الموسيقى فى مناهج المدارس مما انتج ان الطبقة المتعلمة حينذاك اذا ماعدت من الامين

بناء على جهلها من الموسيقى لم يكن يعروها ندم اواسف ما . وفوق ذلك ، كان ينظر اليهم بنظر الشك والريبة اذ كانوا يتغنون على خوف من احبائهم ومحسنيهم بصوت منخفض مقهور .

هذا ، ومما يجب تسليمه ان استهل فى هذا العهد كثير من الاعمال القيمة الأخرى ايضا . فقد كان كفاحنا السياسى يبرز تدريجيا الى حيز الوجود بروز متحذر متحوط . احتلت الخطب باللغة الانكليزية محل التهليل والترحاب واخذ زرع الصحافة يخرج شطأها . وكان رائد اورائدان قد سبقا يتابعان السير فى سبيل الآداب فعلا . فكما ان غيض الماء اليوم فى عديد البحيرات فاصبحت تحرث كما تحرث سائر الاراضى فذلك هوشأن الموسيقى عصر ذاك . كانت ركدت ريحها وخبت مصابيحها واصبح ماؤها العذب غورا ان تستطيع له طلبا . وانه لضغث على ابالة ان كانت احوال الدوائر المتعلمة اسوأ من غيرها . نعم ، اضحت الكتب الدراسية تتضاعف بكرة واصيلا .

لكنى لااقول ان هذا العهد المحتفظ بجدبه وخلوه مهما ظل باقيا الى يومنا هذا ، فقد عادت بنغال بحكم طبيعتها تحرص على مركزه فى الموسيقى ، فاستجمعت له المواد وخلقت منها وابدعت فيها . وبودى ان تعود سائر المذاهب الموسيقية الى مساندتها وموازرتها فى هذه الآونة الملائمة . ولربما يجدر ان استعيد هنا ما احرزته من الفوائد والتجارب التى يعود فضلها الى ملائمة الظروف فاعمل له لحظى بل لربى شكرا .

لقد كانت اسرتى حينما ولدت حرة عن التقاليد والعادات ، فاصبحت تعد من الطوائف المنبوذة من المجتمع . كذلك لم تكن اسرتى تنظر الى الامتحانات الدراسية بكبير الاجلال والاحترام ، التحق احد

اخوتى او اثنان منهم بالمدرسة ثم عادا الى البيت بعد قليل دون ان يتما دراسة او ينالا شهادة ما ـ ولست اقول انهما فعلا فعلا حسنا . ولكن انتج ذلك السلوك الحر ان كانت اسرتى فارغة عن التعصب والسفسطة العمياء التى لاتدع المرء يقدر او يحترم فضل ذى فضل الا ان يكون معلما بشهادة ما . فكان آخوتى يتناقشون ليل نهار فى المسائل الميتافزية باللغة البنغالية كأنهم اشربوا فى قلوبهم حب العلوم والآداب والطمع لرقيها . ولم يحرم فن الرسم والتصوير من التقدير والاهتمام ، وحتى التمثيل المسرحى لم يعد ايضا مما يعاب او يوسف عليه . ولكن الموسيقى هى التى تحتل اسمى مكانة واشرفها .

وانا ارى حب البنغالى المودع فى فطرته للموسيقى تتفجر انهارا وتتدفق امواجا . ومرد ذلك ان لم تحل دون نموها وانتعاشها حائلة قط .

كان « بشنو » مطربا بارعا كثيرا ما استمعنا له فى حفلات الاعياد والحفلات المقامة بمناسبة الفصول وحفلات العبادة وما على شاكلتها . وايضا كان اعضاء الاسرة يتعلمون منه الموسيقى . فكانه امام عينى ، يحمل آلة «تان پوره» على عاتقه . وكان اخوتى الكبار يبدون عن عميق تقديرهم وفائض تهليلهم نحو نتاج المطربين المهرة من امثال «تان سين» وغيره بلغتهم البنغالية . والطريف فى الأمر انهم على نشوئهم وترعرعهم فى بيئة اصطبغت بحذافيرها بصبغة الموسيقى الكلاسيكية اذا ما الفوا اغنية وجدناها خالية عنها تماما . ومن ثم كان اصحاب الموسيقى الكلاسيكية يقدحون عليهم . ولكنهم لم يكونوا يرجون له وقارا . فاخرجوا ـ نتيجة لذلك ـ عن الطبقة المتحررة فى المجتمع .

ومن الجدير ان اذكرهنا ما تمرنت عليه من استعظام الموسيقى والدراما واحترامهما . كان بنواخوتى تربوا على حب الموسيقى الكلاسيكية منذ الصغر . واستغرب ذلك اهل الفن فى ذاك العهد . فاذا غنى بنواخوتى فى المسرح اغنية يشمئز منها الحضور ويزورون عنها ازورارا . ومن حسن الصدف ان لم تبلغ الصحافة عهدئذ ما بلغت اليه اليوم من التوسع والانتشار . والا لامطرت الجرائد بوابل القدح والنقد ما لايستطيع احد عليه صبرا . وتبعه على مرالزمن مزيد الجور والقسوة . ومثل هذا الاستخفاف والاستنكار مهما بلغ تاثيرا وتوسع نطاقا وتعمق نفوذا فى كيان المجتمع لم يحل دون ولعى بالموسيقى الكلاسيكية ولم يغير منه شيئا . ومرد ذلك ان لم تبخل اسرتى المحتفظة بتقاليدها فى تقدير التعليم المدرسى واستحسانه قط . بل كانوا يحترمون كل فرع من فروع العلم والفنون على السواء .

انى قدمت هذه التفاصيل لكى احث ذوى السلطات التعليمية على ايجاد تفاهم وتقارب بين الآداب والفنون حتى لايتهاون الشعب فى اداء ما يجب عليه لهما بل يوفى لكل حقه كاملا غير منقوص . فكل ما استحببته او شعرت بضرورته فى هذا الصدد بدأت به فعلا فى معهدى على كثير العراقيل والصعاب التى واجهتها .

وليس من ميزات البشرانه اكتشف واخترع كثيرا من حقائق واشياء تفوق الوصف والبيان فحسب . بل انه اماط اللثام عن اقدار طرق التعبير واساليب البيان ايضا . فقد تفنن فى الوصف والتعبير وجاء له باساليب وطرق ما اروعها وما احلاها وما اقدمها عهدا ونشوءا . فان

من فطرة البشرانه كلما يعثر على بداعة وندرة سواء اكانت فى الكلام او فى الموسيقى او الخط او اللون او اللحن والنغم او فيما بين الروابط البشرية من النقاوة والسنا بادر جاهدا الى تصويرها بالالفاظ والتعابير، ولعمرى انه اجاد.

ولى وطيد الأمل بان طلابنا ان يحرموا من هذه الحقائق الثمينة والاسرار النادرة التى لايسعد ولايفلح التعليم فى بلد الابها. وليس مرمى هذه الحقائق التمتع والتنزه فحسب، بل هواب التعليم الذى يمكننا من اظهار ما استكن فى قلوبنا وافراغ ما جاش فى صدورنا من الاحاسيس والمفاهيم للاجيال القادمة. وكيف، فبه تقدر ان تخبرمن تخاطبه ان رنوت جمالا اخاذا مدهشا او ادركت لطيفا انيقا قلما يدركه الابصار او احببت ما جاء لزاما عليك ان تحبه.

الافلتزدهر البهجات والآمال والأمانى والاحلام والهموم والاوجال ولتخلد ذكراها فى طيات الفن والموسيقى ...

تعريب: ناصر الانصارى

الهند فى مدخل عالم جديد

الاستاذ و . رام

تجتاز الهند اليوم مرحلة هامة من تاريخها المديد . فلايخفى على أحد من الزوار الدين يفدون إليها من شتى بقاع العالم وجهان من المظاهر الهامة لهذه المرحلة ، وهما (١) التطور السريع الذى يمربه مجتمع تقليدى قديم إلى مجتمع عصرى ناهض ، (٢) تصنيع البلاد بطريقة حديثة مثمرة . وهذا هو الجوهر الحقيق لثمار التخطيط الاقتصادى وضع فى حيز التنفيذ منذ عام ١٩٥١ م . ويتجلى الانعكاس الصحيح لهذا التطور المرموق الذى يحدث فى طول البلاد وعرضها ، من ارتفاع معدل الدخل القومى باثنين وأربعين فى المائة والازدياد الملحوظ فى معدل النهضة الصناعية ، هذا ، فى بلد يبلغ عدد سكانه اكثر من أربعمائة مليون نسمة ، وبهذا تقف الهند فى الدرجة الثانية بين دول العالم فى عدد السكان .

وقد تم تنفيذ المشروعين الاول والثانى ، على أن تكون فترة كل منهما خمس سنوات مع اعتماد ١٠١١٠٠ مليون روبية ، بطريقة كاملة غير منقوصة . وأما المشروع الثالث الذى يهدف إلى التحقيق فى غضون خمس سنوات ما أنجزه المشروعان السابقان فى مدة عشر سنوات ، فنى مرحلة التنفيذ مع نجاح باهر .

وهذه المشاريع لجزء من البرنامج العام الطويل الذى ينشد مضاعفة الدخل الفردى ورفع المستوى الاستهلاكى فى الشعب بأكثر من سبعين فى المائة لغاية عام ١٩٧٧ م . وكان محتما على الهند أن تسعى لاجل تحقيق وسائل كافية وتسهيلات لازمة بغية أن يتمتع شعبها بحياة أرغد وأحسن

ولابد أن تنال هدفها المنشود مهما كانت الطرق المؤدية إليه شاقة عويصة ومهما تضاخمت العراقيل والعوائق فى سبيل التوصل إليه إن عاجلا أو آجلا.

ولم يكن وضع هذه المشاريع فكرة خاطفة مفاجئة، ولكنها كانت من أهداف النظرة الاقتصادية التى ناشدتها البلاد فى المرحلة الأخيرة للكفاح السلمى الوطنى لنيل الاستقلال. وتقوم هذه المشاريع الاقتصادية بمثابة وثبة وطنية كبرى لكى تنقذ البلاد من آثار الركود الاقتصادى، ولتبنى دعامة اقتصادية متينة حديثة بطريقة ديموقراطية محضة. وأن التخطيط الاقتصادى الهندى يشمل فى نطاقه جميع المرافق لحياة الشعب فى جميع أنحاء البلاد بدون تفريق ولاتفضيل، وتنطوى برامجه الجبارة الشاملة على شتى لوازم الاقتصاد الوطنى مثل الزراعة، والاعمار الريفى والرى، والطاقة الكهربائية والاصناف الثلاثة للصناعة أى الثقيلة، والوسطى، والخفيفة. والمواصلات، والصحة، والاسكان، والتعليم، والخدمات الاجتماعية وما إلى ذلك. وما كان من الممكن فى حالة توارثتها البلاد وظروف سادتها وقت الاستقلال أن يتحقق نهوض متوازن فيها إلاعلى أساس وطنى عام، لاعلى أساس اقليمى، وقد نالت الهند تلك الامنية وانخفض معدل التفاوت فى الدخل وتجمع الثروات فى حفنة من الأيدى، ووجدت فرص العمل أمام الجميع، وهكذا شاهد البلد روح المساواة والعدالة الاجتماعية، ونشأ فيه مجتمع متساو حر. ومن الميزات الكبرى للمشاريع الهندية التى هى مصممة ومقررة على أسس ديموقراطية صحيحة أنها تعرض، بعد بحث دقيق وفحص عميق، أمام برلمان الشعب لكى ينظر فيها ويناقش فى جو من الحرية والصراحة قبل الموافقة عليها، حتى

توضع فى حيز التنفيذ على أساس ديموقراطى سليم . وبفضل هذه المشاريع التى حققها الشعب الهندى طوعا ، لا كرها ، بمحض إرادته وبمطلق حريته واقتناعه أحدث تحولا خطيراً وتطورا مرموقا فى البلاد فى شتى مرافق الحياة البشرية . وأن المعيار الجلى لمعرفة العبء الثقيل الذى تحمله ملايين الشعب فى هذا المضمار ، مدى الضرائب المباشرة . وقد بلغ مجموع الارقام الحاصلة منها فى غضون السنوات العشر المتراوحة فيما بين عامى ١٩٥١-١٩٦١م حوالى ١٤٥٠٠ مليون روبية . وفوق هذا وذاك لكان عليهم أن يطبقوا طرق حياتهم وفقا للحالة المالية الحرجة التى هى من دواعى الاقتصاد المتطور ، وقد نشأت من جراء النقص المالى خلال تلك الفترة بمعدل ١٧٠٠٠ مليون روبية . وبطريق الاستثمار فى القروض الى اكتتبتها الحكومة لتمويل المشاريع العمرانية ، والتبرعات والاكتتابات حتى من الطبقة ذات الدخل الضئيل ، ومشروع الادخار والتوفير ، والمكاسب الحاصلة من السكك الحديدية المؤممة والشركات الحكومية استطاعت الدولة لأن تمول المشروعين بطريقة مقررة إلى جانب المساعدات الواردة من المصادر الأخرى . وقد ساهمت الدولة والصناعات المنظمة مساهمة فعالة فى ميدان الاستثمار فى المشروعين . وبلغ سهم الدولة حوالى ٥٢١٠٠ مليون روبية والشركات نحو ٤٩٠٠٠ مليون روبية . وبفضل إنجاز مختلف المشاريع بدأ الدخل القومى يزداد عاما بعد عام وكذلك معدل الاستثمار . وبلغ مجموع الرأسمال المستثمر السنوى ، فى المرافق العامة والخاصة ، فى بداية المشروع الأول حوالى ٥٠٠٠ مليون روبية ، ولكنه وصل لغاية نهاية المشروع الثانى ١٦٠٠٠ مليون روبية . ومن المتوقع أن يرتفع إلى ٢٦٠٠٠ مليون روبية فى عام ١٩٦٦ أو فى نهاية فترة المشروع الثالث .

وبناء على كون سبعين فى المائة من سكان البلاد من أصحاب القرى والأرياف يعتمدون فى حياتهم اليومية على الزراعة قد اعتمد المشروع الأول واحدا وثلاثين فى المائة من مجموع الأرقام المقررة لبرامج الزراعة والرى . وبلغ مجموع المصاريف فى فترة عشر سنوات من المشروعين لأجل الزراعة والرى وحدهما ـ أى فيما بين عامى ١٩٥١ - ١٩٦١م ، ١٥٥١٠ مليون روبية . وأنفق جزء من هذه المبالغ فى مشاريع الرى الكبرى والمتوسطة والصغرى لرفع مساحات الأراضى الصالحة للزراعة . وكان بعض المشاريع منها يقوم بمهمة تحقيق تسهيلات الرى وتوليد الطاقة الكهربائية معا . وأكبر مثال على هذا البرنامج المزدوج مشروع بهكرا ـ ننكال فى بنجاب الذى يبلغ مجموع مصاريفه حوالى ١٧٠٠ مليون روبية ويمر خزان بهكرا الذى فى ارتفاع سبعمائة وأربعين قدما عبر قاع نهر « ستلج » وهو أرفع الخزانات التى تمر فى خط مستقيم فى العالم . وقد ابتدأت أعمال بنائه فى عام ١٩٤٦ والآن قد وصلت فعلا إلى مرحلته النهائية . ويهدف هذا المشروع إلى تحقيق تسهيلات الرى لأكثر من ثلاثة ملايين فدان من الأراضى ولانتاج ٣٣١٠٠٠ كيلوات من الطاقة الكهربائية .

وقد بدأ فعلا ظهور الثمار اليانعة من هذا المشروع الكبير حيث ارتفع معدل المنتجات الغذائية خلال السنين العشر الماضية من ٥٠٫٠٢ مليون طن إلى ٧٩٫٢ مليون طن . ويرجع هذا إلى ازدياد مساحات الاراضى التى نالت تسهيلات الرى من ٥١٫٠٥ إلى ٧٠ مليون فدان وارتفاع تسهيلات استخدام السماد الكيماوى من ٦٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠٠٠ طن ، وفوق هذا كله قد أقيمت أربعة آلاف مركز من مزارع تنمية

الحبوب الجيدة من شتى الاصناف، وقد سجل الانتاج ارتفاعا مرموقا فى كل فدان فمثلا بلغ معدل محصول الرز فى كل فدان من ٦٩٤ باله قبل فترة المشروع إلى ٨٠٧ باله فى فترة المشروع الثانى. وأن توفر القوى الكهربائية لمن اللوازم الأولية للتقدم الصناعى من مختلف أنواعه. وبناء على عزم الهند لتصنيع البلاد على قدم وساق قد قررت لاستغلال جميع الوسائل والمصادر الممكنة لرفع معدل انتاج القوى الكهربائية فى طول البلاد ولأن الاقتصاد المستقر لاى بلد يتطلب إلى نهضة صناعية سليمة. وأما معدل القوى الكهربائية البالغ ٢٫٣٠ مليون كيلوات فى بداية المشروع الأول فقد ارتفع إلى ٥٫٧٠ مليون كيلوات فى نهاية المشروع الثانى ولكن هذا لايفى كما حقه لمواجهة مطالب الصناعات المتوثبة فى البلاد اليوم.

وأن الزراعة والصناعة لهما المحور الذى يدور فيه تطور النهضة والرفاهية لاى بلد فى العالم وقد نالت الهند استقلالها وهى على دعامة صناعية ضعيفة للغاية ولتحسين هدا الموقف وتحويل مجريات الأمور الراهنة قد صرف المشروع الثانى اهتماما بالغا نحوالصناعة وازداد الاعتماد الصناعى من اربعة فى المائة فى المشروع الأول إلى عشرين فى المائة فى المشروع الثانى. وبفضل هذا الاهتمام قد توطدت دعائم الصناعة فى البلاد سيما خلال السنوات الخمس من فترة المشروع الثانى، وأنشئت ثلاثة من مصانع الفولاذ الكبرى الجديدة على أن يكون لكل منها معدل انتاج مليون طن، وهى فى بهيلاى، ودرجابور، وروركلا. وكل منها قد تم إنشاؤه فى المرافق العامة فيما بين عامى ١٩٥٥ و ١٩٦١. وبدأ فعلا الانتاج فى تلك

الفترة . وبالاضافة إلى ذلك وسع نطاق العمل والانتاج فى مصنعى الفولاذ فى المرافق الخاصة بطريقة عصرية ناهضة حتى يبلغ معدل انتاجهما ثلاثة ملايين طن . وأن المظهر الجلى للثورة الصناعية فى الهند لارتفاع انتاج الادوات الصناعية التى ستخدم فى الزراعة والمواصلات والصناعات الكيماوية والنسيج ، وصناعة الاسمنت والجوت والشاى والسكر ومصانع الزيت والدقيق والورق والمعدنيات وغيرها ، وأن فى مكنة البلاد الآن أن تصنع بنفسها معظم المعدات والاجهزة التى تتطلبها السكك الحديدية الحديثة ماعدا القاطرات الكهربائية والديزل . وتنتج الهند أيضا أنواعا من الاجهزة الكهربائية والعلمية .

وعلى أساس قائمة المنتجات الصناعية من حيث الاصناف فبلغ الانتاج فى عامى ١٩٦٠-١٩٦١ مأتين وثمانية وثلاثين صنفا من الفولاذ والحديد ـ والآلات ـ من مختلف أنواعها ـ خمسمائة وثلاثة أصناف ، والاجهزة الكيماوية مأتين وثمانية وثمانين صنفا ونسيج القطن مائة وثلاثة وثلاثين صنفا . ويبدى الجدول التالى أرقام الانتاج لبعض الاشياء :ــ

	١٩٥١ (قبل المشروع الاول)	١٩٦١ (نهاية المشروع الثانى)
الدراجات	١٠٠٠٠	١٠٥٠٠٠٠
ماكينات الخياطة	٣٣٠٠٠	٢٩٧٠٠٠
المراوح الكهربائية	١٩٠٠٠	٩٨٠٠٠٠
الاسمنت	٢٧٠٠٠٠٠ طن	٨٥٠٠٠٠٠ طن
ألومنيوم	٣٧٠٠ طن	١٨٥٠٠ طن

وتصل قائمة الاشياء من الانتاج الصناعى خلال السنوات العشر
ذكورة من حيث المجموع إلى مائة وأربعة وتسعين صنفا بمقابل مائة
نف فى عام ١٩٥١ . وأن التحول الكلى من مجتمع تقليدى قديم إلى
تمع تقدمى عصرى يتطلب اصلاحات عديدة وتطورات هامة فى شتى
يادين . ومن الخطوات الهامة التى اتخذتها الهند بعد الاستقلال تنفيذ
شروع الاعمار الريفى الذى هو بمثابة أداة فعالة فى الديموقراطية
اللامركزية فى البلاد .

وبفضل هذا المشروع الجليل قد تلقت القرى والاقاليم سلطات
اسعة النطاق من الشؤون الادارية لوضع وتنفيذ برامج إعمارية عديدة
يث تتمشى مع مطالبها الخاصة والظروف المحيطة بها . وقسمت البلاد
لى هذا الاساس إلى خمسة آلاف ومأتين وثلاثة وعشرين وحدة ويشمل
لمشروع الاعمارى الريفى هده الوحدات كلها لغاية اكتوبر عام ١٩٦٣ م .
أما النجاح الباهر الدى حققه التخطيط فى ميدان الصحة العامة فى البلاد
هو التحسن الدى حصل فى معدل العمر الفردى إذا ارتفع من ٣٢٫٥٥ فى
ام ١٩٥١ إلى اكثر من ٤٥ فى عام ١٩٦١ وأدركت الهند جيدا بأن
لتخطيط لهو السبيل الوحيد السلمى لتحقيق حياة ذات رفاهية واستقرار
جمهور ، وثابرت ، بكل عزم وحزم ، على تنفيذ المشروع الثالث فيتبعه
لرابع والخامس ، وهلم جرا ، حتى تصل البلاد إلى هدفها المنشود كاملا غير
منقوص .

وهكذا يعيش الشعب الهندى فى تخوم عالم جديد متطور مع قضاياهم
عديدة ومسائلهم المختلفة وقد عقدوا عزمهم بدون تزعزع ولاتأن على
شييد بناء هذا العالم الحديث على صرح مدعم الأساس وموطد الاركان .

تعريب : محى الدين الالوائى

روابط الهند مع بلاد آسيا

فى القرن الثالث قبل الميلاد

للاستاذ ر . ك . دكشت

لقد جادت الطبيعة على الهند بحدود و حواجز صامدة لاتذلل ، بيد ان لم يقدر للهند ان تعيش منعزلة عن العلم منزوية فى عقر دارها .

فقد تسربت اليها بين الحين والآخر جموع اللاجئين والغزاة بطريق الممرات الجبلية فى كلتا الفترتين ـ فترة العهود القديمة وفترة العهود الوسطى ، بينما اضطر دفاعها الاقتصادى الى فتح الابواب للوافدين اليها فى الماضى القريب .

لقد توطدت بين الهند وجيرانها من بلاد آسيا اواصر متينة تسبق التاريخ بقرون ، وتجد آثارها مبعثرة فى آداب الهند القديمة وخاصة فى الاساطير وقصص پوراناً[1] التى تعالج جغرافيا العالم .

ومن الاغلب ان الآريين الذين خلعوا على الهند بهذه الثقافة السنية والذين لهم شأن خطير فى تحويلها الى الطابع الآرى هم قوم من الاجانب ارومة وجرثومة التجأوا الى هذه البلاد فى زمن من الازمان . هذا على رغم انهم لايذكرون ارتباطهم باى قوم آخرين سوى الهنود . وهم اعتقدوا ان موطنهم الاصلى هو ساپتا سندهو[2] وسموه ديواكريتا[3] او ديوا نيرميتا ديسا[4] .

---

(۱) Puranas (۲) Sapta Sindhu (۳) Devakrita

(٤) Deva Nirmita Desa

وذهب ماكس مولر[١] الى ان وطنهم مناطق آسيا الوسطى بينما راى ادفارد ماير[٢] انه سهول پامير[٣]. وظن طائفة انهم من سكان منطقة اوربية، عينها كل مؤرخ حسبما تجلى له الحق.

ومهما كان موطن الآريين فمن الواضح الجلى انهم يشبهون كثيرا اخوتهم من سكان فارس، وعليه تدل كتبهما الدينية من ريج فيدا وافيستا، فقد تقاربت فكرة ولغة وثقافة اى تقارب حتى زعم بعض الكتاب وادعى:

«وفضلا عن الكلمات او اجزاء الجمل من اللغة الهندية تيسر للجمل والعبارات ان تستبدل بامثالها من اللغة الايرانية بدون ان يمس ترتيبها النحوى تغيرما».

وهناك من الشواهد على ان وجدت الروابط بين الهند وسوريا وبلدان آسيا الصغرى منذ الالف الثانى قبل الميلاد. ومنحوتات بوغازكوئى[٤] المنتمية الى حوالى ١٤٠٠ قبل الميلاد، والتى سجلت الروابط القائمة بين الملوك الحتيين والميتانيين، تشمل اسماء آلهة اعتبروها كخماة هذه الروابط.

فتضاهى الاسماء هذه اسماء الآلهة الرجفيدية من امثال ميتا[٥] فارونا[٦] اندرا[٧] ناسيتيا[٨] وغيرخاف عليك ان كلماتها اقرب استنباطا الى الرجفيدية[٩] منها الى الافاستا[١٠].

Pamir Plateau (٣) Edward Meyer (٢) Max Muller (١)

Nasatya (٨) Indra (٧) Varuna (٦) Mita (٥) Boghazkoi (٤)

. Avastan (١٠) Rigvedic (٩

والى هذا العهد يرد تاريخ كتابات واساطير تل الامانيا[1] التى حملت فيما حملت على ذكر عديد الامراء الميتانيين مع أسمائهم السنسكرتية مثل آرتمانيا[2] وتوسراتا[3] وياسداتا[4] وسوترنا[5].

ولكن الآريين ليسوا بحال من الاحوال اول الاجانب الذين دخلوا ارض الهند ، وكيف ، فقد قيل عن الدرافيديين[6] انهم ليسوا من سكان هذه البقاع الاصليين ايضا .

وايا ما كان كتاب الحضارة ومسجلوا الثقافة الحجرية لوادى اندس[7] وسائر المناطق هذه فهناك ماكفى شاهدا على ان وجدت بينهم وبين معاصريهم فى اور[8] وكيش[9] وسوسا[10] ولوكاست[11] واومينا[12] والتل الاسمر[13] روابط مشتبكة مستمرة .

ثم وطى ارض الهند قبل العصر الفيدى عديد المهاجين ، انسلوا اليها من شتى ارجاء آسياء من الايرانيين الى اليونانيين البكتيريين من البارثيين[14] الى الثاسيين[15] من اليوتشيين[16] الى الهون[17] واندمجوا باجمعهم بالحياة الهندية اندماجا كاملا حتى لم يعد شئ من امتيازاتهم الاوقد انطمس وانمحى واصبحوا من الهنود حلقة مفرغة لايدرى اين طرفاها . ولهم فى سبيل الثقافة والتمدين خدمات ثمينة اسدوها فى المرافق المختلفة .

---

(١) Tel - el - Amania (٢) Artamanya
(٣) Tusratta (٤) Yasdata (٥) Suttarna (٦) Dravidians
(٧) Indus (٨) Ur (٩) Kish (١٠) Susa (١١) Lugast
(١٢) Umania (١٣) Tell - Asmar (١٤) Parthians
(١٥) Seythians (١٦) Yuchchis (١٧) Huns.

وايانا ان نحسب ان لم تتوطد بين الهند وجاراتها علاقات الابواسطة المهاجرين ومهاجاتهم. فقد كثر فى الحقلين السياسى والتجارى ايضا روابط مرموقة، بيد ان لم يصل الينا عنها الاقليل لايعتمد عليه. وخاصة عما يتصل بالعصور للسابقة على عصر الموريين نعم، عندما نشأت الامبراطورية المورية فى الهند والسلوقية فى سوريا تطورت الشئون وتحسنت من ذى قبل. ورفع الموريون التشندرجوبتيون فى الهند والسلوقيون فى سوريا رأسهم اندادا واعداء بعضهم لبعض ولم يعودوا احبة واصدقاء فيما بينهم فاحاط بهم آنق الوشائج السياسية. وشائج تين الدولتين فى آسيا برمتها.

وكما افادنا الكتاب الكلاسيكيون، نعرف ان بعث السلوقيون الميغاثتنيز الى بلاط الموريين سفيرا منهم قضى الميغاثتنيز فى پاتلى پوترا من عمره سنين. ثم فوض الانتيو شوز مهمة السفارة الى وايماتشوز الذى وصل سفيرا الى بلاط بندوسارا. وانا لنجد من ذكر الميغاثتنيز فيما وصل الينا من تاريخ الموريين والاحداث المشتتة عنهم وان نعتمد بقول پليني فكان بطليموس مصر ايضا ارسل له سفيرا الى الهند فى ذلك العهد اوفيما جاراه. ولربما قدم هذا السفير اوراق الاعتماد ما قدم الى بندوسارا او نجله النبيل اشوكا. ثم ساعدت العلاقات السياسية بين الدولتين على تعزيز اسس الروابط الاخرى وتقريب بعضها الى بعض. وزعم ايبان ان راجت بينهما ـ الموريين والسلوقيين ـ المناكحة ايضا بينما اشار استرابو الى قيام علاقات أخرى مثلها. وانا نجد فى هذا الصدد بضع قصص طريفة تثبت وجود عرى الصداقة بين هاتين الاسرتين الامبراطوريتين. ذكر آثينائين ان الامبراطور المورى ارسل كهدية مجموعة من العقاقير الهندية كما

التمس بحله من معاصره السيلوقى فى ان يرسل اليه الخمر اليونانى والتين واحد الفلاسفة من عنده. فارسل الخمر والتين فورا واعتذر السيلوقى عن ارسال الفيلسوف ومن المؤسف ان لم يذكر الكتاب الكلاسيكيون هل كان الموريون ايضا ارسلوا سفراء منهم ام لا. والاغلب انهم فعلوا ذلك، لان الكوتيليا-الفلسفى والبناء الشهير ناشئة زمانه يلزم الملك ان يكون يقظا حذرا وعلى المام بنشاطات الجيران بواسطة الجواسيس والسفراء. وخصص الكوتيليا من ارتها شاستر ا بابا مستقلا بسط فيه عن المميزات والكفاءات التى يجب ان يحملها السفراء.

ومن المرحب به عند كل مشغوف بالتاريخ ان يلقى الضوء على روابط الهند مع جاراتها مصدر قلما يتوقع مثله من مثله. اعنى مسلات اشوكا ٢، ٥، ١٣، فقد ذكر فيها اسماء الملوك الذين ارسل اشوكا سفرائه الى حكوماتهم. الاوهى امتى يوكا، دولة پورا الملك اليونانى الانطاكى ٢ وملك سوريا الذى كان اقرب جيران الهند على الجانب الشمالى الغربى وتورا مايا وانائى تيےكينا وماكا وآلى كاسونى دارا الشهير بـ «بطليموس» مصر وآنتى جونوس جونوتاس لمقدونيا وما جاس لسيرين واسكندر لاپيروس اورالكورنث الذى وقعت مملكته وراء مملكة الانطاكى. وكان هؤلاء جميعا من معاصرى اشوكا. وعلاوة على ذلك كان تمباپنى (تامرا پرنى، السيلان) فى الجنوب ممن انشأ معهم اشوكا روابط دبلوماسية.

والجدير بالملاحظة ان لم تكن العلاقات محض علاقات دبلوماسية، بل كانت مستهدفة دعم السلام وتوطيد الصداقة والوئام التى لم تجد ولن تجد البشرية من دونها ملتحدا.

وحدث احيانا ان استهزى بارسال السفراء والبعثات هذه الى بلاد الغرب بانه من خزعبلات ملك جوح واظهار لكبريائه ليس الا . لكننا نجد فى ماهاقامسا له شواهد عديدة . ففيه ان ارسلت فى عهداشوكا بعثات بوذية الى يافانا او اليونان بالاضافة الى ارسال امثالها الى بورما وسيلان . وايضا الفيما فى سامان تهاپاسادى كما ذكر بعثة ارسلت الى يورانتها . اما البعثة الى سيلان فكانت تحت رئاسة نجل الامبراطور وكريمته ـ مهندرا وسانغا ميترا . والفضل فى ذلك لملك سيلان ، فان الفضل المتقدم ، لانه سبق فى ارسال بعثة الى الهند نزلت بتامراپتى . ـ

وعلاوة عن ذلك نجد ذكر بعثات عديدة تبودلت بين الهند والسيلان فى هذه العهود . والى هذه البعثات يرجع مانالت البوذية فى الهند من الشيوع والانتشار . ومن المعتقد ان اسست الروابط السياسية والثقافية على التجارة المتبادلة بين الدولتين . فكانت افيال الهند تستوفى اثمانا باهظة فى اليونان التى كانت فى اشد حاجة اليها لتقوية الجيوش . وما احرزه السيلوقيون من نصر ساحق فى حرب ايپسوس فليس الا بفضل ٥٠٠ فيل كان الامبراطور الهندى تشندرجوبتا قدمها اليهم .

واضف الى ذلك ما ذكرناه سالفا من طلب الا باطرة الهنود التين والخمر اليونانى من ملوك السوريا .

وكان الاتجار بين الهند والغرب اذ ذاك على نطاق واسع . فكانت المتاجرة مع مصر بطريق البحر الاحمر ومع السوريا بالخليج الفارسى والطرق البرية من وراء الممرات الشمالية الغربية .

فكان الملك الانطاكى قداجرى فى بلاده ـ علاوة عن العملة الاثينية ـ نبذة من نقود الهند تسهيلا فى التجارة معها .

وذكر آرتها ساسترا من كوتليا نبذة من احوال التجارة التى قامت بين الهند والبلاد الاجنبية فى عهد الموريين ، والقى بها الضوء على القوانين الموضوعة للتصدير والاستيراد اذ ذاك. هذا ، وذكر فيما ذكر عددا من بلاد آسيا كانت منتجاتها ومصنوعاتها شائعة فى اسواق الهند . فعلى سبيل المثال كانت الهند تستورد الحرير ومنسوجاته من الصين والاردية الصوفية من نيپال ، والفرس من بال هيكا(١) وشبه جزيرة العرب ، والجلود من بهلافا الواقعة على اطراف هملايا ، والخمر من هارا هورا الواقعة على الاغلب بالقرب من كاپيسا فى الجانب الشمالى الغربى ، واستوردت المجوهرات من پارا سامودرا الشهيرة بروهاناندرى فى السيلان ، والفحم من الاكاندر - وهو ينبوع نهر باربرا - ومن ويورنا ، وهو كما قيل بحرواقع على مقربة من جزيرة ياقاس . وايضا استوردت المجوهرات من كوتا وملايو والجزر الاخرى والفينا فيه ذكرا عن جاتا پادا « للهون » مع ذكر گندهارا وسوفرنا بهومى .

وان دل ما ذكرنا على شئ فانما يدل على ان توطدت بين الهند وجاراتها اوثق العرى وحاكتها شتى الوشائج من التجارية الى الثقافية ومن الودية الى السياسية مما عادت عليها جميعا بارباح جسيمة وفوائد جمة اصلحت من شأنها السياسى والتجارى معا .

---

(١) Bactria

شعراء البنجابية الصوفيون

شاكر برشارتى

ان تاريخ اللغة البنجابية وادبها قديم قدم ارضها التى تشقها أنهارها الخمسة الميمونة والتى ظلت تدعى باسم « سپت سندهو » وهو الاسم الذى سميت به فى كتاب « ويدك گرنتهم » وقد استمرت هذه الارض مسرحا لثقافات مختلفة من مبدأ الثقافة الهندية الآرية القديمة إلى عهد الفتح الاسلامى .

ومن الناحية السياسية لعله لايوجد اقليم ظهرفيه انقلابات وتقلبات مثلما ظهرت فى « بنجاب » ، فقد ظلت هذه الارض ميدانا لحرب بين الدراوديين والآريين الوافدين مدة طويلة . ثم جاء بعد هذا الايرانيون ، والبارسيون ، واليونانيون ، والباختريون ، والبارتهيون ، واليوتشيون والصينيون والأسيريون ، والهون ، والشكيون ، والجرجريون والجاتيون . وعلى اثر فتح محمد بن قاسم اقليم السند جاء إلى هذه الارض الافغان والمغول والتورانيون ، والاتراك وامم اخرى متعددة واستوطنوها . وكان لابد ان يتأثر اهل الاقليم البنجابى جسميا وذهنيا وخلقيا ومذهبيا بهذه الحضارات التى تواردت على اقليمهم قليلا كان ذلك الاثر اوكثيرا .

ونتيجة لهذه التقلبات السياسية والثقافية استمرت حالة بنجاب مضطربة ولم يقدرلها الاتحاد والاستقرار إلا فى سنة ١٨٤٩م اذ امكن ظهورها لاول مرة فى صورة وحدة سياسية متكاملة .

فاذا نظرنا فى اللغة البنجابية وادبها فى ضوء ما تقدم ظهر أن اللغة البنجابية فى اول حياتها كانت مخلوطة كاختلاط سكان بنجاب ولم يكن لها

كيان مستقل ، وفى القرن العاشر ظهرت البنجابية لغة مستقلة ذات كيان خاص إلى حد ما كما يتضح من التحقيق والبحث فى الآثار القديمة الباقية من ذلك القرن ولكن الفرق بين تلك البنجابية التى يسميها خبراء اللغات «هندوى» وبين بنجابية اليوم - فرق كبير جدا - ويرى «الدكتور محمود شيرانى» ان بنجابية اليوم والاردية ترجعان إلى البنجابية القديمة وقد تطورتا عنها واتخذت كل منهما شكلا خاصا ، فاذن هما فى الاصل لغة واحدة .

ولما دخل المسلمون القارة الهندية من الجهة الشمالية انشأوا القرى لسكناهم فى «السند» و «ملتان» ، واتخذت «لاهور» عاصمة للسلطنة الغزنوية التى استمرت سبعين ومائة عام فكان لابد من لغة يتفاهم بها الوافدون والسكان الاصليون ، وتلك اللغة كانت هى البنجابية فى صورتها القديمة ، والتى يسميها خبراء اللغات «لاهورية» او «هندوى» .

ان اللغة الهندوية التى اتخذها المسلمون وسيلة للتفاهم مع الهنود عموما ومع اهل شمالى الهند خصوصا ، واستخدموها لنشر حضارتهم وثقافتهم وديانتهم لابد ان يكون قد نشأ فيها حينئذ الادب شعرا ونثرا بقدر كبير . ثم انه لم نعثر على تراث ادبى آخر من الادب البنجابى سوى النزر اليسير من الترنيمات التى تنسب بلادليل إلى رهبان الهنادك «ناته جوكى وسدهى» ومن ذلك نستخلص ان المسلمين الوافدين هم الذين بدأوا ايجاد الادب فى لغة شمالى الهند الرائجة رسميا واصوليا .

ومن اول المسلمين الذين استخدموا اللغة البنجابية (هندوى) لقرض الشعر مسعود بن سعد الذى كان فى بلاط السلطان ابراهيم حفيد السلطان محمود غزنوى المتوفى بين سنتى (١١٢٨ م و ١١٣٠ م) ورأى حضرة امير

خسرو (١٢٥٣ م - ١٣٢٥ م) أن مسعود بن سعد له ديوان بالهندوية كما ان له ديوانا بالفارسية فقد قال :

« صاحب ديوان درعبارت هندوى و پارسى - ا هـ »

يعنى بذلك ان مسعود بن سعد صاحب ديوان بالهندوية وبالفارسية .
ومع ذلك ما امكن العثور على ديوانه الهندوى ولهذا لايمكن الحكم على اسلوبه فى الهندوية ويقول الدكتور (سنيتى كمار چيٹرجى) متفقا فى الراى مع خبير اللغات (هيم چندر) : « من الممكن ان هندوية مسعود بن سعد كانت هى اللغة (أپ بهرنش) الشعبية الرائجة فى القرن الثانى عشر الميلادى المشابهة بـ (برج بهاشا) او (الهندوستانية) فيما بعد . وان كانت (اپ بهرنش) ظلت لغة الادب حتى القرن الثالث عشر إلا انها من القرن الثانى عشر ابتعدت عن الشعب واصبحت لغة خاصة الادباء . واتخذ الشكل القديم من اللغة الهندية الآرية الجديدة لغة للشعب . فان كان مسعود بن سعد قد نظم ديوانا بالهندوية فانه لاشك انه قاله باللغة (الهندوية المشابهة للبنجابية القديمة) التى هى مبدأ البنجابية الحالية . ولما وصلت هذه اللغة إلى دلهى حينما اتخذت عاصمة للحكم فى العهد الغورى بدل « لاهور » تأثرت بـ (برج بهاشا) واللغات الاخرى فنشأت عنها الاردية » .

امتد حكم الغزنويين فى بنجاب سبعين ومائة عام اتخذوا فيها « لاهور » عاصمة لحكومتهم مما جعلها مركزا علميا ثقافيا يقصده كبار العلماء وفضلاء الصوفية الكرام من اقاصى البلاد . وقد اثبت « غلام محمد جشتى شيروى » فى مصنفه « حديقة الاسرار فى اخبار الابرار » من اسماء اولئك العلماء والفضلاء عددا كبيرا . واعظم هؤلاء شخصية هو « على بن عثمان

هجویری ، الذی قدم من (غزنی) إلی لاهور فی آخر عمره . وهوالذی لازم قبره للمراقبة کل من الشیخ خواجه معین الدین جشتی والشیخ فرید الدین گنج شکر کما استفاد منه روحیا الشیخ نظام الدین سلطان الاولیا . ومن الوافدین إلی لاهور فی تلك الحقبة ایضا الشیخان اسمعیل لاهوری وابوالحسن ، وشخصیات اخری کثیرة ممن قاموا بنشر الدعوة الاسلامیة فی البلاد متبعین فی ذلك مسلکهم الصوفی ، ولم یکن اسلامهم محض اقرار باللسان فلم تقتصر طریقتهم فی التبلیغ ونشر الدعوة علی الوعظ والمناظرة وحدهما بل قاموا بخدمة الخلق وانشأوا روابط قائمة علی المحبة والألفة وارادة الخیر ومع ذلك فقد تشددوا فی المحافظة علی اداء الصلوة والصیام وسائر الشعائر الاسلامیة الاخری .

قد سلك علماء الصوفیة فی بنجاب مسلك الصوفیة فی المناطق الاخری فی استخدامهم اللغة الفارسیة وسیلة للتبلیغ والدعوة والارشاد والتصنیف والتالیف مدة طویلة . فالکتب التی الفها علماء الصوفیة اولا کانت کلها باللغة الفارسیة . ومن تلك الکتب : کشف المحجوب ، وکشف الاسرار ، ومفتاح العارفین وغیرها من الکتب الهامة التی کان لها أثر بلیغ فی المنهج الفکری للمتصوفین . وقد تجلت فی هذه الکتب اسالیب الفارسیة وطرق کتابتها بوضوح کما اشتملت علی کثیر من مصطلحات علم العروض والبیان .

ولکن علماء الصوفیة فی بنجاب وجهوا اهتمامهم إلی استخدام اللغة البنجابیة المحلیة فی التبلیغ والوعظ والارشاد والتعبیر عن مشاعرهم لیکون ذلك اکثر افادة للناس . وقد اتفق المحققون علی ان هؤلاء السادة الصوفیة

هم الذين وهبوا الحياة. للغة البنجابية الموجودة فقد كانت دور اقامتهم مراكز للادب البنجابى . ومنها بدأ ظهور الادب البنجابى واخذ ينتشر ويتقدم شيئا فشيئا حتى اصبحت اللغة البنجابية سائدة فنظم بها الشعراء وكتب بها الناثرون والف بها العلماء والكتاب . ولا نكون مبالغين اذا قلنا إن الشعر الصوفى فى اللغة البنجابية ثروة عظيمة للادب البنجابى ، فبفضل هؤلاء الشعراء الصوفية ترقت اللغة البنجابية ووصلت إلى اوج عظمتها بغير اشراف او معونة من الحكومة او اهل الثروة والجاه .

فى القرن الثالث عشر الميلادى نظم حضرة بابا فريد الدين گنج شكر قليلا من الشعر باللغة البنجابية . وفى القرن الخامس عشر الميلادى بدأ الشيخ ابراهيم فريد ثانى كتابة الشعر طبق القواعد والاصول المعروفة ، ثم تبعه الشعراء الصوفية فزودوا اللغة البنجابية بتحف رائعة فنية ومنظومات مثالية عظيمة .

وقبل ان نأخذ فى بحث شعر الشعراء الصوفيين البنجابيين ، ينبغى لنا ان نذكر اهم خصائص الشعر الصوفى البنجابى .

فقد اثبتنا فيما مضى ان علماء الصوفية كانوا اصحاب الفضل فى نشوء الادب البنجابى . فهم قد زودوا اللغة البنجابية عموما والشعر البنجابى خصوصا بقدر عظيم هيئة وموضوعا . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فقد اندمجوا فى المجتمع البنجابى وخالطوا السكان وتأثروا بطريقة معيشتهم وافكارهم وثقافتهم تأثرا كبيرا افقدهم مظاهر جنسيتهم الأجنبية وانطبعوا بطابع اهل البنجاب واصطبغوا بصبغتهم . فالحماس والنشاط الذى يتجلى فى شعر فريد الدين گنج شكر وفريد ثانى لنشر الاسلام وتبليغ الدعوة لم يعد يوجد

ن شعراء الصوفية البنجابيين بل اتجهوا اتجاها خاصا لدراسة المذاهب المختلفة المنتشرة فى زمانهم واولوا المسائل الفلسفية عناية خاصة . ومن رواد هذه المدرسة الفكرية «حضرة ميان مير» و «ابوالفضل» . والتاريخ شاهد ان هذين العالمين الفاضلين قد تأثرا عميقا بدراستها للكتب الهندوكية المقدسة الاربعة وهى (ركوويد وآتهرويد وسام ويد ويجرويد) وكذلك تأثرا بشروحها التى تسمى : «ابنيشد» .

فى عهد الامبراطور «شاهجهان» قبل الصوفية برضا ورحابة صدر كثيرا من رسوم الديانة الهندوكية وتأثروا بتعليمات الكتب السالف ذكرها . وقد بالغ هؤلاء الصوفية فى ابراز «الطريقة» ببيان اسبقيتها على الشريعة وجودا ومنزلة . ونتيجة لهذا المسلك ظهر انحرافهم عن الشريعة وشعائرها فى كلامهم وسلوكهم فلم يعودوا يهتمون بالشعائر الاسلامية الظاهرة كالصلوة والصوم بالنسبة إلى اشتغالهم بماينافيها من الطقوس والرسوم كالرهبانية والتسامح . والمشاحنة التى وقعت بين «شاه حسين» وقاضى لاهور تدل دلالة واضحة على مبلغ انحرافهم عن الشريعة .

وفى القرن الثالث عشر لما تربع «اورنگزيب» على عرش السلطنة واجتمع فى بلاطه العلماء المسلمون الدينيون المتشددون ضاق الصوفية ذرعا بسلوكهم الدينى التعصبى فتفرقوا عنهم ونزعوا إلى الرهبانية الهندية فشاركوا الرهبان الهندوك اسلوبهم فى الحياة وباشروا رياضاتهم الشاقة وهجروا حياة الجماعات ومالوا إلى العزوبة . وكان ممن نشأ فى ذلك العصر الصوفى المعروف والشاعر الكبير «بلهے شاه» ومرشده «شاه عنايت» .

وقصارى القول ان شعراء الصوفية البنجابيين قاموا بالدعوة للاخوة والمساواة وعملوا على تنمية روابط المحبة والتعاون بين اهل الاديان

المختلفة . ونبذوا التعصب الديني وراء ظهورهم . فسادت المجتمع روح التسامح الديني ، وتلك هي الميزات التي تميزهم عن غيرهم من سائر الصوفية وتجعلهم ينالون الاعجاب ويستحقون التقدير من جميع اهل الاديان وهذه النزعات الزهدية كان لها اكبر تاثير في تطوير التصوف وتزويده بطاقات جديدة في ارض البنجاب . وليس معنى ذلك ان هذه الصفات العامة ألغت الفوارق الذاتية المميزة لشخصية كل شاعر صوفي بل بالرغم من اتحادهم في الميول والنزعات الدينية فقد تميز كل واحد منهم باسلوب خاص يبقى عن شخصيته ويميزه عن غيره تميزا واضحا .

كتب (شريمتي لاجونتي راما كرشنا) مقالا تحقيقيا بعنوان («شعراء الصوفية البنجابيون» قسم فيه الصوفية الكرام إلى ثلاث مدارس فكرية : المدرسة الاولى يرى اصحابها ان تبديل الدين امر ضروري وعندهم ان القرآن الكريم المنزل على محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه ـ لهداية الناس من عندالله تعالى افضل الكتب ، ولابد من الايمان بالدين الاسلامي ومبادئه للوصول إلى مرتبة الحب الحقيقي ، وان كانوا مع ذلك لايتعصبون . ومن رجال هذه المدرسة «حضرة فريد» و «علي حيدر» .

والمدرسة الثانية يرى اهلها ان اول واجباتهم ان يجتهدوا في تقليل الاختلافات المذهبية والقضاء عليها بطريقة عملية ويجتهدوا لمحو الحزبية المذهبية والتعصب الديني . وهؤلاء هم الذين درسوا الديانة الهندوكية وطالعوا كتبها واقتبسوا تعاليمها وصبغوها بصبغتهم الصوفية وعلى رأس ممثلي هذه المدرسة «بلهے شاه» .

المدرسة الثالثة تتكون من طبقة من الصوفية الذين قلت ثقافتهم أو انعدمت، ولم يتعمقوا فى التصوف كما لم يدرسوا اصوله ومسائله دراسة واعية بل اخذوا عقائده ونظرياته اخذا سطحيا وراحوا يدعون الناس إلى الاخذ بها فاقبلت عليهم جماهير من الجهلة والعوام يستوى فى ذلك المسلمون والهندوكيون واهل هذه الطبقة لم يضيفوا لمسائل التصوف اى اضافة بل بالعكس كانوا سببا فى نشر بعض امور جاهلية ضارة. ورجال هذه المدرسة هم الذين سخرمنهم «وارث شاه» فى مصنفه المشهور (هير) الذى الفه بلسان (رانجها) وفضح فيه مساوئهم وازاح الستار عن مخازيهم.

ونلمح فى شعر شعراء البنجابية الصوفيين النظم الاجتماعية والطرق المعيشية التى كانت سائدة فى زمانهم. وشعرهم مرآة صافية تعكس تلك الاحوال بصورة صادقة. ومع تعمقهم فى صوفيتهم والتزام آداب طريقتهم لم يغضوا ابصارهم عن الحقائق الدنيوية والحوادث المعاصرية بل احاطوا بها علما وبينوها لاتباعهم ومسترشديهم باساليبهم الخاصة. فى شعر «على حيدر» و «بلهے شاه» و «هاشم» نلمح اشارات كافية إلى الفوضى والفساد السياسى الذى كان منتشرا فى زمانهم.

ونشأ الشعر البنجابى الصوفى فى مناطق الريف لهذه الاسباب و وضحت فيه صور الحياة الريفية ببساطتها وسذاجتها، فجاء سهل العبارة بسيطا فى اسلوبه سائغا فى الافهام خاليا من التشبيهات والاستعارات والاصطلاحات الفنية التى كان يذخر بها الشعر الاردوى والفارسى. والشعراء الفارسيون الصوفيون استعملوا فى تعبيراتهم عن المحبوب المجازى صيغة المؤنث «ليلى» اوصيغة المذكر «المجنون» فجمعوا بين المذكر والمؤنث فى استعمالاتهم.

واما فى الشعر البنجابى فقد استعملوا للتعبير عن المحبوب المجازى صيغة المذكر وحدها وجعلوا صيغة المؤنث لانفسهم واستخدموا ابطال القصص الشعبية والروايات الغرامية الشائعة فى العامة بطريق التلميح والاشارة. وعندهم ان العاشق الحقيق يظل طول حياته يعانى من الهجر والفراق وآلام البعد مثلما عانت بطلات الغرام «سسى، وهير وسوهنى» اللآتى لم تقدر لهن الراحة ووصال المحبوب إلا بعد الموت. وقد قدم هؤلاء الشعراء الصوفية البنجابيون بطريقتهم الصوفية الروايات الغرامية السهلة بطريقة فنية رائعة الحسن. وبالجملة فقد كانوا يتوخون الاساليب السهلة المؤثرة التى تكشف افكارهم واخلاصهم فيها فصرفوا انظارهم كلية عن استخدام المحسنات الفنية فى اشعارهم.

اقسام الشعر

ومما يجدر ذكره ان مسلك الشعراء البنجابيين الصوفيين كان على العكس من مسلك شعراء الاردية الذين اتخذوا اقسام الشعر الفارسى وسيلة للابانة عن اغراضهم من (مثنوى، ورباعى، ومسدس) فقد استعملوا للتعبير عن مشاعرهم وافكارهم اقسام الشعر الهندى كثيرا. والتى نذكر بعضها فيما يلى.

كافى

يوجد اختلاف كثير بين المحققين فى هذا النوع واغلب الظن انه ماخوذ من لفظ «قافية» ولكن ليست له اوزان خاصة مقررة. واكثر الشعر البنجابى الصوفى يوجد فى صورة القوافى. ويكتب «كافى» فى اوزان مختلفة وقد تلاحظ فى ترتيبه النغمات. وقد حقق خبير الادب البنجابى

المشهور الدكتور (موهن سنگھ) ان «كافى» نوع من انواع النغمات (راگ) ودلل على ذلك بادلة مختلفة منها نسخة خطية. ويوجد فى شعر الشاعرة الهندية «سهجوبائى» كثير من الانغام (پدراگ) على وزن «كافى».

سى حرفى

هذا النوع قد استأثرت به اللغة البنجابية دون غيرها من لغات الهند المحلية الاخرى بل لايوجد له أثر فى العربية ولافى الفارسية. وليست له قواعد مقررة. وطريقة النظم به ان ينشد الشاعر قصيدته على هيئة رباعيات كل رباعية مبدوءة باحد حروف الهجاء وكل مصراع فى الرباعية مبدوء بنفس الحرف كذلك، ويلاحظ فى ذلك ترتيب الحروف الهجائية حتى يستوعبها جميعها. ويوجد قسم فى الشعر الهندى يسمى «باون اكهرى» نظرا إلى عدد حروف اللغة «ديوناگرى» البالغ اثنين وخمسين حرفا وهويشبه «سى حرفى». وبما ان الشعراء المسلمين هم الذين روجوا «سى حرفى» وأولعوا به فى شعرهم، وكانوا يكتبونه بالخط الفارسى لذلك التزم ان يكتب «سى حرفى» جميعه طبق ترتيب حروف الهجاء الفارسية حتى ان غير المسلمين من الشعراء الذين نظموا شعرهم باللغة «گورمكهى» على طريقة «سى حرفى» راعوا ايراده بترتيب حروف الهجاء الفارسية كذلك. واسبق الشعراء الصوفية الذين نظموا شعرهم بطريقة «سى حرفى» هوالشاعر الملتانى المشهور «سلطان باهو» ١٦٢٩–١٦٦٠.

دوهڑے

استعمل هذا النوع على وجه الخصوص من الشعراء الصوفية حضرة بابا فريد، وهاشم. وهو يتركب على هيئة رباعيات كل رباعية

اربعة مصاريع مثل الرباعيات الاردية والفارسية إلا انه فى البنجابية يلتزم فيه اتحاد القافية غالبا . ومن اسبق الشعراء الصوفية البنجابيين استخداما لهذا القسم حضرة فريد الذى اقتبسه من شعراء الرهبان «ناته پنتهى جوگى» .

شلوك

هذا النوع مثل سابقه من اقسام الشعر الهندى الخالصة . وقد كتب من هذا القسم ايضا كسابقه الشيخ فريد وهوماخوذ عن الرهبان «ناته پنتهى جوگى» . وهذا القسم من الشعر و «دوهے» من تراث اللغة «اپ بهرنش» وقد استفاد به الصوفية واستخدموه فى شعرهم .

وار

هذا القسم مرادف للقسم الانجليزى «بيلى» وهو فى الاصل اسم للنظم الطويل الذى يشتمل على سداسيات . ولم يستعمله الشعراء الصوفية المسلمون إلانادرا بينما نظم الشعراء الروائيون كثيرا من شعرهم به . و «نادر شاه كى وار» الذى كتبه الشاعر «نجابت» له اهمية خاصة فى الادب البنجابى . وقد كتب شعراء «السيخ» فى مدح ابطالهم وزعمائهم الدينيين كثيرا من الشعر فى «وار» كما اختار هذا القسم الشاعر «بهائى گورداس» لكتابة مواعظه الروحانية .

باره ماه

كتب به الشعراء الصوفيون جميعا وطريقته ان يصف الشاعر اثر فراقه من المحبوب الحقيق ويختم وصف حالته بتمنى لقاء المحبوب والاتصال به . واجود الشعراء انتاجا فى هذا القسم الشاعر «بلهے شاه» الذى

فاق الجميع فيه بادبه الرفيع وفنه العالى . وهذا القسم هندى خالص على طراز القسم الانجليزى (Shepherd Song) ، وقد راج فى اللغات الوطنية فى تقليد الاسلوب القديم للغة السنسكريتية .

اٹهواره

الشاعر الذى ينظم بهذا القسم يصف آلام انتظاره لقاء محبوبه يوما فيوما على مدى الاسبوع حتى اذا لم يتحقق له اللقاء فانه يرفع يديه فى اليوم الثامن مبتهلا متذللا لله بالدعاء فيتحقق مطلوبه . ويضمن كل هذه المعانى فى «اٹهواره» . و «اٹهواره» الذى نظمه «بلهے شاه» يستحق تقديرا خاصا ؛ لانه اجاد فيه تصوير الطبيعة وكيفية الهجر .

قد سبق ان بينا ان الشاعرية الصوفية فى الادب البنجابى ذات منهج مستقل وانها تعتبر تراثا قيما له .

وللتعرف على شعر الشعراء الصوفية البنجابيين سندرس باختصار نماذج من شعر المشهورين منهم فى عهود الادب البنجابى المختلفة المتميزة من الوجهة التاريخية وهى :

١ ــ العهد الاول : من اشهر شعراءه الشيخ فريد الدين گنج شكر والشيخ ابراهيم فريد ثانى .

٢ ــ العهد الثانى : (گرونانك كال) من المبرزين فى الشعرفيه ، شاه حسين وسلطان باهو .

٣ ــ العهد الثالث : (مغل كال) من الممتازين فى الشعرفيه «بلهے شاه» و «على حيدر» و «زيد» .

٤ — العهد الرابع : (آدهنك كال ـ العصر الجديد) وممن يجدر ذكره من شعراء هذا العهد الاخير : غلام جيلانى ، وميرا شاه ، وخواجه غلام فريد ، ومحمود گوثا گجراتى ، وهدايت الله ، وغلام حسين كيلانى ومغموم وغيرهم .

حضرة الشيخ فريد الدين گنج شكر

(١١٧٣ م — ١٢٦٥ م)

ولد فريد الدين گنج شكر اول الشعراء البنجابيين فى قرية «كوتيه وال» من اعمال ملتان سنة ١١٧٣ م . الشعر المنسوب إلى فريد فى «گروگرنته صاحب» (الكتاب الدينى المقدس للسيخ) اختلف فيه المحققون ، واكثر اهل الرأى من الأدباء استنتجوا من بيانه واسلوبه انه من نظم «فريد ثانى» حفيد بابا فريد الدين الثانى عشر الذى عاصر «گرونانك» (الرائد الدينى الاكبر للسيخ) وقد صرح المؤرخ الكبير «مسترميكالف» بان الشعر الذى ينمى إلى فريد فى «گروگرنته صاحب» هو من انتاج الشيخ فريد ثانى دون شك . حضرة فريد الدين گنج شكر والشيخ ابراهيم فريد هذان الاسمان لازالا مثار شبهات وموضع نقاش وبحث ولم يستطع الباحثون حتى الآن البت فى هذه القضية والوصول إلى رأى حاسم . وعلى كل حال فان فريداً يحتل فى الادب البنجابى نفس المكانة التى يتمتع بها «چاسر» فى الادب الانجليزى و «رودكى» فى الادب الفارسى و «ولى دكنى» فى الادب الاردى . وشعره منظوم بطابع عرفانى خالص . ولقد كان فريد شاعرا اصوليا يائسا يستهدف من شعره نشر الاسلام وتبليغ الدعوة ؛ فلاجل ذلك جاء شعره خاليا من العاطفة والحماسة ممتلئا بالنصح والوعظ والارشاد . وفيما يلى نقدم اليكم نموذجا من شعره ، يقول :

«فريد ميں جانيا دكھ مجھكو ، دكھ سبائى اے جگه
اچے چڑھ كے ديكھا گھر گھر ايها اك».

(الترجمة : يا فريد ! كنت اظن ان المصائب والآلام قاصرة على ولكنى وجدتها بلوى عامة يشترك فيها كل الناس . ولما امعنت النظر علمت ان النيران متأججة فى جميع ارجاء العالم .)

«فريد اكالے ميڈے كپڑے كالا ميڈاويس
گناهيں بهريا ميں پهران اوك كہن درويش»

(الترجمة : يا فريد ! ثيابى سوداء اللون ودائما اعيش مرتديا ملابس سوداء وانى محمل بالذنوب والآثام ومع ذلك فالناس يقولون انى صوفى .)

« فريد اكليے چكر دور گهر نال پيارے مينهوں
چلان تے بهجے كمبل رهاں تاں ٹٹے مينهوں »

(الترجمة : فى الحارة وحل وطين ، ومنزل الحبيب بعيد ان اسر اليه تلوثت ثيابى وان اقم انقطعت حبال المودة بينى وبينه .)

ان الشيخ فريد التزم مراعاة القواعد الشرعية فى المواظبة على شعائر الاسلام ورسومه ، رغم انه كان يلقن دروس الزهد والقناعة وانواع الرياضات ومواعظ المعرفة . وقد جاء فى كتاب «راحة القلوب واسرار الأولياء» انه كان يلتزم الآداب الشرعية ويحافظ على الصلوات . اه . ويؤيد ذلك قوله فى شعره :

« فريد ابيے نوزا كتيا ايهه نه بهلى ريت
كب هى چل نه آئيا پنجيے وقت مسيت »

(الترجمة : يا فريد ! انت لاتؤدى الصلوة ، فانت كلب ، وانك لاتاتى المسجد فى الاوقات الخمسة لاداء الصلوة طاعة له تعالى ، وهذه عادة غير محمودة .)

وقوله ايضا :

«اٹھ فریدا اجوساج صبح نواج گزار»
«جو سر سائیں ناں نوے سو سر کپ اتار»

(الترجمه : يا فريد ! قم ، توضأ وصل الصبح ، والافان الرأس الذى لاينحنى امام الله ينبغى ان يقطع ويرمى .)

وقد أورد الدكتور «عبدالحق» نماذج اخرى فى مؤلفه «اردو كى ابتدائى نشو ونما ميں صوفيا كا حصه» الذى يلقى الضوء على دور الصوفية فى نشوء الاردية المبدئى . وكتاب «جواهر فريدى» يعطينا صورة وافية بمكاشفاته وكراماته ورياضاته . وكان الشيخ فريد من اتباع الشيخ قطب الدين بختيار كاكى من اشهر صوفية دلهى ، وقضى فريد أخريات ايامه فى (پاك پٹن) قرية من قرى مديرية (منٹگمرى — پاكستان) . وفيها توفى سنة ١٢٦٥م . وكما انه قرض شعره بالبنجابية فقد قرض بالفارسية ايضا .

شاه حسين
(١٥٣٨ — ١٥٩٩ م)

اول شاعر بنجابى ثار على الشريعة الاسلامية وخرج عليها هو حسين وقد ولد بلاهور سنة ١٥٣٨ م . وأتم حفظ القرآن الكريم وهو ابن عشر سنين . وتلقى تعاليم التصوف فى تكية (حضرة داتا گنج بخش) وقد امضى فيها مدة أثنى عشرة سنة . وجاء فى كتاب «خزينة الاصفياء» انه كان يقضى نهاره متجولا فى الغابات على ضفتى نهر «راوى» ويقضى

ليله قائما بجوار ضريح « الشيخ على مخدوم كنج بخش هجويرى » يتلو القرآن الكريم ومازال هذا حاله حتى اصبح ذات ليلة يدعى انه قدظفر بالسر الالهى ثم شرع يتصرف تصرفات شاذة فاخذ يغنى ويرقص ويلبس الثياب الزاهية الحمراء اللون ويحلق لحيته وشاربه واهمل الشعائر والتعاليم الدينية وبالجملة فقد ترك كل القواعد والتقاليد التى يلتزمها الخاصة والعامة حتى نسبه القضاة والمفتون إلى الكفر والزندقة . ولقد كان من حسن حظه ان صادف عصره عصر الامبراطور العظيم « اكبر » الذى كان مولعا بالصوفيين . ويلوح من مكتوب لـ « داراشكوه » ان اكبر كان يعرف « حسين شاه » . وقد راجت اساطير وقصص عديدة عن مكاشفاته وكراماته . وقد ذكر « دارا شكوه » فى كتابه (شطحيات) كثيرا من هذه القصص كما ذكر ان الامير « سليم » ولى عهد اكبر الذى سمى باسم « جهادكير » فيما بعد كان مومنا بقوة شاه حسين الروحانية الخارقة للعادة وقداسته الصوفية .

شاه حسين يعتبر اماما لفرقة « الملامتية » من الصوفية الكرام ولكن الدكتور « لاجونتى » صرح بانه كان قادريا وذلك غير صحيح ولعل السبب فى الخطأ انه لم يطلع على نسخة صحيحة من كتاب « حسنات العارفين » . كما انه سرد قصة عشقه مع غلام هندوكى يدعى «مادهولعل» واغلب الظن انها اختلاق وافتراء عليه ولا اساس لها من الصحة اذ الواقع ان « مادهو » كان مسلما بايع على يديه فى وقت من الاوقات ، واعتبر احد خلفائه من بعده وتوفى حسين شاه فى سنة ١٥٩٩ م وقبره يوجد فى «باغبان پوره» على قرب من لاهور والذى يقام فيه موسم فى يوم « بسنت » كل عام .

شاه حسين بصفته شاعرا نال الشهرة باشعاره التى نظمها على نسق «كافى» والتى تقرأ بشوق عظيم واعجاب كبير وتحتل مكانا فى قلوب الناس وافئدتهم. فقد استعمل «شاه حسين» للاعراب عن عواطفه العشق والافصاح عن آثار الهجر والفرقة لغة بسيطة سهلة سلسة واقتبس التشبيهات والاستعارات من الحياة العائلية الساذجة. و «كافياته» هذه يظهر فيها قوة شاعريته واضحة جلية. ونعرض هنا نموذجا من شعره «كافى» مثالا :

«دردو چهوڑے واحال نی مین کینوں آ کہاں
سولان مار دوانی کیتی برهون پیا خیال»

نی مین کینوں آ کہاں ؟ »

«جنگل جنگل پهران ڈهونڈی اجے نه آئیاں مہینوال
نی مین کینوں آ کہاں ؟ »

«دهجن دهوئیں شامیاں والے جاں پهولاں تاں لال
کہے حسین فقیر ربانا دیکه نمانیاں واحال

نی مین کینوں آ کہاں ؟ »

(الترجمة : لمن اشكو آلام هجرى ؟ آلام الهجر افقدتنى عقلى. لازمنى الخوف من الوحدة. لمن اشكو حالى ؟ انا اسير على غير هدى من غابة إلى غابة. ما جاء حبيبى إلى الآن. لمن اشكو سوء حالى. يتصاعد الدخان الاسود من النار المشتعلة، اذا حركت النار لى الجمرات الملتهبة الحمراء. يقول الفقير لله حسين : ارحم لاراحم له. لمن اشكو سوء حالى.)

دنیا شاہ حسین ملیئة بالاضطراب والصخب ویسمع صدی ذلك
فى شعره : ـ

« روندا مول نه سونداری
جس تن درداں دی آه
سوئی تن دونداری
کنڈیاری دی سیج اوپر
سکہیا کوئی ناں سونداری»

(الترجمة : هو يستمر فى عويله وبحيبه وبكائه . ولايزور النوم جفنيه ؛ لان الجسم الذى تستوطنه الآلام والمتاعب لايكف عن البكاء والعويل . لم يتمكن احد من النوم المريح على فراش من الاشواك .)

شاه حسين يسمى الله سبحانه وتعالى فى شعره « رانجها » ويسمى نفسه زوجة « رانجها » لانه لايعتبر لنفسه زوجا إلا المحبوب الحقيقى وهوالله . فيقول :

« رانجهن میڈا میں رانجهن دی . کہیڑیاں نوں کوڑی جهاك
لوك جانیں هیر کملی هوئی . هیرے داور چمك »

(الترجمة : رانجها انا . وانا رانجها . فآمال العوازل كاذبة . يظن الناس ان « هير » مجنونة لكن « هير » لاترضى سوى « رانجها » الراعى زوجا لها .)

الحيوية المنبعثة من «كافيات» شاه حسين منشأها اسلوبه المؤثر الذى يأسر القلوب وموسيقيته العذبة النغمات . انظروا وصفه قلق «جوگن» من فراق محبوبها ، اذيقول :

«بجن بن راتاں هوئیاں وڈیاں . مانس جهڑ جهڑ پنجرهو یا کن گن
گئیاں هڈیاں. رانجها جوگی میں جوگیانی کیه کرچهڈیاں
کهے حسین فقیر سائیں داتیرے دامن لگیاں»

(الترجمة : قد صارت الليالى طويلة لفراق الحبيب . صار الجسم هيكلا عظميا تطقطق عظامه عند الحركة . لايخفى العشق مهما اجتهد فى اخفائه خيم على الفراق . رانجها زوج وانا زوجه . مادا فعل بى ؟ يقول الفقير لله شاه حسين (مخاطبا لله تعالى) الآن امسكت بذيل ثوبك .)

سلطان باهو
(١٦٢٩ — ١٦٩٠م)

هو ذلك الشاعر الصوفى الذى كان اكثر ثورة وخروجا على الشريعة الاسلامية وتحللا من فرائضها وشرائعها من شاه حسين ، ولد فى «آوان» من اعمال «جهنگ» وقبره على مقربة من «شاهكوٹ» وقد كان آباؤه واجداده اصحاب عزة وشرف معظمين من ابناء منطقتهم فقد كان الامبراطور «شاهجهان» اقطعهم ضيعة انتفعوابها . والقدر الذى يوجد من شعره الآن هوالذى تناقله خلفاؤه واتباعه واستخدموه فى التعريف بقدر شيخهم واظهار مكانة ومنزلة ويقول من ارخوا حياته : «انه ألف اربعين ومائة كتاب بالفارسية والعربية مابين صغير وكبير . وشعره حافل بروح التسامح والمساواة وهضم النفس والمعرفة بها . وقد اكد انه يجب للوصول إلى المحبوب الحقيق الثقة بالمرشد واخلاص محبته . وقد تمنى لنفسه العيش فى دنيا تخلو من الانانية وحب الذات .

كل مصراع من شعره الذى نظمه بـ «سى حرفى» ينتهى بلفظة «هو» التى تستعمل لله سبحانه وتعالى . وهذا الاسلوب فى الشعر البنجابى

قد ابدعه «السلطان باهو». واسلوبه وطريقة بيانه سهلة خالية عن التعقيد والتكلف ولغته التى نظم بها هى لغة منطقة «جهنگ» التى تمتاز بحلاوتها ولطافتها. ونذكر هنا نموذجا من نظمه بـ «سى حرفى» الذى لقى قبولا ورواجا فقد جعل مثله الاعلى وهدفه الاسمى الوصول إلى المحبوب الحقيق معرضا عن جميع التكاليف والشعائر الدينية من صيام وصلوة وغيرها يتمثل ذلك فى شعره:

«نه میں عالم، نه میں فاضل نه مفتی نه قاضی هو
نه دل میرا دوزخ منگے نه شوق بهشتی راضی هو

نه میں تریهے روزے رکھیے نه میں پاك نمازی هو
نه بج وصال دے باهو دنیا کوڑی بازی هو»

(الترجمة: لست بعالم ولابفاضل ولابمفت ولابقاض، لايطلب قلبى الجحيم ولايرضى بالجنة. ماصمت ثلاثين يوما ولست مصليا طاهرا. ياباهو!! الدنيا بغير الوصول إلى الله خيال كاذب وسراب خادع.)

وشعر سلطان باهو لايوجد منه إلانزر يسير لايتجاوز عدة منظومات قليلة من «سى حرفى» فقط.

بلهے شاه

(١٦٨٠م - ١٧٥٢م)

بلهے شاه يعد من اكبر الشعراء الصوفية البنجابيين باتفاق مؤرخى الادب. ولد عام ١٦٨٠م فى قرية «پانڈوكى» من اعمال «قصور» لأسرة من الاشراف المنتسبين إلى بيت النبوة. أتم تعليمه فى بيته ثم ذهب إلى «لاهور» وصار من اتباع الشيخ «عنايت شاه ارائيس قادرى» الصوفى الكبير صاحب الشهرة فى زمانه. وكان شيخه «عنايت شاه» عالما كبيرا

فاضلا معروفا بفضله رغم أنه كان ذا نسب متواضع . وقد استفاد «بلهے شاه» من تربية شيخه استفادة عظيمة، وظل مولعا به رغم مخالفة اسرته له فى ذلك المشرب لما كانوا يرونه من ضعة نسب شيخه . ويمكننا ان نقسم حياته الشعرية إلى ثلاثة ادوار الدور الاول يتمثل فيه بحثه وتفتيشه عن المحبوب الحقيق . والدور الثانى يظهر فيه عثوره على محبوبه الحقيق فترة بعد فترة . والدور الثالث يتجلى فيه تحقق وصاله لمحبوبه الحقيق . وقد جلى «بلهے شاه» حقائق الحياة الغامضة باسلوب سهل بسيط يفهمه العام والخاص وقد مكنه من ذلك اعتماده على التجربة الذاتية والمشاهدة الخاصة التى اكسبت اسلوبه تاثيرا عميقا وجعلت بيانه ساحرا للقلوب وبهذه الميزات التى اختص بها شعره تميز عن سائر الشعراء الصوفية البنجابيين فهو مثل اعلى للخلق البنجابى الكريم القوى الطاهر السامى الذى يعتمد على الحقائق اكثر من اعتماده على العواطف والميول . وشعر «بلهے شاه» من «كافى» لايزال رائجا محبوبا يتغنى به المغنون حتى الآن .

وشعره دليل واضح على عقيدته «بوحدة الوجود» وان جميع المخلوقات مجال ومظاهر تتجلى فيها ذات الرب بلاتفريق بلون اونسب اوعقيدة فيقول مثلا :

«كتيے ملا هو بهندے هو كتيے سنت وفرض وسيندے هو
كتيے رام دهائی ديندے هو كتيے ماتهيے تلك لگائی دا
هن كی تهين آپ چهپائی دا .
بندرابن مين گئو چراوے لنكا چڑه كے ناو بجاوے
مكے وابن حاجی آوے واه واه رنگ وٹائی دا» .

(يعنى بذلك ان تجليات الرب سبحانه وتعالى كما تتمثل فى حجاج مكة وفى «ملا» تتمثل ايضا فى «كرشن» راعى البقر فى «بندرابن» وفى «رام» النافخ فى مضماره بل فى كل شئ). وايضا يقول:

«سيوهن ساجن مين پائيونى - هر هردے وچ سمائيونى»

(الترجمة: يآ صويحباتى! انى ظفرت بالمحبوب الآن. ذلك «الكل» استقر فى قلبى الآن.)

واشعار «بلهے شاه» التى نظمها من «كافى» ذات حلاوة وتاثير شديد بحيث لايمكن لقلب يسمعها ان لايتاثر بها. وقد عمر «بلهے شاه» طويلا فقد توفى سنة ١٧٥٢ م.

على حيدر

(١٦٨٠ م - ١٧٧٧ م)

ولد على حيدر سنة ١٦٨٠ م فى بلدة «قاضية» من اعمال «ملتان» ولانجد تفصيلات وافية عن حياته. واكثر اشعاره منظومة من «سى حرفى» باللغة الملتانية ولكن تكثر فيها الالفاظ العربية والفارسية التى اكسبتها لونا علميا خالصا ولغته التى استعملها فى هذه الاشعار منسقة ذات تاثير كبير. لم يكن شعره قاصرا على نغمات العشق الحقيقى بل كان عميق النظر فى البيئة التى يعيش فيها وحينما حل «نادر شاه» فى عهده على وطنه واصلت السيف على رقاب مواطنيه انزعج لذلك واضطرب واخذ ينظم الشعر فى اسلوب تعريضى يسخر به من بنى وطنه ويتهكم بهم. فقال معرضا بنى قومه:

«بكه نهيں جوكهاموں كچه شرم نه هندوستانياں نوں
كيا حيا نهيں انهاں راجياں نوں كجه لج نهيں تورانياں نوں

بهيڑے بهر بهردين خزانے پٹے فارسياں خراسانياں نوں
ڈاڑهياں چامنائياں آكهير حيف هے انهاں زنانياں نوں»

(الترجمة : الا يوجد سم فياكلوه ويموتوا . أليس عندهم استحياء فلاحياء فى حكامهم ولا عزة فى مساعديهم ومعاونيهم . هؤلاء المغفلون يملكون خزائنهم المملوءة للخراسانيين والفارسيين . هؤلاء الرجال حلقوا لحاهم فوا اسفا على اشباه الرجال ولارجال .)

واشعاره الاخرى من «سى حرفى» يظهر فيها اللون الاسلامى اكثر .

هاشم

قد تناقضت الاخبار عن حياته ولكنها اتفقت على انه ولد سنة ١٧٥٣ م فى قرية «جگديو» من اعمال «امرتسر» وتوفى سنة ١٨٢٣ م وعمره سبعون عاما . واجاد اللغة العربية والفارسية فى السنة العاشرة من عمره ولما رأى اهل قريته بنجابته واستعداده الجيد للتصرف بعد وفاة ابيه تكفلوا بامور معيشته ليفرغ لتكوين نفسه ذاعت شهرته فى الشعر فى سن مبكرة . وذكر الدكتور «موهن سنگه» انه صار من شعراء بلاط «مهاراجه رنجيت سنگه» فيما بعد . وقد الف هاشم كتبا كثيرة بالبنجابية والفارسية والهندية . فمن تصانيفه بالبنجابية : «قصة سوهنى مهيوال» و «قصة سسى پنون» و «قصة شيرين فرهادسى حرفى» و «دوهڑے» و «هيررانجها» و «چند قصيے» و «پانچ سى حرفياں» وعدة كتب بالخط «الگورمكهى» فى علم الطب . وفى اللغة الفارسية : «غزليات» و «قصة يوسف زليخا» . وفى الهندية : «گيان پركاش» و «چند دوهڑے» .

واشهر تصانيفه «سسى پنون» و «دوهڑے» لما احتويا عليه من العواطف الحادة والانفعالات الشديدة . ويمتاز شعر هاشم بخياله الرفيع واسلوبه المؤثر وعباراته المختارة المنتقاة ، ونورد هنا مثالا من شعره «سسى» الذى يصور فيه «سسى» جارية فوق الرمال الحامية المحرقة ، فيقول :

«چمکی آن دوپہران ویلے گرمی گرم بہارے
تپدی واوگی آسمانوں پنچھی آن اتارے
آتش دادریا کہلوتا تہل ماروو چ سارے
هاشم پہر پچھانه مڑدے لوں لوں پنوں پکارے»

(الترجمة: التهب الحر وقت الظهيرة، وهبت السموم التی اسقطت طيور السماء ميتة، كانها بحر من النيران تتلاطم امواجه. ياهاشم! مارجعت «سسی» ولكنی احس صوت «پنوں، پنوں» من كل شعرة فی جسمها.

بعد هاشم يبدأ عهد جديد فی الادب البنجابی كثر فيه الشعراء الصوفيون ولكنهم لم يزودوا الشعر بشئ جديد، ولهذا لم يشتهر احد منهم شهرة كبيرة. ومن شعراء هذا العصر: «غلام جيلانی لائلپوری» و «ميران شاه جالندهری» و «غلام حسين» و «مغموم» و «كرم علی» و «محمود گوٹا گجراتی» وكريم بخش وغيرهم.

إلا ان هناك شاعران من شعراء هذا العصر يجدر ذكرهما علی وجه الخصوص وهما: «مياں هدايت الله» و «خواجه غلام فريد» اذ ان لهما مكانة لابأس بها بين شعراء هذا العهد الجديد.

مياں هدايت الله

ولد فی وسط القرن التاسع عشر فی مدينة «لاهور» ويظهر من اشعاره التی نظمها من «دوهرے» انه كان يباشر مهنة الخياطة فی حی «چاچڑان» فی اول حياته. واكثر اشعاره منظومة بـ «سی حرفی» و «دوهرے» وله ايضا قصيدة قرضها من «باراماه» لها شهرة ذائعة. وللمثال نقدم قطعة منها:

«ماگه مهینے ماهی باجهوں جوکچه میں سنگ بیتی هے
شالا دشمن نال نه هووے جیسی بچهوڑے کیتی هے
کوهلو وانگ جان تی پیڑ عشق نے لیتی هے
جانن او هوگل هدایت زهر عشق جن پیتی هے»

(الترجمة : ان فراق الحبيب الذى اصابنى فى شهر ماگه ومانتج عنه ادعو الله ان لايتبلى به عدوا فضلا عن الصديق . وقد عصر العشق روحى الشقية كعصر الماكينة عود القصب . يا هداية ! لايعلم هذا الأمر إلا الذى احتسى سم العشق . وقد مات رحمه‌الله سنة ١٩٢٠ م .

خواجه غلام فريد

اهم شخصية من الشعراء الصوفية فى الدور الجديد للادب البنجابى هى شخصية «خواجه غلام فريد» الذى كان فى ولاية «بهاولپور» . وله مكانة رفيعة فى الشعر والتصوف علاوة على انه كان عالما جليل الشأن واسع المعرفة وقد كتب شعره من «كافى» باللغة الملتانية التى تعتبر شكلا متطورا عن البنجابية و «كافياته» نموذج طيب فى حسن الاسلوب وروعة البيان لما انطوت عليه من معان سامية ذات تاثير عميق . وبما انه كان ذاعلم وخبرة بالموسيقى وله إلمام بقواعدها وانغامها فانه لاحداث النغمات فى «كافى» استطاع ان يخترع شيئا جديدا فى «كافياته» .

يرى خواجه فريد ان اختلاف الصور وتنوع الاشكال وتلونها منشأه «الحسن الواحد» الذى يبدو فى مظاهر مختلفة فمرة يظهر فى شكل «رانجهيے» او «هير» اوفى صورة العوازل ومرة يختفى فى صورة هجر وفراق ومرة يظهر فى صورة لقاء وعناق ، واخرى فى هيئة المتجول فى الصحراء

وحينا جالسا فى هودج وطورا فى صوت جرس . هذه التنوعات والتشكلات كلها من خداع الحواس وإلا «فالحسن الواحد» ظاهر متجل فى كل صورة لعين البصيرة فلننظر ذلك فى احدى «كافياته» :

«سب صورت وچ وسدا ڈھولا ماهی
دل ساڈے کھسدا ڈھولا ماهی
رنگ برنگی اس دے ڈیرے
آپے رانجھن آپے هیرتے آپے کھیڑے
لك چهپ بهید نه ڈسڈا ڈھولا ماهی
آپ هجوتی آپ میلا
آپ قیس نے آپ لیلی
آپ آواز جرس دا ڈھولا ماهی» .

(الترجمة : المحبوب يتشكل فى كل صورة . يسلب قلبى . مجاليه متنوعة . هوبنفسه «رانجها» وهو بنفسه «هير» وهو بنفسه «العازل» . المحبوب الحقيق يخفى اسراره باختفائه . هو الهجر وهو الوصال وهو «قيس» وهو «ليلى» والمحبوب هو بنفسه صوت الجرس .)

وله اشعار كثيرة فى موضوع فصل الربيع والمطر ، اجاد فيها تصوير الطبيعة وجمالها ، وبدا كانه بنفسه جزء من تلك المناظر الطبيعية الخلابة .

وشعره متأثر تاثرا كبيرا بالسندهية . وقد نظم بالبنجابية من «كافى» و «دوهرے» ونظم بالهندية قليلا من اشعاره التى اظهر فيها اجلاله واحترامه لـ «بندرابن وكرشن جى» فى اماكن متعددة منها .

قد اثرت الافكار الصوفيه فى الشعر البنجابى تاثيرا كبيرا عميقا حتى انه فى كثير من الاوقات نظم الشعراء الروائيون والغراميون اشعارهم بالطريقة الصوفية منساقين إلى ذلك بحكم تاثير البيئة. حتى ظن الناس انهم صوفية لاروائيون ولاغراميون ، وراحوا يفتشون فى قصصهم الغرامية عن الدقائق الصوفية دون أن يظفروا بما يطلبون. وقد حاولوا هذه المحاولة مع الشاعر «وارث شاه» فى «قصة هير» مع انه من المقطوع به ان «وارث شاه» شاعر غرامى خالص ولايمت إلى اى جماعة من الصوفية بصلة ما ، بل هو كثير السخرية بالمولويين والمرشدين الصوفيين ، إلا انه قديلوح فى شعره اللون الصوفى فى بعض الاحيان ، الامر الذى يوقع النقاد فى لبس من امره. والدكتور «موهن سنگه» ايضا ابتلى فى العهد البنجابى الحديث بهذا اللون فى شعره بعد تأثره بالشعر الصوفى البنجابى. وكذلك يبدو اثر الشاعرية الصوفية واضحا جليا فى كثير من اشعار «بروفيسور موهن سنگه ماهر» و «پربه جوت كور» ممايدل على تأثرهما بها دلالة واضحة ، وقد كتبا عدة منظومات على طريقة «بلهے شاه» و «شاه حسين» من نوع «مصراعى «ڈيپ» المنظوم فى قسم «كافى» وبحدوث التقسيم انقطعت هذه السلسلة التاريخية العظيمة للشعر البنجابى.

المراجع :

١ — The History of Punjabi Literature
تاليف : ڈاكٹر موهن سنگه ديوانه

٢ — Punjabi Sufi Poets
تاليف : ڈاكٹر لاجونتى

٣ ــ اردو کی ابتدائی نشو و نما میں صوفیاے کرام کا حصہ
تالیف : ڈاکٹر مولوی عبدالحق

٤ ــ صوفی مت ـ سادنیا اور ساھتیہ
تالیف : ڈاکٹر رام پوجن تیواڑی

٥ ــ اتری بھارت کی سنت پر میرا
تالیف : پرشو رام چترویدی

٦ ــ بھارتیہ آریہ بھاشا اور ھندی
تالیف : ڈاکٹر سنیتی کمار چیٹرجی

٧ ــ حسنات العارفین شطحیات) «اردو ترجمہ»
تالیف : مولوی محمد عمر خان لاھور

٨ ــ تحقیقات چشتی
تالیف : مولوی نور احمد چشتی لاھور

٩ ــ باغ اولیاء ھند
تالیف : مولوی محمد دین لاھور

١٠ ــ پنجاب میں اردو
تالیف : پروفیسر محمود شیرانی

١١ ــ پنجابی ادب
تالیف : محمد سرور کراچی

١٢ ــ کلیات بلھے شاہ
تالیف : (شائع کردہ پنجابی اکاڈیمی)

١٣ ــ شاہ حسین
تالیف : ڈاکٹر موھن سنگھ دیوانہ (امرتسر)

كشمير

السيد مصطفى شعبان

الهند مليئة بالجمال والعظمة ، له ذكريات خالدة فى صفحات التاريخ . فان آثاره الدارسة والمبعثرة فى أرجائه ومقاطعاته لدليل قوى على المنزلة الفخمة والحضارة فى فن البناء ، والزخرفة منذ قرون عديدة . وبجانب هذا فقد أنعم الله على هذا البلد بالجمال الطبيعى الخارق الطبيعة بجمالها وهيبتها ، تزود الانسان بالغذاء الروحى والجسدى ، فللشاعر غذاء لخياله ، وللاديب غزارة لقلمه ، وللفيلسوف مجال لأفقه الواسع ، ومادة لتنمية افكاره ، وترجمتها بما تلهمه الطبيعة من نظرة انسانية عابرة ، نظرة فاحصة ، الى الكون وأسراره ؛ والطبيعة وأثرها السحرى على قلب الانسان .

وما جمال كشمير الا لصفحة مزينة من صفحات الطبيعة المقدسة ، يأتى اليها المصطافون من شتى أنحاء الهند ومن الخارج ، ليجدوا أمنا وراحة بين أحضان الطبيعة . وتستقبل العدد الهائل من المصطافين كل سنة ، حينما تعجز الطبيعة فى بعض المناطق من الهند ، عن مقاومة الحر اللافح ، والجو المكفهر الصامت ، والعواصف الرملية ، التى تتزايد فى شهرى مايو ويونيو وتعصف بأغلب المدن الهندية العامرة بالسكان .

وتقع كشمير فى المنطقة الشمالية للهند ، ولاتبعد عن دلهى أكثر من ٦٥٠ ميلا ، وتتلامس أطرافها الشمالية بجمال هملايا الشاهقة ، والمسافر بالسيارة يمر بالجبال العالية والمغطاة بأشجار الصنوبر والسرو والحور ، ويشاهد على بعد وعبر النسمات التى تهب من قمم الجبال ، يشاهد الشلالات اللامعة ، ذات الماء الفضى النقى ، تتخلل قمم الجبال الشاهقة ، المكسوة بالثلوج ، وتلتقى بالجداول التى تصب فى الأنهر المنحدرة الصاخبة .

ويمر بعد ذلك بالسهل الأخضر الممتد الذى ترويه مياه المطر، فيه نبات الأرز المعمور بالمياه أوبعض نباتات الحنطة الخضراء التى تهتز مع النسيم الذى لايفارقها طوال النهار.

وقريبا من نهاية النقطة الشمالية من السهل تقع العاصمة «سرى نجر» الذى يخترقها نهر «جيهلم» الهادئ، والذى تتناثر فيه البيوت الخشبية والتى يوجد فيها مكان مريح المصطاف.

فتاتان من كشمير

والمدينة تكثر فيها الأشجار الشاهقة الخضراء التى تزيد من جمال الشوارع الواسعة، والأسواق العامرة بالبضاعة، فهناك الصناعات اليدوية

والمزخرفات ، والأنسجة الفخمة من الحرير والقطن والجلود ، وهناك التحف المزخرفة التى فيها اتقان ودقة فى العمل ، وفى التطريز فن ودقة ، وهناك صناعة اللعب والتماثيل وصناعة الملابس الشتوية والصيفية بشتى أنواعها ، وفى كشمير فنادق كثيرة وعلى طراز حديث وتزود مختلف أنواع الأطعمة الشرقية منها والأوروبية ، هذا بالاضافة الى نواديها ومطاعمها العامة ، وعليها طابع غربى ، وتكثر فى العاصمة المزارع الصغيرة والتى تزرع بمختلف أنواع الخضروات والفواكه .

وجميل أن يزور المصطاف فى المدينة بحيرة «دل» الواسعة ، ويركب قاربا الى منتصف البحيرة ، حيث يجلس فى بيت خشبى على سطح البحيرة ، ويتناول المرطبات ، أويشاهد السمك الذى يزعج راحة المياه ، أو أن تجذبه سماع آلة موسيقية على بعد ويرى المصطافين فى هرج ومرج يرددون الأغانى الحلوة ، أو ينزلون للسباحة ويتسابقون بنشاط ومرح ، أو يستلقون تحت أشعة الشمس اللطيفة ، وفى فصل الشتاء تتجمد مياه هذه البحيرة وتصبح قطعة واحدة من الجليد ويكثر عليها التزلق أوالألعاب المرحة .

وأما حدائق المغول ، فلها طابع شكلى خاص ، ومع أنها قديمة العهد الاأنها لاتزال تحتفظ بجمال الطبيعة بشكل منظوم ، والأزهار على شتى أنواعها وأشكالها وألوانها ، مرتبة بأشكال هندسية رائعة ، والأشجار الضخمة القديمة ، ومنها المثمرة ، تزيد من روعة فنها واتقان بنائها ، وانظام الرى مهارة فى التصميم والعمل .

والذى يترك المدينة متوجها نحو الشرق ، يرى جمال المزارع والحقول فالمزارعون يحرثون أرضهم الخصبة ، ويهيئونها لزراعة الأرز والخضر ،

يرى قطعان الضأن والبقر ترعى فى المروج الخضراء ، وفى الشرق الشمالى
تنحدر السيارة بين الجبال الشاهقة الى ضيعة بسيطة هادئة تدعى «بهلكام»
حيث تنتشر الأكواخ الخشبية على ضفافِ نهربسيط ، والذى يتدفق بفضل
مياه الثلوج الذائبةِ على سفوح الجبال . وشوارعها وأبنيتها وفنادقها معدودة
الا أن جمالها يعودُ الى الغابات الكثيفة التى تحيطها ، والأكواخ المتناثرة
على بعد بين أشجار الغابات وضفاف الأودية ، انها هادئة مريحة ، وفى
سكونها روعة وراحة للفكر والجسم ، وفى بساطتها ووضاعتها سحر الطبيعة
الفتان ، فنسيم الصباح عليل ، والمشى بين الغابات وسماع أناشيد الطيور
وشم رائحة الأزهار ، أوتسلق الجبال العالية والتزلق على الجليد ، وجميل

8 a منظر لنهر جهلم فى سرى نجر
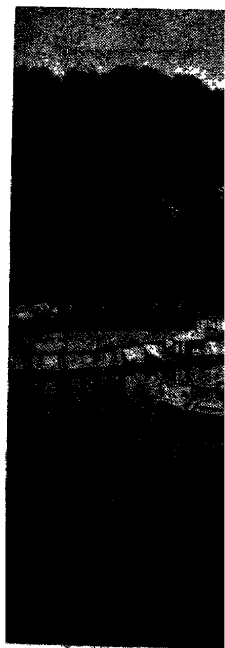
مشاهدة الجسور الثلجية التى مرت عليها عشرات السنين وبقيت صلبة قوية ، وهنا ركوب الخيول وقطع المسافات الطويلة بين التلال وخلال الغابات فى الصباح الباكر ومع غروب الشمس ، كلها يملأ الفنان فكرا وبراعة . وفى يونيو يعتدل الطقس وتسطع أشعة الشمس على قمم الجبال وضفاف الأنهار ويصبح كل شيئ مليئ بالحيوية والنشاط وتعمر الضيعة بالمصطافين الذين يزاولون جميع هواياتهم الرياضية والعلمية ، فى النادى الكبير الضخم الذى تعمره أشجار الغابة فى سفح جبل شاهق ، تتوفر جميع الألعاب ويخرج الكثير الى الخلاء ، حيث يهنئون بالطقس المنعش ، والنسيم العليل ، وأما تسلق الجبال ففيه متعة ، ويزيد المصطاف نشاطا وقوة . وسلاسل الجبال عدة ، تغطيها الثلوج وتشكل سلسلة من جبال هملايا العالية .

عوامات فى نهر جيهلم

وجمال كشمير فى سهلها الواسع المدعو بـ «الوادى» وهو واقع فى المنطقة الغربية الجنوبية من «سرى نجر» ولايبعد عنها أكثر من ٥٠ ميلا ، وهو ، من طبيعة جغرافية ، تكملة للسهل العظيم الذى تقع عليه العاصمة ، ويستطيع المصطاف أن يحصل على منظر واسع جميل للوادى اذ وقف على سفح جبل مطل عليه من الجبال التى تقع عليها «جلمارك» القرية البسيطة الهادئة ، ويظهر السهل بخضرته الشديدة ، وتقطيعه الهندسى الرائع ، ويمر منه واد تستغل مياهه للزراعة ، هذا بالاضافة الى القنوات التى تتخلل حقول الأرز ، والخضر والفواكه ، والوادى على آية من الجمال الطبيعى فبالاضافة الى خصبه تحيط به سلاسل الجبال الشاهقة والدى يغطى أغلبها الثلوج والغابات المتشابكة .
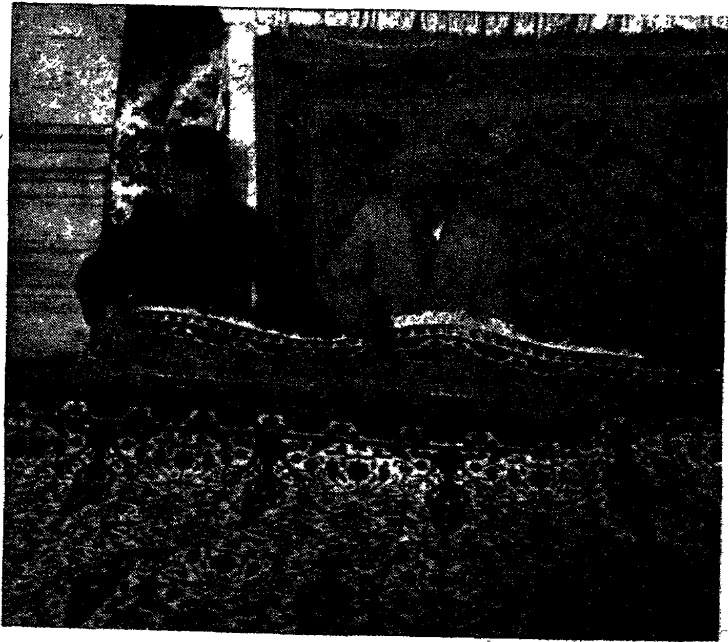
صناعة السجاجيد فى كشمير ، يقوم الصناع فى الصورة باعداد سجادة لعرضه فى السوق

وجمال «جلمارك» راجع الى منظرها الطبيعي الخلاب ، فسلاسل جبالها مغطاة بالثلوج ، وهي مسرح للتزحلق على الجليد ، وتمتاز بالهدوء والسكينة ، ومنظر الشمس عند الغروب يضفي عليها جمالا وهيبة . وتكثر فيها البيوت المنعزلة في وسط الغابات ، وهناك بحيرة تقع في منتصف الجبال التي ترتفع ٩ آلاف قدم عن سطح البحر .

وهواء جلمارك منعش ونقي بفضل التلال المبعثرة التي تقع عليها بيوتها الخشبية والأشجار العالية التي تتراكم في بقع متعددة ، وفيها ناد فخم يحوي جميع الألعاب الرياضية ومع أن فنادقها بسيطة وخشبية الا أنها تزود الطعام على اختلاف أنواعه ويجد المصطاف راحة واستجماما في كل بقعة ، وفي كل مكان يزوره .

وفي كشمير مناطق كثيرة يصعب الوصول اليها لكثرة نزول الثلج ، ولشدة البرد وهي غير آهلة بالسكان ، ولاتصلح الالقضاء وقت قصير لرؤية مظهر جديد من مظاهر الطبيعة ، وقوة جبارة مختزنة في جبالها العالية ، وغاباتها المتكاثفة المخيفة وصخورها الشاهقة ، وأوديتها التي لم يطؤها قدم انسان .

تاثير رامائنا

فى أدب إندونيسيا وحياتها

الاستاذ محمد فياض

«مادامت الرواسيات على الارض قائمة والأنهار جارية ستبقى قصة رامائنا فى مشارق الأرض ومغاربها مدى حياة العالم».

هكذا قال البرهما للزاهد بالميك. حينما اوصاه بكتابة رامائنا. كما هو سمع من ناردمى. ولم يحس بالميك عظمة فنه قبل تصنيف رامائنا - فانه رأى مرة أمام زاويته صيادا يجرح طائرا فامتلأ قلبه بعواطف الرحم والتلطف وجادت قريحته بأصوات موزونة حتى جرت على لسانه أشعار النفرة والملامة بحيث تحير هو بنفسه إذا سمعها. وهو كان فى حيص بيص ذلك، إذ ظهر برهما وصوب شعر بالميك وحسنها، وأشار أن يصرف قوته الشعرية فى تصنيف قصة رامائنا - فبالميك قد ذكر هذه القصة فى ديباجتها. فيبدو لنا منها كم كان له اعتماد على فنه مع كونه منكسر الطبع، ولطيف المزاج[1].

---

(١) ويزعم بعض الناس باعث تلك القصة غير ماذكرنا هنا وقال: انه كان بالميك من قطاع الطريق فبينما هو كذلك إذ عرض له بعض البراهمة فقال له بالميك: هات ما عندك - وما كان عنده غير التسبيح والزنار. فقال يا بالميك: لم هذا. قال: لامتلاء البطن فسأله أيسر أهلك بفعلك هذا. قال: اى نعم وكيف يمكن ضد هذا وهم مطمئنون الكسب به فرحون بعيش رغد قال: أما أنا فى ذلك مرتاب. رح إلى أهلك واسألهم عن ذلك.

قد مضت على تصنيف رامائنا قرون كثيرة وأحقاب طويلة . وجمعت صحيفة العالم فى طيها الآن حوادث والوف قوارع لكن لم يزل ثمرقريحة بالميك بين يدينا مع كل بهاءه ورونقه. ولم يزدهر فى الهند فحسب، بل وراء سبعة أبحر أينما ذهب الهنادك مع تمدنهم وأدبهم كانت تلك القصة معهم وان اللغة السنسكرتية حيثما أثرت فى أى لغة وأحاطت

قال : وكيف وانت تذهب وصرت محروما مما عندك من الأمتعة . قال أوثقنى بالشجرة . فربطه بالشجرة وذهب إلى أهله . فرأى فيهم ما توسم البرهمن وصدق فيهم قوله، فرجع إليه ووجده مربوطا بالشجرة . فقال له : صدقت فى ريبك فان أهل بيتى يشترك فى النفع ويحترز عن جزاءه فى الآخرة . وألقى نفسه بين يديه ملتمسا أن يهديه إلى الصراط السوى فلقنه بوصل الله تعالى . قال : وكيف وأنا لم أعرف من الله ـ ويقال فى اللغة السنسكرتية . رام رام (Ram Ram) ـ فى المواضع التى يقول فيها العرب : الله . الله . قال الم أقدر على ذلك . قال : قل عكس رام ـ مار (Mara) فأخذ بالميك يجتهد فى ذلك . وصارعابدا زاهدا أواها إلى الله . وكان متوقد الذهن . لطيف المذاق ماهرا باللغة السنسكرتية عارفا بأساليبها الفنية وطرازها الشعرى فاذا نضج فى عبادة الله ورسخ فى قلبه صفات الله امتلأ قلبه بحب الله تعالى ووداده . فتوجه إلى تصنيف رامائنا وجادت قريحته بالشعر الفصيح البليغ وصار قصة رامائنا صحيفة شعر وزبور محبة ووداد، وحكاية رجل بالغ فى الجهد ومنتهى فى الاستفادة . وهى قصة طويلة من بدء حياة رام واحتوت فى طيها كوائف حياته المليئة بجلائل الأعمال إلى آخر عمره ولكونها محتوية على شؤون حياة رام سمى برامائنا (Ramayna).

بها ، فقد اعتنقت هذه اللغة تلك القصة المحتوية على مناقشة الخير والشر وغلبة الصلاح على الفساد فى ذيلها ودخلها فى براجها الأساسى وأخذت تفتخر على هذه المادة الثمينة والجوهر القيم .

قد توجد الروابط الثقافية والتجارية بين الهند واندونيسيا منذ استهلال العهد المسيحى غير أنه كان تجار الهند يعبرون هذا الطريق إلى الصين قبل هذه الروابط . ويقومون فى موانى جاوا وأخواتها من الجزائر لمقتضيات السفر وحوائج الرحلة ، أما المؤرخون فيقولون أن الهنود دخلو هذه الجزائر عامرين ومزدهريها فى المائة الأولى من الميلاد .

وأول من قدم جاوا من الهنادك ـ وفق رواية جاوا القديمة ، رئيس الوزراء أو ابن الملك . أجى ساكه[1] فانه ذهب هناسنة خمس وسبعين أوثمان وسبعين وعلم أهالى جاوا الكتابة والخطابة وعرفهم بشؤون الدولة والقانون فى . بابد[2] ـ تاريخ جاوا .

«كان وقتذاك فى الهند صاحب الأمر والنفوذ وشوكة جبار قيل جيا بابا . يصل نسبه إلى أرجن بخمس متون فانه وجه أكبر وزراء إلى خارج الهند كى يجعل دولا أخرى متحضرة . فهذا ـ رئيس الوزراء ـ وصل إلى جاوا بسفره هذا . فانه فتش عن حبات الشعير وسمى هذه الجزيرة جواديب أولوسة ـ ووجد هناك جسدى ظالمين ميتين كان على يديهم على ورق الشجرة مرقومة نوعان من حروف الهجاء فأنه ألقى بينهما همز وصل وأوجد ابجد جاوا فى عشرين حروف . وقام الحرب بينه وبين ظلمة سنين طوال وبعد انتصاره وتعيين تاريخ فتحه عليها وتثبيته مر

Babad : History of Java (٢) Adjisaka (١)

آثار سفره الخالدة رجع إلى الهند وأخبر ملكه كل ما طرأ عليه بسفره هذا من كوائف وما رأى من عجائب وما صدر منه أعمال جليلة .

من هو أجى‌ساكه أو أوى‌ساكه[١] . متى ذهب من الهند ومتى رجع ، لم يثبت فيها رأى ولم يتعين ، لان المحققين لايعتمدون على راى ويزعمون بوجوه . ثم قيل أحيانا أن أجى‌ساكه كان زاهدا وبطانة لبعض آلهة الهنادك . وإن كان كل ذلك محمولا على الخوارق لم يكن بد من اعتراف انه كان فى سالف العصر رجلا تاريخيا وكان أول من عرض على هذه الجزائر عناصر حضارة الهند اى الدولة والقانون والمذهب والديانة والكتابة . وأهم من ذلك كلها إجراء سنة جاوا التى اشتهرت باسم أجى ساكه . واليوم ـ ايضا ـ رائجة فيها .

وأول من استوطنوا هذه الجزائر واختاروها لمستقرهم ربما يمكن أن تكون لغتهم غير السنسكرتية وهم يتكلمون بلغة أخرى . أما السنسكرتية فكانت معهم بجهة لغة الآداب وكانت قصة رامائنا و مهابهارتا[٢] من أجزاء ثقافتهم مع مذهبهم الوثنية . وأهالى جاوا اختاروا حضارة ضيوفهم هولاء ، واعتنقوها بحيث إذا قامت دولة الهنادك فى جاوا باسم مجا پاهت[٣] بعد أربعة قرون وتسيطرت على أكثر جمع الجزائر استفادت بيوميات اجى‌ساكه فى أكثر شؤون السياسة وكوائف القانون وأمور الانصرام . وذا عهد الهنادك يعد فى هذه الجزائر العصر الذهبى . وآثار هذا العصر تعتبر من دواعى الفخر وبواعث النشاط بضاعة ثقافية . ومن سكانها ٩ % دخلوافى الاسلام .

Maja Pahit (٣) Maha Bharta (٢) Avisaka (١)

وقد أثرت محتويات قصة راماتنا و مهابهارتا بأفئدة عباد مظاهر القدرة وتماثيل الأجداد. وهذا فى بدء الأمر بحيث صدق قول برهما - مادامت الرواسيات ... ومسلم اندونيسيا وإن لم يومن براماتنا و مهابهارتا ولم يتصور محتوياتها من العقيدة ولكنه مع ذلك تجرى تلك القصص بأنديتهم وتنذخر فى ذاكرتهم.

وليس فى كلام اندونيسيا «هے رام رام»[١] أو «جيے رام» أما اذا تكرر فى قصه رام و لكشمن[٢] ، فهذا بطل أيودهيا ، فيظهر من هذا الوداد والربط الذى يبدو فى شمال الهند من سيارام ورام لكهن ، وفى العهد القديم لما كانت المتاحف الرسمية خالية عن صناعة الطبعيات نحومصوات وصور متكلمة وغيرها اختار الانسان ابقاء قول برهما - مادامت (الخ) ... واثباتها مع حياة العالم طريقة عجيبة . ريديم[٣] فى الحجر بحيث يعلم قصة راماتنا كل رجل سواء كان عالما أولا . وفى هذا العصر الذى تضاءل فيه النحت بمرور الأيام قصة راماتنا محفوظة على حيطان منادر جاوا فى پرمبانن[٤] ... فى وسط جاوا نحو اثنى عشرميترا من گجاكارتا[٥] . وقريبا من قرية پرمبانن توجد منادر وأخرى من آثار قديمة على طراز بناء الهنادك التى بنيت فى المائة التاسعة تقريبا - فهذه المنادر وتلك الآثار اشتهرت فى جاوا باسم لاراجنگرانگ[٦] .

Rediom (٣) Luxaman (٢) Ram Ram Hai Ram (١)
Larajengrang (٦) Gujacarta (٥) Peranbanan (٤)

ومعنى لاراجنگرانگ فى لغة جاوا هو ناعم أورعبوبة . فانه يقال - وفق أسطورة عامة أن فى هذا المندر تمثال ديوى دركا (Devi Durga) وهذا كان لهذه الرعبوبة الجاوية التى قلبها حبها إذا حرم من الوصال بصورة حجرية بدعاءه عليها .

فأكبر المنادر فى وسطها قد احتوت تماثيل شيومهاديو[1] وشيومهاكورو وگنيش ودرگا. وبجنب هذا المدر معبد برهما[2] وبجانبه الآخر مندر وشنو[3]. وقصة رامائنا منقوشة على جدران منادر برهما و وشنو فى ثنتى وسبعين برطاش - إطاء - بحروف مطأطأة. وهذه صناعة النقش تتصور من أرقى صناعة النحت.

وتبتدى تلك المناظر من قصة الملاء الاعلى مستقر ملك المطر إذا كان الاضطرار مسيطرا على آلهة الهندوس وأربابها. وخمسة عفاريت يأوون إلى وشنو ويلتجئون أمامه بأن ينجيهم من عدوان راونا[4]. وآخر تلك المناظر عيد استواء كش[5] عرش الدولة فى أيودهيا[6].

وما توجد فى إندونيسيا من قصة رامائنا تخالف قصة بالميك الأصلية وتباينها. ولم يقتصر هذا الخلاف فى تفاصيل القصة بل سرى إلى عمودها - ونظرا بهذه الكيفية إذا رأينا مناظر پرمبانن يحس بأنها قريبة جدا من قصة رامائنا بالميك.

فى ماض قريب أعطى رئيس جمهورية إندونيسيا الدكتور سوكارنو لكشمن[7] مدهيه ادارا[8] - اميرالجو - سوريه دهرم - لكشمن أدارا - منصب رياسة العسكر الجوى. وسميت مناصب أخرى فى جوية اندونيسيا باسم لكشمن مد أدارا - نيابة أمير الجو - ولكشمن ترتنگى[9]. رئيس الجنود

Durga و Ganesh و Shiv Maha Guru و Shiv Mahadev (١)

Ayudhia (٦) Kush (٥) Ravana (٤) Vishnu (٣) Brahma (٢)

Laxman (٧) (٨) وأدارا Uddara بمعنى الهواء فى لغة اندونيسيا

(٩) Tartangi ومعناه الأرفع والأعلى.

الجوية توجد الشجاعة والطاعة والتهور والانقياد وإدراك ماوجب على الانسان من فرائض هذه الاوصاف الانسانية فى كل فرد من بنى آدم أم لا. لكن لم يكن بد منها فى القائد الأول فاضطرار الفكر الاندونيسى إلى جعلها ابن دسرتهم[١] وسمترا وأخ رام لكشمن نموذجا لهذه الأوصاف السامية فليس هذا من اختناقها مذهب الهندوس بل لكون لكشمن بطلا فى أدب اندونيسيا ومقداما جريئا وشجاعا متحرسا وقائدا مطواعا. وفى ـ شجرة ملايو ـ تذكرة قديمة فى سوانح الملوك ـ ذكر محمد ملاكا[٢]. واشتهر نجله هنك توا[٣] بيأسه وقوة عزيمته. وارتقى فى الأوصاف المستأنف ذكرها حتى ملك من ملوك المسلمين أعطاه منصب لكشمن. وآثار هنك توا اليوم تسخن بها مواقد افئدة شباب اندونيسيا وشيوخها. نعم وسمى شارع باسم هنك توا فى جاكرتا[٤] بحارة واسعة.

وليس راماتنا فى اندونيسيا صحيفة مذهبية فلا توجد فيها حفلات متشوقة متخاصة مثل أعياد الهنادك نحو رام ليلا[٥] لتمثيل قصة راماتنا، ودسهرة[٦]. أما فى جوكجاكارته[٧] وسوراكارتا وأخرى من قرى عظيمة ترى تمثيلات راماتنا فى شتى المسارح فى حين واحد. وغير هذه التماثيل من أعجب الملاهى المنزهة فى هذه الجزائر اللعب بالدمى. انتقيت أكثر رواياتها من راماتنا. ولم يقصرميل عامة إندونيسيا إليها باحترام الروايات القديمة أو اعتمادا بنفسها بل هذه الملاعب وقصتها ـ المحاربة بين الخير والشر

---

(١) Dashrath و Sumethra (٢) Malak

(٣) Hange Tawa (٤) Jakarta (٥) Ramlila

(٦) Dasarata (٧) Jowgajakarta و Surakarta

الدائمة وحكاية الشجاعة والصدق الأزلية. يمايدور عليها قطب حياتهم ورحاها ـ وبانتشار سينما فى إندونيسيا وانطباعها فى قلبها طار صيت نرگس[1] واداگاردنر، ومهى پال، وراكهڈسن. وصار الرجال مغرمين بأفئدتهم بنغماتهم ورناتهم وبجوار ذالك يندر فى آسيا مثل إنثيال عامة إندونيسيا الى لعب الدمى فانه ينظره ذالك ويحتظى بها فى ليالى طويلة ويكتحل السهاد ويجلس حول الحلقة بكل شوق.

لم أقصد بعرض مناظر الحياة الاندونيسية هده زينة البيان بل لم يزل درس راماائنا فى إندونيسيا يعد جزءا من الأخلاق والآداب. فى «راجه كپه كپه[2]» كتاب قديم يشمل توجيهات الملوك :ـــ

«يجب على كل فرد أن يقف على تاريخ العصور الماضية. ويدرس الأدب برمته وأولا عن كل يدرس راماائنا. بهارت يدھ[3]. ارجن وجيے. وبهيم وغيره».

وبعد الحرب العمومى قد تغيرت شئون حياة آسيا بصولاتها المتوالية ولم يحفظ إندونيسيا من هذه. فلاعجب أن نضطر بمشاهدة خفيفة إلى أنه ليست شئون الأخلاق كمثلها فى سالف العصر. ومع ذالك توجد معالم إحياء الثقافة فى هدا العصر ـ عصر الثورة ـ والجيل الجديد يتمايل إلى ازدياد إحساس الأقدار القديمة ـ واحتوى برنامج الكليات والمدارس الثانوية نحو ـ تاريخ الأدب القديم ـ وتاريخ الثقافة ـ فى الكتب الدرسية يوجد ذكرملة الهنادك وتاثيرها فى ثقافة اندونيسيا وكل كتاب يتعلق

---

(١) Nargese و Uddagardenere و Mahipal و Rakhudson

(٢) Raja Kappo Kappa (٣) Bharatyudh و Arjunvijia و Bheem

بالأدب القديم احتوى خلاصة راماتنا النثرية . وفى كتب الدرجات الراقية يوجد تقابل وموازنة بين مهابهارتا[١] وراماتنا مع خلاصتهما .

وصنف المصور الشهير الاندونيسى الأستاذ عثمان أفندى رسالة موجزة على راماتنا . فاختصر القصة فيها توزيعا بالأبواب . وهذه الرسالة توافق قصة بالميك السنسكرتية . وفى ديباجتها انتقد المؤلف محتويات راماتنا تحت عناوين مختلفة . ومن ميزة هذه الرسالة انها صورة لفكر الهندوس وبها تتعارف عدة بطان وشنو . وهذه الصور احتوت وراثية الفكر الاندونيسى مع تمثيلها الخوارق الهندية .

واختصار المؤلف راماتنا وطريقة انتقاده يفضى الفكر إلى أنه كان عنده قصة بالميك السنسكرتية ويؤيد ذلك ذكره بعض قطعات راماتنا فى عدة مواضع .

واستفاد المؤلف . فى باب موجز . برأى الباانديت جواهرلال نهرو[٢] رئيس وزراء الهند من كتابه . اكتشاف الهند . فى راماتنا وعرضها فى رسالته .

وفى قصة نثرية تظهر محن سيتا[٣] ومشاقها فى قيد راون وبها يبدو ارتباط المؤلف بذلك .

«كانت تسبل عيناسيتا كل يوم وليلة ولم تتعارف أجفانه بالنوم وأنست بالسهاد ، فمن ذا الذى لم يرث لهذا المنظر ولم يأو . وكانت أشجارجنة راون . اشوك واتيكا[٤] . وطيورها حزينة بها وكانت الأزهار والأكمام

Pandit Jawaharlal Nehru (٢) Maha Bharta (١)

Seeta (٣) Discovery of India وكتابه P. M. of India

Ashok Vatiko (٤)

امتنعت عن الرقص في الهوى ونسيت الطيور لعبها ، والعصافير رناتها ، وليس هذا فحسب ، بل اغتمت الشمس بهذا المنظر الاليم ولم يكن فيها ضياءها كل يوم فانها احتجبت بالسحاب » .

وما يناسب المقام وينبغي هو ذكر أدب اندونيسيا قبل تاثير راماتنا فيه - وفي المأته الرابعة عشر كانت قرية صغيرة على شاطئ ملايا الغربي باسم ملاكا(١) - وفي تلك الأيام التجأملك مغرور من جمع الجزائر إلى هنا وارتقى بهذه القرية إلى الرفعة . فصارت فيما بعد بندر هذا الأقليم الاستوائي الغني فكان تجار العرب والهند وولنديز وپرتگال يجتمعون يومافيوما ويتبادلون ثمينات هذه المنطقة نحومطاط وتوابل قيمة وغيرها من مصنوعات ملكهم .

واعتمد هؤلاء الرجال من مختلف البلدان واللغة لتبادل افكارهم وقضاء حوائجهم على لغة ملايو القديمة المنحصرة في شمال سماترا ولم يتيسرلها رسم خط وكانت قاصرة عن تعبيرعدة خيالات وخواطر - وأوجد العرب باجراء خطهم لغة جديدة قدرلها الشيوع حتى فهمت وتكلمت بها في الجزائر كلها - واستعملها ولنديزيون إذا جاؤا لانشاء الروابط بينهم وبين أهالي هناك ، وفي هذا العصر جرت كتابة ملايو في خط رومن بدلا عن الخط العربي في يومنا هذا غير الكتب القديمة وعدة الكتب الدينية .

واختلفت لغة ملايو بلغة مستقرها القديم بتاثرها بلغات اخرى - وسميت باسم اللغة الاندونيسية . وهذا التاثر لم ينقطع حتى اليوم وتكاد أن تتفرد اللغة الاندونيسية بميزتها .

---

(١) Malaka

وصارت هذه الجزيرة على حدة مماسواها مدة بحوادث سياسية فى سالف الأيام . وبعد الحرب العالمية الثانية وزعت بينها وصارت دولتين ، ومع ذلك أواصر المودة كانت موثوقة من جزائر اندونيسيا وجزائر ملايا[1] ويشترك بينها العناصر الثقافية سيما فى لغة ملايو وأدبها .

وغير لغة اندونيسيا التى قررت بعد الحرب والاستقلال اللغة الوطنية توجد فى جميع الجزائر لغة قديمة موسومة بلغة جاوا . وهذه هى اللغة التى أوجد خطها الكاوى أجى ساكه[2] . ولغة كاوى وخطها ندر استعمالها وحل محلها خط جاوا المستقيم واللغة المتغيرة . ومع ذلك تعد آداب اللغة الكاوية فى أدب إندونيسيا من الصنف الأعلى . وربما يمكن أن لم ينتقل حظ هذا الأدب الوافر إلى لغة إندونيسيا لكن لايمكن أن يرغب الاندونيسى عن هذا الكنز الثمين .

وإنى لا أحب فى ذكر أدب إندونيسيا ترك أدب جاوا العالى لاسيما لكون اقدم كتاب إندونيسيا فى لغة كاوى . وهذا من حسن المصادفات أوثمرة جودة قريحة بالمليك أن هذا التصنيف هو كتاب رامائنا[3] .

راما كاوى

صنف فيمابين ٨٩١-٨٩٨ فى عهد ملك وسط جاوا . دايه بلى تنك[4] . وصنفه الشاعر . يوگسورا . وفق رواية جزيرة بالى . لكن انكره أديب

---

(١) Malaya (٢) Adjisaka Kavey (٣) نعم يوجد كتاب درسى من قبل ذلك باسم چند كرن (Chand Karon) صنف حوالى ٧٧٨ م تقريبا وجمعت فيه الألفاظ المترادفة للتمرين" (٤) Purbatjaraka و Dayabalitang و Yogisawra .

اندونيسى المحقق الأستاذ بويربوت جوكو . فانه يقول «ان فى آخر الكتاب لفظ يوگيسورا بمعنى عالم أو ماهر وليس اسم المولف . كما يوهم منه . وان ماخذ راما كاوى ليس راماثنا بالميك فان القصة المذكورة فيها تختلف عن القصة الأصلية . وإن وازنا بينها لايوجد التشابه . وفق قول الأستاذ بويربوت جوكو بينهما إلا قليلا .

وجلة راماثنا فى أدب إندونيسيا وفى أية صورة كانت تخالف قصة بالميك . وقد اطنب المستشرقون فى هذا الموضوع ولكنهم لم يجزموا برأى يجمع عليه . ولم يتجاوز مقالات كثيرة عن دائرة الانشاء ولم تمس ما لأجلها سيقت .

وما هو مصدر راماثنا الاندونيسية ؟ هذا السوال يقتضى جوابه من محقق آسيا سيما الهنود . غير انه نحن لانعلم فى نفس الوقت الا أن راما كاوى لم ينقل من أى لغة بل اقتضبها الشاعر الاندونيسى من قصة راماثنا البالميكى واليك رأى الأستاذ بويربوت جوكو فى راماثنا وبه يعلم ثمن راماثنا وأهميته لأديب اندونيسى بانه كيف يتصورها :—

---

(١) وفى متحف جاكرتا (Jakarta) نسخة راماثنا المخطوطة بنثروسط عهد جاوا ـ وتشمل ثلاث مجلدات وأربعة عشر بابا وقيل إن هذا الخط على نمط سوكارتا (Sokarta) ونسخ قبل مائة او مائة وخمسين سنة وأسلوب الكتاب ليس برشيق وهذا ما يوهم أن الكتاب نقل من السنسكرتية ، ومن الاسف ان النقل لم يكمل ـ ويبتدى من قصة ناردمنى (Naradamuni) ومكالمة بالميك ويتم بحادثة ايودهيا (Ayudhya) حيث يمنع رام سيتا من التغيب معه والترهب .

«فى القصة إفراط وتعليم الحياة واسلوبها[1] مرصع قوى ولم اجد كتابا فى لغة جاوا الذى يفوق راماتنا فى أسلوبها وطرزها» . ولم ينقل راماتنا الى غير لغة ولنديز من لغة جاوا الجديدة واندونيسيا . وقال الأستاذ المذكور : إن النقل الولنديزى ليس مما يعتبر عليه ويستند . لأن روح هذا الكتاب الذى لايحسه الاجاوى المنشأ لاتوجد فيه .

«ومن الأسف عدم نقل هذا الكتاب النادر المعتبر عليه إلى لغة جاوا ولم يمكن هذا إلامن جاوى الأصل لأن هذا الكتاب من تراث آبائه القيم يدخر له غذاء روحيا بحظ وافر»[2] .

سرت كانڈ[3]

وتضاءلت لغة كاوى وخطها بعد تصنيف راما كاوى عدة قرون وتركها الناس . وصنفت فى لغة العهد الوسطى المستقيمة سرت كانڈ . يوجد فيها الخوارق الاندونيسية برمتها . ويزعم بعض الناس أن كتاب كانڈ - الباب - ترجمة كتاب صنف بلغة كاوى لم توجد له نسخة . وقصة كانڈ تبتدئ من خلق العالم وكل حكايات وخوارق وزعت فى ادوار وعصور وانضمت بين قصص مهابهارتا وراماتنا ببطانة وشنو وبرهما . ولم ينقل هذا الكتاب إلى أى لغة وهو من أهم مصادر اللعب بالدمى .

اتر كانڈ[4]

وفيما بين ٩٩١-١٠٠٧ فى جاوا الشرقى كان عهد ملك دهرم دمشة[5] من أهم العصور لأدب جاوا - ولم يوجد آخرباب راماتنا اتر كانڈ -

---

(١-٢) Kepustakaan Jawa (٣) Sarat Kaand - ومعنى كانڈ باب أوفصل (٤) Uttar Kaand واتر بمعنى الشمال

(٥) Dharandamsha

فى راما كاوى - كما ذكرنا فى السابق - فأكل هذا القصور مصنف من عهد ملك دهرم دمشه.. لكن ليس هذا الكتاب نقل باب راماثنا الباليكى بل فيه ذكرى أيام حياة سيتا ولو وكش فى زاوية بالمليك فهذا الكتاب تصنيف جديد .

ارجن وجيے [1]

كان أوان ١٤٠٠ - ١٢٩٦ العصر الذهبى لحضارة جاوا أنشأ فيها الشاعر أمبوتن[2] تارار كتابا فى الشعر وسماه ارجن وجيے - ومحتويات هذا النظم محاربة راونا مع أخيه ديس[3] راونا أو دهن راج ثم مع سرى أرجن باهو . ملك مهيش پتى وانهزام راونا بآخر الأمر .

سرت رومو [4]

كان فى أيوان سورا كارتا ما بين ١٧٠٠-١٨٠٠ الشاعر المعروف بـ «يسادى‌پورا»[5] فانه أنشأ سرت رومو فى لغة جاوا الجديدة على نمط راما كاوى ولكن ليس هذا ترجمته وزاد يسادى‌بورا فى القصة واختصر وحذف حسبما اقتضت الظروف ومع ذلك يعد سرت رومو - من أهم كتب لغة جاوا بجهة الفن والشعر -

ولم ينحصر تاثير راماثنا منذ عهد يرمبانن حتى عصر سرت رومو - فى الأدب وتزئين البناء ولافى أدب جاوا ولعتها فانها بعد عبورها بجلدات

Desh Rawana (٣) Ampotantarara (٢) Arjan Vijia (١)

أو Dhan Raaj و Sri Arjun Bahaw ، King of Maheshpatti

Sarat Ramaw (٤) Yasadipuro (٥) ·

ضخمة ومناظر مرموقة دارت بين العامة رويدا رويدا ـ وتصيدت ذاكرة قاص اللعب بالدمى ـ واسلوبه الأنيق عامة إندونيسيا منذ عهد طويل ـ واستفاد القاص بالحكايات الأدبية ـ ويؤثر المسارح باستماع القصص منها ـ نعم وأوجدت تكاسيل العامة صيغة تفريح أخرى التى سميت فيما بعد بپاونك[١] . وهذه هى التى تذكرنا الحكايات العامة توجد فى شمال الهند من حكايات عظماء الهند ـ

حكاية سرى راما[٢]

وبعد تصنيف مادة سرت كانڈ . ضم صاحب ذاكرة نادرة وناقد بصير ماهر رامائنا فى ذخيرته القصصية ، ماهو اسمه ومن اين ومتى أخذ رامائناه ـ لم يعجم به التاريخ على التعين لكننا نسلم إذا كان هو عرض هذه القصة ـ بعد تهذيبها وتزئينها على العامة فانهم استحسنوها ـ وعلى كل قطعاته صاروا مستمعين ـ ولا يعلم الى كم مدة سمت هذه القصة المروية حتى جاء الاسلام ونادى بأعلى صوته بتوحيد الله تعالى ـ واذا سمع دعاة المسلمين هذه القصة أنكروها ـ ولعله اسلم بعض القاص وقتذاك ـ لانه أصبغ هذه القصة بلون الاسلام فعاونه هذا الطريق لاعلى إستمرار وظيفتة فحسب بل وجه إليه إشراف الملوك المسلمين عليه[٣] . ورو ج تجار العرب والناشرون لدين الله كتابة لغة ملايو بخط عربى مبين فحكاية

History of Sri Rama (٢)   Powang (١)

(٣) وقال المستشرق الشهير ر . أو . ونشٹیڈ (R • O • Wenshtaid) أن حكاية سرى راما صنفت بإيماء ملك من المسلمين .

وكان وقتذاك باونك شمل باسم حكاية سرى راما فى الكتب المخطوطة. يتجول المستبشرون والمستشرقون فى هذه المنطقة واستحصل الأب اللورد فى بدء المائة السابعة عشر نسخة حكاية سرى راما المخطوطة فهو محفوظة فى داركتب معهد أوكسفورد بودالين[1] منذ ١٦٣٣. ونشرها الدكتور شلابير فى ١٩١٧ م بالحروف الانجليزية. وتوجد نسختان لهذا الكتاب غير نسخة اللورد نشر أولهما الدكتور رورد افين أنى زنگه[2] فى ١٨٤٢ م. وثانيهما ميكسول فى ١٨٨٦ م. وتختلف نسخ حكاية سرى راما. كما يوجد الخلاف فى كتاب صنف من افواه الرجال لاعن التحقيق وأصلها واحدة ولكنه ليس بين هذا الكتاب وبين رامائنا البالميكى همزة وصل غير أنه ذكر فيه أكابر أبطال رامائنا نحو رام[3] والكشمن وسيتا وهنومان وراونا.

وفى عمود القصة إرسال السلطان دسرتهم[4] أحد إبنيه إلى الغابة ليعيش فيه. وتراود راون سيتا. ومحاربة رام وراونا. ونصرة هنومان وانهزام راون. وخلاص سيتا من حبس راونا وبهذه التذكرة تتصور قصة بالميك.

ومن معجبات حكاية سرى راما أنه قد انضمت فى ما ورائية الهنادك قطعات من تعاليم الاسلام فلتاليف خواطر سامعى المسلمين ابتدأ بعض القاص قصته «وبه نستعين» وناجى بعضهم رب العالمين. وشفع لراون أن يعطيه برياضته أمر الأرض والسماء وبعضهم وصل نسب الملك دسرتهم إلى آدم عليه السلام. وبعضهم. أبدل بطل القصة. عياذا بالله ـ برب العالمين

---

(١) Oxford و Bawdalen و Dr· Shalabear

(٢) Maxoal Roarda Van Esingga (٣) Ram و Luxaman و Seeta و Hanuman و Ravana (٤) Dasrath

وبعضهم اختلط فيما بينهم، وقد طال بنا الكلام فلا يسمح الوقت والمقالة ذكر قصة ملك أسب بهوگ دسرتم[١] بن دسرتم مهاراجا بن دسرتم چكرورتى بن دسرتم رامن بن دسرتم بن نبى أدم عليه السلام - لكن يناسب ذكر كيفية أخذ إندونيسيا من راماتنا واقتباسها منها بطرد حكاية جديدة تتصل بنا بالعصر الجديد .

هنومان ترى گنگا[٢]

وفن الرقص التمثيلى فى جزائر إندونيسيا شائع مشهور . ويوجد بهيئة راقية . ويوخذ للرقص الحكايات والقصص من شتى المواضع بأساليب متنوعة . أما قصة راماتنا فلها رونق وبهاء . واشتهر هنومان ترى گنگا مع حكاية ابتدائية من راما كاوى راما گندرنگ . مع القصص الماخوذة من راماتنا . وعرض ادارة الرقص الجاوى فى يوليو ١٩٥٩ م بمرورسنة على الادارة . هنومان ترى گنگا . بهيئة الرقص التمثيلى . ونص القصة هكذا :-

« ترى گنگا البانرجات[٣] سأل أمه أرنگايو[٤] . ملكة البحر . عن أبيه فانها يهديه إلى أن يذهب إلى گرى برتال[٥] ويزور الملك پرتال مريم[٦] وهو فى الظاهر ابن أرنگايو وفى الحقيقة ابن راونا . وكان هوفى عون ابيه راونا ضد سرى رام ملك پنچ وتى . وإذا صادف ترى گنگا پرتال مريم فهو أوصاه أن يسجن رام ويشده فى القيد فينوم ترى گنگا كل حراس

---

(١) Asp Bhawg Dasrath و Maheraja و Chakrarty و Ramina

(٢) Hanuman Tri Ganga (٣) Banarjate

(٤) Uranggayow (٥) Gri Partal (٦) Partal Maryam

سرى رام وحواجبه برقية ويصغر رام ولكشمن بحيث شدهما فى شعره المحلق.
وإذا تنبه قائد الجنود القرد سنگانه للملك رام على وثوقه ولكشمن فى قيد
ترى گنگا قام وسد طريق ترى گنگا. وحاربه بأشد مايمكن. فينزل
ناردمنى من مستقره اذا رأى هذا المنظر ويحكم بينهما ويحل العقد الذى كان
ترى گنگا فى صدده ويكشف عن هذا السر بأن سنگانه فى الأصل أب
ترى گنگا الذى كان هو فى تفتيشه فيعانق الابن الأب ويحل قيود رام
لكشمن وأغلالهما ويبصرهما ضد راونا فيجرى رحى الحرب بين جنود
رام وراونا ويقتل فيه برتال مريم وتنتصر جنود رام».

تعريب : حبيب الرحمن

Singana (٢) King of Panjwatti Shri Ram (١)

خواطر عن الهند

للاستاذ أحمد فايد

عرفت الهند منذ القدم بأنها بلاد الأساطير ولهذا سعى اليها الكثيرون فى مختلف العصور ، واذا ذكر اسمها أمام الناس تبادر الى ذهنهم أشياء كثيرة :-

أولا : ما هو أصل هذا الاسم وهل له مدلول معين ؟

ثانيا : ان بعض العرب كانوا يسمون بناتهم «هند» فما هى العلاقة بين اسم الهند وتلك التسمية ، وهل استحسن العرب هذا الاسم ولهذا سموا بناتهم به أم أن الأمر كان على خلاف ذلك أيام الجاهلية .

ثالثا : تلك الكلمات التى تقال دائما «الهند والسند وبلاد تركب الأفيال» وقد لازمت هذه الكلمات اسم الهند منذ عهد بعيد ولهذا يذهب الظن ببعض الناس الى أن الأفيال مازالت تستعمل كوسيلة من وسائل الانتقال بالاضافة الى وسائل النقل الأخرى القديم منها والحديث . ولعل الذى ثبت هذه الفكرة فى الأذهان كتيبات مصلحة السياحة فى الهند التى تنشر فى صحائفها الأولى ، صورة فيل كبير وقد زين بالحلى وبثوب حريرى جميل يحيط به عدد من الرجال فى ملابس ملونة مزركشة تجذب الأنظار .

ولما كنت قد حضرت الى الهند لدراسة نظام الحكم فيها ومعرفة كيف يعيش هذا الشعب الكبير الذى يبلغ تعداده ٤٣٩ مليونا من الأنفس فى ظل قانون أساسى واحد يقيم دعائم الحكم على الحرية والعدالة والمساواة ، وجدت أنه من المناسب أن أذكر خواطرى عن الهند بعد أن زرت بعض

بلادها ، وأظن أنه من المفيد أن يكتب كل باحث ـ حضر الى الهند ـ خواطره لعله بذلك يساهم فى دراسة أحوال هذا البلد وبذلك يتيح الفرصة لمن يأتى بعده أن يكمل هذه الدراسة ـ كل فى اختصاصه ـ بدلا من أن يبدأ من جديد .

ان أول ما رأيت فى الهند عاصمتها دلهى أو دهلى أو «دارالسلطنة» كما يسمونها فى اللغة الأردوية ، ونظرا لموقعها الجغرافى كانت هذه العاصمة مركزا للحكم فى أزمنة مختلفة ، ولهذا شهدت بداية حكم كثير من الأباطرة والملوك ، كما رأت انهيار عروش ونهاية أصحابها .

وتتكون دهلى من قسمين : دهلى القديمة ودهلى الجديدة ، ودهلى القديمة يسمونها مدينة شاهجهان (شاهجهان آباد) خامس أباطرة المغول والذى بنى القلعة الحمراء بين سنتى ١٦٣٩ - ١٦٤٨ م. تلك القلعة التى تقف كالطود العظيم الذى يشرف على كل أنحاء المدينة ، شاهدة على المجد الذى عاشته دهلى فى عهد أباطرة المغول .

ان من يرى القلعة من الداخل سوف يرى جامع اللؤلؤة وآثار عرش الطاووس الذى قيل ـ انه نقل الى ايران ـ وكذلك تلك القاعات الفسيحة التى امتلأت «الأعمدة والحوائط المزخرفة بالورد . ويرى كذلك الديوان الخاص حيث كان الامبراطور يجتمع برجال حكومته ، وقد كتب على حائط هذا الديوان «اذا وجدت الجنة على وجه الأرض فهاهى هاهى هاهى» . حقيقة انه فى الوقت الذى بنيت فيه تلك القلعة كان ما بداخلها يعتبر احدى جنات الأرض ان صح هذا التعبير .

ويمتد أمام القلعة شارع «تشاندنى تشوك» مركز بيع الجواهر والذهب والفضة والذى كان فى يوم من الأيام أكثر شوارع العالم ، ثراء

وجاها، كما يوجد أمامها المسجد الجامع. هذا المسجد الذى يتسع لآلاف المصلين والذى يمتلىء على سعته فى أيام شهر رمضان المعظم، ويحيط بهذا المسجد عدد كبير من المساكن تتخللها دروب ضيقة أقيمت منذ زمن بعيد.

أما دهلى الجديدة فقد اشتهرت بكثرة حدائقها، لهذا سماها البعض جاردن سيتى (Garden City).

ولعل الظاهرة التى تلفت النظر فى دهلى بقسميها تلك المبانى ذات اللون الأحمر، ويستوى فى ذلك المبانى الأثرية القديمة كالقلعة الحمراء والمسجد الجامع، والمرصد الشمسى (Jantar Mantar) الذى بنى منذ زمن قديم، والمبانى الحديثة كقصر رئيس الجمهورية والبرلمان الدائرى والمبانى الحكومية كالاذاعة وغيرها.

اما الظاهرة الثانية فهى تلك الأطلال المنتشرة هنا وهناك، وقد قيل عن دلهى انها العاصمة ذات المدن السبع بل يذهب البعض الى أنها «ذات ١٥ مدينة» ويعنون بذلك أنها أنشئت سبع مرات أو خمس عشرة مرة بعضها فوق أطلال بعض، ولهذا بقيت أطلال كثيرة كل منها يحدثنا عن تاريخ حقبة من الزمان. ولعل أكثر الآثار أثرا فى النفس وايلاما لها ذلك البناء المسمى «الباب الدموى» أوكما يطلقون عليه هنا «خونى دروازه» حيث علق الانجليز - عند دخولهم دلهى - علماء المسلمين وامراء اسرة الامبراطور الاخير بهادر شاه على المشانق، وينقلنا الحديث عن دلهى مدينة شاه جهان الى أثر آخر لهذا الامبراطور خلد اسمه فى التاريخ ألا وهو «تاج محل».

فقد ذهبت ليلة البدر الى آجرا عاصمة الهند فى أيام الامبراطور أكبر لمشاهدة تاج محل، وان أقل وصف يمكن أن يقال لهذا الأثر «انه

عمل رائع، لانه بلغ الذروة فى الذوق والجمال والفن الهندسى وقد بنى من المرمر الابيض ليدفن فيه شاه جهان زوجته ممتاز محل ثم دفن هو فيه بعد ذلك .

ان الهند لن تنسى أبداً لشاه جهان هذا العمل الجليل الذى قام به والذى أصبح من الموارد المالية الهامة للهند الآن ، فما تذكر الهند فى بلاد العالم الاويذكر معها «تاج محل» وما يحضر زائر الى الهند الا وفكره يتجه أولا لزيارة تاج محل ومايعود شخصا الى وطنه بعد زيارته الهند الا ويقال له لاشك انك زرت تاج محل ، ويكفى أن تقول تاج محل ليعرف السامع انك تريد أن تذكر الهند وآثارها .

وقد تيسرلى أن أزور بعض مراكز الدراسات العربية فى الهند فذهبت الى ديوبند حيث توجد مدرسة دارالعلوم أو كما يحلو للبعض أن يسميها «أزهر الهند» ، وقد ظهرلى لأول وهلة مقدار الحب والتقدير الذى يكنه أهل تلك البلد ورجال هذه الدار للازهر ورجاله الأمر الذى يشجع ويدعو الى توسيع نطاق التبادل الثقافى بين الجمهورية العربية المتحدة والهند . وبمناسبة ذكر العلاقات الثقافية بين بلادى والهند أود أن أذكر أنى قدمت عدة كتب قانونية ـ فى القانون الدستورى ـ هدية الى كلية الحقوق بجامعة دلهى . وذهبت كذلك الى بريلى حيث توجد بعض المدارس الخاصة بتلك الدراسات ، كما ذهبت الى لكناو عاصمة ولاية اتر برديش حيث توجد ندوة العلماء ، وفى تلك المدينة رأيت آثارا اسلامية كثيرة . أهمها تلك القاعة الكبيرة التى بناها آصف الدولة آخر الحكام المسلمين لتلك الولاية والتى كانت تسمى فى ذلك الوقت Oudh ولعله من الطريف بمناسبة الحديث عن لكناؤ أن نذكر مسألة اجتماعية .

ذلك أن السيدة سوشيتا كربلانى أصبحت رئيسة لوزراء تلك الولاية، وهى فى نفس الوقت زوجة لزعيم المعارضة فى مجلس الشعب الاتحادى (السيد آشاريا كربلانى) وهكذا أصبح الزوج والزوجة فى الصف الأول من الأحزاب المعارضة والحزب الحاكم. وكل هذا وذاك يبين لنا كيف دارت الأيام فى الهند ذات التقاليد الراسخة حتى أصبحت المرأة تتولى منصب رئيسة للوزراء فى احدى الولايات بعد أن كانت العادات تفرض على النساء حدودا معينة لايجوز لهن أن يخرجن عنها. وهكذا تغيرت الأفكار والتقاليد والعادات الهندية.

على أن التطور الذى حدث فى النواحى المختلفة للحياة فى الهند يعود بذاكرتنا الى ماقاله البروفيسور جوستاف لوبون وزير التعليم الفرنسى وعالم الآثار المشهور حين زار الهند منذ زمن ليس بعيد وألف كتابه «حضارة الهند» والذى نقله الى العربية السيد عادل زعيتر قال مسيولوبون «والهند اذا أريد وصفها وصفا أساسيا قيل انها بلاد حارة يقل فيها الاحتياج الى المساكن والملابس والمآكل، وتكثر فيها الأراضى الخصبة التى تخرج بغير عمل مايضطر اليه الآملون من المحاصيل القليلة فى أحوال كتلك لايتطلب الصراع من أجل الحياة كبير جهود فلاينمو فيها خلق المبادرة والنشاط والحزم فكأنه كتب على العروق الخاضعة لمثل تلك الأحوال أن تكون مستعبدة فهى تظل فريسة للفاتحين مستعدة للعمل بأوامر الغالبين».

ماذا يقول مسيو جوستاف لوبون لوبعث حيا ورأى هند اليوم وكيف استقلت عن سلطان الامبراطورية التى لاتغيب عن أملاكها الشمس.

إن الاحصائيات سوف تبين لنا مدى التطور الذى حدث فى المجتمع الهندى ولنذكر ثلاثة أنواع من التطور الأول عن التعليم والثقافة لأنه يدل على تقدم الوعى والفكر الهدى والثانى عن المواصلات لأنه يدل على الحركة والنشاط والثالث عن الانتخابات لأنه يدل على الوعى السياسى .

أولا : من ناحية التعليم .

١ ـ كان عدد الجامعات فى سنة ٥٠-٥١ ٢٤ جامعة أصبحت فى سنة ١٩٦٢ ٥٤ جامعة .

٢ ـ كان عدد التلاميذ المقيدين فى المدارس الابتدائية المعترف بها فى سنة ٥٠-٥١ (١٨,٢٩٣,٩٦٧) ، والمبالغ المتصرفة على تعليمهم (٣٦٠٤٦ كرور روبية[1]) وأصبح عددهم فى سنة ٦٠-٦١ (٢٦,١٩٨,٥٥٠) . والمبالغ المتصرفة على تعليمهم (٧٢٠٢١) كرور روبية .

٣ ـ كان عدد التلاميذ المقيدين فى المدارس الثانوية المعترف بها فى سنة ٥٠-٥١ (٥٢,٣٢,٠٠٩ والمبالغ المتصرفة على تعليمهم (٣٠٠٧٤) كرور روبية وأصبح عددهم فى سنة ٦٠-٦١ ١٨,٠٢٦,٥٩٤) والمبالغ المتصرفة على تعليمهم (١١٠,٢٤) كرور روبية .

٤ ـ أصبحت عدد الصحف الصباحية فى الهند ٣٥٤ جريدة والمسائية ١٠٣٠٠

---

(١) كرور : عشرة مليون .

ثانيا : ١ — يبلغ طول السكك الحديدية ٥٧٠٩٠ ميلا وعدد المحطات ٦٨٠١ وعدد القاطرات ١١٠٠٠ وعدد العربات الخاصة بالركاب ٢٩٦١ وعدد عربات «البضاعة» ٣٢٢٠٩٤ .

٢ — ويبلغ عدد الركاب الذين يستعملون السكك الحديدية فى اليوم الواحد ٤٦,٩٢,٠٠٠ أى ان ١٪ من سكان الهند يتنقلون بالقطارات كل يوم .

٣ — وأصبح عدد المطارات المدنية ٥٧ مطارا .

ثالثا : بلغ عدد الذين اشتركوا فى انتخابات سنة ١٩٦٢ ٢٠٠ مليون شخص كل هذا يدل بوضوح على مدى التطور الذى حدث فى الهند .

حقيقة أن الهند ككل الشعوب النامية بها عيوب يعلم الاستعمار أكثر من غيره ، كيف وجدت ولماذا بقيت ، على أن الهند التى استقلت منذ عهد قريب واحتفلت بعيد استقلالها فى ١٥ أغسطس تعمل بكل قواها لازالة تلك الرواسب التى تخلفت عن عهد مضى .

وان عليها الآن كما قال رئيس الوزراء البانديت جواهر لال نهرو «ان تبذل الجهد مضاعفا وبسرعة فى تطبيق مبادئ الاشتراكية كى يتحقق لكل الشعب الهندى الأمانى التى يسعى الى تحقيقها» وهى العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص والحرية التى نص عليها الدستور .

نبذة من احد

ملحمة دينية لصاحب الفضل السيد صلاح الدين
الاسير مستشار لوزارة الارشاد القومى، لبنـــان

أحد الخير يا افتراراً على الصحراء   يندى لياقوت فيك سخيـــا
ويروح الزمرد العف يحبـــو   بين سفحيك بالضراعـات حيـــا
ما أرى قمة أرى تستحم الشمس فيهـــا   أم كبرياء الثريـــا
وأراه التـاريخ يجثو صغيـــرا   عند جرح النبى يحدو نبيـــا
ها هنا روضة تضوع بالطيـــب   تضم الشهيـد كنـــزا غنيـــا
حمزة المجـــد والعلا سيـــد الأبـــطال دنيا من المروءات ريـــا

* * *

أحد الخير يا صباح اليقيـــن   قم تحدث عن اليتيم الأميـــن
من دماه اكتحلت بالأحمر القانى   ومن عزمه بشم الحصـــون
هزم الشرك والجهـالات فانــــزاح عن الأرض وطوغول حرون
وغدا العبد فى الجزيرة حـــرا   رافلا بالشموخ سمح اليميـــن
والوغى ان تكن لحق ريـــاض   من ورود ومتعة للعيـــون

* * *

حدثني يا قبا عن الصخرة المنـــاف ، في حضن سيد الكائنات
ركزتها يداه معبـد ايمـــان مدل على اعتلاق الحيـــاة
واستوت في الغياض يشــرب ترعـاها برؤيا مخضلة الجنبـــات
وعليها من النبي ضيــاء صامـــد شق حلكة الظلمـــات
تتعـالى ، ألله اكبر منهـــا من بلال المرصع الكلمـــات
مسجد للصلوة في سرحـــة الوحـــي تهادى على نشيـــد الهـــداة

* * *

مالهـا تلة تصبتك كالعـــذراء في نظرة الى الحب طفلـــة
تتحلى سناك في الخضر الـــحلو فتبدو في وجنة الليل قبلـــة
عصبت رأسها بدنيـا من الأمجـــاد تشتاق ان ترى الموت نهلـة
ولها من حديثهـا ، فوق ما يحلـــو تخلى الزمان يرجـم جهلـــه
ذكرت خطوة النبي عليهـــا فانتشت بالفخـار بعد المـــذلة
وتود الكواكب الزهـــر لو كانت اطارا يضـــم اجمل تـــله

الأنباء الثقافية

زار الهند فى شهر ستمبر واكتوبر الاستاذان الفاضلان الشاعر الشهير السيد صلاح الدين عبدالرحمن الاسير، المستشار لوزارة الارشاد القومى فى الحكومة اللبنانية، وصاحب القداسة يوحنا قمير استاذ الفلسفة العربية فى الجامعة الفرنسية فى بيروت، قدما الى الهند اجابة لدعوة مجلس الهند للروابط الثقافية، وتجولا فى الانحاء المختلفة من البلاد، وزارا الجامعات الهندية والمعالم الهندية وتفضلا بالقاء محاضرات فى بعض الجامعات والمعاهد، ونشرنا فى هذا العدد نبذة من ملحمة دينية الفها السيد صلاح الاسير،

* * * * * *

يهتم علماء الآثار فى هذه الايام بثلثة عمارات اثرية تقع فى شمالى ججرات، وهى ضريحان للفتاتين تانا وريرى، ومعبد لشيواء.

والاسطورة المنسوبة الى هذه الآثار الثلاثة تقول: ان احدى كريمات الامبراطور اكبر مرضت مرضا شديدا حتى خافوا على حياتها، واشار الاطباء على استخدام وسيلة لتقوية الحرارة الغريزية فى جسمها، ورأى اهل الفكر والنظر ان احسن وسيلة لنيل هذا الغرض هى الاستماع الى لحن «ديبك» اذ يزعم ان لحن ديبك يولد الحرارة المفرطة حتى النيران تتوقد على انغامه، ولاتنطفئ الحرارة الا بالاستماع الى لحن «ملهار» فطلب الامبراطور الى المغنى الشهير تان سين ان يغنى لحن «ديبك» ويسمعه كريمته، كى تزداد روحا وحرارة، وامتثل الفنان، وتماثلت البنت من مرضها، على ان الفنان تاثر بحرارة لحنه، وفقد هدوءه، فكان يشعر بالحرقة طول الايام والليالى، ولم يكن يعرف لحن «ملهار»، حتى يزيل شدة حرارة «ديبك»،

وخرج من الدار يرتاد المدن والارياف عسى ان يجد احدا يغنى له لحن «ملهار» فذهب به السفر الى واد «ناجر» فى شمال ججرات ، وكان فصل الشتاء ووجد هنا بحيرة دخل فيها حتى يشعر ببرد ولو للحظات ، ومن حسن حظه ، وصلت الى البحيرة ثانا ، وريرى ، بنتا الدرويش نرسنها مهتا ، وكانتا تجيدان لحن «ملهار» ، فعند ما وجدتا رجلا يقف فى وسط البحيرة لايريد الخروج منه سالتاه عما دعاه الى الوقوف فى المياه الباردة ، والبرد فى اقساه ، فشرح لهما حاله ، واظهرتا استعدادهما للتغنى بملهار ، وعند ما غنتا ، انطفأت الحرارة من جسم تان سين ، وشفى ، وبعد عودته الى البلاط الملكى أخبر الامبراطور بكل ماجرى . وتاق الامبراطور الى روية الفتاتين والاستماع الى صوتهما ، فبعث بكتيبة عسكرية لتاتى بهما الى البلاط الملكى ، مع اجلال واحترام ، ولكن التقاليد لم تسمح للفتاتين مغادرة قريتهما ، وخشيتا ان ينزل الامبراطور عليهما عقوبته ، اذا رفضتا امتثال الامر الملكى ، وصممتا على الانتحار ، فجمعتا الحطب وجلستا عليه واوقدتا نارا التهمتهما . وتذكارا لهما بنوا ضريحين ، وبالتالى بنوا معبدا لشيوا ايضا .

* * * * * *

عقد فى كلكتا معرض لرسوم احد فنانى الهند الشهيرين مقبول فداحسين كما عقد معارض اخرى للنماذج من نتاجات الفنانين الآخرين يستحق الذكر من بينها نتاجات الشهير بيمل بينرجى وجوبال غوش .

* * * * * *

يتوقع ان يتمتع مدينة بومبائى بوجود مسرحين واسعين ، ومجهزين باحدث الوسائل والتسهيلات والرجاء ان الجمهور لايجدون من الصعوبة فى حجز مقاعدهم والتمتع بالمسرح مما يجدونهم الآن فى بعض الاحيان .

THAQĀFATU'L-HIND

Vol. XV | January 1964 | No. 1

Editor:

S. Taiyebali Lokhandwalla

CONTENTS

	Subjects		Contributors		Page
1.	Place of Education and Music in Indian Culture	...	Dr. Rabindranath Tagore	...	1
2.	India on the Threshold of the New World	...	Mr. R. Ram	...	14
3.	India's Relations with Asian Countries in the Third Century B.C.	...	Mr. R. K. Dikshit	...	21
4.	The Sufi Poets of Punjab	...	Mr. Shakir Parsharthi	...	28
5.	Kashmir	...	Mr. Mustafa Sha'ban	...	56
6.	The Influence of Ramayana in Indonesian Life & Literature	...	Mr. Mohd. Fayyaz	...	63
7.	Observations on India	...	Mr. Ahmad Faid	...	81
8.	"Uhad" - Arabic Poem	...	Syed Salahuddin al-Assir	...	88
9.	Cultural News	...		...	90

ثقافة الهند

يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية

رئيس التحرير ـ شمعون طيب على لوكهندوالا

المجلد السادس عشر	يناير سنة ١٩٦٥	العدد الاول

الصفحة

محتويات هذا العدد

١ تراث العلماء المسلمين العلمى
في الهند وعنايتهم باللغة العربية .... للسيد ابى الحسن على الحسنى الندوى ١

٢ العلاقات الهندية العربية قوية منذ فجر التاريخ .... للدكتور تارا تشند ٩

٣ العلاقات التجارية بين الهند والعرب .... الدكتور مقبول احمد ٢٠

٤ فى شهر رمضان المبارك .... للاستاذ ابراهيم جويو ٥٤

٥ نهرو والعرب .... الاستاذ محمد وهبي ٥٨

٦ أثر العلوم الهندية فى العصر العباسى .... للدكتور على عبد الرحمن أباحسين ٦٣

٧ من النارجيل الى النخيل .... للاستاذ قاضى اطهر المباركپورى ٧٧

٨ القاهرة .... للبروفيسور سعيد احمد اكبرآبادى ١١٥

٩ الأنباء الثقافية ١٢٣

مجلس الهند للروابط الثقافية

الرئيس · المستر محمد على كريم تشاحلا

يهدف المجلس — كما يص دستوره — إلى إنشاء وإحياء وتعزيز الروابط الثقافية بين الهند والبلاد الأخرى بالوسائل التالية ·

(١) التوسع فى معرفة وتقدير لغاتها وآدابها وفنونها

(٢) إنشاء الروابط الوثيقة بين الجامعات والمعاهد الثقافية

(٣) اتخاذ جميع التدابير الأخرى لتنمية الروابط الثقافية

الرئيس جمال عبدالناصر والفقيد نهرو

تراث العلماء المسلمين العلمى فى الهند وعنايتهم باللغة العربية

للسيد ابى الحسن على الحسنى الندوى

كان المسلمون فى الهند أوفياء لوطنهم لايتشاغلون عن خدمته والتقدم به فى ميادين العلم والصناعة والمدنية، أوفياء لدينهم وثقافتهم الاسلامية العربية لايتخلفون عن ركبها ولاينقطعون عنها. وقد نراهم فى بعض فترات التاريخ فى مقدمة القافلة و مأخذ الزمام.

إن الجمع بين ثقافتين تتناقضان كثيرا وتلتقيان قليلا، وإن الوفاء لوطنين - مادى و روحى - مهمة عسيرة لانعرف شعبا من شعوب الاسلام كاف نفسه بها ثم نجح نجاح مسلمى الهند.

إن مؤلفات المسلمين فى الهند فى العلوم الاسلامية لاتحصى كثرة، وذلك موضوع كتاب كبير ككتاب الفهرست لابن النديم أو كشف الظنون للچلپى. وجولة فى كتاب «الثقافة الاسلامية فى الهند» للعلامة السيد عبد الحى الحسنى تدل على مركز الهند العلمى وقسط علمائها ومؤلفيها فى حركة التاليف والنشر، واقتصر هنا على الكتب التى تخطت شهرتها حدود الهند وسارت بها الركبان، واحتفى بها علماء العرب وأخص منها ما ألف باللغة العربية.

من هذه الكتب العالمية كتاب «العباب الزاخر» للامام حسن بن محمد الصغانى اللاهورى من رجال القرن السابع الهجرى الذى عد من مراجع اللغة العربية وغرر كتبها. وقد اعتنى به أئمة اللغة قديما وحديثا واعترفوا له بالدقة والاتقان وغزارة المادة، واعترفوا لصاحبه بالفضل والامامة فى هذا الشان، قال السيوطى: إنه كان حامل لواء اللغة وقال

الذهبي: إن إليه المنتهى فى اللغة، وقال الدمياطى: إنه كان إماما فى اللغة والفقه والحديث. وكذلك كتابه «مشارق الأنوار» فى الحديث من الكتب المشهورة المقبولة فى العالم الاسلامى. وقدظل مدة طويلة من كتب التدريس.

ومنها كتاب «كنز العمال» للشيخ على بن حسام الدين المتقى البرهانپورى من رجال القرن العاشر، وهو ترتيب جمع الجوامع للسيوطى وهو من الكتب التى انتفع به علماء الحديث كثيرا، واعترفوا لصاحبه بمجهود عظيم ووفر عليهم وقتا كبيرا وأغناهم عن مراجعات كثيرة، قال الشيخ أبوالحسن البكرى الشافعى من أئمة العلم فى الحجاز فى القرن العاشر: إن للسيوطى منة على العالمين وللمتقى منة عليه.

ومنها كتاب «مجمع بحار الأنوار فى غرائب التنزيل ولطائف الأخبار» للشيخ محمد طاهر الفتنى (م ٩٨٦ ﻫ) قال العلامة السيد عبد الحى الحسنى فى «نزهة الخواطر» جمع فيه المؤلف كل غريب الحديث، وما الف فيه فجاء كالشرح للصحاح الستة، وهو كتاب متفق على قبوله بين أهل العلم منذ ظهر فى الوجود، وله منة عظيمة بذلك العمل على أهل العلم وكذلك كتابه «تذكرة الموضوعات» من الكتب السائرة المتداولة فى الموضوع.

ومنها الفتاوى الهندية التى تعتبر من المراجع الفقهية الكبرى التى عليها العمدة فى كثير من الأقطار الاسلامية التى تحكم بالفقه الحنفى. يقول صاحب الثقافة الاسلامية فى الهند:

أما الفتاوى العالمكيرية ويسمونها الفتاوى الهندية فهى من أجلها وأنفعها (أجل الفتاوى والمجاميع) فى كثرة المسائل وسهولة العبارة

وحل العقد، وهى التى اشتهرت فى بلاد العرب والشام ومصر القاهرة بالفتاوى الهندية، وهى فى ست مجلدات كبار ..... رتبوها على ترتيب الهداية، واقتصروا فيها على ظاهر الرواية ولم يلتفتوا إلى النوادر إلا إذا لم يجدوا جواب المسئلة فى ظاهر الرواية أو وجدوا جواب النوادر موسوما بعلامة الفتوى، ونقلوا كل عبارة معزوة إلى كتابها ولم يغيروا الا لداعى ضرورة، وقد ولى السلطان اورنك زيب عالمكير التيمورى أنار الله برهانه الشيخ نظام الدين البرهانپورى فى اوائل سلطنته تدوينها باستخدام الفقهاء الحنفية، وبذل على تدوينها مائتى الف ربية[1]».

وقد ذكر المؤلف أربعة وعشرين رجلا من كبار علماء الهند فى ذلك العصر ساهموا فى تدوينها، وكان أربعة منهم وهم القاضى محمد حسين الجونبورى المحتسب، والشيخ على أكبر الحسينى اسعدالله خانى، والشيخ حامد بن ابى الحامد الجونبورى والمفتى محمد اكرم الحنفى اللاهورى قد تولوا ارباعها، لكل واحد منهم الاشراف على ربع الكتاب.

ومنها مسلم الثبوت فى أصول الفقه للعلامة محب الله بن عبد الشكور الحنفى البهارى (م ١١١٩ هـ)، وقد رزق القبول العظيم فى الأوساط العلمية المدرسية فى الهند وبلاد الاسلام، وتناوله كبار العلماء فى عصورهم بالتدريس والشرح، وكانت له عشرة شروح لكبار الأساتذة والفضلاء فى الهند.

ومنها كتاب «كشاف اصطلاحات الفنون» للشيخ محمد أعلى التهانوى من رجال القرن الثانى عشر، كتاب عظيم النفع، تلقاه المشتغلون بالعلم فى بلاد العرب بالقبول، وأثنوا عليه لأنه كمعجم للمصطلحات العلمية يغنى عن

(١) مائتا الف روبية هندية تساوى نحو خمسة عشر ألفا ١٥٠٠٠ من الجنيهات . وقيمتها فى هذا العصر أكثر من مائة الف جنيه .

مراجعة آلاف من الصفحات ومئات من الكتب، وهذا موضوع لم يكن فيه كتاب كبير على شدة الحاجة إليه ولايزال المرجع الوحيد للفضلاء والمؤلفين والباحثين فى هذا الشان.

وفى هذا الموضوع كتاب آخر وهو جامع العلوم المشهور « بدستور العلماء » فى اربعة مجلدات للشيخ عبد النبى بن عبد الرسول الأحمد نكرى من رجال القرن الثانى عشر ايضا.

ومنها بل من أعظمها، كتاب «حجة الله البالغة» للامام ولى الله الدهلوى (م ١١٧٦) فى أسرار أحكام الشريعة وفلسفة التشريع الاسلامى، وهو كتاب مبتكر فى موضوعه لا يوجد له نظير فى المكتبة العربية على سعتها وقد أجله علماء هذا الموضوع، وأعيد طبعه فى مصر مرارا.

ومما تجب الاشارة إليه أن هذا الكتاب يتسم بنصاعة العربية، وقوة العبارة وانسجامها وبعدها عن السجع البادر وتقليد أسلوب الحريرى الذى كان متفشيا فى عصره ومصره، وقلما نجا منه مؤلف وكاتب فى القرون الأخيرة وهو يعد بحق المثال الثانى للنثر الطبعى السلسال والتعبير العلمى العامر بعد مقدمة ابن خلدون فى عصور انحطاط العربية وغلبة العجمة والصناعة على الكتاب والمؤلفين فى العالم الاسلامى.

ومنها كتاب « تاج العروس فى شرح القاموس » للسيد المرتضى بن محمد البلكرامى المشهور بالزبيد (م ١٢٠٥) الذى هو أشهر من أن يعرف، وهو مكتبة لغوية علمية عظيمة فى عشرة مجلدات كبار، وقد اشتهر أمر هذا الكتاب فى حياة صاحبه فاستكتب منه الخليفة العثمانى نسخة، وسلطان دار فور نسخة، وملك المغرب نسخة، وطلب منه أمير

اللواء محمد بيك أبو الذهب نسخة وجعلها في مكتبة مسجده الذي أنشأه بالقرب من الأزهر وبذل في تحصيله ألف ريال.

وقد نبغ في الهند في القرن الرابع عشر الهجري مولفون فاقوا في العالم الاسلامي كله في سرعة التاليف وكثرة المؤلفات وضخامة الانتاج وكان كل واحد منهم مجمعا علميا نشيطا وقد قام بعضهم شخصيا بما لا تقوم به مجامع علمية في أكثر الأحيان، فالأمير صديق حسن بن أولاد حسن القنوجي أمير بهوپال (م ١٣٠٧) يبلغ عدد مؤلفاته اثنين وعشرين ومائتي كتاب (٢٢٢) منها ستة وخمسون (٥٦) كتابا في اللغة العربية وفيها كتب كبار ذات قيمة علمية منها «فتح البيان في تفسير القران» في عشرة مجلدات كبار، وأبجد العلوم، والتاج المكلل، والبلغة في أصول اللغة، والعلم الخفاق من علم الاشتقاق.

ويبلغ عدد مؤلفات علامة الهند فخر المتأخرين الشيخ عبد الحي بن عبد الحليم اللكنوي (١٣٠٤) مائة وعشرة كتب (١١٠) منها ستة وثمانون (٨٦) كتابا بالعربية من أشهرها وأجملها «السعاية في شرح شرح الوقاية»، و «مصباح الدجى»، و «التعليق الممجد» و «ظفر الأماني».

ويبلغ عدد مولفات المصلح الكبير والمربي الشهير مولانا أشرف على التهانوي (م ١٣٦٢) تسعمائة وعشر (٩١٠) منها الصغير والكبير منها ثلثة عشرة (١٣) كتابا بالعربية.

وللعلامة محمود حسن خان التونكي (م ١٣٦٦/١٩٤٧) كتاب عظيم سماه «معجم المصنفين» هو كدائرة معارف في هذا الموضوع في نحو ستين مجلد تحتوي على عشرين ألفا من الصفحات المطبوعة وعلى تراجم أربعين ألفا من

المصنفين ، وناهيك من سعة الكتاب واستقصائه أن فيه تراجم ألفين من المؤلفين كلهم يسمون أحد ، وقد لخص فى كتابه نحو ألف وخمس مائة من الكتب . وذكر كل من ترك بالعربية كتابا منذ بدء العهد التاليفى إلى سنة ١٣٥٠ هـ وظهرت منه أربعة أجزاء طبعت فى بيروت على نفقة حكومة حيدراباد ، والأجزاء الباقية محفوظة فى المكتبة الآصفية بحيدراباد .

ومن كبار مؤلفى هذا العصر وكتابه العلامة السيد سليمان الندوى (م ١٣٧٣ هـ) الذى خلف مكتبة كبيرة من مولفاته فى السيرة النبوية والشريعة الاسلامية ، والتاريخ والأدب ومجموع ما طبع يبلغ نحو ستة الآف صفحة غير مقالاته وشذراته التى كان يكتبها كل شهر فى مجلة « معارف » التى تعتبر أرقى مجلة علمية فى الهند وأجوبته وفتاواه العلمية وهو يستحق أن يعد من كبار المؤلفين والمحققين الباحثين فى الشرق .

ومن كبار المؤلفين ايضا الذين عرفوا باقتدار على التاليف وسيلان القلم وغزارة المادة وسعة المعلومات العلامة مناظر أحسن الكيلانى (م ١٣٧٥ هـ) صاحب « النبى الخاتم » و « تدوين الحديث » و « نظام الاسلام الاقتصادى » و « نظام التعليم والتربية » وغيرها ، وقد خلف مكتبة عامرة من مؤلفاته .

وقد عرف علماء الهند بشغفهم بالعلوم الدينية وانتهت إليهم رئاسة التدريس والتاليف فى فنون الحديث وشرح متونه ومجاميعه وسلمت زعامتهم فى هذا الموضوع فى العهد الأخير حتى قال العلامة السيد رشيد رضا منشئ مجلة المنار فى مقدمة مفتاح كنوز السنة : « لولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث فى هذا العصر لقضى عليها بالزوال من

أمصار الشرق، فقد ضعفت فى مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة.

ولعلماء الهند فى هذا العصر مؤلفات جليلة فى فنون الحديث وشروح تلقاها العلماء بالقبول، منها «عون المعبود فى شرح سنن أبى داؤد» للشيخ محمد أشرف الدبانوى، و «بذل المجهود فى شرح سنن أبى داؤد» أيضاً للشيخ خليل أحمد السهارنفورى، و «تحفة الأحوذى فى شرح سنن الترمذى» للشيخ عبد الرحمان المباركفورى، «وفتح الملهم فى شرح صحيح مسلم» للشيخ شبير أحمد الديوبندى، و «أوجز المسالك إلى شرح موطا الامام مالك» للشيخ محمد زكريا الكاندهلوى، و«فيض البارى» إفادات للعلامة أنور شاه الكشميرى على صحيح البخارى لاتزال عمدة و مرجعا لطلبة هذا الفن الشريف وعلمائه.

ومن الكتب التى اعتنى بها العلماء فى الأقطار الاسلامية وعدوها من خيرة ما كتب فى الموضوع كتاب «إظهار الحق» للشيخ رحمة الله الكيرانوى (م ١٣٠٩ هـ) و«فقه اللسان» للقاضى كرامة حسين الكنتورى (م ١٣٣٥ هـ) و«الامعان فى أقسام القران» للعلامة حميد الدين الفراهى و «جمهرة البلاغة» و «رسائل فى تفسير سور من القران» تدل على عمق فكره و دقة نظره واطلاعه الواسع على التوراة والانجيل وتضلعه من علوم العربية والبلاغة.

ولم يزل شعار المسلمين فى الهند منذ العهد الأول الاعتناء الكامل باللغة العربية والتعصب لها، وقد حافظوا عليها كلغة التاليف والعلم وكان فيها شعراء مفلقون كالقاضى عبد المقتدر الكندى الدهلوى (م ٧٩١ هـ)

والشيخ أحمد بن محمد التهانيسرى (م ٨٢٠ ﻫ) والشيخ غلام على آزاد البلكرامى صاحب «السبع السيارة» (م ١٢٠٠ ﻫ) والمفتى صدر الدين الدهلوى (م ١٢٨٥ ﻫ) والشيخ فيض الحسن السهارنبورى (م ١٣٠٤ ﻫ) والشيخ ذو الفقار على الديوبندى (م ١٣٢٢ ﻫ)، وأدباء محققون كالأستاذ عبد العزيز الميمنى والشيخ أبو عبد الله محمد السورتى.

ولا يزال المسلمون متمسكين باللغة العربية يدرسون أمهات كتبها فى مدارسهم التى يسمونها «المدارس العربية» ويؤلفون ويكتبون فيها وقد أصدروا فى فترات مجلات وصحفا عربية تدل على عنايتهم بهذه اللغة ونشرها وإحيائها منها مجلة «البيان» الشهرية التى كانت تصدر من لكناؤ ومنها صحيفة «الجامعة» الأسبوعية التى كانت تصدر من كلكتا. وكان رئيس تحريرها مولانا أبوالكلام آزاد رئيس المؤتمر الوطنى بعد ووزير المعارف فى الحكومة الهندية بعد ذلك، ومنها مجلة «الضياء» الشهرية التى كانت تصدر من ندوة العلماء فى لكناؤ ونالت إعجابا وتقديرا فى الأوساط العلمية والأدبية فى البلاد العربية، منشئها المرحوم الأستاذ مسعود عالم الندوى، ولاتزال مجلة «البعث الاسلامى» لسان حال الدعوة الاسلامية ورائد الفكرة الاسلامية تصدر من ندوة العلماء وصحيفة الرائد الندوية الأسبوعية تنشؤها طلبة دار العلوم ويكتبون فيها.

وقد خرجت دار العلوم التابعة لندوة العلماء طائفة من الكتاب البارعين فى اللغة العربية وأوجدت نشاطا أدبيا ملحوظا فى الهند، وحصولا ذا قيمة أدبية لاتجمل لمورخ الادب العربى أن يغفله إذا أراد أن يستوعب الحركة الأدبية فى الأقطار الاسلامية ويذكر مدارسها المختلفة.

العلاقات الهندية العربية قوية منذ فجر التاريخ

الدكتور تارا تشند

علاقة الهند بالعرب علاقة قوية قديمة منذ فجر التاريخ ، علاقة بزغت بصلة العرب حين كانوا يقطعون المسافات البحرية بقواربهم الشراعية المغامرة تعاونهم الرياح القوية الموسمية على السير لتدفعهم قدما نحو المحيط الهندى الى الشواطئ الهندية وكلا الشعبين آنذاك الهندى والعربى كانا مشغولين بتدعيم حضارتهما وتفتيق مداركهما ، حيث أوجد تأثيرا قويا وشعورا عميقا وتعاونا مستمراً من أجل تدعيم هذه الصلة الحضارية والمدنية بينهما مما خلقت روحا تعاونية متبادلة .

ويوجد هناك نوع من التشابه بين الهند والعالم العربى بالاضافة الى اعتبارنا العالم العربى والعالم الهندى عالمين كل واحد منهما متمم للآخر ، فالهند أرض تزخر بالأنهار العديدة والأمطار الغزيرة ، والجبال العالية ، والأراضى الخصبة التى توفر الحياة للنبات والحيوان والانسان ، والعالم العربى الكبير هوالآخر وطن الشعب العربى الناطق بحرف الضاد الذى تمتد حدوده من جبال « الزاغروس » الى صحارى ليبيا ، ومن تلول « توراس » فى الجنوب حتى المحيط ، وينحدر بوديان « شط العرب » ونهر النيل الخالد ويسير على مرتفعات عالية حيث يندر هطول الأمطار وحيث تقل مزارع الخضار .

وفى كلا العالمين الهندى والعربى بزغت واعتلت عدة حضارات ومدنيات كما هبطت وسقطت أيضا ، فالهند عاصرتها حضارة ومدنية الهاربنيين والدراوديين والآريين ، والعالم العربى هو أيضا وجدت فيه حضارة

البابليين والآشوريين والسمرائيين والفلسطينيين والمصريين ، ويعتبر عصر هؤلاء حصنا لوجود الحضارة القديمة ، وامتدت هذه الحضارات القديمة أكثر فى القرون الوسطى بفضل الامبراطوريات الاسلامية العظيمة ، واليوم كلا العالمين الهندى والعربى يتمتعان بالاستقلال والسيادة حيث حصلا على فوائد جمة بهما لكى يدعما تلك الحضارة القديمة المقدسة ، ولكى تستعيد ذكريات كل شئ حتى الويل الذى قاساه معا

وعلى ضوء هذه الحقيقة سارت شعوب العالم العربى والهندى جنبا الى جنب فى كسب الحياة والمعيشة ، وفى مشاركة ومبادلة منتوجاتهم التجارية وهكذا توثقت الصلة بصورة متينة ، صلة مادية ، وصلة روحية فكرية منذ حقب طويلة ، وبما أن ماضى هذين العالمين جزء لايتجزأ من حاضرهما فوجدت استحسانا كبيرا أن أستعيد هذا الماضى حتى يجعلنا نعرف الحاضر جيدا اليوم . ومهمتى هنا أن أعطى بعض الشئ لمساهمة الهند التى بذلته لتلك الحضارات والمدنيات فى العالم العربى . والمساهمة هذه تحوم حول ناحيتين وفى مرحلتين .

المرحلة الأولى هى قبل بزوغ الاسلام ، والمرحلة الثانية بعد بزوغ الاسلام وفى الفترة مابين هاتين المرحلتين تدعمت العلاقات الحضارية والمدنية نظرا للتعاون المتبادل بين الهنود والعرب ونظرا لالتقاء مصالحهما .

ومنذ فجر التاريخ القديم كان اتصال الهند بغرب آسيا معتمدا على الخطوط البحرية والبرية ، ونتج عن هذا الاتصال أن تسربت الحضارة الهندية التى عرفت بالحضارة « الهربانية » والتى اتخذت جذورها من القرن الرابع قبل ميلاد المسيح ، وقد انتشرت هذه الحضارة انتشارا كبيرا فى

مناطق نهر «اندس» وفى البنجاب وراجستان وكاتياوار، وججرات، وكان انتشارها فى هذه المناطق يقوم على التبادل الثقافى والمدنى والتجارى. وكثيرون من علماء الآثار يرون أن الفضل لنشر هذه الحضارة يعود الى «الدراوديين» الذين ينطقون لغة غير مفهومة، ويرى البروفسور «فرانكفورت» بأهمية الهاربانيين حيث يقول:

«لقد حدث وبدون شك بأن الهند لعبت دورا فعالا فى تدعيم المدنية القديمة التى اوجدت الشكل الأصلى لحضارة العالم قبل الحضارة اليونانية».

الحركة التجارية الرائجة القوية بين الهند و «موسوبوتاميا» أو العراق أثبتت أهميتها وصحتها تلك الختوم والبراشم والحروز «لمهانجودارو» والتى وجدت فى باطن الأرض التى يمر عليها النهران، الدجلة والفرات. وهناك عدة روايات وأساطير تحكى عن البحارة الهنود الذين كانوا يتاجرون فى هذه المناطق، منها حكاية بعض البحارة الهنود الذين وصلوا أحد الموانئ فى الخليج الفارسى يبيعون غرابا بمائة قطعة من الفضة كما باعوا أيضا طاؤوسا بمائة قطعة من الذهب وهناك أيضا مبيعات هندية مثل الأخشاب والملابس القطنية والتى، تعرف باسم «سندا» والأرز، والقرود، والطاوؤس، والأفيال. وبالاضافة الى هذه المنتوجات الهندية المستهلكة سارت وانتشرت معها العقائد الفكرية والدينية، وازياء العبادة، وفى «تل براك» شمال العراق حصل على بعض الآثار القديمة الهندية منها برشم يحمل شكل ثعبان، وهو «شيفا» آلة الحيوان «باشوباتا» و «دوجرا» راكبا نمرا وهذه كلها وجدت فى الآثار البابلية.

وكان الهنود عادة يبحرون من الموانئ الهندية الغربية حيث يدخلون الخليج العربى ويرسون سفنهم فى «البحران» حيث توجد فيها عدة ختوم ونماذج تشير الى الحضارة الهندية النابغة من مناطق نهر «أندس» ومن خلال الطرق البرية الطويلة جاء الى العراق جنود هنود حيث أسسوا حكمهم فى شمالها ويعرفون بـ «الهانيين والتاثيين» وهم يشبهون تماما «المادس» فى ايران، وأمراؤهم يحملون أسماء آرية مثل «دشراتا» وهم يعبدون الآلهة الهندية «ميترا، فارونا، اندرا وناسيتا» وقاموا بتدريب الأهالى على تربية الخيول، وجلب الكتابة السانسكريتية الى العراق فى خلال العهد البابلى.

وكان الفلاسفة يوجدون فى غرب آسيا فى أثناء العصر الالفى الهندوكى ويحكى أن أحد البراهمة التقى بالفيلسوف اليونانى «سقراط» حيث ساله «أنت تدعو نفسك بالفيلسوف ماذا تعنى بذلك؟ فأجاب سقراط بأنه يقوم بدراسة الكائنات الانسانية، فضحك البرهمى بحجة أنه من المستحيل أن يعرف الانسان الأشياء الانسانية فى الوقت الذى لم يحسن بعد له ادراك الأشياء السماوية».

و «أشوكا» هو الآخر شجع مثل هذه الزيارات وأرسل عدة مبشرين الى سوريا ومصر، وفتح الاسكندر أيضا ساعد كثير رجال الدين للاتصال فيما بينهم. ولهذا نجد من القرن الثانى قبل المسيح حتى القرن الثانى بعد المسيح أثرا كبيرا فى مدينة الاسكندرية، كله هذا جلب بواسطة الهنود باتصالهم المتدفق الذى أنتج تقدما ملموسا حتى قبل الفلسفة الأفلاطونية، هذا وقد أشار «دين ميلبرن» قائلا :— «ان ليس هناك أى شك بأن الصوفية الهندية تأسست أولا وبصورة دائمة فى مصر» ويقال بأن أفلاطون نفسه

منشق الفلسفة الأفلاطونية متأثر بالفلسفة الشرقية من النوعية الهندية ويرى المستر «دمن آنج» أيضا ذلك، ويذهب البعض فى القول بانه اذا كانت المسيحية انتشرت تدريجيا فى العالم الغربى، فالآراء والمذاهب العقائدية تبعث من الشرق وكل من «مانى» و «مزدك» يعاضدان ويبنيان مثل هذه الأنظمة الدينية ويوجد لهما أتباع وموالبين فى جهات آسيا الغربية، وتعاليمهما مبنيان على التعاليم البوذية والمسيحية والحقيقة أن كلامن أواسط آسيا ومن بينهما تركستان وخراسان مدينة للبوذية قبل ظهور الاسلام فيها ماترويه الحقائق التى ذكرها الرحال الصينى «هيون تسيانج».

وبعد ظهور الاسلام العلاقات الهندية العربية شدت بعضها البعض وأصبحت أكثر قوة وصلابة، هذا والعرب خاصا يحملون روحا عالية نحو الهنود حتى أصبح أحسن اسم يطلق على بناتهم هو اسم «هند» كما يطلقون على أجود نوع السيوف بالسيف الهندى.

والمؤرخون أيضا يرون أن هناك كانت توجد قبائل فى عهد الرسول محمد عليه الصلاة والسلام مثل قبائل «الجاتس» التى كانت تسكن العراق والعربية السعودية، والشيخ البخارى أيضا يذكر فى كتابه «كتاب الأدب المفرد» حيث يروى عن مرض السيدة عائشة زوجة الرسول عليه الصلاة والسلام كان يقوم بعلاجها طبيب هندى ينتمى الى قبيلة «الجاتس».

والعرب منذ العهد الجاهلى مغرمون بشراء المبيعات والمنتوجات الهندية حتى أن كثيرا من أسماء السلع الهندية امتزجت باللغة العربية وحتى بعضها هذه معروفة أيضا للرسول عليه الصلاة والسلام مثل كلمة «زنجبيل» وكافور وغيرهما، وبعض منها مثل كلمة صندل «تمبل، قرنفال، فلفل، هيل جيفل، زعفران، باليلا، هاليلا، كرفس، نارجيل».

واستطاعت الهند أن تجذب اعجاب الكثيرين من العرب مما جعل عددا كبيرا من المسافرين العرب يقومون بزيارة الهند عدة مرات ومن هؤلاء التجار والمسافرين العرب الذين بهرتهم جمال الهند وطبيعتها التاجر سليمان وأبوزيد الصيرافى، وأبودلف المهلهل، وبزرج بن شهريار، والمسعودى، وابن حوقل، والمسعودى والبرنى وابن بطوطة. والروح السامى والاعجاب الشديد عند العرب يمكن أن تحصل عليهما فى المؤلفات والكتابات فى النثر والشعر، ويقول أحد الشعراء العرب هذا القول :—

«بحياتى أن هطول الأمطار فى الهند تجعل من قطراتها تتساقط كأنها

لؤلؤ وياقوت للذين لايملكون الحلى».

ومن هنا من أرض الهند ياتى المسك، والكافور والعطور، للذين

يحتاجون مثل هذه الأشياء.

ومن هنا من أرض الهند توجد أنواع الروائح الشذية وجوز الهند

الفواح.

وهنا فى أرض الهند توجد الأسود والنمور والفيلة كما توجد الكراكى، والببغاوات، والطواويس، والدواجن. هنا فى أرض الهند توجد أشجار الكاكو والتوابل والبهارات، وهنا أيضا تصنع السيوف التى لاتحتاج الى صقل، والحربات التى اذا استعملت فى الحرب تطيح بالعدو هزيمة.

من الذى ينكر ويجحد محاسن هذه الأرض، ليس أحد هناك سوى

الغبى.

وقد قال المؤرخ المعروف اليعقوبى عن الهند قائلا :— «الهنود رجال علم وفكر، وقد أفاقوا كافة الأمم فى كل حقل طرقوه من العلم، حكمتهم

ومعرفتهم فى الحلول الفلكية دائما صائبة وحسنة ، وهم متقدمون جدا فى علم الطب أيضا ، ويملكون كتبا ومؤلفات كثيرة فى علم المنطق والفلسفة التى تحمل المبادئ التى يحملونها كما أن هناك كتب ومؤلفات عديدة أخرى» .

والمؤرخ أبو معشر يقول أيضا :ـــ

«الهنود أول الخلق عرفوا بكثرة السكان ، وينتمون الى أرض حقا مقدسة ، وجميع الأمم القديمة تفوق عقليتهم الجبارة ، فى توفقهم فى شتى المراحل العلمية ، والهنود فى رأى جميع الأمم أمة ذات عقل واسع ، وهم منبع للعدالة والكفائة فى الشؤون الادارية . »

ومثل هذا الشعور بالنسبة للهند تمتق وتبلور كثيرا وخاصة فى أن الهند ساهمت كثيرا فى تدعيم وتركيز الحضارة الاسلامية فى شتى النواحى العلمية والأدبية والفلسفية والدينية والفضل يرجع الى الفهم الذى وجد فى العرب بالنسبة للحضارة الهندية ، فالحضارة الهندية كان لها تأثير فى العائلة الحاكمة للخلفاء العباسيين كالمنصور ، وهارون الرشيد ، والمامون ، لوجود وزراء ينتمون ، الى اصل برمكى وكانوا يسمون برامكة وكانوا يرجعون فى أصلهم الى الأصل البوذى ورؤساء نوبهار من بلخ حسب ما ذكره العمرى «فى مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار» وأسس ملك هندى نوبهار حتى أن آخر البرامكة تلقى دراسة فى كشمير وأتى الى بغداد حيث عين وزيرا .

وتحت رعاية العائلة البرمكية أصبحت بغداد مركزا للتعاليم الهندوكية وكما يظهر بأن اسم بغداد اسم هندى أصله مكونة من كلمة «بغ» وهى سانسكريتية أصلها «باج» بمعنى «رب» أو «اله» وكلمة «دا» أيضا سانسكريتية بمعنى «يعطى» أو «هبة» وكلمة بغداد كاملة معناها «هبة الله» .

ومن الناحية العلمية أيضا الهند كان لها دور كبير فى ذلك ، فمخترعات الهند فى الرياضيات مثل الكسور وكتابة الأرقام مثل « صفر » كل هذه انتقلت الى العالم العربى بعد أن قام « الفزارى » بترجمة سيدانتا ابرهماجيتا فى سنة ٧٧١ ميلادية وبعد مدة قصيرة استعار يعقوب ابن طارق بعض المبادئ والنظريات الهندية الفلكية فى كتابه « تاريخ الفلك » كما أن المؤرخ البيرونى قام بترجمة « ساريا سيدانتا فيرامهيرا » وأدخل محمد ابن جابر البستانى علم النسبة والمثلثات التى تستعمل فى الهندسة الاريابايتية الهندية ، وهكذا انتقلت شتى الطرق الحسابية وعلم الجبر وعلم الفلك الى العلم العربى بواسطة علماء كثيرين مثل « الخوارزمى » الذى أخذ اسمه مكانا مرموقا فى جداول علم اللوغارتيمية ، كما أشتهر ابن واشيا وأبو معشر ، وتعرف العالم العربى بواسطتهما على بعض المصطلحات مثل « جيا » والتى ظهرت بالعربية « زج » وكذلك مثل « جيب » و « أوتش » واللتان أصبحتا « أوج » و « أجين » .

ومن كلمة « اجين » جاءت الكلمة العربية « اوزين » وبحذف النقطة من الزاى تحولت الى كلمة « أُرين » ثم الى « آرين » .

وقد قوبل العلم والأدب والطب الهندى بحماس كبير فى عهد الخلفاء العباسيين ، كما أن التراجم العديدة وجدت طريقها الى اللغة العربية مثل « شراكا » و « سوشروتا » كما أن كتبا طبية أيضا ترجمت مثل « أشتانجريديا » « ندانا » و « سيداهيجا » وعقاقير الترياق ، وأمراض النساء .

وقد استطاع على بن ربان الطبرى أن يضم بعض العلوم عن الطب الهندى فى كتابه الضخم « فردوس الحكمة » كما أن الطبيب الشهير الرازى

قد ذكر أيضا ذلك فى كتابه الجامع المعروف بالحاوى الكثير من أنواع الأمراض البدنية ونوعيتها ، وهكذا تعرف الأطباء العرب على النظم الهندية المتعلقة بعلوم الانسان والنفس وما على شاكلتهما .

وهناك عدة مواضيع أخرى هندية أيضا اهتمت بدراستها ، وكان لها تأثير بالغ مثل الموسيقى ، والطرق الحربية ، والسياسية ، والكيميا ، والمنطق ، والبلاغة ، وعلم الفلك ، والسير ، وما هو أكثر من ذلك متعة هو نقل الأساطير القصصية الهندية الى العالم العربى مثل « كتاب بانشاتانترا » المعروف بـ « كليلة ودمنة » الذى يعبر عن القيم الاخلاقية بطريقة ملائمة بواسطة الحيوانات والطيور . وأول ما وصلت هذه القصص فى ايران اذ ترجمها برزو الى اللغة البهلوية ، ثم انتقلت الى البلاد العربية حيث ترجمها الكاتب الايرانى « ابن المقفع » الذى اعتنق الاسلام دينا له . هذا كما أن قصص « ألف ليلة وليلة » المشهورة تضم عدة أساطير وروايات ، ليس من شك بأنها هندية المنبع . وكتاب « مهابهارتا » ترجمه الى العربية أبو صالح بن شعيب ومرة ثانية ترجمه أبو الحسن على الجبلى .

وهناك عدة قصص هندية ترجمت من اللغة السانسكريتية الى العربية وأهم هذه الكتب كتاب يحوى قصة حياة « بوذا » وأتباعه ، وقد الفت فى بداية الأمر كتب كثيرة ، وأهمها كتاب اسمه « بوذا شارينا » ألفه أسواجوشى واكتشف ترجمته فى أواسط آسيا الكاتب « استيين » ومثل هذا العمل انتشر كثيرا فى اواسط آسيا وغربها حتى المؤلفات الغرامية أيضا لعبت دورا هاما مثل « بارلام وأوصاف » قدمه « شناك » عن الأمير البوذى .

ومن خلال هذه المواقف والمراجع والترجمات انبثق العمل العربى منذ ثمانمائة سنة وسمى هذا العمل بـ « بلوهر وبوذاسف » والكاتب ابن النديم

ذكر ذلك فى كتابه « الفهرس » وأضاف بأن الشاعر البغدادى ، ابن اللاحق ترجم ذلك الى الشعر العربى ، وابن بابيا اقتبس من هذا الكتاب نفسه فى كتابه «كتاب اكمال الدين واتمام النعمة » وهناك أيضا كتابان عربيان آخران يحويان نفس الموضوع ككتاب « البده » الذى يحوى عدة حكايات عن « بوذا » وكتاب « بوذ اسف مفرد » الذى يتضمن مواضيع فيها نصائح وارشادات التى ينبثى عنها كتاب « نهاية العرب فى أخبار الفرس والعرب » ويذكر مؤلفو رسائل اخوان الصفا محاورة بلوهر مع بوذاسف وهكذا دخلت أسطورة « ساكيا مونى جوتم » البودية فى بعض العقائد والمذاهب الاسلامية الا أن نتائجها لم يحمنها بعد فقهاء العلم والدين والتعاليم الهندية ايضا لها أثرها فى التصوف الاسلامى مالا ينكر مداه .

وجاء هذا التأثير عن طريقين ، طريق مباشر والثانى غير مباشر ، ومن خلال الفلسفة الأفلاطونية ، وأما ما يتعلق بالناحية المباشرة فمؤلفات المعتزلة تعطى بعض المصادر والحقائق ، والسيد « نظام » رائد هذه المدرسة كان له ثلاثة تلامذة هم : أحمد بن هبيت ، فضل الحديبى وعمرو بن ابى بكر الجاحظ . فالأولان أدخلا نظريات الرؤية الجميلة الهدف الهندوكى لمعرفة السر الالهى ، أما نتاجات الأخير فتحوى على كثير من الآراء الهندية حيث يشير بأن الأشياء الصعبة الدينية كانت تناقش وتبحث بين رجال الدين والفكر من العرب والهنود مثل مشكلة « صفة العرب » فنصور الحلاج زار الهند وقوله أنا الحق يعكس الفلسفة الويدية الهندية تمسك بعقيدة « الحلول » التى تغير تجسد الروح الالهية فى الانسان نفسه ، كما أن بايزيد البستامى تعلم الشئ الكثير عن عقيدة «نيرفانا» أى الفنا وعلى هذا الشكل

فان غالبية العقائد وممارستها هى من وحدة «ويدانتا» مثل وحدة الوجود للرحلة الروحية، و«باتا» و«سولوك» وهكذا دخلت المذاهب الهندية الأخرى فى التصوف الاسلامى وفلسفة العارفين.

ومن أجل هذا سارت حركة التصوف قدما نظرا لأخذ قاعدتها من تلك الفلسفة الهندية فى التنظيم والقوانين والطرق أيضا، واستمرت العلاقات العربية تتقوى أكثر مع الهند حتى أفول الخلافة العباسية، وفى أواسط القرن الثالث عشر «بغداد» سقطت فى أيد المغول مما أدى الى انتقال المدنية العربية الى أرض الكنانة، ونتج عن ذلك نوعا من الأفول بالنسبة للمدنية العربية كان له تأثير قوى فى أضعاف الصلة الوثيقة الهندية العربية.

ابن ماجد قبطان البواخر العربية ادحر الى المحيط الهندى حيث أرشد الاسطول البرتغالى بقيادة «فازكوديجاما» وقاده من سواحل افريقيا الشرقية الى الميناء الهندى «كاليكت» ولكن بعد ذلك دحر البرتغاليون العرب والاتراك بعيدا عن المياه الهندية حيث كونوا صلة بين الهند وآسيا الغربية، وبعد أفول العهد الالفى السعيد نرى مرة ثانية بزوغ عهد جديد من العلاقات لكلا العالمين القديمين العربى والهندى.

«العلاقات التجارية بين الهند والعرب»

(من القرن العاشر قبل الميلاد إلى العصر الحديث)

الدكتور مقبول أحمد

التقديم

إن القيام بدراسة وافية للعلاقات السياسية والثقافية والاقتصادية التى كانت موطدة بين الهند والشعوب العربية فى غربى آسيا وأفريقيا الشمالية خلال القرون الماضية قد أصبح من الأعمال الأكاديمية التى لم يمت أوانها فقط بل هو من المهمات التى تحتمها مقتضيات اليوم. وإن تحرر الهند والشعوب العربية من نير سيطره الحكم الأجنبى فى السنين الأخيرة أتى بعهد جديد مليئ بالتعاون الثقافى والاقتصادى المبنى على أسس متينة حيث لم يسبق له مثيل فى تاريخهما المديد. ومن البشرى والأمل أن هذا التعاون مازال فى تحسن متواصل يوما فيوما.

وأما فى الحقل السياسى فيواجه كلا الشعبين معضلة الكتلتين العسكريتين لأجل كونه لم يحرز بعد درجة الشعوب الناهضة فى العالم سواء فى الميدان الاقتصادى أو الصناعى. ولكن قلما نجد شعوبا قد أبدت شجاعة فائقة وحصافة وتبصرا فى التمسك بأفكار سياسية مستقلة مثل الهند والعالم العربى فى الأيام الأخيرة فى وجه النظريات المتصادمة والتسابق على السيطرة والقوة والنفوذ الدولى. وأن الحكمة السياسية التى تم نضجها خلال الكفاح المديد الذى جرى فى سبيل الحرية أسرعت بالمساواة الاجتماعية والاقتصادية التى هى الآن فى مدارج الوصول إلى أوجها. وأما

الدعامة الرئيسية التى تقوم عليها سياسة هذه الشعوب الخارجية فهى «الحياد» ولم تكن هذه السياسة المشتركة ناتجة من أى ضغط اقتصادى أو سياسى من دولة على أخرى ولكنها من نتاج الرغبة الملحة من كلا الطرفين فى استتباب السلام وبث روح الصداقة فى داخل البلاد وخارجها. وهذه حقيقة حتمية لا مفر منها للرفاهية الاجتماعية والاقتصادية فى عالمنا الحاضر وانما هذه المشاعير تولد فى قلوب الشعوب الهندية والعربية وجهة نظر سياسية مشتركة فى القضايا العالمية وتوجد أحاسيس العطف والتعاون فى المسائل ذات المصالح المشتركة. وفوق هذا وذاك فقد لعبت عوامل عديدة - مثل مؤتمر باندونج وغيره - دورا هاما فى سبيل تنمية هذه المشاعير أكثر فأكثر.

ويمكن أن يقال بأن الصفة المميزة لعلاقات الهند الراهنة مع البلدان العربية لمنبعثة من الكفاح المشترك ضد السيطرة الأجنبية ومن القضايا المتماثلة فى الميادين الاجتماعية والثقافية والاقتصادية. ولا نجد فى صفحات التاريخ فترة توثقت فيها هذه الصلات فى ود وإخلاص وجو سلمى أكثر مما هى اليوم ولا سيما فى المضمار الثقافى. فان القيام بدراسة جدية متقنة لهذه النواحى من تاريخ العلاقات بين الهند والعرب ليرسل الأضواء على مجموعة من المعلومات القيمة الشيقة التى تكون محل اهتمام بالغ لدى عالم مؤرخ ورجل عادى على حد سواء. وأن استذكار الصلات الماضية الطيبة يوجد فكرة سليمة وشعورا نافعا متبادلا بين الهنود والعرب وكما أنه يساعد على تدعيم الروابط الحاضرة وتوطيد أركانها. وقد مست الحاجة اليوم - إلى أقصى حد - إلى القيام بدراسة من هذا القبيل، على أن بعض المؤرخين قاموا ببذل مساع جميلة فى سبيل تحقيق هذا الموضوع

من الناحية التاريخية المحضة . واسمحوا لى لأن أخطو خطوة أخرى إلى الأمام فأقترح بضرورة بذل المحاولات الممكنة كلها فى ترجمة الكلاسيكية الهندية إلى العربية والآداب العربية فى القرون الوسطى إلى الهندية . وأن ترويج هذه الآداب بطريق اللغتين الهندية والعربية ليخلق شعوراً مليئا بالاحترام والود والتسامح بين العرب والهنود .

وأما بالنسبة إلى العربية فيجب أن يوجه اهتمام خاص نحو الآداب المتعلقة بالهند ـ ويرجع تاريخ هذه الآداب ـ التى هى المصدر الأصلى لمواد هذا المقال ـ إلى منتصف القرن التاسع للميلاد ـ ومما هو خليق بالذكر من أسماء مشاهير الكتاب عن الهند : سليمان التاجر ، وأبوزيد السيرافى ، والمسعودى ، وابن رسته ، واليعقوبى ، والاصطخرى ، وابن حوقل ، والمقدسى ، والمروزى ، والبيرونى ، وابن بطوطه ، والعمرى ، وابن خردازبه ، والبلاذرى ، وابن الفقيه ، وبزرگ بن شهريار ، وإبراهيم بن وصيف شاه ، والادريسى ، وياقوت الحموى ، وأبو الفداء ، والقلقشندى وابن ماجد وأمثالهم . وهؤلاء الكتاب كانوا يعيشون فيما بين القرنين التاسع والسادس عشر وأن مؤلفاتهم ورسائلهم العلمية والتاريخية تزودنا بمعلومات ذات قيمة عظمى عن الهند وشعوبها . وأتناول فى هذا المقال ـ أولا وقبل كل شئ ـ علاقات العرب التجارية مع الهند منذ القدم إلى العصر الحديث . والتعبير « بالعالم العربى » هنا ، يشمل الشعوب التى تتحدث باللغة العربية فى غربى آسيا وأفريقيا الشمالية . وأن تاريخ هذه العلاقات ليعود إلى عهد الملوك البطالمة فى مصر والحضارة الحيرية فى جنوب جزيرة العرب . وقبل ظهور الاسلام بقرون عديدة كان التجار

العرب - لاسيما من الشواطئ الجنوبية لجزيرة العرب أو الخليج الفارسى. يتاجرون مع الهند ويعملون كوكلاء للتجارة بين الهند والبلدان الغربية مثل مصر واليونان وغيرهما. ويقول المؤرخ «سترابو»: «إن العرب ماكانوا - مطلقا - قوما محاربا فى البر وبالأحرى فى البحر بل وكانوا تجارا ليس إلا»[١].

وهذا التنويه انعكاس حقيق للميزة الأساسية لعادات العرب، فهم قوم تجارى بحكم الطبيعة والبيئات وإن لم تكن تنطبق هذه القاعدة بمفهومها الكامل إلا على الذين يقطنون فى المناطق الساحلية ولا تنطبق بكثير على الذين يعيشون فى أواسط جزيرة العرب. وما زالت هذه الميزة مظهرا حيا لطبيعة العرب حتى بعد ظهور الاسلام فى النصف الأول للقرن السابع الميلادى وأيلولة الغلبة السياسية على الشرق الأوسط إلى ايديهم. واستمر ذلك المظهر سائدا العلاقات بين الهند والعرب خلال القرون التالية. ولم أجرؤ على هذا التصريح بكل وثوق ووضوح إلا أن الحقائق التاريخية تؤيده، فاذا استثنينا واقعة فتح العرب للسند فى السنين الأولى للقرن الثامن، وحكمهم على تلك المنطقة لمدة قصيرة فكانت علاقاتهم مع الهند دائما وأبدا مبنية على الوسائل الثقافية أو التجارية الخالصة. وإذا قلنا بلغة «وولسلى هيج»: فان فتح العرب للسند ماهو إلا حادث بسيط فى تاريخ الهند ولم يؤثر إلا على طرف من أهداب هذه البلاد الفسيحة. وتخمدت سلطة الخليفة فى عام ٨٧١ حيث أسس

---

(١) G. F. Hourani, Arab Seafaring, Princeton, 1951, P. 30

زعيمان عربيان إمارتين مستقلتين فى كل من «ملتان» و «منصورة» . وعلى رغم عدم الوصول إلينا تفاصيل تاريخية عن هذين الأميرين فالذى يبدو أنهما قد خولا الشؤون الادارية للبلاد - إلى حد كبير - إلى المواطنين الأصليين[1] وعاملا بكل سماحة واحترام تجاه الديانة الهندوسية . وتؤيد هذا الرأى الحقيقة التاريخية بأن سكان المنطقة قد بكوا لفاتح السند محمد بن قاسم حينما غادر الولاية أخيرا[2] .

بينما كان العرب فى السند فى علاقة تآمرية مع الأمراء الجيران، كانت الأسرة الحاكمة «حور جاوا براتهارا» فى قنوج وأمراء أسرة «راشتر كوتا» فى الدكن يحمون التجار العرب الذين يقيمون فى مملكتهم ويعاملون معهم بكل حب ووداد[3] . ودبروا لهؤلاء التجار جميع أنواع التسهيلات اللازمة لمهنتهم ولصيانة ممتلكاتهم وأرواحهم، واحترموا دينهم ومعتقداتهم وفوق هذا وذاك . فمنحوا حرية تامة وتسهيلات كافية لبناء المساجد وما إلى ذلك وهؤلاء الأمراء كانوا يعرفون لدى العرب بلقب «بلهرا» كما كان «جوجارا» يعرفون باسم «الجرز» وكانوا يعتبرون كألد أعداء العرب[4] . وربما يرجع منشأ هذا الاعتبار إلى أن أمراء «راشتركوتا» قد اتبعوا سياسة ودية تجاه العرب بناء على مأرب سياسى خاص مع

---

(١) Wolsely Haig, The Cambridge History of India, V. III. PP. 9-10.

(٢) تاريخ الاسلام ص ٣٤٩ الجزء الخامس - للدكتور حسن ابراهيم حسن

(٣) Sulyman Relation de la Chine et de l'Inde, ed. Jean, Sauvaget, Paris, 1948. P. 12

(٤) Ibid : P. 13.

أن كانت علاقتهم السياسية مع «جور جارا» أومع الأمراء الآخرين مثل «بالا» فى البنغال - مبنية على الود والسلام. ولسوء الحظ فكانت تلك الفترة مسرحا للتطاحن السياسى بين هذه الأسر الحاكمة الثلاث القوية فى شمال الهند ووسطها - وكان العرب، من دورهم، متنبهين جدا إلى هذه العلاقات الشائكة ومدركين مغبتها.[١]

وهناك عامل آخر لاينبغى التغاضى عنه فى معرض الكلام عن العرب فى السند، وهو أنهم كانوا منتمين إلى قبائل البدو المستوطنة فى أواسط جزيرة العرب، والتى تحمست بحمية دينية وسياسية، ومن الناحية الأخرى كان العرب التجار فى جنوب الهند منحدرين - كاهم أوجلهم - من السواحل الجنوبية لجزيرة العرب أو القادمين من الخليج الفارسى. مهما كان الأمر فان فتح السند كان حقيقة تاريخية ولكن منذ ذلك الحادث لم يسجل التاريخ أى حادث تغلغل إلى الهند أو الاعتداء عليها من جانب العرب. وبالغ المؤرخون أحيانا فى تصوير الوقائع التاريخية حتى أن بعض المؤرخين العرب المحدثين قد شوهوا الحقائق وسجلوا معلومات غير صحيحة فى مكتوباتهم. و أما تصريح الدكتور حسن إبراهيم حسن بأن كشمير قد فتحها العرب فى أيام الخليفة أبى جعفر المنصور وكذلك قوله بأن فتح العرب قد استمر إلى القرن الثانى عشر للميلاد فما هو إلا تخليط للحقائق وتشويه للتاريخ.[٢] و

W. H. Moreland and A. C. Chatterjee, A Short (١) History of India, PP. 113-114.

Op. Cit. V. II pp. 217-218. (٢)
إن كلمة كشمير كانت تشمل المناطق العليا من بنجاب الحاضرة أيضا لدى المؤرخين العرب الأول.

انحسر مد الاسلام بعد أن غمر السند والبنجاب السفلى وترك طرح البحر فى شواطئه. ولم يكن أمراء الولايات الواقعة وراء الصحارى يوجهون أى خطر يحدق بهم. ولكن الترك الذين اتوا بعد العرب كانوا يحاولون لنشر الدين الذى بعث به النبى العربى، بأسلوب أشد مما كان العرب أنفسهم يستخدمونه فى سبيل نشره والدعوة إليه[١].

العهد الرومانى ــ اليونانى

(من العصور الأولى إلى القرن الثالث للميلاد)

كان اليونان والرومان يأخذون زمام النشاط التجارى فى بحر العرب منذ العصور الأولى إلى القرن الثالث للميلاد مع أن كان التجار العرب يلعبون دورا هاما فى هذه التجارة منذ القدم. وقد طرد العرب الأوائل المنحدرون من قبيلة قحطان «العرب الحمر» من اصل فينيق، من جزيرة العرب. وكان ذلك فى عام ألف وثمانمائة قبل الميلاد. ثم أسس حضرموت مملكة حضرموت فى السواحل الجنوبية. وهؤلاء العرب لعبوا دور الوكلاء للتجارة بين الهند ومصر. وكانوا يصدرون إلى مصر الأحجار الثمينة والتوابل والبخور بمقابل البضائع التى اشتهرت بها مصر حينذاك. وحملوا إليها البهارات و «الموسلين» إما من الهند مباشرة أو من التجار الهنود فى موانئهم فى خليج العدن.

وبفضل هذه التجارة الرابحة والاتصالات المستمرة بين هاتين الحضارتين العظيمتين فى الشرق ـ أى الهندية والمصرية ـ شيد العرب بأنفسهم حضارة سامية متخذة مركزها السياسى والثقافى فى «سبأ» ـ وأن قول

---

(١) Wolsely Haig, op. cit. V III, p. 10

اجاثارشيدش يثبت بأنه لم تكن هناك أمة أغنى وأثرى على وجه الأرض من السبئيين بحكم موقعهم فى مركز تجارى إستراتيجى حيث يلتقى فيه جميع الطرق التجارية بين آسيا وأوربا[١].

وعندنا شواهد أخرى تاريخية تدل على العلاقات العربية القديمة مع الهند. فكانت السفن التجارية تصل إلى «اوفير» مرة فى كل ثلاث سنوات فى عهد سليمان وتحمل من هناك الذهب والفضة والمجوهرات والبخور والعاج والقردة والطاووس وغيرها[٢]. وكانت للهنود مستعمرات تجارية خاصة فى جزيرة «سوقوطره» ويقال بأن الملك بطليموس الثانى الذى كان يحكم مصر قد عرض فى استعراض ملكى نظمه مرة فى عاصمته النساء الهنديات والثيران والمرمر المستوردة من الهند.

وتتجلى أهمية هذه العلاقات التجارية التى كانت تقوم بين الهند ومصر وجنوب جزيرة العرب فى تلك العصور، من حقيقة تاريخية أخرى ألاوهى أن الاسكندر قد بنى مدينة «الاسكندرية» بنطاق واسع، فأثر بناؤها على اقتصاديات الهند وجنوب جزيرة العرب. وأن الفترة التى فيما بين عام ٣١ قبل الميلاد و ٩٦ للميلاد لتعد عصرا ذهبيا فى تاريخ التجارة الرومانية واليونانية مع الهند. وأن الشحنات التجارية من مصر إلى الهند بدأت فى الاضمحلال إبان الحكم الواهى فى عهد الملوك البطالمة فى القرن الثالث للميلاد. وأصاب المواصلات التجارية اليونانية الخارجية ركود واضح منذ أن ساد تدهور اقتصادى الامبراطورية الرومانية وهبوط

---

(١) Hadi Hasan — A History of Persian Navigation, London. 1928, pp. 45-47.

(٢) G. H. Hourani, op. cit. pp. 8-9.

هائل فى العملة الأجنبية ويشهد على هذه الواقعة التاريخية التغيب النهائى للنقود الرومانية فى الهند بعد عهد «كارا كلا» (٢١٧ - ٢١٢ للميلاد).

ومن الموانئ المصرية الرئيسية التى لعبت دورا هاما فى الميدان التجارى إذ ذاك «مايوس هرموز» و «بيرنيس» وكانت السفن المتوجهة إلى الهند تغادرها فى شهر يوليه. فاذا سمحت لها الظروف لعبور البحر الأحمر قبل أوائل سبتمبر فان الموسم ليكون مناسبا جدا لسفرها فى المحيط الهندى. وتشحن تلك السفن عادة من مدن ارياكة (خليج كمباى ؟)[1] و «برى غازا» (بروج) المنتجات المحلية مثل القمح والأرز والزبد الصافى والسمسم والزيت والقماش والزنانير، والعسل من حب «السكرين» كما أن تحمل المنتجات الهندية الشهيرة الزراعية إلى مدن السواحل الشرقية الأفريقيا.

وأن مدينتى «موزا» و «بطرا» لمن المدن التجارية الشهيرة فى شبه جزيرة العرب. ونالت السواحل الشرقية للبحر الأحمر صيتا بعيدا للتجارة بطريق مروئى، قنا، و «موشا». وكانت من الموانئ الهامة التجارية فى تلك الأزمان بالخليج الفارسى الأبلة و «محمرة» فى شط العرب. وكانت السفن التجارية دائمة الغدو والرواح بين «برى غازا» وبين هذه المدن مشحونة بالنحاس والصندل والساج وصفائح الخشب وغيرها. وتزعمت «عمان» دهرا طويلا صناعة السفن فى منطقة الخليج الفارسى. واشتهرت هذه الموانئ أيضا لتصدير القماش والخمور والأحجار الثمينة والتمر والذهب والعبيد إلى «برى غازا». وأما الموانئ والأسواق التجارية الشهيرة فى

(١) أليس من المحتمل أن تكون «اوكهامندل» من شبه جزيرة كاتياوارا

السواحل الهندية فى ذلك العصر، فكراتشى، وبرى غازا، فى الشمال و «موسيرى» (كرانغور) و «نالكيندا» (ادكوتايام) فى الجنوب الغربى و «قرة»، و «بودوكا»، و «سوباتما» فى الجنوب الشرقى وجنجس فى شاطئ نهر جنجس الهندي الشهير. وكان كل من موسيرى ونالكيندا يصدر كمية وافرة من الفلفل والأحجار والحرير بينما كانت موانئ «كوروموندال» تتزعم التجارة فى الأشياء البحرية والبرية بطريقة واسعة النطاق. وتولت شواطئ جنجس زمام التجارة مع الرومان. ويبدو بأن الرومان قد زاروا الصين فى مختلف المناسبات فيما بين عهدى ٢٢٦-١٦٦ للميلاد. ولكن الخط البحرى الموصل إلى الصين لم يكن من اكتشاف الرومان لأن السفن الصينية لوصلت إلى سواحل «مالابار» فى القرن الثانى أو أسبق منه قبل الميلاد.

العهد الساسانى

شاهدت منطقة غربى آسيا تطورات سياسية عديدة أثناء فترة اضمحلال التجارية اليونانية - الرومانية مع الهند فى القرن الثالث وظهور الاسلام فى القرن السابع للميلاد، فنشأت الامبراطورية الساسانية فى إيران وجعلت عاصمتها «مداين» التى كانت تتولى زمام التجارة فى الشرق إلى عهد ظهور الاسلام فى جزيرة العرب. وأما الانحلال فقد وصل إلى حضيضه فى الدولة الحميرية فى جنوب جزيرة العرب حينما اعتنق «ذو نواس» اليهودية واضطهد نصارى نجران فأثارت هذه الفعلة من جانبه سخط الحكام المسيحيين فى الحبشة، وأصبحت الدولة الحميرية عرضة

---

(١) أنظر مؤلفات هادى حسن وجى. اف. حورانى لمزيد من التفاصيل

لهجمات الأحباش مرات عديدة. وفى الأخير فتحت اليمن بلاد الفرس بعد عام ٥٧٠ وقبل عام ٥٧٩ أى قبل وفاة «نوشروان» وبعد ولادة النبى محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم). وأن سقوط الدولة الحميرية او ازدياد نفوذ الساسانيين فى الملاحة فى بحر العرب تركا أثرا بالغا فى العلاقات التجارية العربية بالهند. وبسبب هذا التطور انتقلت كفة الرحلات التجارية التى كانت تجرى بين مصر والهند منذ عصور بالغة فى القدم، إلى أيد الفرس.

وعلى هذا فقد أصبح الفرس زعماء النشاط التجارى فى بحر العرب فى القرن الذى سبق ظهور الاسلام. وازداد ترداد سفنهم التجارية إلى موانئ الهند وكما أن أصبحوا وسطاء فى تجارة الحرير بين الصين وبين العرب وكثر أيضا ترداد السفن التجارية بين الهند والمدائن فى شواطئ دجلة وميناء «أبلة» حتى اشتهرت هذه الميناء باسم: «فرج الهند» أى «ركيزة الهند» نظرا للعلاقات الوطيدة لطريق البحر بين الهند وبين هذه الميناء. ومن الموانئ الأخرى ذات الأهمية العظمى فى الميدان التجارى فى تلك العصور «سندهو» و «أور هوتا» و «كاليان» و «سيبور» وتليها فى الأهمية الأسواق التجارية الحسنة فى الشهيرة فى «مالى» (Male) التى كانت مركزا لتصدير الفلفل.[1]

العصر الاسلامى

(من عام ٦٢٢ إلى القرن الثالث عشر للميلاد).

توصف الفترة التى تلت ظهور الاسلام فى القرن السابع للميلاد إلى العاشر منه «بالعصر الذهبى» للعلاقات التجارية وغيرها بين الهند وبين

---

(١) راجع مؤلفات هادي حسن وجي. اف. حوراني

العالم العربي . ونشأ الاسلام فى الحجاز وانتشر منها إلى النواحى الأخرى وكان سكان الحجاز - عكس ما كانت عليه حالة العرب المقيمين فى جنوبى جزيرة العرب - تجارا بريين ، واتخذوا «مكة» التى كانت ملتقى الطرق بين الشام واليمن مركزا لنشاطهم التجارى وفى الوقت نفسه كانوا يقومون ببعض التجارات البحرية أيضا . وتولوا مهمة القيام بدور وكلاء التجارة بين مصر وحبشة والحجاز متخذين ميناءهم الرئيسى فى مدينة « جدة » . وكانوا - فى تجارتهم البرية - يشترون البضائع الهندية بطريق اليمن فيبيعونها فى مكة وغيرها من المدن الهامة فى الحجاز . وجرت العادة إذ ذاك أن تقام بمكة سوق سنوية تباع فيها السلع المستوردة من صنعاء والشام وغيرهما إلى سكان البادية الذين يجتمعون فيها لشراء المطالب السنوية منها . وكما أنهم يعبدون فى تلك المناسبة الأصنام المنصوبة فى الكعبة . وأما قريش مكة - حراس الكعبة وسدنتها - فكانوا يتزعمون النشاط التجارى فى مدينة مكة . ولاغرو إذ نشأ الاسلام فى هذه المدينة التى كانت المركز الحساسى للنشاط التجارى والثقافى للحجاز فى ذلك العصر ثم انتشر منها إلى بقية البقاع وخليق بالذكر بأن داعيته أيضا كان من تجارها البارزين .

ومن ضمن البضائع التى كانت تستورد من الهند حينذاك وتباع فى أسواق الحجاز ، «السيف المهند» المعروف لدى العرب . وأن البدو بمركز كونهم ينتمون إلى قبائل متعددة يعلقون أهمية كبرى على الأدوات الحربية ويعتنون بها عناية فائقة . واستوردوا السيوف من كل من اليمن والهند فالتى تستورد من اليمن كانت مصنوعة من الحديد الوارد من الهند والأخرى مصنوعة فى الهند نفسها . وامتازت السيوف الهندية بليونتها

وحدتها . ونرى الأشعار الجاهلية مليئة بذكر هذه السيوف وغيرها من السلع الهندية والتى كانت شائعة لدى البدو فى جزيرة العرب[١]. ومن العوامل الهامة التى ساعدت على تطور التجارة العربية الهندية ظهور الدولة العربية وانتشار قوتها السياسية التى اكتسحت رقعة واسعة تمتد فيما بين جزائر «كنار» فى الساحل الغربى لأفريقيا غربا وحدود الصين شرقا وبين قوقاز شمالا وسواحل بحر العرب جنوبا . وأما إلحاق «السند» إلى حظيرة الامبراطورية العربية فقد عجل تطور التجارة البرية مع الهند . ولكن القوة الدافعة الكبرى للاسراع بالتجارة البحرية بين الهند والعرب فقد ابتدأت منذ تأسيس الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور مدينة «بغداد» بقرب قرية ساسانية قديمة كانت تعرف بهذا الاسم[٢].

وكان تعمير مدينة بغداد حدثا هاما فى تاريخ العلاقات التجارية بين الهند وبين العرب فلاول مرة فى التاريخ قد ارتبطت عاصمة الامبراطورية العربية مباشرة بطرق مائية مع بحر العرب بواسطة نهرى «دجلة» و «فرات» اللذين يجريان معا صوب الخليج الفارسى . وبينما استمرت الموانئ القديمة مثل «أبلة» ودارين وصحار فى أن تلعب دورها كالمعتاد[٣]، تطورت «بصرة» وأصبحت فى القرون التالية بمثابة «ايورابول» بالنسبة إلى العرب حيث

---

(١) التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية لصالح أحمد العلى . طبع بغداد ١٩٥٣ ص ١١٧-٢٢٠ .

(٢) فان بناء مدينة بغداد قد استغرق حوالى أربع سنين ـ أنظر «تاريخ العرب» لحتى (Hitti) طبع لندن

(٣) صالح أحمد العلى Op. cit. pp. 230-232.

كانت محطة التصدير والاستيراد بين الشرق والغرب . وادخرت فيها البضائع الواردة من الهند والصين ومصر وأفريقيا الشرقية وغيرها من البلدان . ومنها كانت توزع فى شتى المراكز التجارية فى الامبراطورية العربية ، وكما كانت تصدر منها السلع المختلفة إلى ميناء سيراف[١] الشهير الواقع فى الخليج الفارسى ومنه تشحن فى السفن التجارية التى تتوجه إلى موانئ الهند والصين وسائر البلاد الشرقية .

وكانت الموانئ المعروفة للتجارة البحرية العربية فى الهند الديبل بقرب مدينة كراتشى الحديثة وكمبايا وبروج (Broach) وتهانه (Thana) وسندابور[٢] (Sindapur) «وكويلون» فى الغرب وفى الغرب الجنوبى بلين[٣] (Ballin) «وكنجة» (Kanja) وتعرف الآن باسم : «كانجيورام» وسمندر[٤] (Samandar) فى الساحل الشرقى . ومازالت هذه الموانئ مراكز التوزيع الرئيسية التجارة الهندية العربية لحوالى أربعة قرون متتالية أى فيما

---

(١) إن الميناء المذكورليس له وجود الآن بقاياه الأثرية فى «بندر طاهرى بخط عرض ٢٧ ، ٥٨ شمالا . وقد انهدم نتيجة لزلزال حدث فى عام ٩٧٧ - راجع Jean Sauvaget· op. cit, P· 41.

(٢) Sitapur. See M. H. Nainar, "Arab Geographers' Knowledge of South India" Madras· 1942· p· 74–75·

(٣) من المحتمل أن تقع فى الساحل الجنوبى الشرقى للهند فى مديرية تانجور .

(٤) تقع «سمدرا» فى مصب نهر «جنجا» .

بين القرن التاسع والثانى عشر للميلاد. ومن الصعب أن نقول بصفة قاطعة ما مدى اتساع رقعة التجارة الهندية العربية فى داخل الهند ولكن هناك دلائل تدل على أنها كانت مقصورة إلى حد ما فى المناطق الساحلية لجنوب شبه القارة الهندية وفى السند ونواحى بنجاب. وكذلك نجد الشواهد التى تدل على أن بنغال وآسام أيضا كانتا فى متناول التجار العرب[١].

وفى القرن الحادى عشر قد وصل التجار المسلمون فعلا إلى كشمير.

ويقول البيرونى فى معرض الكلام عن جغرافية الهند فى القرن الحادى عشر: إن التجار المسلمين كانوا يتاجرون فى عهده فى مناطق راجورى (Rajuri) فى الشمال التى تتكون منها الحدود الشمالية للبلاد على حد وصفه[٢] والذى يبدو بأن «جور جارا» (Gurjara) فى «قنوج» كانت عرقلة عويصة للتجارة العربية فى النواحى الشمالية للهند.

ولغاية القرن العاشر الميلاد قد استوطنت جماعات عديدة من التجار العرب فى طول المناطق الساحلية للهند. ويقول المسعودى: (المتوفى سنة ٩٥٦ م) إن آلاف العرب قد استوطنوا فى صيمور (Chaul) وغيرها من مدن «كنكن» فى ولاية بومباى. وكان الأمراء الحاكمون

---

(١) يقول الادريسى بأن القوارب كانت تبحر من Luquin الواقعة بشط أحد الأنهار. وربما يقع هذا الجزء فى فم نهر Hooghly أنظر «وصف الهند وما يجاورها من البلدان» للادريسى. تنقيح: الدكتور مقبول احمد، عليجره.

(٢) Al-Biruni's India (text) ed. by E. Sachau. London 1887 p. 102

يعينون لهؤلاء المستوطنين قضاة لهم من بينهم على أن تكون لهم الحرية الكاملة لتصريف شؤونهم الداخلية المليئة. وما كانوا يحتاجون إلى الحصول على الامتيازات الأجنبية أو التجارية فى تلك الأيام ـ عكس ما كانت عليه حالة التجار الأوربيين فى العهد المغولى أو العثمانى. واستوطنوا فى الهند كجماعات تجارية مسالمة وتزاوجوا من الهنود. وأما الأولاد الذين يتولدون من هذا الزواج فكانوا يعرفون لدى العرب باسم بياسرة[١] (Baya Sira) ولذا يمكن أن يقال بأن مسلمى «كنكن» فى بومباى وطائفة «مابلا» فى «مالابار» منحدرون من أصل عربى ومشربين بثقافة عربية وأن تحولا هاما قد حصل فى التجارة العربية مع الهند منذ أن تأسس بنيان دولة جورجارا (Gurjara) فى كجرات، و «كاتيوار» متخذة عاصمتها فى نهلوارة (Nahlwara) المركز الجديد لاجتذاب التجار العرب فتحول المجرى الرئيسى للمواصلات إلى «كامبايى» وغيرها من موانئ «كجرات» ويصف المؤرخ الصقلى «الادريسى» (القرن الثانى عشر) «بتان» بأنها مدينة مزدهرة فى ذلك العهد ويشير إلى حاكمها باسم: «بلهرا»[٢] وهو اللقب الذى كان يستخدمه العرب الأوائل لعائلة «راشترا كوتا» (Rashtrakuta) فى «دكن» المذكور. وربما كانت الاشارة الواردة فى كتابة الادريسى باسم: «بلهرا» لحاكم «بتان» يراد به «جياسنها سدها راجا» ١٠٩٦-١١٤٣ م (Jayasinha Siddha Raja) ورحب هؤلاء الحكام الكجراتيون أيضا بالتجار العرب ومنحوا لهم جميع أنواع التسهيلات التجارية.

---

(١) مروج، للمسعودى ed. Barbier de Meynard, Paris, Vol. II, p. 86.

(٢) الادريسى، Op. Cit. p. 59.

وبلغت العلاقات التجارية بين الهند وبين العرب إلى أوجها خلال الفترة التي نحن بصددها . وكان الفرس الذين اعتنق معظمهم الدين الاسلامي فيما بعد يتولون زمام فن الملاحة . ولكن هذه بدأت تتضاعف منذ القرن العاشر للميلاد فصاعدا حتى انهارت ملاحة الفرس تماما في القرن السادس عشر تحت ضغط البرتغاليين . وأما الحاكم البرتغالي في الهند «البوقرق» (Albuquerque) فوضع الختام لتجارة الفرس مع الهند بفرض قيود شديدة على النشاط التجاري للفرس مع حدود «حوا»(١) .

والذي يبدو أن العرب تعلموا فن الملاحة من الفرس واستفادوا منهم كثيرا . وفي مكنتنا الوقوف على الطرق البحرية التي كان يتبعها العرب إلى حد كبير - مستندين على أقوال سليمان التاجر ، والمسعودي وغيرهما - إذ كانوا يغادرون سيراف (Siraf) بالقوارب التي تحمل حوالي مائتي راكب فيصلون إلى مسقط حيث يأخذون منها الماء العذب ليستعمل أثناء الرحلة ثم يبحرون منها مباشرة - نظرا للاجواء الملائمة - إلى ميناء «كويلون» ، ويستغرق هذا السفر حوالي شهرين . ومن «كويلون» تتوجه تلك القوارب عبر مضيق «بلكا» (Palk) إلى ميناء «بلين» (Ballin) ومن هناك تتشعب الطرق فالقوارب التي تتوجه إلى الصين تغادر إلى جزر «أندمان» و «نيكوبار» ثم إلى «كاه» (Kalah) في شبه جزيرة «الملايو» ومنها تقصد إلى كينتون (Canton) بطريق الهند الصينية . والقوارب الأخرى تبحر إلى الشمال عبر الخليج البنغالي قاصدة إلى «كنجة» (Kanja) و «سمندر» (Samundar) وغيرهما من موانئ مصب جنجس . وأن الملاحة الساحلية

---

(١) Hadi Hassan. Op. Cit. p. 147.

من الخليج الفارسى لكانت شائعة ومألوفة بينما السفن التى تمر بالسواحل الغربية والشرقية للهند تزور عدة موانئ تجارية وتقف فيها. ومع كون الخوض فى تفاصيل الملاحة العربية أو فن بناء السفن لدى العرب خارجا عن الموضوع الذى نتناوله الآن فلابد أن نلقى نظرة خاطفة حول بناء السفن عندهم كما ورد عن بعض الجغرافيين العرب أنفسهم: وأن البحارين العرب سيما القادمين منهم من عمان ومرباط (Mirbat) وصلوا إلى جزر «لكا» و «محل» حيث صنعوا فيها القوارب من خشب شجرة النارجيل وبعد الصنع تشحن بأخشاب أشجار النارجيل وغيرها من البضائع يحملونها إلى أوطانهم. وهذه كانت الأصناف الصغيرة من القوارب التى كانوا يستخدمونها للمرور بالأسواق التجارية الساحلية التى كانت مراكز التجارة للعرب حينذاك وتعود عليهم بالربح العظيم والنفع الجزيل.

الواردات والصادرات

وانتقل مركز الثقل للتجارة الهندية الرئيسية مع العرب إلى العراق خلال القرن الأول بعد ظهور الاسلام (٧٢٢ - ٦٢٢ م) مع أننا نرى هبوطا مذكورا فى تجارة الهند مع جميع البلدان العربية بالنسبة إلى الموقف السابق، ويقول بعض مشاهير المؤرخين العرب بأن السبب الأصلى لهذا الهبوط يرجع إلى الفتوحات العربية. وأما الهبوط الذى وقع فى حقل استيراد البضائع الكمالية من الهند، فبناء على أن العرب الذين صاروا حكام الشرق الأوسط لكانوا فى حاجة ملحة إلى الأسلحة والمعدات الحربية والسلع الضرورية الرخيصة أكثر مما كانوا يحتاجون إلى البضائع الكمالية. وفوق

---

(١) الادريسى Op. Cit. p 12.

هذا وذلك فقد انغمس التجار العرب فى شراء الغنائم التى حصل عليها الجيش الفاتح وبيعها واختزانها إذ وجدوا هذه التجارة تعود عليهم بالربح العظيم[١].

فأما السبب الآخر لانخفاض التجارة البحرية فانها كانت تعرض دائما للعواصف والقرصنة وغيرهما من الحوادث المفاجئة. ولعب الذهب دورا هاما فى ميدان التبادل التجارى بين الهند وبين البلاد العربية فمست الحاجة إلى الذهب واستغلال المناجم المعروفة فى الشرق الأوسط حيثما كانت. ونتج عن هذا التحول ارتفاع فى عدد السماسرة فى المدن التجارية الكبرى مثل البصرة، وتلته مضاربة تجارية هائلة[٢]. وبعد أن تم بناء مدينة بغداد فى عام ٧٦٢ م قد تحسنت العلاقات التجارية بين الهند والبلاد العربية، واستمرت هذه الحالة ـ بوجه عام ـ إلى القرن الثالث عشر للميلاد.

دعنا نلخص الآن قائمة السلع الهامة التى كانت تصدر من الهند إلى العالم العربى فان خشب «الساج» من أهم الصادرات الهندية إليه منذ أقدم العصور واستمرت هذه الحالة ـ بدون انقطاع ـ خلال القرون الوسطى وكانوا يستخدمونه لبناء البيوت والسفن والقوارب وغيرها. وأما الحديد الخام والسيوف المصنوعة فى الهند فصدرت إلى البلدان العربية بكمية وافرة إلى جانب مقدار كثير من الذهب والفضة والمعادن الأخرى ومن ضمن الأحجار الثمينة المصدرة: الماس، والبلور، وما إلى ذلك. وفى الوقت نفسه قد ازدهرت بينهما تجارة اللآلى والأصداف. ويقول

---

(١) صالح أحمد العلى Op. Cit. p. 232.

(٢) Ibid, p. 217.

« الادريسى » : إن منطقة سوباره (Sopara) بقرب بومباى قد اشتهرت لصيد اللآلى ، ومنها كانت تصدر إلى بقية أنحاء العالم العربى[1] وأن قرن « الكركدن » لمن السلع النادرة الثمينة التى كانت محل قبول حسن لدى العرب عامة . ويقول بعض الكتاب العرب بأن هذا القرن إذا شق تتجلى من داخله صور الانسان والطيور وغيرهما حتى يزداد روعة وجمالا .

وكان هذا القرن ـ للكركدن ـ لصناعة القلادة وغيرها من الحلى التى تباع بأثمان باهظة . وأما ملوك الهند فكانوا يصنعون بها السكاكين التى تستخدم لاكتشاف السم فى الأطعمة بغمسها فيها . ومع أن قرن الكركدن قد وجد بكثرة فى شتى أنحاء الهند فى تلك الأيام . ومن السلع الأخرى الشهيرة العاج الذى هو من الصادرات التقليدية منذ القدم . وكما أن أصنافا من العطور والروائح والتوابل كانت تصدر بتوسع إلى أسواق العالم العربى . واشتهرت سواحل « مالابار » للفلفل الذى هو السلع الرئيسية التى كانت تجرى فيها التجارة العربية الهندية فى تلك البقاع . ومنها أيضا « حبهان » والسنا ، والكافور ، وخشب الصندل ، ونبات الصبر ، والروائح . ومن ضمن الفواكه الشهيرة لدى العرب « المنجة » و « الفنس » (Jack-fruit) والليمون ، والأترج ، والنارجيل ، وغيرها . وأنبأ « المسعودى » إلى أن أشجار الليمون كانت تصدر إلى عمان لتغرس هناك ومنها إلى البصرة والشام وبقية الجهات فى جزيرة العرب ولكن لفقدان التربة الخصبة التى كانت تنمو فيها فى الهند لم تعد ثماره تحتفظ

---

(١) الادريسى Op. Cit. pp. 51-52.

بطعمها الأصلى اللذيذ ورائحتها الطيبة ولونها الجميل . وأما «السكر النباتى»[١] المصنوع بوفرة فى السند فقد صدر إلى شتى أنحاء البلدان الاسلامية .[٢]

ومن الحيوانات المصدرة المعروفة الفيل ، وقط الزباد ، وما شابههما . واشتهر – إذ ذاك – حوت الهند لأوبالها الفخمة . وصدر منه الطاؤوس أيضا بكثرة واسعة إلى مختلف أنحاء العالم العربى . ويقول المسعودى أيضا : بأن الطاؤوس الهندى لمن الصادرات الرئيسية إلى البلدان الاسلامية ولكنه لم يلبث أن يفقد جماله ولونه الأصليين لعدم ملاءمة الطقس والبيئات . وإلى جانب الأشياء المذكورة كانت «موصلين» والقماش القطنية والبيلج ، وأنواع من الخصاب تصدر من الهند حينا فآخر إلى البلدان العربية . واشتهرت «تهانه» (Thana) لقماشها الفاخر ، و «كامباى» لصدلها المعروف .[٣] وصدر من هناك أيضا العنبر إلى شتى بقاع الامبراطورية العربية فان «حوت المن» الذى يحتوى على العنبر قد وجد بكثرة فى ذاك العصر فى بحر العرب ، وعثر عليه أيضا بطول سواحل جزر «محل» .[٤]

---

(١) مروج . ed. Barbier de Meynard. Paris, Vol. II. pp. 438–39.

(٢) المقدسى : «أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم» ed. de Goeje, Leiden, 1906, pp. 480–81.

(٣) المقدسى . Op. Cit. p. 481.

(٤) سليمان . ed. Sauvaget, op. cit. pp. 3, 6. والمسعودى ايضا op. cit. I pp. 335–36.

ومن الأشياء المستوردة إلى الهند «لبان ذكر» والعاج والخيول، والذهب، والماس، والتمر، وغيرها من البضائع الكمالية. وعسير علينا الآن أن نكون رأيا قاطعا عن الأثر العام الذى تركته هذه التجارة فى اقتصاديات البلدين لقلة الوصول - أوعدمه - إلى متناول أيدينا بالدقة تفاصيل الصادرات والواردات والتجارة المتبادلة بينهما حسب تقلبات الزمن وتطورات الظروف والبيئات. ولكن فى مكنتنا أن نقول بالاجمال - وإن لم يكن قاطعا - على أساس ما وصل إلينا مما كتبه المؤرخون العرب بأن التوازن الكلى فى التجارة كان فى صالح الهند لبواعث شتى: أولا - كان الهنود يستخدمون الذهب كأداة رئيسية للتبادل التجارى. وثانيا - كانت صادرات الهند أكثر بكثير من صادرات الدول العربية إليها. وأخيرا - كانت السلع الصادرة من الهند أغلى من وارداتها.

عصر الانحطاط

(من القرن الثالث عشر إلى عام ١٥٠٩ م)

منذ القرن العاشر للميلاد شرعت بغداد فى أن تفقد ازدهارها السابق وأهميتها كمركز ثقافى واقتصادى للدولة الاسلامية، وحلت محلها مصر القديمة المعروفة بفسطاط. ونتيجة للحروب الصليبية المتواصلة قد تحول جزء كبير من تجارة الشام ومصر إلى البلدان الغربية. ومع هذا نشأ اضطراب آخر فى الميدان التجارى واهتزاز فى توازن اقتصاديات العالم العربى بسبب التدمير الذى حدث من التوغل المنغولى فى غرب آسيا وظهور إمارات صغيرة عديدة فى أواخر العهد العباسى.

وانهارت الدولة العباسية فى عام ١٢٥٨ للميلاد عند ما نهب «هولاكو» بغداد. وأدت هذه العوامل إلى هبوط فى تجارة العرب مع

الهند ولكن العرقلة الخطيرة فى هذا المضمار قد نشأ من ظهور البرتغاليين فى بحر العرب فانهارت الملاحة العربية والفارسية والتجارة البحرية مع الموانئ الهندية. وأن اكتشاف الطريق المؤدى الى الهند عبر رأس الرجاء الصالح لكان حدثا هاما فى تاريخ الاقتصاد والسياسة للدول الشرقية. وفى عام ١٤٩٨ م وصل أسطول برتغالى تجارى تحت قيادة «واسكودى جاما» (Vascode Gama) إلى مالندى (Malindi) فى الساحل الشرقى لأوريقيا، فقام ملاح عربى يعرف باسم: أحمد بن ماجد بقيادة سفينة «واسكودى جاما» إلى «كاليكوت» بكل بساطة وسذاجة ولكن هذه المروءة والشهامة البادرتين من ذلك الشخص الكريم قد أدى أخيرا إلى طرد العرب والفرس من مياه الشرق. وتأثر البرتغاليون بدوافع اقتصادية وسياسية ودينية. وكان على التجارة الشرقية أن تمر بالبلدان الاسلامية ـ مثلا ـ مصر والشام وتركيا حتى تصل إلى أوربا، ومعنى هذا أنها تحتاج إلى دفع رسوم باهظة للحكام المسلمين لنقل البضائع. فصار الهدف الرئيسى للبرتغاليين العثور على طريق آخر للوصول إلى السواحل الهندية. وكان البرتغاليون ـ عامة ـ يضمرون الحقد الشديد ضد الاسلام وتهاودوا فى الخوف المتفشى فى أوربا حينذاك عن الخطر المحدق بالمسيحية من جانب الدول الاسلامية الكبرى القوية القائمة على الساحل الشرقى للبحر الأبيض المتوسط مع أنها تحصل على مبالغ ضخمة من الرسوم المفروضة على البضائع التى تمر بأراضيها فتحويل مجرى التجارة منها إلى خط آخر بمثابة ضربة قاسية لرفاهيتها. وأن البرتغاليين المتمسكين بالديانة المسيحية قد تحمسوا كثيرا بالحمية التبشيرية ورأوا فى الهند مجالا واسعا للتبشير بالدعوة المسيحية.[١]

---

(١) Moreland and Chatterjee, Op. Cit. pp. 197-98.

وكانت سواحل «مالابار» - فى ذلك العصر - مركزا كبيرا للتجارة الأجنبية ويليه فى الأهمية ملاكا (Malacca) فى الشرق. وتتوجه إليها السفن الهندية مشحونة بالبضائع القطنية فتأخذ منها بالمقابل الحرير والتوابل والأدوية والسلع التجارية الأخرى. ويشحن بعض منها إلى الساحل الشرقى ليوزع فى طول الهند وعرضها بينما يصل البعض الآخر إلى كجرات أحيانا للتوزيع فى الهند وأخرى للنقل إلى البحر الأحمر والخليج الفارسى. وأما الجزء الكبير الذى يصل إلى موانئ «مالابار» فيكون لمجرد النقل لا لأى غرض آخر. ولم تكن السفن الملابارية تبحر إلى الجهة الغربية. وأما البضائع الموجهة إلى البحر الأحمر فتشحن فى السفن المصرية والعربية. وأن وكلاء التجارة المقيمين فى الموانئ لهذا الغرض ماكانوا يعتبرون كرعايا لحاكم البلاد بل يعيشون تحت امتيازات خاصة يتمتعون بموجبها بحق تأسيس الحكومة الذاتية وكان كل من الموانئ المختلفة تحت مليكه أو حاكمه المحلى. فنشأ تنافس شديد للحصول على امتيازات رابحة لنقل البضائع، ولاقى هؤلاء الأجانب معاملة حسنة مفيدة، وفى مكنتهم أن يبثوا نفوذهم فى البلاط الملكى وفى المصالح الحكومية حتى صاروا - أحيانا - يفرضون قيودا أو شروطا خاصة على المستوردين الهنود. وأن موانئ مالابار بأجمعها قد احتفظت بمكانة مرموقة فى الميدان التجارى. وإلى جانب البضائع المستوردة كانت الفلفل توزع بوفرة واسعة بصفة كونها إحدى السلع الاستهلاكية الهامة فى بلدان الأوربا الشمالية والبضاعة الرئيسية - فى المقدار وإن لم تكن فى الأسعار - التى تشحن إلى البحر الأحمر، وأما المصريون والعرب المقيمون فى إمارات «وجيانجر» فتولوا زمام هذه التجارة ووكالتها إلى حد كبير،

فصار ظهور البرتغاليين إلى هذا المحيط مبعث تصادم فى المصالح ولم يكن ـ بحال من الأحوال ـ نضالا بين المسيحيين وبين المسلمين بل كان بمجرد التنافس الشديد بين المستوردين والمصدرين .

رحب المستوردون الهنود ـ ومعظمهم من المسلمين ـ بالبرتغاليين كزبائن جدد ولكن المصدرين العرب والمصريين عارضوهم على أساس كونهم المنافسين الجدد الذين سيقطعون الاحتكار الحالى فى ميدان التجارة الشائعة حينذاك ومن الظريف أن القادمين الجدد ـ بفضل المكائد والحيل المعقدة ـ كانوا يحاربون حاكم كاليكوت التى هى الميناء الرئيسى فى سواحل «مالابار» فى حين أن أنشأوا علاقات ودية فى الموانئ الأخرى سيما «كوتشين» التى ترود بكمية كبيرة من الفلفل ، وكانت أساطيلهم التجارية تحمل منها بضائع مختلفة تعود عليهم بأرباح باهظة . ولكن البرتغاليين لم يكتفوا بمجرد الشركة فى التجارة بل كانوا يهدفون إلى السيطرة التامة على زمامها . وخصصوا قواتهم البحرية الكبرى لتحقيق هذا الهدف المنشود . ولم تكن تحتاج إلى اهتمام بالغ لمواجهة الفريق المعارض لأنه ما كان يحتفظ فى حوزته بقوة بحرية مذكورة . وأن الأسطول التجارى الحقيق الوحيد الذى كان على البرتغاليين أن يواجهوه لهو أحد الأساطيل المصرية ولكنه قد تحطم فى معركة جوت فى أوائل عام ١٥٠٩ . وبهذا تمت لهم سيادة البحار الشرقية بدون منازع .

وأما الأسس الحقيقية لهذه الامبراطورية البحرية فقد وضعت بيد الحاكم البرتغالى فى الشرق «ألفونسو دى البوقرق» (Alfonso de Albuquerque) منذ عام ١٥٠٩ إلى وفاته فى عام ١٥١٥ م .

وعزز مركزه فى هرموز (Ormuz) عام ١٥٠٩ ، واستولى على «جوا» فى عام ١٥٠١ التى كانت إحدى الموانئ الهامة فى اراضى «بيجاپور» (Bijapur) وتسلط على «ملاكا» (Malacca) فى عام ١٥١٢ ، وفى الوقت ذاته كان يضع الخطة للاستيلاء على عدن ولكن الاستيلاء التام على الساحل الهندى سيما ميناء ديو (Diu) قد جعل تلك الخطة عديمة الضرورة لكون البرتغاليين فى موقف حساس وفى مكنتهم السيطرة على جميع الموانئ التى تغادر منها السفن التجارية إلى البحر الأحمر ، فلم يلبث أن غادر معظم وكلاء التجارة البحرية العرب السواحل الهندية، وتم للبرتغاليين الاحتكار الكامل فى بعض الطرق البحرية وفى عدد من البضائع الاستهلاكية بل وأدهى من ذلك أن الهنود وغيرهم من وكلاء التجارة البحرية أصبحوا فى حاجة إلى تحصيل الرخص التجارية الخاصة بمقابل رسوم باهظة لكى يتمكنوا للتبادل التجارى فى بعض الموانئ المعينة ، والا فتكون السفن التى لا تحمل التصريحات الخاصة عرضة للغزو والسلب والنهب. وهكذا تمكن البرتغاليون لفرض السيطرة التامة على الطرق التجارية الرئيسية فى القرن السادس عشر ، حتى قيل بأن استمرار وصول بعض البضائع إلى البلدان الأوربية ليرجع سببه - أولا وقبل كل شئ - إلى الغش والخداع المتفشيين بين موظفيهم أنفسهم لا لأى عامل خارجى آخر. ووجه البرتغاليون ضربة قاسية إلى وجه علاقات العرب والمصريين والفرس التجارية مع الهند حيث لم يسبق لها مثيل. وكانوا يعاملون بكل قسوة وبطش مع الفرس وفى عام ١٥١٥ م تلقى سفير

---

(١) أنظر لمزيد من التفاصيل . Moreland and Chatterjee
Op Cit. pp. 198–200 .

الشاه اسماعيل تهديدا شديدا من «ألبوقرق» (Albuquerque) وجاء فيه : إن التجار القادمين من بلاد الفرس والذين يتوجهون إلى أية بقعة فى الهند ماعدا ميناء «جوا» ليفقدون سلعهم ويكونون عرضة للعقوبات الشديدة التى تفرض عليهم .... وأما المغاربة وغيرهم من التجار البحريين فكانوا يعرفون جيدا نوعية هذه العقوبات ألا وهى الماء أو النار!![1]

منافسة الدول الغربية

(من القرن السادس عشر إلى ١٨٦٩ للميلاد)

أصبح البرتغاليون فى طول القرن السادس عشر رؤساء التجارة الخارجية للهند مع الغرب ووكلاءها البارزين . وفى القرون التالية ظهرت فى هذا المسرح هولندا ، والدانمارك ، وفرنسا ، وأخيرا بريطانيا وبدأ كل منها ينافس الآخر فى سبيل السيطرة على تجارة الهند مع أوربا . ومع أن الأباطرة المغول قد تنبهوا إلى حقيقة القوة المتزايدة للبرتغاليين فى بحر العرب ، كان التجار الأوربيون يحصلون على امتيازات تجارية خاصة فى أرض الهند . وأنشأوا المصانع ثم القلاع فى أنحاء البلاد وتسابقوا فى شراء الأراضى والقرى وغيرهما من الممتلكات فى الهند حتى صارت هذه الحركة عادة متبعة لجميع المستوطنين الأوربيين فيها فأنشئت موانئ جديدة وبنيت مدن حديثة مثل بومباى ومدراس وكلكتا ، وبانديتشيرى .

وفى ذلك العهد قد تم اندماج البلدان العربية كلها فى داخل الامبراطورية العثمانية وأصبحت جزءا منها . وقامت فى إيران الدولة «الصفوية» وانهمكت هاتان الدولتان فى سلسلة من المعارك ضد مزاحمة الدول

(١) Hadi Hasan. Op. Cit. p. 147.

الأوربية فى المياه الشرقية وحول مسألة التجارة مع الهند وغيرها من بلاد الشرق. وكانت منطقة الخليج الفارسى المسرح الرئيسى ذا النشاط الواسع حينئذ، ولعب المتنافسون الأوربيون والساسة العالميون دوراً هاما فى تلك الناحية فوضع الأوربيون الذين لم يكتفوا بالطريق البحرى الذى عبر «رأس الرجاء الصالح» (Cape of Good Hope) نصب أعينهم خرق الحصار الذى ضربه الأتراك العثمانيون منذ القرون على الطريق التجارى البرى إلى الشرق، ففى عام ١٧٩٨ حمل «نابليون» على مصر محاولة منه لفتح طريق أقصر إلى الهند، ولمساعدة فرنسا فى التنافس الانجلو ـ فرنسى الجارى فى الهند فى تلك الأيام، ولكن محاولاته هذه لم تكلل بالنجاح. ولم يتحقق ذلك الهدف إلا بعد حفر قنال السويس فى عام ١٨٦٩ ليكون أقصر الطرق البحرية إلى الهند.

واستمر أثناء هذه الفترة تدفق البضائع الهندية إلى البلدان العربية بواسطة وكالات تجارية مختلفة. وفتحت عدة طرق للقوافل وازدهرت التجارة البرية بصفة دائمة بدون انقطاع فان المغول كثيرا مايهتمون بالمحافظة على مواصلات الحجاج إلى مكة برا وبحرا. وحاول بعض الأمراء الهنود لانشاء قوة بحرية خاصة فى الساحل الغربى بمساعدة المستوطنين الأفريقيين فى «جنجيرة» (Janjira) المعروفين باسم: «سيدى» (Sidi) لحماية المصالح التجارية الهندية. وفى عام ١٧٦٠ عين الامبراطور أورنكزيب رئيس طائفة «سيدى» فى منصب «أمير البحر» فى دولته[١]. وكان لسفر الحجاج إلى مكة خصوصا من مصر والشام فضل كبير فى توزيع

(١) Moreland and Chatterjee. Op. Cit. p. 260.

البضائع الهندية مثل «مسلين» و «الشال» ، والفلفل وعدد آخر من السلع التي تشترى من مكة وتباع في طريق عودتهم في تلك البلدان واستفاد كل من مصر والشام إلى حد كبير من هذه التجارة وجدير بالذكر أن بضائع الحجاج كانت مسموحة الدخول إلى مصر بدون رسوم وبلا تفتيش في الجمارك سواء ماوصل منها بطريق البر أو البحر . وأما القوافل التي كانت ترد من العراق فليئة بالبضائع الواردة من الهند والفارس وجزيرة العرب . وقد لاقت مصر وغيرها من البلاد العربية متاعب كثيرة بسبب تمهد الطريق التجارى عبر رأس الرجاء الصالح ولكن الموقف الجغرافى الممتاز الذى يحيط بها قد منح لها مكانة طبيعية مرموقة لتكون مركز التجارة بين أوربا وآسيا وأفريقيا وملتقى الطرق بين هذه القارات الثلاث . وكانت نقطة الالتقاء الرئيسى للطرق التجارية القاهرة وحلب وتليهما فى الأهمية بغداد .

ويستعاد إلى الأذهان في هذه الآونة جم المحاولات التي قام بها السلطان «تيبو» (Tipu) خلال الفترة الأخيرة للعصر المغولى لاعادة بناء العلاقات التجارية والفنية مع الامبراطورية العثمانية . ولما فشل السلطان «تيبو» في الحصول على «سند» من دلهي قرر لتحصيله من قسطنطينية . وبعث لأجل الحصول عليه منها بعثة دبلوماسية من عند نفسه إلى سلطانها . وكان الهدف الرئيسى له من إنشاء العلاقات الدبلوماسية مع قسطنطينية الحصول على الامتيازات التجارية فى الامبراطورية العثمانية

H· A· R· Gibb and H· Bowen "Islamic Society (١) and the West" Vol· I Part I pp· 301, 305·

واستعارة الفنيين والخبراء منها لكي يساعدوا على إنشاء صناعات جديدة وتنميتها فى ميسور وكان رئيس البعثة السيد «غلام على» يتمتع بسلطة كاملة لتوقيع المعاهدة مع الحكومة العثمانية على أساس أن يمنح «تيبو» جميع التسهيلات التجارية فى البصرة والترخيص اللازم لانشاء المصانع هناك. وبدل ذلك يسدى هو من عند نفسه جميع التسهيلات والامتيازات المماثلة للحكومة العثمانية فى أية ناحية تختارها من مملكة ميسور. وعلى رغم فشل البعثة فى تحقيق معاهدة تحالفية مع الحكومة العثمانية فقد نجحت فى الحصول على تائيد الامبراطورية العثمانية للسلطان «تيبو» واعترافها بـ «كملك مستقل» على عرش ميسور[١]. ويمكن أن يقال بأن «تيبو» كان الحاكم الوحيد من حكام الهند السابقين الذين أدركوا تماما بأن تقدم البلاد يتوقف - أولا وقبل كل اعتبار - على النهضة التجارية والصناعية وإنشاء عدة مصانع فى البلدان الأجنبية. وأما المصنع الذى أنشأه فى مسقط قد صدر إلى ميسور بحبوب الزعفران، وديدان الحرير، والخيول والفستق، والبندقة، والجوزة، والملح الصخرى، والدرر، والزبيب، ومعدن الكبريت والنحاس. وكانت علاقات تيبو مع إمام مسقط فى غاية الود والتفاهم الحسن ونال منه تجار ميسور امتيازات وتسهيلات خاصة. وبينما كان يفرض على البضائع الخارجية بجميع أنواعها عشرة فى المائة من الرسوم، ماكان يفرض على البضائع الواردة من ميسور إلا خمسة فى المائة من الرسوم. وأن الامام ورعيته أيضا قد تلقوا

---

(١) Mohibbul Hasan "History of Tipu Sultan" Calcutta, 1951, pp. 133-137.

الامتيازات والتسهيلات المماثلة فى ميسور . من عند السلطان « تيبو » . وأنشأ مصنعا آخر فى جدة وحاول لانشاء مصانع مماثلة فى كل من بصرة وعدن . وأما المصنع الذى أنشأه فى هرموز (Ormuz) فكان يتجر فى اللآلى والمرجان .

العهد البريطانى

حكمت بريطانيا الهند منذ منتصف القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن الحالى سياسيا واقتصاديا . وفى الوقت ذاته وقع جزء كبير من العالم العربى أيضا تحت النفوذ السياسى والاقتصادى لبريطانيا . وبعد عام ١٨٥٨ قد توطدت أركان السيادة البريطانية نهائيا فى الهند وفى عام ١٨٨٢ قد احتل البريطانيون مصر مستهدفين إلى حماية مصالحهم الاقتصادية والسياسية فى الامبراطورية الهندية . وأما الحكومة العثمانية فتسرب إلى كيانها الوهن والضعف من النواحى السياسية والاقتصادية وأصبحت مديونة إلى حد كبير للدول الأوربية سيما بريطانيا وأن المصلحة الاقتصادية فى الامبراطورية العثمانية هى التى جعلت «الرجل المريض فى أوربا» يعيش إلى القرن الحاضر والا لكان يلاقى مصرعه خلال عهد محمد على فى مصر . وفوق هذا وذاك فان حفر قنال السويس عام ١٨٦٩ وشراء «بنجامن دسرائيلى» (Benjamen Disraeles) معظم الاسهمة فى شركة القنال قد أثبت توفق بريطانيا فى النشاط التجارى فى بحر العرب ، وصارت بريطانيا رئيسة وكلاء التجارة بين الهند وبين البلاد العربية .

---

(١) Mohibbul Hasan. Op· Cit· 344·

وبفضل السياسة التى اتبعها محمد على فى الميدانين الصناعى والزراعى وفى الحقل الفنى بدت آثار النهضة فى هذه الميادين بمصر خلال القرن التاسع عشر حتى أصبحت إحدى الدول الرئيسية فى تصدير القطن. ومنذ اكتشاف الزيت وتدفقه فى البلدان العربية فى القرن الحالى تحولت إلى مركز دول رئيسية فى تصدير الزيت إلى الشرق والعرب على حد سواء. ومن العسير الآن أن نبحث بالتفصيل فى هذا المقال القصير مع مراعاة الدقة والتثبت عن أصناف الواردات والصادرات وكمياتها بين الهند وبين العالم العربى خلال هذه الفترة. وشرعت آثار بداية التصنيع والتحسن التجارى فى الظهور فى الهند منذ النصف الأخير من القرن التاسع عشر. وأن بناء الموانئ الحديثة وتحسين مواصلات السكك الحديدية وبدء تنقيب الفحم والصناعة القطنية فى بومباى وأحمداباد فكل هذا وذاك قد أدى إلى تحسن العلاقات التجارية وتوطدها بين الهند وبين العالم العربى. ومن المؤسف أنه لم تجر بعد دراسة وافية ولم يقم أحد بتحليل شامل لتلك العلاقات التجارية القائمة بينهما. وجدير بالذكر بأن الهند أو العالم العربى لم يستفد مباشرة من هذه التجارة فان اقتصاديات البلدين كانت متداخلة فى مصالح بريطانيا الاستعمارية، وحطمت بريطانيا ما كان فى الهند من الصناعات والمهن اليدوية بينما استمر تصدير المواد الخام منها لتغذية الصناعات وتنميتها فى انجلترا. وهكذا تسربت الفائدة التى تعود من التجارة الهندية العربية توا إلى الجيوب البريطانية.

دعنا نلق نظرة خاطفة عابرة على مقدار التجارة الجارية بين الهند والعالم العربى خلال فترة القرن الحاضر لتساعد على حصول فكرة عامة

عنه . إن معدل الصادرات والواردات بين الهند وبين مصر فى فترة عامى ١٩٤٠-١٩٣٠ م قد استمر بدون أى تغير يذكر ولكن فى عام ١٩٤١ ارتفع المعدل إلى ثلاثة أضعاف بالمقارنة إلى عام ١٩٣٠[١]. وأما صادرات الهند إلى العراق فقد استمرت فى الهبوط إلى عام ١٩٣٩ ثم ارتفع شيئا فشيئا حيث بلغ فى عام ١٩٤١ إلى ضعفى ماكان فى عام ١٩٣٠ م مع أن معدل الواردات من العراق خلال هذه الفترة قد سجل انخفاضا مستمرا[٢] . وأما حركة صادرات الهند إلى كل من الشام ولبنان قد تذبذبت فيما بين عامى ١٩٣٨—١٩٣١ م ولم يسجل معدل الواردات أيضا تقدما يذكر[٣] . وأما صادرات الهند إلى الأردن خلال فترة عامى ١٩٤٢-١٩٣٧ فارتفع معدلها بطريقة ملحوظة سريعة حيث وصل إلى اثنين وعشرين ضعفا فى عام ١٩٤٢ بالنسبة إلى عام ١٩٣٧ م[٤]. وأشرنا إلى هذه الأرقام بالايجاز بغية التوصل إلى فكرة عامة عن حالة العلاقات التجارية بين البلدين خلال فترة الكساد الاقتصادى العالمى فى العقد الرابع الموافق للجزء الأول من الحرب العالمية الثانية .

---

(١) Statistical Hand-book of Middle Eastern Countries (Jewish Agency of Palestine – Economic Research Institute, Jerusalem.) 1959, p. 71.

(٢) Ibid, p. 90.

(٣) Ibid, p. 111.

(٤) Ibid p. 123.

بعد الحرب العالمية الثانية

ومنذ أن وضعت الحرب أوزارها فى عام ١٩٤٥ م نالت الهند والبلدان العربية أمانيها العزيزة من الاستقلال والسيادة الوطنية. ودخلت الشعوب الهندية والعربية فى عهد جديد من التعاون الاجتماعى والاقتصادى والسياسى وتوطدت دعائم الروابط الودية السلمية بين البلدين وبدت آثار الرغبة الملحة والشوق العميق فى الشعبين فى سبيل تعزيز الصلات التجارية والفنية أكثر فأكثر حتى تكون موطدة الأركان ومدعمة الأساس. وترى البعثات التجارية الهندية التى تزور البلدان العربية والبعثات التجارية العربية التى تأتى إلى الهند، مجالا واسعا وجوا ملائما وفالا حسنا لانشاء علاقات أوثق وأحسن فى المستقبل ولنا كل الأمل بأن السياسات الخارجية السلمية المتنورة التى يتبعها كل من الهند والعالم العربى لتؤدى حتماً إلى فتح عهد مليئ بالرفاهية الاقتصادية والطمانينة الذهنية يعيش فيه الشبان فى ظل الأواصر الودية القائمة بينهما منذ أقدم العصور والتى تتعزز يوما فيوما حتى تصل إلى أوجها وتبلغ ذراها.

من القصص السندية القصيرة

فى شهر رمضان المبارك

ابراهيم جويو

ما احسن التمشى فى المساء بعد الحرارة المتعبة والاعمال الشاقة المضنية التى يقضى فيها الانسان نهاره كله وما اجمل النزهة - بعد كل هذا التعب والمشقة - وخاصة فى موسم الربيع. وليس من شك فى ان استنشاق الهواء النقى اللطيف يجدد للمرء نشاطه وحيويته. وعند ما تعرج العصافير الصغيرة فى انحاء بعيدة وتزدحم على رؤوس الاشجار لالتقاط حبات من الغذاء تملأ بها بطونها عند كل اصيل بعد العناء والتعب والنهار اللافح المحرق، يبدو فى ذلك الوقت كانما يقلب المرء صفحة جديدة من قصة غامضة يطالعها.

يمتد زقاق مع الشارع الرئيسى من حديقة «برن» بكراتشى، يبلغ طوله حوالى اربعين قدما، وعلى جانبى الطريق ترى حينا لآخر عدة عائلات من قبائل «كيدارى» الرحالة، يقيمون هناك بصورة وقتية تحت خيام ينصبونها. ويلتوى الطريق من الناحية الغربية نحو الجنوب حيث يمتد لاربعين قدما آخر، ويمر بالقرب من كلية الحقوق السندية الاسلامية ثم ينتهى لجأة امام عتبة جامع حديث البناء. وتمتد امام الجامع ثلاثة صفوف فى ابنية شامخة ذات خمسة طوابق نحو شارع «ميك لوئد».

وكانت هذه القصور الشامخة يحتلها قبل سنوات اشخاص آخرون هاجروا الى «هندستان» اثر انشاء باكستان. وجاء عباد آخرون من خلق الله مهاجرين من «هندستان»، اضطر بعضهم تحت الاوضاع النائبة واختلاو

البعض الآخر من عند انفسهم الهجرة الى پاكستان ليحتلوا هذه القصور الجميلة الشامخة . ويدل الجامع الحديث البناء الذى تم تشييده على قطعة من الارض الخاصة بحديقة للنبات والشجيرات ذات الازهار الجميلة المتعددة الالوان ، يدل هذا الجامع على الروح الاسلامية القوية التى يتحلى بها هؤلاء المهاجرون المؤمنون .

واتفق ان حل شهر رمضان المبارك الذى هو شهر العبادة الروحية والبدنية على السواء بالنسبة للمؤمنين القانتين ـ فى فصل الربيع من هذا العام .

فى نفس هذا الشهر المبارك ـ الذى يختص بالعبادة والصوم والاكثار من الاعمال الصالحة وفعل الخيرات ـ فى نفس هذا الشهر كنت ذات امسية اعود من الحديقة بعد ان اخذت نصيبى من التمتع بالتنزه هناك ، اذ وقع بصرى على طفل صغير فى الثامنة من عمره يبدو من محياه انه ينتمى الى اسرة سمراء من احدى القبائل المتنقلة التى لاتهمها كثيرا الحدود الفاصلة بين البلدين .

ويبدو كذلك ان الطفل لم تفارقه بساطة الصبا بعد ، كان عارى الظهر ، مغبر الرأس ومتوسخ الجسم . وكل ما كان يلبس على جسمه من ملابس عبارة عن قميص طويل متمزق هنا وهناك ، يجر عجلة خشبية تحمل على متنها شخصا عاجزاً يبدو انه والده المصاب بالشلل . ولاتزال صرخات هذا العاجز المسكين فى ذاك المساء ترن فى اذنى بنغمتها الايقاعية الخاصة ، «ساعدونى ! ساعدونى ! ايها الآباء المشفقون ، » تصدقوا ايها السادة الاثرياء على مسكين جائع مثلى » ، » ثقوا يا آبائى انا المسكين الجائع لا حيلة لى على العيش سوى ما تفضلتم به على » «الله يساعدكم ايها السادة النبلاء » .

وعند ما توجهت الى الناحية الغربية ومشيت عدة اقدام رأيت طفلا آخر يرتدى بدلة جميلة، يبلغ حوالى اثنى عشر سنة، رايته يخرج من احد هذه القصور الشامخة التى تسكنها اولئك العائلات المهاجرة من الهند، يحمل بيديه طبقا يغطيه منديل حريرى وبه اطعمة لذيذة. والواضح ان الوجبة لعلها كانت قد اريدت لذلك المسكين السعيد الذى صام يومه لله. وكانت الشمس قد غابت فعلا وهو موعد افطار الصوم. وكان المصلون على وشك الخروج من الجامع بعد صلاة المغرب.

وتقدم الطفل عدة خطوات نحو العاجز المسكين ومد الصبى الفقير يديه طالبا للهدية.

«لا! لا! ابداً: ليس هكذا» صرخ الصبى قائلا: «يجب ان تاتى بماعون للطعام» وما ان سمع الطفل الفقير هذه الكلمات إلا وترك العجلة واسرع الى خيمته هاربا كانما يسابق الريح. وهدأ العاجز المسكين ووقف عويله فى رجاء وأمل.

وفجاءة دوى صوت رهيب من اقصى الناحية: «طفيل! طفيل! ايها الغبى! ماذا تعمل؟ ناول الطعام لفقير مسلم» خرج والد طفيل من الجامع بعد الافطار وصلوة المغرب واحس بشئ من الاشمئزاز عند ما رأى ولده يعطى طعام رمضان لفقير كافر. وكان شديد التحمس لطائفته متصلبا فى جميع تصرفاته. فكاد ان يتميز غيظا.

وتقدمت امراة عجوز كانت واقفة على مقربة من هذا المكان لاخذ الصدقة وتيقنت بان طلبها للطعام سيلقى تاييدا لانها فقيرة مسلمة. وفى هذه اللحظة بالذات عاد الطفل الكيدارى على جناح السرعة وفى يده ماعون

من الطين ومد يديه الى الطفل الغنى التماساً للهدية. ولكن والد الطفل قد وصل بسرعة فائقة الى المكان وانتزع الطبق من يديه وافرغه فى الاناء الخشبى الذى كانت الفقيرة المسلمة تحملها بيديها وانسحب الطفل الكيدارى بماعونه فى ياس وخجل. واستأنف الشيخ العاجز عويله من داخل المركبة الخشبية «ياسيدى تصدق على ولو بقليل، اعطنى فى سبيل الله ايها الاب الرحيم شيئا من فتات مائدتك أسد بها رمقى انا المسكين الجائع. آه!

وعاد الطفل وابوه الى بيتهما. وما ان غابا عن متناول الابصار حتى وقد قسمت العجوز المسكينة كل ما افرغه السرى فى ماعونها من الاشياء وهى عبارة عن صمونتين وكمية من التمر والفواكه الاخرى ونوعا من الحلوة والكبة واللحم والمرق. واعطت شطرا واحدا للطفل الفقير غير المسلم وعادت بالشطر الآخر الى بيتها.

ومرة اخرى تجدد ايمانى بالعواطف الانسانية النبيلة مع ضوء الانوار الكهربائية على جانبى الشوارع فى ذلك المساء، وتمثلت أمامى الحياة المصابة بالياس بابتسامة حلوة لابسة حلة الربيع الجميلة الزاهية فى ذلك الشهر الحرام شهر رمضان المبارك.

نهرو والعرب

الاستاذ محمد وهبي

تعرض الرباط التاريخى الذى ربط بين الهند والعرب منذ قديم الزمن الى خطر الانفصام عند ما وقع الشعب الهندى والعربى تحت نير استعمار طويل جعل كل منهما ينشغل عن الآخر بكفاح مرير ضد اخطار مباشرة هددت الكيان الروحى والحضارى لكل من الشعبين العريقين .

ومع اشتداد ونضوج الحركة الثورية فى الهند والبلاد العربية اتجه كل منهما للآخر يستلهم وحيا منه ويأخذ من تجربته . فى هذه الفترة كان اسم المهاتما غاندى تتردد على لسان كل العرب على أنه حيز مثل على القيادة الواعية التى استطاعت أن تصهر الشعب الهندى فى بوتقة واحدة فيخرج ماردا جبارا يرغم أكبر امبراطورية فى التاريخ البشرى أن تتقبل بدء غروب الشمس عنها .

كان نجم نهرو فى هذه الفترة يلمع بلاشك فى سماء حركة التحرير التى جمعت بين الهند والعرب ، الا أن شمس غاندى كانت تتوسط السماء فى ذلك الوقت .

وعلى هذا فان بزوغ شمس نهرو فى العالم العربى بدأت مع استقلال الهند واستقلال بعض الدول العربية بعدها بقليل . واذا كانت المعركة التى خاضها الشعبان ضد الاستعمار تميزت بالضرواه وتطلبت صلابة وايمانا فان معركة تدعيم هذا الاستقلال تميزت بمشاكل لا حصرلها وتطلبت فوق الصلابة والايمان منهاج علمى ونظرة شاملة مع التزام بالواقع . كل هذه المتطلبات أوفى بها جواهرلال نهرو وأضاف اليها ديناميكية وحيوية ظلا معه الى آخر أيامه .

أهم من ذلك كله فان نهرو بمزجه أبدع ما فى الحضارة الغربية مع كل ما هو اصيل فى الحضارة الشرقية ومزجه الواقعية المادية بالمثالية الانسانية قد استحوذ اعجاب العرب فنظروا اليه كابرز رواد احياء حضارة الشرق . فقد اقتصر غاندى ومعظم زعماء الحركة القومية فى العالم العربى على اشباع المثالية التى تميز بها كل من الشعبين الهندى والعربى الا أن نهرو كان أول من اكسب هذه المثالية صيغة عملية فى سياق حقائق العالم الحديث .

لهذا فقد اتجه القادة العرب الى نهرو عقب استقلال بلادهم يرقبون خطوات صراعه مع معضلات الهند السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ويلاحظ هنا ان العوامل التى جعلت من نهرو مثالا يحتذى بالنسبة للقادة العرب لم تنحصر فى اطار ضيق من المبادئ التى وصفها اذ ان اعجاب العرب كان يرجع فى نفس الوقت الى اخلاص نهرو وتكريسه حياته وفكره الى خدمة الجماهير الشعبية فى الهند والى خدمة الانسانية عامة . اذ أن نهرو لم ينشغل بمشاكل الهند الداخلية عن مشاكل العالم الخارجى بل ربط بين الاثنين واعتبر ان العلاقة بينهما عضوية اذا تفاقمت احداهما فلابد وان تؤثر على الآخرى .

بسبب كل هذه العوامل أصبح نهرو رمزا لكل الشعوب الاسيوية والافريقية التى تجابه معركة واحدة ضد التخلف والفقر وتقف فى جبهة موحدة ضد أى استعمار مهما كان شكله .

ولكن ماهى تماما العوامل التى جعلت من نهرو رمزا حيا للتقدم فى نظر العالم العربى ؟ أول ما استحوذ على انتباه العرب فى هذا المضمار

كان الطريق الاشتراكى الذى اختطه نهرو للهند، ولنقول فى صراحة أن كلمة الاشتراكية كانت عند بعض العرب لغزا يحيرهم وفكرة تثير مخاوف كثيرة من خطر الغرق فى حركة دولية لاتخدم الظروف والمصالح الوطنية، كما كانت تعنى عقيدة جامدة تقيد بدل من أن تحرر الامكانيات المحلية. الا أن تتبعهم للطريقة التى طبق بها نهرو الاشتراكية فى الهند أزالت هذه المخاوف والشكوك.

لهذا فانه يمكن القول بأن التحويل الاشتراكى الذى يحدث الآن فى بعض البلاد العربية يدين بالكثير الى رجل الهند العظيم نهرو، ولكن لايمكن أن نغفل هنا حقيقة هامة أيضا وهى أن الحركة الاشتراكية العربية قد نضجت بشكل سريع بالنسبة للظروف المختلفة، حتى انها أصبحت مثار اعجاب نهرو نفسه.

وكما كانت اشتراكية نهرو مصدرا استوحى منه العرب اشتراكيتهم كذلك كانت سياسته الداخلية فى أوجهها المتعددة، وبالذات فقد كان اعجاب العرب كبيرا جدا بنهرو لدعوته ورعايته لسياسة الهند العلمانية خاصة وقد ذاق العرب الأمرين نتيجة اصطناع دولة اسرائيل فى وسطهم على أساس دينى وعنصرى بحت، ومن ناحية اخرى فان تفهم نهرو لحقيقة اسرائيل كجسر للاستعمار وكأداة ماصة لكل نشاط خلاق فى المنطقة مكن نهرو من قلوب العرب خاصة وان موقفه لم يكن موقف مساومة سياسية ولكنه كان انعكاسا لمبادئ أخلص لها نهرو طول حياته.

ولا يخفى على اصدقائنا الهنود ان العرب لم يعرفوا فى تاريخهم أى اضطهاد لأى أقلية دينية كانت، ولا حاجة بنا الى الاستشهاد بالمؤرخ المعروف

ارنولد توينبى وبقوله ان اليهود عاشوا دائما فى أمن وطمأنينة بين العرب وان اضطهادهم كان على ايدى الشعوب الاوروبية وأن كان العرب هم الذين دفعوا ثمن هذا الجرم الذى لم يرتكبوه .

اذن فإن التسامح الدينى الذى تميز به العرب على امتداد تاريخهم وجد تعبيرا حديثا فى سياسة نهرو ونظرته للحياة .

أما عن تأثير نهرو على العرب فى ميدان السياسة الخارجية فلاشك أنه أوضح وأقوى . فعند استقلال العرب تبين لهم أن المستعمر الذى جلا عن أرضهم مازال يريد العودة بشكل أو بآخر خاصة وأن موقع العالم العربى وأهميته الاستراتيجية فضلا عن امكانياته الاقتصادية جعلت من الرقعة العربية الممتدة من المحيط الأطلسى الى الخليج العربى (الفارسى) منطقة تتصارع فيها كل القوى وتتنافس ، مما عرض العرب الى الكثير من المحن حتى أنواع الضغط السياسى والاقتصادى .

كل هذه الظروف دفعت العرب الى التفكير فى سياسة تحفظ لهم استقلالهم من ناحية وتساعد على تخفيف التوتر الدولى من ناحية أخرى ، ولكن التفكير لم يطل اذ كانت هنالك صيغة سياسية دولية جاهزة وان تكن لم تصل الى حالة النضوج بعد ، تلك الصيغة تمثلت فى سياسة عدم الانحياز ، وكان مقدم هذه الهدية الى العرب نهرو مرة أخرى .

وحدث ماحدث عندما اعتنق العرب الاشتراكية فقد أضافوا الكثير الى فكرة عدم الانحياز ، وأثبتوا قدرتها على الصمود بالرغم من تعرضهم لغزو مفضوح مثل الذى حدث سنة ١٩٥٦ على مصر .

على أن كل ماسبق لنا الاشارة اليه فى هذا المقال من اشتراكية وعلمانية وسياسة عدم الانحياز قد يشرح هذا التجاوب الرائع بين نهرو

والقادة والمثقفين العرب الا ان هناك شئ أبعد من ذلك وأهم، هناك حب الجماهير العربية التلقائى وتعلق رجل الشارع البسيط بشخصية نهرو، اسأل كيف يمكن شرح ذلك؟ وأخمن وأقول أنه ربما كان مرجع ذلك عواطف نهرو الجياشة نحو العرب وتلقائيته فى التعبير عنها. وربما كان سبب ذلك تأييد نهرو الحاسم والفورى للعرب خلال كل الأزمات التى مروا بها، ربما كان مرجع ذلك تلك الابتسامة العذبة الصادقة التى كان يقابل بها نهرو الجماهير العربية المحتشدة لاستقباله فى كل مرة زار فيها أحد البلاد العربية.

شئ واحد يمكن القطع به وهو احساس الفرد العربى بأن موت جواهر لال نهرو كان خسارة شخصية لا تعوض.

أثر العلوم الهندية فى العصر العباسى

للدكتور على عبد الرحمن أبا حسين

لم يكن العلم مقتصرا فى وقت ما على عقل دون آخر وان الامة تتأثر بما عند الامم الاخرى نتيجة للاختلاط او الامتزاج فيما بينها وان فلسفة الاغريق مثلاً نتاج ما وصله العقل البشرى ولكنه اتسع عند اليونان وهكذا عند الهند والعرب وغيرهم.

ولاشك ان كثيرا من المصادر التاريخية اجمعت على أن نزول آدم عليه السلام خليفة الله فى أرضه كان (سرنديب) من بلاد الهند فقد نزل فى خير واد بعد وادى مكة، وهذا الوادى بارض الهند وعلى الجبل المقدس ذلك الذى يقال له (بوذ)، ومنه انفجرت ينابيع الحكم على لسان الرسول الاول ابى البشر آدم عليه الصلاة والسلام: وقد وجدنا ان العرب والهند يتقاربان على مذهب واحد فى ميلهم للعلم، واكثر ما يميلون الى تقرير خواص الاشياء والحكم باحكام الماهيات واستعمال الامور الروحانية.

وقد شهد العصر العباسى فيضاً من العلوم نتيجة الترجمة، وجذبت (بغداد) عاصمة الخلافة العباسية وقتئذ العلماء من كل ارجاء العالم نظرا لموقعها الوسط فى الامبراطورية ولانها على نهر (دجلة) الذى ينحدر الى الخليج ومنه الى المحيط الهندى فسهل ذلك اتصالها بالهند تجاريا وعلمياً كما ان (علم الانواء) او الفلك عند العرب تقدم بسبب ادخال الكتابين المعروفين بـ (السندهنتا) و (ارجبهد) اذ نقلا الى العربية ببعض التصرف فى اواسط القرن الثانى للهجرة وانتشر مضمونها فى الدوائر الراغبة فى العلوم رغبة صحيحة فكان هذا النقل بداية طيبة لتدوين علم الفلك فى

اواخر القرن الثانى الهجرى مما يتضح من فهرست (ابن النديم) وكتب (الفزارى) كتاب الانواء، و(ابن قتيبة) المتوفى سنة ٢٧٦ هجرية له كتاب الانواء ايضا وغيرهم. وعلى أثر ترجمة الكتب الهندية واليونانية عمل العرب على البحث فى علم الهيئة فظهر (محمد موسى الخوارزمى) المتوفى سنة ٢٣٦ ﻫ و (موسى بن شاكر) واولاده، والبتانى المتوفى سنة ٣١٧ ﻫ، و (ثابت بن قرة) المتوفى سنة ٢٨٨ ﻫ (والصوفى) المتوفى سنة ٣٧٦ ﻫ و (ابو الوفاء) المتوفى سنة ٣٨٨ هجرية و (ابن الهيثم) المتوفى سنة ٤٣٠ ﻫ و (البيرونى) المتوفى سنة ٤٤٠ هجرية وغيرهم ممن قاموا بالرصد فصححوا وزادوا على ما وجدوا واقتبس العرب منازل القمر من الهند بواسطة الفرس وان الثمانى والعشرين يوماً فى الشهر هى ايضاً عدد حروف الهجاء عند العرب كما هى عدد منازل القمر ويشبه الجهاز الهندى (الانواء او المنازل) العربية للقمر. ولكن العرب فى تآليفهم فى الفلك لم يوردوا مطلقاً الأوهام والخرافات التى ذكرتها الامم القديمة فلو درسنا كتاب الانواء لابن قتيبة الدينورى لوجدناه على محض لا خرافات فيه. وبذا تقدم علم الفلك فى العصر العباسى نظرا لأن بعض الخلفاء والوزراء قربوا المنجمين كابى جعفر المنصور وجعفر البرمكى لاعتقادهم بان حركات النجوم لها علاقة بما يحدث فى الدنيا من خير وشر، ولعلماء الفلك من اهل الهند طريقة تخالف طريقة منجمى الروم والعجم فكان نظر علماء الهند فى تسمية الكواكب بالسعد والنحس غير ما يراه علماء اليونان لان اليونانيين نظروا الى السعادة الدنيوية فكل كوكب موجب للتلذذ الدنيوى سموه سعداً والذى ليس بموجب له سموه نحساً، بينما نظر الحكماء الهنود الى السعادة الاخروية فكل كوكب موجب للنعم الدنيوية سموه نحساً والذى ليس بموجب له سموه سعداً.

وهذا لعمرى رأى فيه تشابه لما يراه المتصوفة فالسعد عندهم فى الحياة الاخرى والاعراض عن زينة الدنيا وزخرفها لانها عوامل نحس، خاصة اذا علمنا ان القرن الثانى الهجري وما بعده ظهر فيه الصوفيون ولعل تأثير الهنود من أحد اسباب ظهورهم. ويبدو اثر علم الفلك الهندى فى العصر العباسى بعد أن ارتحل (ابومعشر الفلكى البلخى) المنجم المشهور المتوفى سنة ٢٧٢ هجرية الى الهند واقام بها مدة وكسب علم النجامة من علمائه وقيل ان لقيه رجل من البراهمة من جبال شمال الهند وعلمه اياها ولابى معشر هذا كتاب السنين والمواليد ترجمه عن كتاب السندهنتا من (براهما غبطا). وكان (ابراهيم الفزارى) وابنه محمد المتوفى سنة ٨٠٨ م الفلكيان لها علاقات علمية بالهند فكانا يعرفان قسما من السندهنتا وهو كتاب فى الفلك الهندى علاوة على ذلك فقد ترجم محمد ابراهيم الفزارى بعض الكتب الهامة من السنسكريتية الى العربية وان الفزارى اول من وضع الاسطرلاب واعد جداول الملكية لتحديد المواقيت المضبوطة لاقامة الشعائر الدينية.

وقد دعا ابراهيم الفزارى العالم الفلكى الهندى (مانكا) وأحضر معه السندهنتا التى ترجمت الى اللسان العربى.

والسندهنتا هى خمس رسائل منها (سوريا سدهانت) وتعنى (حكمة الشمس او حكمة النجوم) و (روما كا سدهانت) ومعناها (الحكمة اليونانية) فى الفلك و (بوليشا سدهانت) نسبة الى احد علماء الاغريق و (غشيشتا سدهانت) وغيرها، وترجم كتاب (سوريا سدهانت) من اللغة السنسكريتية الى العربية وهو (علم النجوم) ومولفه (براهما غبطا) وترجم

(الفزارى) كما ترجمه ايضا (الكندى) و (البيرونى). وللفزارى فضل فى ترجمة الحساب من السنسكريتية الى العربية وهو الذى اخذ الارقام العربية وكذا الصفر فهو هندى فى الاصل. وان افلاطون اليونانى قال فى حقيقة النفس الرياضى «فهنا وفى الهند اصله» وتوكد كتب الهيئة ان الدائرة الهندية فى الرصد لمعرفة الظل الاصلى للشمس هى من مخترعات بعض قدماء الهند.

وقد اضاف العرب ما اثار اعجاب العلماء فقال (سارتن) انهم كانوا اعظم معلمين فى العالم فزادوا على العلوم التى اخذوها، واولا جهودهم لبدات النهضة الاوربية فى القرن الرابع عشر من حيث بدأ فيها العرب.

وقد عقد ابن خلدون فصلا «فى ان العرب ابعد الناس عن الصنائع» فقال: تجلب الصنائع للعرب من قطر اخر. وانظر فى بلاد العجم من الصين والهند وارض الترك وامم النصرانية كيف استكثرت فيهم الصنائع بينما العرب قلت فيهم لرسوخهم فى البداوة ودليل ذلك قلة الامصار فيهم».

واورد ابن النديم «انه اختلف فى اول من استنبط الطب وفى اول الاطباء، فقال «قيل من الهند وقيل من اليونان او من غيره».
ولذا يمكن القول ان من الطب العربى ما هو مستوحى من آراء الطب القديم وخاصة منها اليونانى والتى زينت باضافات فنية من الطب الهندى القديم علاوة على الطب الفارسى والسريانى وتجارب العرب التى توارثوها من اسلافهم.

وان حكماء الهند لهم طرق تخالف طرق الروم والعجم فانهم يعتبرون خواص الأدوية دون طبائعها وهولاء الحكماء من الهنود اصحاب الفكرة يعظمون أمر الفكر ويقولون هو التوسط بين المحسوس والمعقول

احب الجلالة الملك المعظم يصلي في المسجد الجامع بدلهي .

صاحب الجلالة الملك حسين ، عاهل الاردن والعقيد أبرو

فاعتقدوا بالوهم فى تصريف الاجسام كالاحتلام فى النوم تصرف الوهم فى الجسم. والوهم اذا تجرد عمل اعمالا عجيبة، ولذا كان الطب سببا فى ولوج العرب الى العلوم الفلسفية كاللاهوت والمنطق.

ولم تبلغ النهضة الطبية عند العرب ذروتها الا فى عهد العباسيين حين اخذوا يترجمون من اللغات اليونانية والهندية وغيرها الى اللسان العربى، ولكن العرب لم يقتصروا على الترجمة فحسب، بل جددوا واضافوا فصنفوا المؤلفات القيمة أساساً على ما جربوه من الادوية وخواصها. فصنف ابو الحسن على بن سهل بن الطبرى كتاب (فردوس الحكمة) وفيه اخذ عن الطب الهندى من كتاب (سسرتا) و (شركا) و (ندانا) و (اشتاقةهردى) وقد اقتبس منه (البيرونى) فى كتابه الهند (والمسعودى) فى مروج الذهب (وياقوت) فى المعجم وغيرهم.

وهكذا كان العصر العباسى عصر اقتباس العرب الطب عن الفرس والهند والاغريق واتضح ذلك خاصة فى عهد الخليفة المنصور الذى ضعفت معدته مما يجعله يهتم بالطب فيستدعى الاطباء ويشجعهم على البحث والتاليف فى الطب. وكذا البرامكة والرشيد الذى استقدم من يطبب له على طريق اليونان والهنود والفرس والكلدان وممن استدعاهم الرشيد الطبيب الهندى (منكه) فاصبحت بغداد وقتئذ عاصمة العلم ومركزا ثقافيا عظيما. كما امر البرامكة بنقل كتب الطب الهندى الى العربية لان يحيى بن خالد بن برمك كان مشرفا على شئون الدولة عموما وعلى التطور الثقافى بوجه خاص وقد استدعى يحيى البرمكى بعض علماء الهند لينقلوا كتبهم وافكارهم فنقلت من الهندية ثروة علمية الى اللغة العربية.

ومن المحتمل بان الاطباء الهنود الذين وفدوا من الهند فى عهد البرامكة دليل على ان التأثير اليونانى جاء بطريقة غير مباشرة من اليونان بواسطة الهنود الى الحضارة العربية . وراعى المأمون هذه الجهود فى خلافته اذ كان ذا ولع بالطب فقد روى عنه روايات تدل على حبه لدراسة وبحث الطب ومعرفته بالاغذية وخواصها ومما يلفت النظر ان (ديوسقوروسى) الطبيب الذى عاش فى الاسكندرية قبل الميلاد قد استخدم مصطلحات هندية ، مما يدال على ان علم الجراحة التى فقدت مكانتها فى الهند سريعا قد بقيت تحت التأثير الاغريقى فيما بعد وان العرب وان نقلوا عن طب اليونان فهو طب بناه الاغريق على مصادر هندية فى الاصل ولعل فتح الاسكندر للهند احد عوامل نقل هذه المعارف الطبية الى بلاده من بلاد الهند .

ومن هذا نستدل اثر الطب الهندى فى البلاط العباسى خاصة ذلك التأثير الذى كان من احد اسباب النهضة الطبية عند العرب ، وللهند تأثير فى السحر والطلسمات بما وضعوه من الكتب ككتاب طمطم الهندى فى صور الكواكب فقد روى ابن خلدون حكايات عن سحرة الهند وعن معرفة الاحوال الفلكية واوضاع الكواكب وارتباطها مع الامور الارضية من المواليد وهى علوم بكيفية استعدادات تقتدر النفوس البشرية بها على التأثيرات فى عالم العناصر اما بغير معين او بمعين من الامور السماوية فالأول هو السحر والثانى هو الطلسمات .

واما علم الاسارير[١] فهو الاستدلال بالخطوط الموجودة فى الأكف والاقدام والجباه بحسب التقاطع والتباين والطول والعرض والقصر

---

(١) طاش كبرى زاده . مفتاح السعادة ـ ج ـ ص ٢٨٩ ـ طبع حيدراباد سنة ١٣٢٨ هـ

وبحسب ما بينها من الفرج المتسعة او المتضايقة من حيث دلالتها على احوال الانسان من طول الاعمار وقصرها والسعادة والشقاوة والغنى والفقر، واكثر من تمهر فى هذا العلم الاعراب والهنود».

وفى الجغرافية اشار كثير من الرحالة العرب عن الهند فمنهم من وصل اليها (كاليعقوبى) و (سليمان التاجر) و (البيرونى) صاحب (كتاب الهند) بعد ان قام برحلات عديدة فيها ويعتبر هذا الكتاب من الكتب القيمة التى كتبه باسلوب بعيد عن التحيز. كما اشار (الادريسى) الى الهند فى نزهة المشتاق و (المسعودى) يروى ان الاسكندر المكدونى كان يكتب رسائل لاستاذه (ارسطو) عن الهند بعد ان فتح بعض بلاد الهند وكان يصحب حملة الاسكندر بعض العلماء مما يدل على التأثير الهندى فى الحضارة الاغريقية. ومر (سليمان التاجر) بسواحل الهند وسرنديب وهو فى طريقه الى الصين فذكر شيئا عن هذه البلاد وقال ان اعظم ملوك الدنيا فى زمانه ملك العرب اى خليفة بغداد ثم ملك الصين وملك اليونان ثم الملك (بلهرا) الهندى فروى هذا الرحالة طرفا من نظام الحكم فيها .

اما صاحب كتاب سلسلة التواريخ (ابو زيد الحسن السيرافى) فلم يصل الى الهند وانما استقى معارفه عن التجار الذين يسألهم عن بلاد الهند فكتب عن جغرافيتها واحوال اهلها فى القرنين الثانى والثالث الهجريين (الثامن والتاسع من الميلاد) وبذا نستطيع القول بان هؤلاء الرحالة وغيرهم كان لهم اثر فى نقل المعرفة الهندية ونشرها فى بلاد العرب علاوة على ما الفوا من كتب علمية قيمة.

اما فى الادب العربى فيتضح الاثر الهندى فى ترجمة كتاب (كليلة ودمنة) الذى وضعه (بيدبا) الفيلسوف الهندى (لدابشليم) ملك الهند وقد جعله الملك وزيره وهذا الكتاب بجعول على السنة البهائم والطيور تنزيها للحكمة وفنونها .

وان كسرى (انوشروان) ارسل (برزويه) الحكيم الى بلاد الهند لاستخراج الكتاب فاستخرجه ونقله من اللسان الهندى الى اللغة الفارسية . ثم قام عبد الله بن هلال الاهوازى بنقل كتاب كليلة ودمنة من الفارسية الى العربية وذلك ليحيى بن خالد البرمكى فى خلافة المهدى العباسى ، ونظمه (سهل بن نوبخت) شعراً ليسهل حفظه بعد أن رغب يحيى البرمكى فى حفظه وذكر انه اربعة عشر الف بيت نظمها (أبان بن عبد الحميد) لجعفر او ليحيى بن خالد وقد قلده يحيى ديوان الشعر فكان الشعراء يرفعون اليه اشعارهم فى البرامكة فيسقط مايرى اسقاطه وقيل ان (ابن المقفع) الفارسى الاصل هو الذى دخل فى خدمة عيسى بن على عم الخليفتين العباس والمنصور قد قام بترجمة كتاب كليلة ودمنة من اللغة الفارسية الى اللسان العربى وهو كتاب مترجم من البوذية الهندية الى الفارسية .

ونستنتج ونحن على يقين بان كتاب (كليلة ودمنة) ذو أصل هندى ترجم الى العربية عن طريق الفرس وهو من الكتب القيمة بما يحويه من حكم على لسان الحيوان . اما كتاب (الف ليلة وليلة) فقد يصعب الكشف عن حقيقته لأن مؤلفه مجهول وحكاياته متنوعة العرض والاسلوب وان اكد علماء الاساطير او على الاصح بعضهم ان أصله من بلاد الهند

ثم نقل الى الفرس ثم الى لغة العرب وانتهى به الأمر الى بلاد الغرب.
وحينما استقصينا حقيقة هذا الكتاب وجدنا ان اول من اورد ذكره من المؤلفين العرب هو صاحب (مروج الذهب) المؤرخ (المسعودى) المتوفى سنة ٣٤٦ هجرية، وذلك حينما اشار الى اخبار «إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد» فقال: «ان هذه اخبار موضوعة من خرافات مصنوعة نظمها من تقرب من الملوك برواياتها وان سبيلها سبيل الكتب المنقولة الينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية مثل كتاب (هزار افسانه) وتفسير ذلك بالفارسية الف خرافة واسم خرافة بالفارسية (أفسانه) والناس يسمون هذا الكتاب الف ليلة وهو خبر الملك والوزير وابنته وجاريتها شهرزاد ودنيازاد.

اما صاحب (الفهرست. ابن النديم) المتوفى سنة ٣٨٥ هجرية فقد اورد الف ليلة مع كتب الخرافات فسماه (هزار افسانه) ومعناه (الف خرافة) وترجم هذا الكتاب الى العربية بعنوان (الف ليلة) فى اواخر القرن الثالث الهجرى من اللغة الفارسية الا انه فى الاصل من الاقاصيص الهندية فلو استعرضنا المقدمة وبعض القصص نجدها تتشابه الى حد كبير فى الموضوع والاسلوب بالقصص الهندية فمثلا قصة (شهريار واخيه) انها مشابهة لقصة (كاقاسارت ساهارا) الهندية وان جمع حكاية باخرى لتكوين قصة، هذه من ميزات الادب القصصى الهندى كما يتضح من قصة (مهابهاراته وبنجة تنترى) اصل كليلة ودمنة وكما فى قصة البيغاء مع زوجة صاحبه فى قصة (سوكا سا بتاتى) الذى كان يروى لها الحكايات ليشغلها عن الذهاب لحبيبها ولايتم القصة الا فى يوم آخر إذ يقول لها اذا مكثت هنا سأروى

لك بقية القصة، وهذا الاسلوب هو ذاته اسلوب الف ليلة وليلة، ويلاحظ ان فى الاستجواب مثالا آخر يثبت ما ذهبنا اليه فان الراوى حين يرغب فى استثارة سامعه يقول ان قصة هذا كقصة ذلك فهل سمعت بها؟ ثم يقول السامع وكيف حدثت؟ فحينئذ يرويها له وهذا الاستجواب ما هو الا ترجمة للفظ السنسكريتى (كا تام اتات). وزيادة على ذلك فان من القصص ما هو من اصل فارسى ايضا. ولكن يمكننا الجزم بعد التحقيق الذى اوردناه بايجاز بان بعض الحكايات فى كتاب الف ليلة وليلة هندية وبدلالة مسمياتها (كالسندباد) معرب من سند وهى ارض فى الهند ورحلاته فيها ووصف المناظر وغيرها مما يثبت هذه الحقيقة.

ولو تصفحنا ما تشابه من الشعر العربى بالشعر الهندى لوصلنا الى نتيجة هامة وهى ان بعض البحور الشعرية (كالمتقارب وركض الخيل والسريع) متشابه الى حد كبير جدا بينهما فالشاعر الفحل الذى لا تزل قدمه فى الوزن بالشعر العربى ينبغى ان يجيد عروض الشعر كما هو الشاعر الهندى الذى عليه ان يدرك العروض الشعرية لكى يخوض فى نظم الشعر الجيد خلاف الشعر الفارسى الذى يستطيع الشاعر فيه ان ينظم اذا كان له أدنى سليقة ودون علم بالعروض الفارسية دونما ان يخرج عن القافية والوزن.

واتصف الادب العربى بالتشبيه البليغ والجناس والسجع والتورية والاستعارة مما نجد مايشبهها فى بلاغة الادب الهندى ايضا ولنا من كتاب سبحة المرجان امثلة تثبت ذلك ولايعنى ان احدهما اثر فى الآخر لاننا نترك الأمر للمختصين فى البلاغة فهو يحتاج الى تعمق اكثر.

ولو تدارسنا كتب (الجاحظ) كالبيان والتبيين والبخلاء والحيوان لرأينا ما حوت تلك الكتب من حكم هندية تدل على التأثير فى مجال الادب العربى ايضا .

وقد اوفد (انوشروان) الحكيم (برزويه) الى بلاد الهند ليجلب (الشطرنج) فاستخرجه كما وضع (صصه) بن داهر الهندى الشطرنج للملك شهرام ايضا ، بينما وضع النرد (اردشير بن بابك) الهندى الحكيم على اساس ان الحظ هو المسير للامور وهو وسيلة النجاح او الفشل بينما الشطرنج وضع على اساس الفكر هو اساس النجاح .

وتقدم فن الموسيقى فى الهند تقدما محسوسا اذ اعتبر الهنود الموسيقى جزءاً من عباداتهم فجعلوا له الاهاً ، فما كان من العرب الا ان اقتبسوا الاوزان الموسيقية علاوة على الارقام التسعة فى الحساب والصفر حتى قيل «من فضائل الهند كليلة ودمنة والشطرنج والاحرف التسعة التى تجمع انواع الحساب» ونختم هذا الموجز بان الاقوام المختلفة التى دخلت فى حظيرة الخلافة العباسية اشتركت فى الترجمة فدونت بعض مظاهر حضارتها باللغة العربية ومنهم من الهند ، وبذا انتشرت العلوم انتشارا يدعو للاعجاب فنضجت الملكات فى البحث والتأليف ، وقد ساعد بعض الخلفاء والوزراء والسلاطين رجال العلم على ذلك فكثر العمران واتسع الفكر العربى . وان النقل لايقل اهمية من جهة نظر تاريخ الثقافة عن الابتكار لان هذه الفترة فى العصر العباسى الاول اعقبتها فترة ابتكار وابداع فلم يقتصر العرب على هضم علوم الأوائل فحسب بل كيفوها حسب حاجاتهم وصححوا

واضافوا ما وجدوه عن اسلافهم حسب تجاربهم الخاصة فظهرت بحوثهم اصيلة فى علوم اللغة والتشريع بنتاج مبتكر أصيل بينما استعانوا بما عند الامم الاخرى فى الكيمياء والفلك والرياضيات والجغرافيا فلم يعتمدوا الا على المعقول منها اذ وجهوا عليها التحقيق العلمى بالمنطق والتجربة وهذه لعمرى طرق البحث العلمى الصحيح وعلينا ان نقول ان الدراسات الهندية التى اقتبس منها العرب لاتؤثر فى اصالة التراث العربى ذو الطابع الاصيل فقد صهرت الثقافات الاجنبية فى بوتقة التجارب والتحقيق واظهرتها فى قالب جديد واصيل .

———

من النارجيل إلى النخيل

(١)

الاستاذ قاضى اطهر المبارك بورى

فى تلك الحقبة من التاريخ التى بعث فيها النبى صلى الله عليه وسلم، كانت تقطن أطراف جزيرة العرب وأنحاءها المختلفة شعوب كثيرة من النازحين الدخلاء الأجانب. ولما انطلقت الدعوة الاسلامية لقيتها هذه الشعوب كما لقيها العرب بالطبع. ولما استفحل أمر الدعوة وتجاوبت لها أصداء الجزيرة إلتحق اكثرها بالاسلام إقتداء بالعرب، وبعضها ارتضى البقاء على دياناته السابقة بقبوله الجزية.

وكان الروم يسيطرون على المنطقة العربية المتاخمة للشام فى الشمال الغربى سيطرة الحاكم الأعلى. وكان العرب يمارسون فيها حكما يشبه «الحكم الانتدابى» اليوم ممثلين لسلطان الروم وهم كالغساسنة[١] فى الشام والمناذرة[٢] فى الحيرة. وكان العراق فى الشمال الشرقى تحت سيطرة ملوك فارس (إيران) وكانت ابله المركز والمسرح لحيويتهم السياسية. كما كان الحكم فى جميع المناطق الساحلية فى الخليج العربى مثل البحرين وعدن إما لاساورتهم أو للعرب الخضع لهم وكانت سلسلة مثل هذه الحكومات أو - بالأصح - الامارات تمتد إلى اليمن. وكانت المنطقة الساحلية فى شرق جزيرة العرب

---

(١) سلالة عربية يمنية الأصل استوطنت بلاد حوران وشرقى الأردن وفينيقية اللبانية وفلسطين الثانية والثالثة قبل الاسلام ظهر فيهم ملوك مشاهير منهم الحارث بن جبلة. (٢) اسم خمسة من امراء بنى لخم أصلهم من اليمن رحل بعضهم قبل الهجرة إلى شمالى جزيرة العرب وإلى بلاد سوريا وفلسطين، والعراق حيث شادوا مملكة لخم فى الحيرة وسمى ملوكهم بالمناذرة وكانوا خصاما لغسان كانوا مسيحيين ثم استمروا. وكان المنذر الثالث من اشهر ملوكهم (٥١٤-٥٥٤م) حارب الروم مرارا وقتل منهم الكثير.

بأسرها تحت نفوذ الفرس وكان يوجد فى مناطق غرب اليمن عدد كبير من الحبش والزنوج وكان الحكم فى اليمن على عهد صبا رسول الله صلى الله عليه وسلم مسندا إلى رجل عربى يسمى سيف بن ذى يزن. فغلب عليه ملك الحبشة واستولى على اليمن بأجمعها غير أن استيلاءه لم يلبث قليلا حتى استبدل به استيلاء الفرس الذى لم يزل قائما إلى البعثة. وخلاصة القول أن حدود جزيرة العرب كانت فى سيطرة الأجانب الدخلاء واستغلالهم، وكان القائمون بالحكم فيها إما رجال من أنفسهم أو الموالون الممثلون لهم من العرب. ومن ذلك يستبين أن الروم والفرس والحبش والهنود كلهم كانوا يسكنون جزيرة العرب بما لهم من حضارات وتقاليد وكانت حقلا لهم لممارسة السلطة وبسط النفوذ يوم بعثته صلى الله عليه وسلم.

ولم تكن للامم الهندية سلطة ونفوذ فى جزيرة العرب مباشرة إلا أنها كانت تحتل مكانة وأهمية عظيمة لعدة أسباب أهمها يرجع إلى ما للفرس من سيطرة واستيلاء على معظم أقطار الجزيرة يومئذ. ففى حين كان الفرس يتمتعون بالسيادة والعلو على حكام وملوك الهند والسند وبلوخستان. وكانت الكلمة لهم نافذة فيهم، كذلك كانت المنطقة الساحلية فى جزيرة العرب من العراق إلى اليمن تخضع لسلطانهم القوى فى ذلك الحين نفسه، فلذلك إنما كسب الهنود ما كانوا يتمتعون به من مجد ونفوذ فى هذه الحدود من الجزيرة بواسطة سادتهم الفرس. فقد سكن عدد كبير منهم فى جزيرة العرب بعد أن انضموا إلى الاساورة جند الفرس فكانت هذه العلاقة الحاكمية مع العرب التى نالوها بواسطة الفرس مما استجلب

 وزادهم تركيزا لمناصبهم على العرب بعد ما كان يقرب بعضهم إلى

الاخر من الروابط التجارية العريقة المتوغلة فى القدم. وأقبل الهنود يتجرون فى السلع والبضائع الهندية فلازم بعضهم السفن العربية لتجارتهم واختار بعضهم الاقامة فى بلاد العرب فكان من نتيجة ذلك أن جزيرة العرب قد استوطنتها أجناس هندية مختلفة فى عهد بعثته صلى الله عليه وسلم دعاها سكان الجزيرة بأسماء مختلفة فى لغتهم فلقد سموها مثلا باسم الزط والأساورة والسيابجة والأحامرة والميد والبياسرة والتكاكرة وغير ذلك من الأسماء وإن تسمية السكان النازحين من بلاد باسماء وألقاب بمثل هذه الكثرة والاختلاف ينهض دليلا واضحا على أن عددهم كان هناك عظيما جدا وكانت لهم شهرة وصيت وذكر فى كل الأنحاء ولقد كانت آصرة الدين ووحدة الوجهة فى أمر الديانة مما عاون على ربط الهنود بالعرب فلما اختلطوا بهم واصطكوا استأنسوا بهم واصطبغوا بصبغتهم فى منهج المعيشة.

كانت تلك هى الأوضاع والظروف لما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم فى مكة المكرمة ولقى الاسلام فيها من الكفار والمشركين اضطهادا مريرا ومقاومة عنيفة مدة ثلاث عشرة سنة، فلم يتمكن من مجاوزة هذا النطاق الضيق طوال هذه المدة ولذلك لم يستطع سكان أقاصى الحدود والجهات النائية أن يعرفوا عنه إلا قليلا وبالطبع لم يستطع أهناد هذه الحدود أيضا أن يطلعوا على واقع الاسلام وحقيقته كشأن مواطنيهم القح العرب غير أن عددا من الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ هاجروا إلى الحبشة فى الحياة المكية عهد الاسلام الأول، فكانوا سببا فى التعريف بالاسلام فى الحبشة وأعمالها ويغلب على اعتقادنا أن سكان الثغور القائمة تجاه الحبشة من العرب والعجم أيضا كانوا قد وقفوا على الاسلام وعرفو

عنه شيئا كثيرا بما ترامى إليهم من الانباء والاخبار عن امر هؤلاء المهاجرين في ذلك الحين. ومما يؤكد ذلك أن باذان والى اليمن - رضى الله عنه - كان قد أسلم فى العهد البدائى من بعثته صلى الله عليه وسلم، وأسلم معه عدد كبير ممن كانوا حوله من الأساورة والفرس. على أنه بالرغم من ذلك لم تكن هذه المناطق قد عرفت الاسلام معرفة كاملة صحيحة عن طريق الدعوة والتبليغ بعد. وإنما حصل لهم ذلك بعد أن هاجر النبى صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة فى السنة الثالثة عشرة من البعثة، فان الهجرة قد أثرت تأثيرا عظيما فى حياة الاسلام فبها انطلقت الدعوة من نطاقها الضيق لتنتشر فى آفاقها المترامية الواسعة؛ فانها منذ يومها الأول مهدت السبيل للتعريف بالاسلام فى مناطق الحدود بسبب ماتلقته من الأنباء، ولم يقف الأمر عند هذا الحد فحسب بل إن البلاد المتاخمة لجزيرة العرب تلك التى كانت تربطها بالعرب علائق قديمة - هى ايضا عرفت حادث الهجرة مما تنسمته من الأخبار لهذه الوقعة الخطيرة. ولقد كانت الهند إحدى البلاد التى ترامت إليها هذه الأخبار وأثارت فى سكانها بعض الاهتمام والاستشراف.

وفيما بين العام السابع والثامن الهجرى بعث النبى صلى الله عليه وسلم بدعوة الاسلام إلى التخوم واختار جماعة من الصحابة لتبليغ الدين والدعوة إلى التوحيد ووجههم إلى الأمراء والحكام واصحاب الشرف والوجاهة من اهالى الأقطار داخل الجزيرة وخارجها يحملون إليهم رسائله صلى الله عليه وسلم يدعوهم فيها إلى الاسلام. ومنذ ذلك الحين عرفت الدعوة طريقها من العراق إلى الثغور الشرقية واليمن، وأخذت تنتشر

انتشارا سريعا . وعندئذ تيسر للمجوس والفرس وغيرهم من الأعاجم أن يعرفوا دعوة الاسلام تفصيليا كما تيسر للعرب أن يعرفوها وكذلك كان حال الهنود الساكنين فى هذه المناطق حيث عرفوا دعوة الاسلام عن كثب فاعتنق عامتهم الاسلام كما فعل معظم جيرانهم وانضموا إلى المجتمع الاسلامى وتعاونوا فى العمل على بناء حياة الاسلام. وأعرض الآخرون - وهم قلة قليلة - كعامة المجوس وآثروا اداء الجزية على قبول الاسلام رغبة منهم فى البقاء على دينهم القديم فعدوا من المجوس .

وقد تطرق ذكر الاسلام إلى الهند أيضا كما كانت رجة لصدى صوته فى الممالك الاخرى وتعلقت رغبة كثير من رجال الهند الدينيين وأمرائها وحكامها بانشاء رابطة بينهم وبين الاسلام وصاحب رسالته صلى الله عليه وسلم - مباشرة ليفهموا الاسلام وتعاليمه عن هذا الطريق فهما صحيحا . وقد تحدث النبى صلى الله عليه وسلم عن الهند وأهاليها لعدة مرات فتناولت طائفة من احاديثه صلى الله عليه وسلم الهند وأشياءها بالذكر والحديث . ووردت فى القرآن الكريم أسماء لبعض الأشياء الهندية واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا من أشيائها الطيبة وأشار على أصحابه باستعمالها ، واستحسن بعض عاداتها كما نذر بعضها وامر الصحابة باجتنابها . واشتملت ثنايا التراث الأدبى الاسلامى على ذكر كثير من أجناسها وأشيائها وتقاليدها وعاداتها وقد تعرض شعر الصحابة لذكرها مضافا ذلك إلى ما احتوى عليه القران الكريم والحديث النبوى .

ولقد كنت مسعود الحظ إذ وفقنى الله تعالى بفضله العظيم ومنه الجليل لتحضير هذه الناحية المهمة من السيرة الطيبة ، ولما أكببت على

مطالعة الحديث ودراسة كتب السير والتاريخ للكتابة فى الموضوع بعنوان «السيرة النبوية والهنديات» انكشفت لى عجائب الحقائق الكامنة وبدائعها وتسنت لى مادة خصبة تستحق أن تكون هامشا يضاف إلى الكنز الفياض للسيرة العظيمة وانه ـ ولاشك ـ لمن حسن المصادفة ان الذى خطر على باله هذا الموضوع وشمله التوفيق الالهى فتمكن من القيام باعداد البحث ـ هو ايضا من مواليد احدى بقاع (مباركپور) تلك المنطقة (اعظم كره) التى وضع بها فى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم مؤلف عظيم شامل منقطع النظير باسم «سيرة النبى» لمؤلفيه : شبلى النعمانى والسيد سليمان الندوى.

ولا أشك فى أن موضوعا تناوله شبلى وسليمان بالبحث والتمحيص، اذا أراد كاتب ان يكتب فيه من جديد أو يضيف إليه بحوثا أكثر قوة ودلالة عد ذلك تطاولا وتجاسرا منه على أن هذا النوع من التطاول والتجاسر فى ميادين العلم والبحث محمود ومقبول لما فيه من نفع وجدوى فواجب كل عالم ان يقوم حسب طاقته بعمل يذكر وخدمة تشكر ولا يلقى نفسه فى البحر الميت من الجمود والهمود ويتظاهر بالوداعة والتواضع تبريراً لجموده وخموده.

ولاينبغى ان يفوتنى هنا ذكر تلك المحاولة فى هذا الصدد التى نوه بها العلامة ميرزا غلام على آزاد مؤرخ الهند فى تاريخ حياته : «وفى أركات تسنى لكتاب» شمامة العنبر فيما ورد فى الهند من سيد البشر «البروز من بحر الفكر إلى شاطئ القرطاس» . على أنه لم يقدر لى العثور على هذا الكتاب رغم ما بذلت له من الجهد ولوعثرت عليه لاستفدت منه فى موضوعى استفادة عظيمة.

---

(١) مآثر الكرام ج ٢/ص ٢٩٥

السند والهند فى نظر العرب

قد كانت السند والهند فى حسبان العرب إقليمين مختلفين يقعان جهة الشرق من بلادهم عبر البحر. فالسند كانت تحدها الهند وكرمان وسجستان وتليها الهند التى تتاخم الصين شرقا. وأحياناً أطلق العرب «الهند» عليهما معا. ولما أعاد التاريخ نفسه اتفق أن سمى القسمان من قطر «هندوستان» العظيم نفساهما - على وجه التقريب - بعد الحصول على الاستقلال باسم بهارت وباكستان ولم يزل الاسم الجامع لهما حتى اليوم «هندوستان».

وإن إبن خرداذبة الجغرافى العربى[١] القديم عند ما تعرض اوصف بلاد السند أحصى فيها المدن الآتية:

قيقان (كيكان قلات) ونبه (لعله يريد: نبون) ومكران وميد وقندهار (كندهارا) وقصدار وبوقان، وقندابيل، وفنزبور، وأرمابيل، وديبل (تقرب من كراتشى) وقنبلى، وكنبايا (كهنبائت) وسهبان، وسدوسان، وراسك والردر (الور) وساندرى، ومولتان، وسندان (سنجان، بمباى) ومندل وبيلمان (بهيلمان، كجرات) وسرست، وكيرخ، ومرمد، وقالى (پال جونا كڈھ) وهنج (كجرات) وبروص (بهروج)[٢].

ولم يراع ابن خرداذبة الترتيب فى ذكر أسماء هذه المدن وإنما أورد الأسماء لجميع مدن السند إيرادا. وكان عامة العرب يسمون سكان

---

(١) هو جغرافى فارسى الأصل شغل منصب «صاحب البريد والخبر» بناحية الجبل. روى الأخبار عن أنساب الفرس وعن الملاهى والموسيقى والشراب وصناعة الطعام من مؤلفاته: «المسالك والممالك» وهو مصور هام لتعريف صفة الارض. (ملحق المنجد) وكان هذا الكتاب نادرا، وقد التزمت طبعه ونشره مكتبة المثنى ببغداد أخيرا فيسرت الحصول عليه. (٢) المسالك والممالك ص ٥٧

هذه الحدود « السنود » وإنما كانت السند تخضع لسلطان ملوك فارس وسطوتهم لأن حكام إقليم السند وولاته كانوا يؤدون الضرائب ويطيعونهم ، وكان هؤلاء الملوك يستقدمون الرجال من السند لتجنيدهم فى الجيش كلما دعتهم الحاجة إلى ذلك . وكان أردشير ملك فارس قد خلع على حكام السند بشتى الألقاب من قبله . ومن تلك الألقاب التى منحها حكام السند : « قفص شاه ، ومكران شاه ، وقيقان شاه ، وقشميران شاه » وقد كان كل واحد من هؤلاء الحكام على انفراده بناحية يحكمها يخضع لسلطان ملك فارس ويعرف فى عمالته بلقبه الممنوح المختص به.[١]

لقد كانت الهند التى تمتد إلى تخوم الصين مما يلى السند وفق تقسيم العرب وكذلك كانت تقع بين السند والهند نحو الساحل مدينة إسمها « قامهل » ولعلها كانت توجد قرب إحدى بقاع بيكانير وجيسلمير وجوناكده تلك التى كانت تلتقى فيها تخوم السند والهند وكتب ياقوت الحموى :

« قامهل مدينة فى اول حدود الهند ، ومن صيمور إلى قامهل من بلد السند ، ومن قامهل إلى مكران والبدهه وما وراء ذلك إلى حد الملتان كلها من بلاد السند . . . وبين المنصورة وقامهل ثمان مراحل ومن قامهل إلى كنباية نحو أربع مراحل[٢] » .

وقد أراد ياقوت الحموى بما بين قامهل وصيمور (بمباى) من المنطقة كجرات التى عدها من أصقاع الهند ولم يرد بذلك تلك المنطقة الساحلية التى تشمل كوكن ، ومليبار ومعبر ، وكاه ، وشلاهط (سلهث) وقمار ، ومملكة قهراج وغيرها من الكور والمخاليف .

---

(١) المسالك والممالك ص ٨٨ (٢) معجم البلدان ـ ج ٧/ص ١٨ ـ طبعة مصرية .

ولقد كان الولاة والحكام فى السواحل الهندية والجهات المجاورة لها يتلقبون بألقاب كثيرة ذكر إبن خرداذبة لفيفة منها وهى : بلهرا ، وجابه ، وطامن ، وملك جزر وغابه ، ورهمى ، وملك قامرون ، وملك زابج (فتحب) ومهراج . وإن الحكام فى الهند أيضا كانوا قد نالوا حظا مما منح ملك فارس أردشير من الألقاب الملكية . فلقد ثبت أنه منح أحد ولاة الهند لقب ملك ريحان [1] .

وهذه المناطق الساحلية من السند والهند هى التى كانت تقوم بينها وبين جزيرة العرب الروابط والصلات على العموم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان العرب يقصدون هذه الجهات فكانوا ملمين بكثير من محصولاتها وأجناسها ورجالها إلماما صحيحا وكذلك سكان هذه الجهات أيضا كانوا يعرفون عن العرب شيئا كثيرا إما مباشرة أو عن طريق الأخبار التى كانت تخلص إليهم عن العرب .

مواصلات الهند البحرية والساحلية مع جزيرة العرب قديما

بلاد العرب ـ أو شبه جزيرة العرب ـ هضبة مستطيلة الشكل تقع فى آسيا الجنوبية ، ويحدها شمالا الشام وشرقا الفرات وجزء من المحيط الهندى وغربا البحر الأحمر ، ومن جبل اليمن إلى بادية الشام تمتد سلسلة جبال السراة التى تنشطر بها البلاد شطرين أحدهما يعرف بالاقليم الغربى والثانى بالاقليم الشرقى . والمنطقة التى تمتد من جبال السراة على ساحل البحر الأحمر تسمى غور . والمنطقة التى تشمل تهامة وعبره والعراق الشرقى وسماوة تسمى نجد وتفصل المنطقتين احداهما عن الأخرى المنطقة الواقعة بينهما كالبرزخ الفاصل التى تعرف بالحجاز . ثم المنطقة التى تشتمل على نجد

(١) المسالك والممالك ص ١٦ و ١٧

والخليج العربى الشرقى واليمامة والبحرين وعمان تعرف بعروض . وأما ما يلى الحجاز من المنطقة التى تمتد جنوبا فتعرف باليمن .

وان سكان جزيرة العرب كانوا طبقتين فى الجملة طبقة تمثل أهل المدر وطبقة تمثل أهل الوبر . وأهل المدر هم القوم الذين كانوا يقطنون المدن والقرى وكانت وسائل الكسب وموارد الرزق متوافرة لهم فكانوا يملكون المزارع والبساتين وحدائق الفواكه والضأن والمعز والابل والمتاجر وغيرها من مختلف الحرف التى كانوا يصرفون إليها فلهذا كانوا من ذوى اليسار والرخاء وعاشوا عيشة متمدنية عرفت حينذاك وأما أهل الوبر فهم اهل البدو الذين كانوا يعيشون عيشة تسكع فى الصحارى الرملية الفيحاء . وكان معوالهم الأكبر فى الحياة على الابل إذ أنهم كانوا فى ترحال وتنقل مستمر من جهة إلى أخرى استنجاعا للآبار والينابيع والجهات الرعوية المعشوبة ويقضون أيام الحر اللافحة صيفا فى الصحارى الرملية القاحلة دون أن يصيبهم ضيق أو ينتابهم تذمر غير أنهم فى فصل الشتاء كانوا يلتجئون إلى حدود العراق والشام أو إلى الجوانب القريبة من مدن أخرى حيث كانوا يعيشون عيشة قاسية غليظة أكثر منها فى الصحارى الرملية الحامية ضنكا ومحنة .

والهنود الذين كانوا يقطنون جزيرة العرب إنما كانوا يساكنون أهالى البلدان والقرى بوجه عام ، ويشاركونهم التجارة والصناعة وغيرهما من المهن غير أن طائفة منهم كانت تعيش فى الخيام عيشة الاعراب البدو الرحل فكانت تتنقل مثلهم من جهة إلى أخرى فى طلب الماء والمرعى .

وكان أغلب السكان الأهاند يسكنون المناطق الساحلية التى كانت تقع فيما بين الشمال الشرقى والجنوب من الجزيرة وما جاورها من المرتفعات

والأنجاد. وكان فيها عدة ولاة من العرب كانوا يتولون فيها الحكم نائبين عن الفرس. كما أنها لاتزال توجد بعض إمارات ومحميات ومشيخات صغيرة مستقلة (داخليا) تحت نفوذ الانجليز فى هذه الجهات إلى عصرنا الحاضر يتولى فيها الحكم الشيوخ العرب.

وإننا نريد الآن أن نتحدث عن تلك الجهات الساحلية التى كانت تسلك للمواصلات والرحلات بين جزيرة العرب والهند ليمكننا الوقوف على الطرق التى كان يتم بها السفر البحرى بين القطرين فى الزمن الغابر العتيق. ونستفيد فى ذلك مما يحويه كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة من تفاصيل فى هذا الصدد. فهى أكثر نفعا وفائدة لأنه عول فى كتابة جغرافيته على المعلومات القديمة ومعظم اعتماده فى ذلك على بيان بطليموس الذى كان من مشاهير الجغرافيين الاغريق كما صرح بذلك ابن خرداذبة فى مقدمة كتابه.

وإن الطرق البحرية التى كانت تصل البصرة ـ وهى التى سميت قديما باسم «ابله» ـ فى جهتها الشرقية بفارس والهند والصين كثيرة نذكرها تفصيليا فيما يلى:

جزيرة فارس تقع على بعد خمسين فرسخا من البصرة ومساحتها فرسخ واحد مربع وتوجد فيها بساتين العنب والتمر يشتغل أهلها بالزراعة، وعلى بعد ثمانين فرسخا منها تقع جزيرة لاوان وتبلغ مساحة عمرانها فرسخين مربعين وتمتاز بمزارعها وبساتينها التى يكثر فيها النخيل. وتبعد منها جزيرة أبرون سبعة فراسخ ويحيط عمرانها بفرسخ واحد وبها حقول زراعية وبساتين النخيل. وجزيرة خين تبعد عنها سبعة فراسخ وهى تحيط

بنصف ميل وأرضها غير مسكونة وكذلك البعد بينها وبين جزيرة كيس سبعة فراسخ ومساحة هذه الجزيرة تبلغ أربعة فراسخ ويشتغل أهلها بالزراعة وفلاحة البساتين كما يستخرجون اللآلى من البحر. وجزيرة ابن كاوان منها على بعد ثمانية عشر فرسخا ومساحتها ثلاثة فراسخ وجزيرة أرموز (هرموز) تبعد عنها سبعة فراسخ. وتقع على مسيرة سبعة أيام منها ثارا.

ومن البصرة إلى هذه الجزيرة يمتد التخم الفاصل بين فارس والسند وعلى مسيرة ثمانية أيام منها قامت مدينة ديبل[1] تلك التى يصب نهر مهران (نهر السند) فى البحر على بعد فرسخين منها وعنها تقصو كولى فرسخين كذلك وتقصو عنها سندان (سنجان: التى هى من أعمال بمباى) ثمانية عشر فرسخا، ثم على مسيرة خمسة عشر يوما منها تقع ملى (مليبار) وبلين تقع على مسيرة يومين منها.

ومن بلين يتفرع الطريق البحرى إلى عدة فروع. واذا سار احد على الساحل وأتى بلين وجد باتين على مسيرة يومين منها، وسنجلى وكبشكان على مسيرة يوم منها وملتقى كودا فريد على ثلاثة فراسخ منهما وأورنشين على اثنى عشر فرسخا منه، وابينة على مسيرة أربعة أيام منها.

واذا سار أحد من بلين قاصدا سرنديب وصل إليها بعد مسيرة يوم وتليها جزيرة رامى. وإذا أراد أحد السفر إلى الصين من بلين فليغادرها بحيث يجعل سرنديب على يساره. ومن سرنديب تقع جزيرة النكبالوس على مسيرة ما يتراوح بين عشرة وخمسة عشر يوما، وتبعد عنها

(١) وقد كانت هذه المدينة بالقرب من موقع «كراتشى» الحديثة عاصمة باكستان

جزيرة كله بقدر ستة أيام وفى شمالى هذه الجزيرة على مسيرة ستة أيام منها تقع جزيرة بالوس، ويبعد منها كل من جابه وشلاهط وهرلنج فرسخين[١] .

لقد كان ذلك هو الطريق للمواصلات بين الغرب والشرق ذلك الذى يبدأ من البَصرة (أبله) ويصل إلى الهند مارا بالجهات الساحلية لفارس. وكان الهنود فى قديم الزمان يسلكون هذا الطريق فى رحلتهم إلى البصرة وبهذا الطريق كان التجار العرب يرحلون بمتاجرهم إلى الهند والسند .

والمنطقة الساحلية الممتدة من عمان إلى البصرة تقع على الخليج العربى[٢]، وهى التى تمتد شرقا[٣] إلى عمان (التى هى من بلاد العرب) من ناحية، وإلى بندر عباس (التى هى من بلاد فارس) من ناحية أخرى. وقد كتب ابن خرداذبة عن هذا الخليج انه يبلغ اتساعه سبعين فرسخا وعمقه ما بين سبعين وثمانين باعا. ووصف الطريق البحرى الذى يمتد من البصرة إلى عمان كما يأتى :

الطريق من البصرة إلى عبادان يمر بنهر دجلة وتقدر مسافته باثنى عشر فرسخا وعلى بعد فرسخين من عبادان تقع خشبات، وعلى بعد سبعين فرسخا منها تقع البحرين التى هى من شط العرب، وتقع در دور على مسافة مائة وخمسين فرسخا منها. وتبعد عمان خمسين فرسخا منها، وشحر على بعد مائتى فرسخ منها وبينها وبين عدن مائة فرسخ وهى ميناء عظيم

---

(١) المسالك والممالك . اقتباس وتلخيص من ص ٦١ إلى ص ٦٦

(٢) ويسمى أحيانا الخليج الفارسى ، والبحر الفارسى وخليج العجم

(٣) إذا سار أحد فى الخليج العربى شرقا من البصرة انتهى به السير إلى حيث تكون حافة بلاد العرب على يمينه وحافة فارس على يساره .

لا يشتغل سكانها بالزراعة ولا يقومون بتربية الماشية والانعام غير أنه يوجد بها العنبر والعود والمسك بكثرة كما يوجد بها الكثير من متاجر السند والهند والصين والحبشة والزنج وفارس والبصرة وجده والقلزم.

وهذا وصف تفصيلى للطريق الذى يخترق البحر من البصرة إلى عمان وغيرها من المناطق الساحلية. وقد كتب ابن خرداذبة عن الطريق الذى يخترق السهول الساحلية من البصرة إلى عمان: انه يمر على المواضع الآتية أسماؤها: البصرة وعبادان وحدوثة وعرفجاج، وزابوقه، والمقر، وعصى، ومعرس، وخليجة، وحسان، والقرى، ومسيلحة، وحمص، وساحل، وهجر وعقير وقطر والسنجه وعمان وبها تقع مدينتا صحار ودبا[١].

ولكى نفهم الصلات العريقة القائمة بين العرب والهند فهما صحيحا يجب علينا أن نعرف التخوم العربية الساحلية القديمة ومساحاتها قبل الخوض فى صميم البحث، فبذلك نكون قد وقفنا على صورتها الاجمالية تلك التى تساعد فهم الصلات القديمة فنقدم إليكم نبذة عن تلك التخوم استخلصناها من كتاب الجغرافى العربى القديم أبى إسحق بن محمد الفارسى الاصطخرى «مسالك الممالك»:

«... إن بلاد العرب يحيط بها البحر الفارسى (بحر العرب) من أغلب جهاتها فتمتد حافتها من ثغر عبادان وتمر بالبحرين ومنها تصل إلى عمان، ثم تجتاز حضرموت، وعدن، ثم بعد ذلك تتجه نحو سواحل اليمن إلى ان تصل إلى ثغر جده. ويتغير إتجاهها عند جار فتصل منها إلى أيله وعندها ينتهى جزء الحافة الذى يمتد على ساحل البحر الفارسى

(١) المسالك والممالك ص ٦٠

(بحر العرب) فمن هنا يبدأ بحر القلزم[1] (البحر الأحمر) ويصل إلى تاران وجبيلات . والمنطقة الممتدة إلى هنا من جزيرة العرب معظمها حافة جنوبية شرقية وبعضها حافة غربية من الجزيرة ثم تمتد من أيله فتمر على ديار قوم لوط (عليه السلام) والبحيرة المنتنة ويستمر امتدادها حتى تصل إلى شرات وبلقاء اللتين هما من قرى فلسطين ثم تمر فى طريقها بأذرعات وحورات وبثينة وغوطة وبضواحى بعلبك التى هى من أعمال دمشق ثم بعد ذلك تمر بتدمر وسليمه اللتين هما من مساكن حمص ثم تمر بخناصرة وبالس التى هى من منطقه قنسرين واذا وصلنا إلى هذه الجهة اصبحنا بالقرب من نهر الفرات الذى يمر فى طريقه إلى ملتقاه بمناطق عربية كثيرة وهى رقه ، وقرقيسا ، ورحبه ، وواليه ، وحديثه وهيثت وأنبار حتى يصل إلى الكوفة متجها نحو الملتقى . وتمتد حافتها من نواحى الكوفة والحيرة فتمر بخورنق وسواد الكوفة إلى أن تصل إلى حدود واسط حيث يقع على بعد مرحلة منه نهر دجلة ثم يستمر إمتدادها فتمر بسواد البصرة وبطائحها إلى أن تصل إلى ثغر عبادان الذى قد بدأنا منه الوصف . وتلك هى التخوم التى تحد هذا القطر العربى من جهاته الأربع كما وصفه لنا ابراهيم بن محمد الفارسى الاصطخرى .

والبحر الفارسى (بحر العرب) يحيط من عبادان إلى أيله بثلاثة أرباع الجزيرة العربية تقريبا تلك التى تتكون منها تخوم الجزيرة الشرقية والجنوبية وبعض التخوم الغربية . والتخم الواقع فيما بين أيله وبالس يمتد

---

(١) بحر القلزم ويسمى أيضا البحر الأحمر ، ينفذ إلى الاوقيانوس الهندى بمضيق باب المندب جنوبا وإلى البحر الأبيض المتوسط بترعة السويس شمالا وهو مستطيل ينحصر بين افريقيا وبلاد العرب .

لى تخوم قطر الشام. ومن بالس إلى عبادان يقع التخم الشمالى من
لجزيرة، وأرض الجزيرة تمتد فى هذه الجهة من بالس إلى أنبار وفى الجزء
لمنحصر بين أنبار وعبادان تقع بلاد العراق، وتتصل بأيله صحراء رملية
ناسعة تسمى بتيه بنى إسرائيل وليست هى من بلاد العرب وإنما هى من
رض الأقباط والاغريق والعمالقة. وهى عظيمة الجفاف خالية من الماء
والمرعى. وبما أن الجزيرة تسكنها قبائل ربيعة ومضر فلذلك قد يعتبرونها
أحيانا من الجزيرة، غير أنها فى الأصل ليست جزءا من الجزيرة. وقد
ثبت أنها للفرس والروم حيث كانت توجد لهم هناك مساكن وبلدان عامرة
بالسكان الذين كانت تساكنهم قبائل عربية كثيرة اقتبسوا عاداتهم وطرق
معيشتهم حتى أنهم قد تأثروا بهم فى صميم المعتقدات بفعل تأثير البيئة فدان
كثير من هذه القبائل بالديانة المسيحية التى كانت ذات انتشار كبير فى تلك
الجهات فكان من بين من اعتنق الاسلام فى الجزيرة بنو تغلب من قبيلة
ربيعة، وفى الشام قبائل غسان وبهرا وتنوخ اليمنية

وإن أراضى الجزيرة لا يخترقها بحر ولا نهر يصلح للملاحة. واما
البحيرة المنتنة التى تعرف بزغر فهى على الرغم من متاخمتها لبادية العرب
ليست من أراضى الجزيرة. وأما سد مأرب الذى كان باليمن فلم يكن عنده
بحر ولا نهر وإنما أقيم ذلك السد لحجز مياه كانت هناك فى جهة منخفضة
كان يستخدمها سكان تلك الجهات فى رى بساتينهم وحقولهم الزراعية.
وقد نسفه الله عزوجل بسبب ما وقع فيه هؤلاء القوم من العدوان والطغيان
والعصيان.[١]

---

(١) المسالك والممالك للاصطخرى، من ص ١٢ الى ص ١٥ بتلخيص وتغيير فى التعبير.

وكانت المسافات بين الحدود العربية الساحلية التى كانت تقدر بسير السفن فى قديم الزمان حسب ما يأتى:

جزيرة البحرين تقصو عن عبادان بخمس عشرة مرحلة وبينها وبين عمان مسافة تقطع بمسيرة شهر، وعلى مسافة تقع ارض مهرا، وعلى مسافة شهر منها كذلك تقع حضرموت وعلى نفس هذه المسافة من العدوة الدنيا لحضرموت تقع عدن، والمسافة بينها وبين جده أيضا تستغرق شهرا. ويبعد عنها ساحل جحفة بخمس مراحل ومنها تبعد جار بثلاث مراحل ثم تمتد المسافة بينها وبين أيله إلى عشرين مرحلة، ونفس هذه المسافة تقع بينها وبين بالس وكذلك بينها وبين الكوفة. ثم تبلغ المسافة بينها وبين البصرة أربع عشرة مرحلة. وعلى مسافة مرحلتين منها تقع عبادان. فتلك هى الحدود الساحلية التى تنحصر بينها الجزيرة.

والمنطقة الواقعة بين البحرين وعبادان تمتاز بشدة وعورة مسالكها وخلوها من الماء المرعى، فلهذا يضطر المسافر فى رحلته إلى أن يختار الطريق البحرى. والطريق الذى يخترق المنطقة الواقعة بين البصرة والبحرين والذى تقدر مسافته بثمانى عشرة مرحلة تسكنه قبائل عربية وتوجد فى قرى هذه القبائل ينابيع المياه، وعلى الرغم من أن القوافل تسلك هذا الطريق لا يخلو من المخاطر والمعاطب. وأما الطريق الذى يخرج من البحرين ليصلها بعمان فهو أيضا يمتاز بوعورته ووعثائه فيصعب مواصلة السير فيه وليس ذلك لوضعه الجغرافى وطوبوغرافيته الخاصة فقط بل أيضا لما فى هذه الصحراء من بعض القبائل العربية البدوية التى يجرى فيها التقاتل والتشاحن بصفة

(٢) المسالك والممالك للاصطخرى ص ٢٧ .

دائمة . وكذلك الطريق الذى يمتد من عمان للمواصلة بينها وبين جده ـ يصادف السائر فيه صعوبة كبيرة ومشقة عظيمة إذ أنه يخترق صحراء رملية قاحلة تكاد تكون عديمة العمران والسكان ومن أجل ذلك ترى أن المسافر يؤثر عليه الطريق البحرى فى سفره إلى جده ، وأما اذا بدئ السير على الساحل زاد الطريق الممتد من مهر وحضرموت إلى عدن ـ طولا . وهذا هو السبب فى أن الناس هنا لا يختارون السفر من الطرق البرية إلا نادرا.[١]

وبهذه النظرة الاجمالية أمكننا الوقوف على كثير من مناطق بلاد العرب الساحلية وغيرها من البلاد المجاورة لها وعلى أوضاع الطرق ومسافاتها كما وصفها لنا الاصطخرى ، وتلك هى المناطق التى كانت الأقوام الهندية تشد إليها الرحال وتجوبها من أقصاها إلى أقصاها فى الزمن الغابر كما سنفصلها فى حديثنا التالى :

وهؤلاء الأهناد الذين كانوا قد اندمجوا على العموم فى تلك البيئات العربية التى كانت تقع فى أقاصى الجزيرة وأطرافها النائية ، والذين كانوا يفدون إليها من حين لآخر ـ قد وصلت إليهم الدعوة الاسلامية لما استفحل أمرها واستتب لها الجو وعم ذكرها أرجاء البلاد المتقاصية المتنائية .

والسواحل العربية تقع محاذية للسواحل الهندية وقد وهب الله سبحانه وتعالى لكل منهما من الرونق والبهاء حظا وافرا يكون منظرا طبيعيا جميلا خلابا . فانك تجد السواحل الهندية غنية بغابات أشجار النارجيل الفيحاء على حين أنك تجد السواحل العربية مكسوة بروضات أشجار النخيل الغناء . والجوز الهندى له شهرة فى بلاد النخيل العربية كما أن التمر العربى له شهرة فى بلاد النارجيل الهندية وكلاهما يكونان جزءا من المواد الغذائية

---

(١) المسالك والممالك . ص ٢٨ (معرب ما اقتبس من المرجع المذكور نقلا إلى الأردية)

لأهالي القطرين الشقيقين، وإذن فهما يتصلان أيضا بصلات طبيعية فضلا عن الصلات التجارية القديمة.

جاليات هندية

(الزط. الميد. السيابجة. الأحامرة. الأساورة. البياسرة. التكاكرة)

إن السند والهند قد اعتبرهما العرب إقليمين مستقلين منفصلين بعضهما عن الآخر بيد أنهم أطلقوا أحيانا على سكان اقليمين «هندى» على وجه التغليب وأما فى الأكثر الغالب فهم كانوا يطلقون على اهل السند «سندى» وعلى أهل الهند «هندى».

وكلمة السند كما أنها تطلق على البلاد كذلك تطلق على الجيل الذى يقطنها وتجمع على «السنود» و «الأسناد» كالهنود والأهناد، وتضاف إليها ياء النسبة للافراد فيقال للواحد: سندى. وفى لسان العرب:

«والسند جيل معروف والجمع أسناد وسنود. وسند بلاد. تقول: سندي للواحد وسند للجماعة مثل زنجى وزنج»[١].

ولقد إشتهرت السند قديما بصناعة نوع من المنسوجات باسم: مسندة وسندية وسند تلك التى كان لها رواج واستهلاك فى بلاد العرب. وكما أن الرجل السندى إنما كان يعرف بنسبته إلى السند كذلك كان الثوب والدجاج يشتهران بنسبتها إلى بلاد السند فيقولون ثوب سندى، ودجاج سندى. وكان الأسناد فى قديم الزمان يسكنون الجزيرة العربية بعدد كبير وكانت لهم بالأخص فى اليمن شركة ونفوذ عظيم. وفى عهد طفولته صلى الله عليه وسلم لما قام مسروق بن أبرهة ملك الحبشة بهجوم حاسم على

---

(١) لسان العرب - ج ٢/ص ٢٢٣ - الطبعة الجديدة - بيروت

اليمن وانتزع ولاية الأمر من يد سيف بن ذى يزن وعزله، التجأ إلى كسرى أنوشيروان وأخبره بان الغرباء إستولوا على اليمن فسأل: أى الأغربة الحبشة أم السند ؟ ⁽¹⁾

وفى سؤال كسرى هذا دليل على ما كان لهم باليمن وقتذاك من عدد كبير ونفوذ عظيم.

وكما أن لفظة الهند اسم لاقليم بازاء السند كذلك دعا العرب سكان الاقليم بهذا الاسم فللجمع يستعملون «الهنود» وللواحد «الهندى» باضافة ياء النسبة وقد يضيفون إليها الكاف قبل الياء فيقولون «الهندكى» ثم يجمعونها على هنادك. وقد يكون مرادهم بالهندى العود الهندى خاصة. وكانت الهند تشتهر بصناعة السيوف عند العرب وقد استرعت السيوف الهندية كبير اهتمامهم ونالت منهم الاعجاب فكثيرا ماجرى ذكرها على ألسنتهم وكانوا يصفونها بالهندية. وقد تنوعت وجوه هذا النعت لكثرة استعمالهم فاحيانا قالوا: سيف مهند وأخرى سيف هندى وتارة سيف هندوانى - بضم الهاء وكسرها - وحينا اكتفوا بالهندى. وفى لسان العرب:

«قال الأزهرى: والأصل فى التهنيد عمل الهند، يقال سيف مهند وهندى وهندوانى إذا عمل ببلاد الهند وأحكم عمله. والمهند السيف المطبوع من حديد الهند، وهند إسم بلاد، والنسبة هندى والجمع هنود كقولك زنجى وزنوج وسيف هندوانى بكسر الهاء وإن شئت ضممتها اتباعا للدال. ابن سيدة: والهند جيل معروف ويقال رجل هندى وهندكى قال: ولو قيل إن الكاف

---

(١) سيرة ابن هشام - ج ١/ص ٦٠ والطبرى ج ٢/ص ١٨٩ وكتاب التيجان ص ٣٠٤

أصل وإن هندى وهندكى أصلان بمنزلة سبط وسبطر لكان قولا قويا. والسيف الهندوانى والمهند منسوب إليهم[١].

ولأبى طالب قصيدة قرضها فى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وإليك أحد أبياتها:

بنى أمة محبوبة هندكية بنى جمح عبيد قيس بن عاقل[٢]

وقال كثير بن عبدالرحمن:

ومقربة دهم وكمت كأنها طماطم يوفون الوفور هنادكا[٣]

وفى شرح هذا البيت يقول محمد بن حبيب: ان الكثير إنما أراد بهنادك رجال الهند.

وقال إبن هرمة:

كأعناق نساء الهند وقد شيبت باوضاح

وقد ذكر النبى صلى الله عليه وسلم رجال الهند قبل وفاته ببضعة شهور حينما قدم خالد بن الوليد من نجران عليه صلى الله عليه وسلم ومعه وفد بنى الحارث بن كعب، فلما وصلوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ورآهم قال:

«من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند»[٤].

---

(١) لسان العرب ج ٣/ص ٤٣٨

(٢) سيرة ابن هشام - ج ١/ص ٢٧٠ - الطبعة الثانية - طبعت بمصر

(٣) لسان العرب ج ٣/ص ٤٣٨

(٤) سيرة ابن هشام - ج ٢ /٥٩٣

والخلاصة أن جزيرة العرب كانت تسكنها جاليات مختلفة من الهنود والسنود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فالزط، والميد، والسيابجة، والأساورة والأحامرة، والبياسرة والتكاكرة كل هذه الجاليات كانت تسكن الجزيرة العربية وتدعى بأسماء مختلفة حسب تلك الأعمال المختلفة التى كانت قد احترفت بها هناك.

ونود أن نعرفكم فيما يلى بهذه الجاليات على وجه الاجمال:

الزط: (جاٹ) جالية هندية من السود المحاربين الذين يشتهرون بشجاعتهم وجلادتهم وقوة بأسهم، وكانت تمتد من ضواحى منطقة المنصورة إلى مكران، وكان مسكنها الأصلى بلوخستان ومنطقة بنجاب من بلاد الهند فانتزحوا عنها إلى جزيرة العرب.

الميد: جالية هندية ساحلية كانت تغير على السفن وتنهبها فى البحار وكانت مساكنها تمتد من حوض نهر السند إلى منطقة اوتكين إحدى تخوم الهند ومن المناطق الساحلية الواقعة على حوض نهر السند إلى ملتان كما كانت توجد لقطاع الطرق المائية هؤلاء ملاجئ وأوكار فى سواحل كجرات وكوكن بكثرة وكان الحكام والملوك الهنود ضاقوا بهم ذرعا ولم يستطيعوا أن ينالوا منهم شيئا وقد أخضعهم المسلمون بعد. وكانوا يتجندون فى عسكر ملوك فارس ويرحلون إلى بلاد العرب ويسكنون هناك المناطق الساحلية.

السيابجة: هذه الجالية الهندية أيضا كانت من قطان السند والمناطق الساحلية للهند وبخاصة كانت منطقة السند مركزا لهم.

الأحامرة: قوم كانوا هم أيضا من قطان المناطق الساحلية الهندية ولاسيما السند وكانوا يسافرون إلى بلاد العرب ويقومون بخدمة حراسة السفن

التجارية لقاء أجور كانوا يحصلون عليها من ملاك السفن، كما كانوا يقومون بالمقاومة والحرب ضد قطاع الطرق البحرية .

الأساورة : هم طائفة من ضباط فرقة الفرسان (فرقة السوارى) فى جيش ملوك إيران - وكانت لهم - وبالاصح لاكثرهم - رتب عالية فى الجيش الايرانى وكانوا يقيمون ببلاد العرب . وكان عدد منهم من الهنود الذين كانت أوطانهم تمتد من سواحل السند إلى سرانديب .

البياسرة : قوم من الهنود كانوا يقومون بالرحيل إلى بلاد العرب ويتوظفون فى السفن التى كانوا يتولون حراستها وكانت قراهم ومواطنهم منبثة من سواحل السند إلى صيمور وما جاورها من حدود بمباى .

التكاكرة : (ٹھاکر) هؤلاء كانوا من أبطال السند والبنجاب وشجعانها الذين كانوا قد أبدوا بسالة نادرة فى مناصرة داهر وغيره من ملوك الهند ضد الفاتح الغازى محمد بن قاسم .

وهذه بعض الأجناس الهندية التى كانت ترحل من مختلف بقاع الهند إلى جزيرة العرب وكانت بعضها قد استوطنتها . كما كان يوجد لفيف من الهنود فى الجزيرة العربية الذين كانوا قد اتنزحوا إليها من أصقاع الهند الأخرى .

ونود الآن أن نذكر تلك الأجناس والطوائف الهندية التى كانت تقطن مختلف أنحاء الجزيرة العربية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الطوائف التى كانت بعضها قد أسلمت حين وصلت إليها الدعوة الاسلامية وقبلت بعضها الجزية كما حاربت بعضها بالانضمام إلى الفرس والعرب وسنفيض الكلام على هذا المبحث نوعاً .

الزط (جاٹ)

هؤلاء قوم من الملونين السود استوطنوا جزيرة العرب منذ قديم الزمان بعدد كبير وكانوا سلالة هندية الأصل التى مركزها السند والبنجاب وقد اعتبر بعض المؤرخين سكان بلوخستان أيضا من الزط. وفى لسان العرب:

«الزط جيل أسود من السند وقيل الزط اعراب جت بالهندية وهو جيل من أهل الهند وهم جنس من السودان والهنود والواحد زطى مثل الزنج والزنجى والروم والرومى»[1].

ويقول العلامة محمد طاهر الكجراتى فى مجمع بحار الأنوار: «وهم جنس من السودان (السنود) والهنود[2].

وقد كتب طريح النجفى فى مجمع البحرين مايقرب من ذلك، يقول: «الزط، بالضم من الهند معرب جهت بالفتح الواحد الزطى»[3].

ويستبين من هذه النصوص الصريحة أن الزط إنما كانوا من السنود والهنود. ولكن أبا الفداء يقول فى تقويم البلدان أن البلوخيين يعرفون فى زماننا بالجت ولغتهم تشبه اللغة الهندية:

«وأما البلوص المذكورون فيقال لهم فى زماننا الجت وهم طائفة تقرب لغتهم من الهندية»[4].

إن انساب الماهر والخبير القديم بتاريخ اليمن أبا محمد عبد الملك ابن هشام قد ذكر الزط وقال إنهم من أقوام آسيا الوسطى وعددهم من

---

(١) لسان العرب ج ٧ ص ٣٠٨ (٢) مجمع البحار - ج ٢/ص ٦٢ (٣) مجمع البحرين - طبع بإيران

(٤) تقويم البلدان - ص ٣٣٥ - المطبوع بباريس.

بنى يافث أثناء تعرضه لذكر القبيلتين اليمنيتين التبع والتبابعة، فهو يقو
مثلا فى الحديث عن تبع شمريرعش بن ناشر النعم :

«وان الصغد والكرد والخزر والزط والقوط كلهم بنو يافث بر
نوح النبى صلى الله عليه وسلم»[١] .

ويقول فى نفس الحديث بعد أن يمضى قليلا :

«وأقبل بنو يافث بأجمعهم يناصرون قباد، وهم الترك والديلم
والخزر والغور والتبت والصغد والزط والخوز»[٢] .

ويخيل إلى أن الأسماء المذكورة ليست تفصيلا لبنى يافث فقط
وانما هى تفصيل لمجموع أولئك المقاتلين الذين تضامنوا فى مناصرة الملك
الايرانى العظيم قباد ضد خصامه تبع شمريرعش . وذلك المجموع لم يكن
مقصورا على بنى يافث وإنما كان يتكون من عدة قبائل وأجيال . فكا
أحد هذه الأجيال المناصرة الزط الذين كانوا قد هاجروا الهند واستوطنوا
أنحاء بلاد إيران منذ قديم الزمان . وانضم معظمهم إلى جيش اكاسرة
ايران وكان الزط من سلالة هندية الأصل وإذن فليست آسيا الوسطى
مهدهم الأصلى وإنما كانوا قد اتنزحوا إليها ليعيشو فى تلك الجهات وإ
فمن السائغ أن يكون هناك جيل آخر عاش فى تلك الجهات بنفس هذا الاسم

إن الزط الذين أثبت وجودهم المورخون فى الجزيرة العربية كانوا
من سكان بلوخستان ، وملتان ، وديبل ، والسند وما جاورها من الضواحى
وكتب ابن خرداذبة الجغرافى أن منطقة بلاد الزط التى تمتد من مكران
إلى المنصورة (السند) تربو مساحتها على مئات من الأميال حيث قال

(١) كتاب التيجان - ص ٢٢٢ - المطبوع بحيدرآباد - (٢) المرجع السابق ص ٢٢٣ .

الوصف لطريق يمتد من ايران إلى السند : «من أول مكَران إلى المنصورة ثلث مائة وثمانية وخمسين فرسخا ، والطريق فى بلاد الزط وهم حفاظ الطريق[١] .

وكتب الاصطخرى أن المنطقة الممتدة من المنصورة (السند) إلى مولتان كلها إقليم الزط الذين تقوم لهم فيه مساكن وقرى :

«وبلد السند هو المنصورة وأراضى الزط وما والاها إلى الملتان[٢]» .

وقد صرح ابو الفداء ـ كما قدمنا ـ بأن اهالى بلوخستان يعرفون بالجت ولغتهم قريبة من اللغة الهندية . وبهذه النصوص والتصريحات يتبين لنا أن الزط (الجت) الذين كانوا قد استوطنوا بلاد العرب إنما كانوا من حدود السند وكانت بلادهم منبثة فى المنطقة الممتدة من مكران إلى بنجاب .

وكان لرحيل زط الهند إلى بلاد العرب عوامل ودوافع مختلفة فكان منهم من سكن المناطق الساحلية الممتدة من أيله (البصرة) إلى عمان والبحرين واشتغلوا بتربية الماشية والمعز والضأن والابل وكان منهم من استوطنوا المدن والقرى الساحلية دائميا ومعظمهم كانوا يتجندون فى الجيش الايرانى ويعيشون فى إيران والجزيرة العربية . وكان اليمن مركزا للجيش الايرانى فى الجنوب وأبله فى العراق . فلقد وجدت فى ايران بلاد كبيرة وقرى جميلة لهؤلاء الزط منذ سالف الزمان . وكانت بلادهم تمتد من فارس إلى العراق فعلى بعد ستين ميلا من الطريق الذى يصل الأهواز[٣] بفارس ـ كانت تقع مدينة عظيمة لهؤلاء الزط . وقد سميت باسمهم «الزط» ويقول ابن خرداذبة :

---

(١) المسالك والممالك ـ ص ٤٢ ـ المطبوع . (٢) المسالك والممالك ص ٣٥ . (٣) الاهواز : من اقاليم الدولة العباسية يسمى اليوم «بلاد خوزستان» وهو فى ايران وفيه مدينة عبادان . منطقة غنية بآبار النفط .

«من الأهواز إلى ازم ستة فراسخ ومنها عبدين خمسة فراسخ ثم إلى رامهرمز ستة فراسخ ثم إلى الزط ستة فراسخ»[1].

وكانت تتخلل منطقة خوزستان مدينة فخمة عظيمة للزط تلك التى انقسمت إلى الجزئين وقد عرف كل منهما باسم خاص به فقد عرف أحدهما بحومة الزط والآخر بالخابران وكانت كل واحدة من المنطقتين فسيحة مترامية الأطراف كما كانتا تقعان على حافتى النهرين. ويقول الاصطخرى أثناء ذكره لكثير من البلدان والكور العامرة العظيمة:

«وحومة الزط والخابران وهما واحد، والزط والخابران هما كورتان عامرتان على نهرين جاريين»[2].

وأضف ذلك كله إلى ما كان للزط من مساكن وأقطان فى كابل وفيهم ولد فيما بعد الامام الأعظم أبوحنيفة النعمان بن ثابت الزوطى بن ماه - طيب الله ثراه - ولعل ثابتا الزوطى بن ماه كاسمه النعمان، وماه كان مرزبانا لملك إيران ولذا فقد جاء فى بعض الروايات النعمان بن مرزبان مكان الزوطى بن ماه[3].

وكتب المورخ البلاذرى فى «فتوح البلدان» عن تاريخ قدوم الزط الهنود إلى جزيرة العرب بواسطة الفرس واستيطانهم اياها بعنوان «أمر الاساورة والزط»:

وأما السيابجة والزط والاندغار فانهم كانوا فى جند الفرس ممن سبوه وفرضوا له من أهل السند ومن كان سبيا من أولى الغزاة فلما سمعوا

---

(١) المسالك والممالك ص ٤٣. (٢) المسالك والممالك - ص ٩٤. (٣) تاريخ ابن خلكان - جلد ٢/ص ٢٩٨ - الطبع بايران.

بما كان من أمر الأساورة اسلموا وأتو أبا موسى فأنزلهم البصرة كما انزل الأساورة[١].

وقد أورد البلاذرى العبارة السالفة بعد أن بين وقعة إسلام الجنود الفرس «الأساورة» وبهذا الصدد ذكر إسلام شيروية اسوارى واستيطانه البصرة كما يأتى.

«فانضم إلى الأساورة السيابجة وكانوا قبل الاسلام بالسواحل وكذلك الزط وكانوا بالطفوف يتتبعون الكلا»[٢].

وفى موضع آخر يكتب العلامة البلاذرى فى المبحث نفسه:

«وقد كان معاوية نقل من الزط والسيابجة القدماء إلى سواحل الشام وانطاكية بشراً»[٣].

والخلاصة أن التصاريح والنصوص السابقة إن دلت على شئ فانما تدل على أن الزط كانوا فى جيش الفرس منذ غابر الزمان على أن الامتياز بين الجند الفرس والجند السنود (الزط) كان جليا ملحوظا فى المكانة. فلم يكن الجند الزط يتمتعون بما كان يتمتع به الجند الفرس من المنزلة والرتبة كما كان المستوى لمرتباتهم أحط منه لمرتبات الفرس وكان هؤلاء الزط الهنود قبل الاسلام يسكنون سواحل الخليج الفارسى تلك الرغوية الخصيبة التى كانت تمتد من أيله إلى البحرين وعمان. ومدينة ابله التى عمرت بالقرب منها مدينة «البصرة» فيما بعد - كانت مركزا كبيرا لهم فلما دخلوا فى الاسلام بعد، نقل عدد كبير منهم إلى سواحل الشام وانطاكيا فازدادت بهم تلك الجهات عمرانا وازدحاما.

---

(١) فتوح البلدان ص ٣٦٨. (٢) المرجع السابق - ص ٣٠٧. (٣) فتوح البلدان - ص ٣٦٩.

وكان مركزهم الثانى البحرين التى كان يقطنها عدد كبير لهم من قبل بعثته صلى الله عليه وسلم بزمن. فلما استعرت فتنة الارتداد فى البحرين وأعمالها سنة ١١ ﻫ كان الزط ممن وقعوا فيها وكان السبب فى وقوع معظمهم فى هذه الفتنة يرجع إلى حطم بن ضبيعة الذى سعى جهده فى تضليل أولئك الزط الذين كانوا يعيشون فى القطيف وهجر والخط لحرضهم ضد الاسلام واستغوائهم أى استغواء. فقد ورد فى الطبرى.

«حتى نزل القطيف وهجر واستغوى الخط ومن فيها من الزط والسيابجة»[١].

فلما انكسر الجمع الخليط من هؤلاء المرتدين وانهزموا فى الحرب مع المسلمين فرت جماعة منهم هاربة جهة الدارين، والبقية الباقية أيضا التجأت بالفرار إلى أوطانهم وأقطانهم وقبائلهم الأصلية فمن هنا تستنتج أن الزط الأهناد بعد انهزامهم فى تلك الحرب كانوا قد رجعوا هاربين إلى الهند.

وأيضا كان الزط يسكنون مكة المكرمة وإن أهاليها كانوا يعرفونهم عن كثب. وقد ورد فى الترمذى بأبواب الأمثال حديث طويل ينطوى على أن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بطحاء مكة حيث رأى معشر الجن الذين كانوا أقرب الناس إلى الزط فى الشبه كما وصفه ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ وإليك جزء من هذا الحديث :-

---

(١) تاريخ الطبرى ـ ج ٣/ص ٢٥٦.

«... فبينا أنا جالس فى خطى اذ أتانى رجال كأنهم الزط أشعارهم واجسامهم لا أرى عورة ولا أرى قشرا»[١].

وكان الزط يسكنون المدينة المنورة منذ زمن قديم وكان أحدهم طبيبا يعالج المرضى وهو الذى كان قد وصف لعائشة - رضى الله عنها - أنها أصيبت بالسحر الذى تولته جاريتها[٢].

وقصارى القول أن الزط لم يكن سكناهم مقصورا فى السواحل الشرقية، فقد كان يوجد لهم عدد لابأس به فى معظم المدن العربية المركزية ذات الحيوية وأخذت بعض عاداتهم ومنتوجاتهم المقبولة سبيلها إلى العرب فنالت الرواج واشهرت فيهم فنها أن الزط كانوا يحلقون رؤوسهم على طريقة خاصة تعرف بـ «قلى» وقد أعجب بعض العرب بهذه الطريقة فاستخدموها بين حين وآخر. وفى لسان العرب ومجمع البحار:

«وفى بعض الأخبار: فحلق رأسه زطية (اى على طريقة زطية) قيل هو مثل الصليب كأنه فعل الزط»[٣].

إن النص السابق غير صريح فى من هو الذى حلق راسه زطية. هل الرسول عليه الصلاة والسلام هو الذى حلق رأسه زطية أم احد أصحابه. غير أن ظاهر اللفظ يدل على أن ذلك إنما يتعلق بالنبى صلى الله عليه وسلم.

وقد كان هناك نوع من الثياب يشتهر فى العرب بعزيته إلى الزط كما فى لسان العرب:

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٢/ص٢٥٦ - الترمذى - ابواب الأمثال - (٢) الأدب المفرد للامام البخارى - ص ٣٧ طبع بمصر. (٣) لسان العرب ج/ ٧ص ٣٠٨ ومجمع البحار ج ٢/ص ٦٢

« الزط جيل أسود من السند إليهم تنسب الثياب الزطية[١] .

وهذه العبارة كذلك لا تؤدى إلى القطع بأن الثياب الزطية هل كانت صنفا خاصا من المنسوجات يقوم الزط بانتاجه فيبيعونه فى الأسواق والمحطات التجارية العربية أو إنما كانت عبارة عن أزيائهم القبلية الخاصة .

ومما يغلب على ظننا أن بعض المزامير والمعازف للطرب والنعم ، والموسيقى الهندية . كان لها رواج منذ عهد قديم فى العرب الذين كانوا يطربون ويتمتعون بها فى مختلف المناسبات وإنما كانوا قد اطلعوا عليها عن طريق الزط النازحين المواطنين لهم . ونحن لا نجد فى العصر الحاضر ما فوقه برهانا ساطعا على ذلك لتدعيمه ، غير أننا نجد فى كتاب الحيوان ما يمكننا الاستناد إليه نوعا حيث أن الجاحظ نقل فيه رجزا شبه فيه الشاعر نغمة البعوضة بنغمة الزط . وإليك هذا المصراع من ذلك الرجز : « إذ تغنين غناء الزط » (الخطاب فيه للبعوضة) ومن ذلك يستبين أن الزط كانوا يشتهرون بنغمتهم الرخيمة فى المجتمع العربى .

وإنه كما يثبت لنا مما سبق أن كثيرا من العادات والسجايا الزطية كانت معروفة عند العرب مشمولة بالاهتمام منهم كذلك يثبت أن هؤلاء الزط الهنود كانت لهم حرية كاملة فى التمسك بما كان لهم من الروايات والميزات والسجايا القومية ولم تفرض عليهم الحياة العربية فرضا يجعلهم يضطرون إلى النسيان أو الهجران لحياتهم تلك المميزة الفريدة بل إن حياتهم تلك هى التى أثرت على الحياة العربية إلى حد ما . وهناك روايات أخرى

---

(١) لسان العرب ج ٧/ص ٣٠٨ .

تحدثنا أن الزط قد احتفظوا بلغتهم إلى عهد الخلافة الراشدة فلم يكونوا يتكلمون إلا بلغتهم الوطنية ففي مجمع البحرين ما يؤيد ذلك :

« وفي حديث علي أنه لما فرغ من قتال أهل البصرة أتاه سبعون رجلا من الزط فكلموه بلسانهم فقالوا : لعنهم (اهل البصرة) الله بل أنت أنت »[1] .

ومما سبق نفهم أن زط البصرة قد حافظوا على لغتهم الوطنية « الهندية » حتى عهد خلافة علي رضى الله عنه ولم يكونوا ينطقون إلا بلغتهم كما أنهم قد أقروا بخلافة علي رضى الله عنه . ولعل ذلك هو السبب في أن تلك الجهات التي كانوا يسكنونها ولاسيما البحرين قد اختلطت فيها اللغة العربية بلغتهم الهندية فتأثرت بها وتفاعلت تفاعلا افقدها فصاحة واعتبارا . فلم يكن العرب يقيمون وزنا للعربية التي كانت تتداولها قبيلة بني عبد القيس وقبيلة ازدعمان الذين كانوا يقطنون البحرين حيث اختلطوا بالفرس والهنود اختلاطا لم يكن لهم منه مناص . وقد أسفر تفاعل اللغتين عن نتيجة طبيعية وهي أن لهجتهم فقدت ما للعربية الفصحى من جوهر واصالة ولم تكن حال سكان اليمن أحسن من أولئك بالنسبة إلى العربية لما كان بهم من اتصال واختلاط بالأجانب .

كان المسلمون في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ـ على معرفة تامة بالزط فقد كان هؤلاء معروفين عندهم بلون بشرتهم وهيكلهم وشارتهم وزيهم وقد دل على ذلك ما أسلفناه من رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه التي شبه فيها مخلوقا بالزط ، وأهم ما احتوى عليه تشبيهه هو التصريح بطول أشعارهم وضخم أجسامهم على وجه الخصوص .

---

(١) مجمع البحرين ـ طبع بايران .

ومما يثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم نفسه قد شبه أخاه النبى موسى عليه السلام برجال الزط - فى ضخامة الجسم - فى حديث له . وورد فى مجمع البحرين فى مادة « زط » :

« وأما موسى فآدم سبط كأنه من رجال الزط ، هو بضم الزاى وشدة المهملة » .

وقد تقدم كذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم جاءه وفد بنى الحارث بن كعب من نجران سنة ١٠ هـ فقال فيهم حينما وقع عليهم نظره :

« من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند » .

وإن الزط على احتفاظهم بشخصيتهم لم يكونوا بمعزل عن المجتمع العربى بل إنهم على نقيض ذلك كانوا قد اندمجوا فى البيئة العربية بحيث شكلوا جزءا منها - إن صح التعبير - فكانوا يتضامنون مع العرب فى جميع الأمور والقضايا الاجتماعية وقد يتحالفون مع مختلف القبائل فيظهرون لهم من الولاء مثل ما يبديه الحليف العربى لحليفه العربى كما سبق من أن زط القطيف وهجر والخط وغيرها من الجهات الساحلية كانوا قد خرجوا متآزرين مع حطم بن ضبيعة وغيره من أهل الردة والكفر للقتال ضد جيش الصديق الاكبر فى حرب اليمامة . ويظهرون أن السيوف الهندية التى كانت مع مسيلمة الكذاب فى الحرب لم يظفر بها إلا عن طريق زط نجران ونجد على أغلب الظن .

ثم إن هؤلاء القوم قد أصبحوا حلفاء لبنى عبد القيس وهى قبيلة عربية مشهورة من البحرين . ويقول عوهم بن عبد الله ملمحا إلى ما بين الزط وبنى عبد القيس من عهد وحلف :

ويغنى الزط عبد القيس عنا وتكفينا الأساورة المزونا

وكذلك كانوا حلفاء لقبيلة بنى تميم العربية المشهورة وكانوا يناصرونهم في حروبهم القبلية. كما يشير إليه قول الشاعر:

لجئنا بحيى وائل وبلفها وجاءت تميم زطها والأساور[1]

وقد ظل سلوكهم هذا قائما كذلك حتى فى عهد الاسلام، فقد كانوا يتحالفون مع قبيلة يختارونها من بين القبائل فلم يشتركوا فى غزوات الاسلام إلا ومعهم قبيلة بينها وبينهم علاقة التحالف والصداقة. وبعد سنة ١٤ هـ عاش زط البصرة والسيابجة مع بنى حنظلة ومعهم كانوا يخرجون لجهاد المشركين. والجدير بالذكر هنا أن موقف الزط تجاه المسلمين وغيرهم من العرب إنما كان حياديا فى أكثر الأحايين إلى زمن. وقد ظلموا متمسكين بالحيادية إلى ما امكنهم ذلك وعملا بسياستهم الحيادية هذه كانوا يسعون جهدهم لاقصاء نفوسهم عن التدخل فى تلك الأمور الداخلية التى كانت مشتركة بين المسلمين وغيرهم من العرب والتى كانت قد تتأزم بين آونة وأخرى. وأما ما بدر من الزط البحرين من الخروج للقتال ضد المسلمين على عهد الصديق ـ رضى الله عنه ـ فانما كان ذلك بفعل النفوذ والضغط الذى استخدمه حطم بن ضبيعة ولكنهم لما أسلموا اتبعوا سياستهم تلك الحيادية وثبتوا عليها فلم يتدخلوا فيما كان بين المسلمين من الأمور الداخلية المشتركة، كما أثبت ذلك البلاذرى:

«ولم يشهدوا معهم الجمل وصفين ولا شيئا من حروبهم»[2].

إن زط البصرة المسلمين طلب إليهم أن لا يتدخلوا فى شئون العرب الداخلية الخاصة ولا يناصروا جماعة دون أخرى. فعملوا بذلك

(١) لسان العرب جـ ٧/ص ٣٠٨ (٢) فتوح البلدان ص ٣٦٧.

مدة غير أنهم قد اضطروا فيما بعد بحكم الظروف إلى الانضمام إلى احدى الجماعات فقد شهدوا بعد وقعتى الجمل والصفين اليوم المسعود، ويوم الزبدة. ولما خرج عبد الرحمن بن أشعث مع جماعة من القراء على خلافة بنى امية كان الزط والسيابجة ممن انضموا إليهم وشاركوهم فى أعمالهم الثورية. فلما علم الحجاج بن يوسف بذلك دمر بيوتهم عقابا لهم على نكثهم العهد، وألغى وظائفهم المالية وأجلاهم عن الوطن فتشتتت كلمتهم وتفرقت جمعيتهم إلا أنهم أصرفوا نار الثورة ضد الحكومة فى نواحى البصرة وبغداد وقاموا بأعمال هدامة أخذا لثأرهم.

وإننا لم نعثر على أى وثيقة تثبت لنا إسلام عامة الزط على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أو إسلام جماعة منهم. غير أن المقطوع به هو أن بعض الزط من حدود اليمن والبحرين كانوا قد أسلموا فى عهده صلى الله عليه وسلم فانما كان بيرزطن الهندى الذى أسلم على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم - من سلالة زطية ثم لما عمرت مدينة البصرة سنة ١٤ هـ على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان هناك عدد كبير من الزط المسلمين الذين كانوا حلفاء لبنى حنظلة ولما أسلم أساورة إيران على يد أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه حلوا فى البصرة بجوار هؤلاء الزط والسيابجة المسلمين وأخذوا يعيشون معهم غير أن الايرانيين والهنود المسلمين لما تكاثر عددهم أمالتهم بنو تميم إليهم فتحالفوا معهم فى حين أن الأساورة انضموا إلى بنى سعد واضحوا حلفاءهم كما أن الزط والسيابجة اصبحوا حلفاء لبنى حنظلة.

ثم إن حجاج بن يوسف الثقفى استقدم من السند الزط والاقوام الاخرين فلما قدموا مع بنيهم وأزواجهم عبر بهم الجهة الصخرية المنخفضة

من مدينة كسكر التى كانت تقع على ساحل دجلة ولم تمض إلا مدة يسيرة حتى اجتمعت لهم هناك قوة لا يستهان بها وبينما هم كذلك اتفق أن كثيرا من العبيد وموالى بنى باهلة ورجال من اخوال محمد بن سليمان ـ فروا والتجأوا إلى هذا الموضع وأقبلوا يقومون بأعمال النهب والسلب والارهاب مجاهرين بعصيان الحكومة فلما رأى الزط ما قام به هؤلاء اللاجئون من نشاطهم الهدام شعروا بزيادة قوتهم ووجدوا فيهم بغيتهم إذ كانوا يمارسون عملية النهب والاغارة على السفن قديما. فاجترأوا بدورهم على الحكومة. وإن تكتل قواهم أكسبهم من البأس والغلبة ما أمكنهم من الاستيلاء على جميع المنطقة المنخفضة من البصرة على عهد الخليفة المأمون فكانوا يغيرون على كل سفينة تمر بالبصرة فى طريقها إلى بغداد ويأخذون كل ما فى السفينة غصبا. وعجزت الحكومة عن كبح جماعتهم فتعطلت طرق النقل والمواصلات المائية مدة طويلة حتى قام الخليفة المعتصم باتخاذ الاجراءات العسكرية الصارمة ضد هؤلاء الزط إذ بعث إليهم فرقة من الجند بامارة ضابط عسكرى اسمه عجيف (بن عنبسة) ومنحه صلاحيات واسعة فى سبيل القيام بمهمته من قمع طغيانهم واستيصال شافته فحاربهم عجيف حربا عنيفة وكسرهم ووصل بهم أسارى إلى بغداد فنقل معظمهم إلى عين زربة كما نقل بعضهم إلى خانقين.

ويقول ابن الأثير إن الحظ التى هى جزء من البحرين كان يسكنها الزط والسيابجة. وجهز المأمون الجند لمحاربتهم بامارة عيسى بن يزيد الجلودى ثم بامارة داؤد بن ماسحور سنة ٢٠٦ هـ فلم تصبهم الهزيمة إلا فى سنة ٢١٩ هـ حينما حاربهم عجيف بن عنبسة حتى كسرهم واصابهم بهزيمة نكراء.

وقد كتب المسعودى فى كتاب التنبيه والاشراف أن عددا كبيرا من السفن الهندية القى عليه القبض على عهد المعتصم وكانت فيها جماعة من القوم الذين كانوا مسيطرين على الجهات المجاورة لسواحل فارس وعمان والبصرة، فاستأصل المعتصم شأمة اؤلئك الزط الذين كانوا يقومون فى الجهة المنخفضة من البصرة والمنطقة الممتدة من البصرة إلى واسط - باعمال إجرامية من نهب الأموال وقتل الارواح وسفك الدماء. وكانوا هاجروا الهند بعدد كبير بسبب ماكان بها من الجدب والمحل والغلاء واستوطنوا منطقة كرمان وفارس واهواز ثم استفحل أمرهم فاضحوا أصحاب غلبة وقوة مستقلة فى تلك الجهات حتى كسرهم المعتصم وبدد شملهم فأجلاهم من أقطانهم وأسكن بعضهم بلدة خانقين وبعضهم مدينة جلولاء والآخرين مدينة عين زربة التى هى من مدن الشام. ومنذ ذلك الحين بدأ استخدام الجواميس فى بلاد الشام ولم يكن سكان هذا القطر قد رأوا الجواميس من قبل.[1]

وهذا موجز لتاريخ أولئك الزط الذين كانوا يقطنون جزيرة العرب منذ قديم الزمان والذين حاولوا فى العهد الاسلامى إنشاء ولاية مستقلة بين البصرة وبغداد فتفاقم نشاطهم العصيانى الهدام فى العصر الأموى العباسى. فلما أحدثوا فى تلك الجهات فوضى خيمت عليها وخيف من تأصل جزورها اضطرت الحكومة الاسلامية إلى القمع والاستيصال لثورتهم الباغية.

وقد أنجبت السلالة الزطية رجالا مبرزين اشتهروا بشخصياتهم الممتازة ومنهم ابو سالمة الزطى الذى كان واليا على السيابجة القاطنين بالبصرة

(١) تعريب ما اقتبس من «رجال السند والهند» - من ص ٢٧٣/الى ص ٢٧٥ - منقولا من العربية الى الاردية وذلك لعدم تيسر المأخذ المعرب.

من قبل على رضى الله عنه وكان رجلا كريما أمينا صالحا. ومن المبرزين محمد بن عثمان الزطى الذى كان أميرا للزط بقرار منهم أثناء غلبتهم وفتنتهم. وهناك آخر من المبرزين اسمه سماق الزطى الذى كانوا قد أمروه أيضا على أنفسهم فى عصر قوتهم ونفوذهم. ومن تعلقت رغبته بأن يطلع على تاريخ حياتهم ويقف على أحوالهم فليراجع تاريخ ابن خلدون «ورجال السند والهند».

(يتبع)

تعريب : الاستاذ عميد الزمان القاسمى الكيرانوى

(مأخوذ من مجلة «معارف» الاردية التى تصدر من أعظم گڈھ)

القاهرة

(مدينة أحلام صباى الجميلة)

البروفيسور سعيد احمد اكبرآبادى

القاهرة مدينة احلام صباى، واحلام الصبا جميلة مشيقة فعشقتها منذ صباى، وعشق الصبا شديد، وزاد نى الشوق اليها شغفى بالادب العربى والشعر العربى، وقد ساعدنى الحظ ان سنحت لى الفرصة لزيارة مدينة احلامى خلال الشهور العديدة الماضية، فتمتعت بزيارتها ثلاث مرات فى عام واحد. وقد زرت القاهرة اولا فى طريقى الى الولايات المتحدة وكندا فى شهر مايو عام ١٩٦٣، ومكثت فيها اسبوعا. والزيارة الثانية كانت فى مارس ١٩٦٤، عند ما لبيت دعوة وجهت الى من جامع الازهر لاشترك فى مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية كأحد مندوبى الهند.

ثم وصلت الى القاهرة ثالثة بصفتى عضوا من أعضاء وفد الصداقة الهندية فى مايو ١٩٦٤، وزرت هذه المرة دول شمال افريقيا والمغرب العربى والقاهرة وقد تجدد بى الشوق اليها كلما زرتها، وتاقت نفسى الى ان اعود اليها مرة تلو مرة، فقد صدق الشاعر.

أعد ذكر نعمان لنا ان ذكره   هو المسك ما كررته يتضوع

فلم أنته من زيارة الا اشتقت الى زيارة اخرى، وفى كل مرة ظهرت لى القاهرة فى اجمل منظرها واروع مظهرها.

وقد طالت بى الاقامة بالقاهرة فى المرة الثانية التى زرتها بناء على دعوة من الازهر الشريف، ولاقيت حفاوة بالغة من الحكومة ونظمت لنا جولة مفصلة لمراكز التطوير والانعاش فكانت هذه فرصة جميلة للتعرف

على مختلف نواحى التطور الاقتصادى والصناعى والثقافى فى البلاد، فانتهزت هذه الفرصة كليا ولاشك انها كانت زيارة ممتعة. ولاشك ان العالم العربى باجمعه يخطو الآن خطوات واسعة الى مستقبل افضل زاهر بكل حماس، وعزم وهمة عالية فى جميع نواحى الحياة، والجمهورية العربية المتحدة هى المركز العصبى لجميع هذه الدول، فهى المنبع الذى تستمد منه هذه الدول قوتها وهى القوة الجامعة لهذه الدول، وان الرئيس جمال عبد الناصر هو فى الواقع قائدهم المعنوى والروحانى وزعيمهم.

فان الثورة العظيمة التى قادها الرئيس جمال عبد الناصر خلال السنوات الاثنى عشر الماضية من حكمه قد أوصلته الى ذروة يصل اليها قليل من الشخصيات البارزة فى عصر من العصور، فانه بحق يعد من ابرز الشخصيات فى العصر الحاضر.

وقد لمست اثناء زيارتى للقاهرة وحضورى فى مداولات مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية العالمى فى مارس ١٩٦٤، بأهمية شخصية الرئيس جمال عبد الناصر ومدى عظمته وقد اشترك فيه اربعون بلدا اسلاميا وغير اسلامى واستغرق اسبوعين وتليت فيه مقالات ومحاضرات هامة واجريت مقابلات ومحادثات رسمية وغير رسمية، ولكن فى كل مرحلة من مراحله وجدت كل شخصية تعترف بما حققه الرئيس جمال عبد الناصر من نصر، ورقى، واعمال جبارة، وتثنى ثناء عاطرا على منجزاته،.

وكان من الطبيعى ان اهتم بناحية التعليم بصفتى طالبا من طلاب العلم، فسررت سرورا بالغا ان التعليم قد حقق تقدما هائلا خلال السنوات العشر الماضية ما لا يمكن لاى تحقيقه فى اى بلد فى هذه المدة القصيرة.

ويقوم نظام التعليم على أساس صيانة التراث العربى المجيد فى أدب وعلم وفن ، واجراءات البحوث والتحقيق عليه ، ونشره جنبا بجنب مع دراسة العلوم العصرية والفنون العصرية الغربية التى يقوم عليها كيان الثقافة الغربية ، وتوفير فرص كافية لترويجها والانتفاع بها بدون اى تمييز بين مواطن ومواطن بغض النظر عن اختلاف الطبقات واللون والدين.

ولتحقيق هذه الفرص فرضت الحكومة نظام التعليم الاساسى اجباريا ومجانا الى آخر مرحلتها . ولا تقف الحكومة عند هذا الحد ، بل انها توفر تسهيلات أخرى فى المرحلة الجامعية ، فتقدم منحات دراسية ومساعدات مالية الى عدد كبير من الطلبة والطالبات .

وقد ارتفع مستوى معيشة البلاد الى حد كبير ، وقد وجدت لهذه الثورة أثرا فعالا فى جميع مرافق الحياة ، فوجدت مستوى الاطفال والطلاب عاليا .

وسنحت لى الفرصة لزيارة الازهر وجامعة القاهرة بقرب ، وزرت المكتبات ودور المطالعة ، وحلقات الدرس ودار الاقامة للطلبة فاستطعت التعرف على طرق معيشة الطلبة عن قريب ، ثم انى شاهدت أيضا الالعاب الرياضية وسباق السباحة فاعجبنى فى كل مكان وفى كل مرحلة نظام الطلبة ونظافتهم وأدبهم . فكل طالب واستاذ او اى شخص آخر فى الوظيفة مهما صغر منصبه أو كبر ، يهتم بوظيفته وعمله . ويصرف جل اهتمامه الى انجازه ، وهذا هو السبب الرئيسى فى عدم وجود اى نوع من التدمر فى الطلبة والطالبات ، فلا نجد انباء المظاهرات أو اضراب الاطفال والطلبة فى الصحف العربية ، وقد جدد بناء مبانى جامعة القاهرة وعين الشمس ، وأضيفت مبانى جديدة الى حد مظهرها القديم كليا .

اما جامعة الازهرفهى جامعة عظيمة ذات أهمية وتأثير فعال تخدم العلوم العربية منذ اقدم العصور ولها دور مجيد فى صياغة الثقافة العربية، وقد حققت هذه الجامعة ايضا تقدما هائلا فى الناحيتين الصورية والمعنوية.

ولكن الحكومة تزمع على تأسيس مدينة الجامعة، خصيصا لهذا الغرض، ماتكفى حاجة الطلبة والطالبات وتزودهم بجميع ما يحتاجون اليه على مستوى افضل، وقد وضع حجر أساس لهذه المدينة فى حفل خلال ايام انعقاد المؤتمر الاسلامى وبدأت عملية البناء، ولاشك ان هذه المدينة عند ما تكتمل، ستكون أروع وأجمل مدينة علمية.

ولكن هناك ثورة اعظم من الثورة النظرية التى حققها الجامع الازهر وهى التعديلات الحاسمة التى اجريت فى نظام التعليم، فقد كان الازهر الشريف يخرج علماء كانوا رغم تفوقهم فى العلوم الاسلامية واتقانهم بالثقافة الاسلامية العربية ينقصهم شئ هام وهو انهم كانوا يجهلون العلوم العصرية، وكان ذلك هو العامل الاساسى لعدم امتزاجهم بالبيئة الحاضرة وسبب ذلك فى تباعدهم عن عامة الناس تضييق نطاق افاديتهم وتأثيرهم فى المجتمع. ثم انهم كانوا يدرسون العلوم القديمة تقليديا فلم يكن يحدث فيهم قوة الفكر العميق والبحث الدقيق والتحقيق والاجتهاد فى المسائل الدينية والعصرية فلم تكن هذه العلوم تخدم الامة حق خدمتها، وتحل مشاكلها، وتقوم بدورها اللائق فى بحث التطورات اليومية فى الحياة والمجتمع وهذا هو الباعث الكبير الذى دفع الشيخ جمال الدين الافغانى والشيخ المفتى محمد عبده والسيد رشيد رضا بعدهما فى بذل مجهودهم الجبار لتغيير نظام التعليم فى الازهر لكى تضيق فجوة الاختلاف بين طلاب العلوم العصرية

[illegible]

العلماء فى ذلك العصر فلم تثمر جهودهم الا قليلا ، فيرجع الفضل الاكبر فى هذا الصدد الى الرئيس جمال عبد الناصر الذى انجز هذه المهمة الكبرى التى عجز عنها كبار العلماء والزعماء وقادة الفكر فى مصر . والعامل الكبير فى تحقيق هذه المهمة هو اخلاصه وفراسته التى حولت الازهر من جامعة العلوم القديمة الى جامعة تجمع بين العلوم القديمة والحديثة بدون ان ينقص من شئ وحتى انه الحق بها كلية للهندسة ، وكذلك ادخلت تحسينات فى طريق التعليم ومبانى الجامعة ، وفتحت كلية للطالبات التى لم يكن لهن اى حق فى الحصول على التعليم فى العصر الماضى ،

وبالاضافة الى الاصلاحات التى اجريت فى نظام التعليم والتدريس فقد احرز تقدم هائل فى ميدان صيانة الثروة العلمية للفنون والعلوم العربية العظيمة . فان الجهود التى تبذلها مصر فى هذا المضمار جدير بان ينال كل تقدير واعجاب ، فقد وجدت فى مصر عدة مكتبات شهيرة شخصية منها وقومية ، منها دار الكتب المصرية ، والمتحف الاسلامى وهما مكتبتان شهيرتان ذاع صيتهما فى صيانة المخطوطات العربية .

وكذلك اعتنى العلماء والكتاب بنشر الكتب النادرة والمؤلفات القيمة بعد الحصول عليها فى مختلف مكاتب العالم . ولتحقيق هذا الغرض النبيل تسعى مكتبات مصر الشخصية والرسمية بكل اهتمام وعناية ، وتبذل مبالغ جسيمة للحصول على الكتب النادرة وتصويرها وصيانة هذه الافلام فى مكتبات مصر . وأهم هذه المكتبات دار الكتب المصرية ، والمتحف الاسلامى ، وقد انشئت جامعة الدول العربية قسما خاصا يعتنى بالحصول على الكتب النادرة ، ويرأس هذا القسم الدكتور يحيى الخشاب الذى يعرف بخدماته الادبية والعلمية الجليلة فى العالم العربى كله ، ونائب مدير

هذا القسم الاستاذ رشاد عبد المطلب وقد تفضلا علينا ان سمحا لى بزياره هذا القسم وقد دهشت وتعجبت عند ما وجدت آلاف نسخة من المخطوطات التى وصلت الى مكتبة القسم من مختلف انحاء العالم، ويسعى القسم الى تصوير كل كتاب عربى مخطوط يوجد فى اى ناحية من العالم.

ولا تنتهى هذه المساعى العلمية عند هذا الحد، وهناك عدد كبير من الاكاديميات، والادارات، والهيئات، والمكاتب العلمية والادبية التى تبذل جل اهتمامها الى نشر العلوم العربية واشاعتها فى كل بيئة من البيئات والاوساط العلمية، ولذلك توجد المكتبات العلمية فى كل شارع من شوارع القاهرة الرئيسية حيث تجد كل نوع من الكتب المطبوعة طباعة أنيقة رائعة بعد التنقيح والبحث الدقيق ووضع الحواشى المفيدة. وتتنافس المكتبات فى تجميل وتحقيق المؤلفات القديمة، فتجد حينا بعد حين مطبوعات جديدة بحواشى اضافية وتحقيق مزيد، حتى ان الباحث فى الكتب يتحير بين هذا الكتاب وذاك، يختار هذا ويترك ذلك.

وبالاضافة الى المجهود الجبار الذى يبذل فى سبيل احياء التراث العربى ونشر الكتب القديمة، تبذل الهيئات العلمية اهتماما بالغا فى نشر العلوم العصرية، والعلمية، والتكنولوجية بكل سرعة ودقة واتقان، فتجد الاسواق مكتظة بتراجم الكتب العلمية البارزة علاوة عن المؤلفات الدقيقة والعلمية باللغة العربية فى مختلف الفنون والعلوم العصرية. ولهذا الغرض أسس مجمع الفؤاد الاول لنشر كتب عصرية وتراجم غربية الى اللغة العربية.

اذا كانت نهضة بلد من البلدان وتقدمها الثقافى والمدنى تقاس بجرائد هذا البلد وصحفها التى تنشر فيه، والاذاعة التى توجه منه وبرامج

التلفزيون، فلاشك ان الجمهورية العربية المتحدة لا تتخلف عن اى بلد من بلاد العالم فقد كانت مصر قبل اعلان الجمهورية بلدا كان فيه طبقتان - طبقة كبار الاثرياء وطبقة الفقراء العسيرين، ولكن الآن قد تغيرت الاحوال تغيرا كاملا، فقد نفذ نظام الاصلاح الزراعى وتحديد الملكية لكى لا تنحصر الثروة فى ايدى شرذمة قليلة من الناس، وتتخذ اجراءات لتحقيق رفاهية الدولة ورخاء الشعب. وأكبر خطوة فى هذا الميدان تأميم قناة السويس وقد مررنا بقناة السويس فشاهدنا هناك ان بعد كل عشر دقيقة تمر سفينة فى القناة.

ويتضح منه إهمية الخطوة الجريئة التى اتخذها الرئيس جمال عبد الناصر، والتى لا تقل اهمية عن اى عمل جبار ومجهود بذل فى سبيل تحقيق رفاهية الدولة. وقد ذهبنا الى أسوان فقد شاهدنا العمل الذى يجرى من اجل بناء السد العالى الذى ينجز بتكاليف تزيد على مئات الملايين من الروبية، انه فى الواقع مجهود غريب يستحق أن يشاهد. ومن المتوقع ان يكتمل فى عام ١٩٦٧ وباكتماله تتحول مناطق واسعة من الاراضى القاحلة والصحراء الى اراضى زراعية صالحة للحرث والسكن، وقد أنشئت مدينة جديدة باسم «مديرية التحرير» فى قلب الصحراء على بعد مائتى ميل تقريبا من القاهرة نتيجة لهذه التجربة العظيمة. فقد استخرج الماء فى هذه المنطقة من تحت الارض للرى وقد أتت هذه التجربة بثمارها حيث تحولت المنطقة الى حقول خضراء وحدائق رعناء بنيت عليها مبان جميلة عالية والمساكن ولا تزال اعمال البناء جارية فى المنطقة. وقد زرنا فى طريق عودتنا «مديرية التحرير»، وقرية عمر، وقرية صلاح الدين، وهما من القرى التى انشئتها الحكومة، وانشئت فيها مصانع خفيفة ريفية، مثل مزارد

الدجاج واللبن وصناعات الاوانى والنسيج وما الى ذلك من صناعات ريفية ويدوية اخرى . وتمتاز هذه القرى بنظافتها وحسن نظامها وتوفير جميع تسهيلات الحياة اليومية فيها مثل الماء والطاقة الكهربائية . وقد بنيت جميع مبانى القرية على نموذج واحد توجد فيها جميع الحاجات اليومية ، وقد دخلنا بعض هذه المنازل فوجدناها مؤثثة تأثيثا جميلا ، وقابلنا سكان القرية فرحبوا بنا بوجوه باسمة ، سعيدة مليئة بالامل فى المستقبل السعيد .

وعلاوة عن الصناعات المنزلية توجد فى البلاد مصانع كبرى عصرية ، فيمتاز فى هذا الصدد مصانع الغزل والنسيج للقطن المصرى الشهير فى المحلة الكبرى التى تشتغل فيها آلاف من العمال والمستخدمين وتوفر لهم جميع التسهيلات الطبية وفرص التعليم لاطفال المستخدمين .

واتخذت الحكومة اجراءات حاسمة لقمع السوق السوداء والاحتكار ، لينتفع الشعب الى اكبر حد ممكن من مكاسب التقدم الاقتصادى فى البلاد . ففى الوقت الذى تفتح الحكومة مصانع الاجهزة الثقيلة والادوات الهندسية ، والطائرات والعربات فانها لاتألو جهدا فى تزويد الشعب بجميع حاجياته اليومية . وقد أعجبنى نظام وزارة التموين التى يجول عيونها وخبراءها فى السوق لتفتيش الحبوب والمواد الغذائية التى تباع فى السوق ، والاطعمة التى يتناولها افراد الشعب فى المطاعم لازالة امكانيات سوء التغذية .

وان دلت هذه التطورات على شئ ، فانما تدل على حرص الحكومة المصرية على رفع مستوى معيشة الشعب ورفاهيته ، وقد وجدت كل شخص فى مصر أنه واثق باخلاص الحكومة ويعترف بالمجهود الذى يبذله من أجل رخاءه ، فكل مصرى يعشق جمال ، وعند ما يمر الرئيس جمال فى اى مكان تعلو هتافات ، «عاش جمال ، عاش جمال» وتدوى فى الفضاء .

الأنباء الثقافية

يزداد المجلس نشاطا وفعالية مع حلول فصل الشتاء فهنا، مثلا استعدادات تجرى على قدم وساق لحلقة دراسية كبيرة حول الهند والعالم العربى فى القرنين التاسع عشر والعشرين، والمتوقع ان تعقد الحلقة فى شهر فبرائر من هذا العام (١٩٦٥ م) وتنعقد اجتماعات تحضيرية متتالية تحت رئاسة الدكتور تارا تشند لوضع الخطط ولنيل النجاح الكامل فى الحلقة،

* * * * * * * *

ويرتاد المجلس مع تعاون جامعة دلهى حقلا جديدا اذ تبنى مشروعا للبحث حول مهاجرة الهنود الى الافريقيا الشرقية ولا يقصر النشاط فى داخل البلاد وانما سيرحل الباحثون الكبار من قسم الدراسات الافريقية التابع لجامعة دلهى الى بلدان افريقيا الشرقية مثلا يوغاندا وكينيا وتانجانيقا لدراسة الموضوع فى محاله.

* * * * * * * * *

ورحب المجلس فى شهر نوفبر الماضى مباحثا يابانيا البروفيسور تيتسيو ركون مدير القسم الخارجى للمعهد الاهلى للبحوث التعليمية فى طوكيو ورتب برنامجا للزائر الكريم فى كالكتا ودلهى وبومبائى، كما وفد من جامعة

طوكيو طالبان لمدة شهر واحد، وهما شنبحيتاكا سوسوكى وكيمي هيرو ناكانو، واستقبلهما المجلس على المطار وقام باعداد السكن وغيره لهما فى الهند .

ومنح المجلس منحة دراسية للمستر فوساؤ ناكازون من المعهد الاسيوى اللالسنة فى طوكيو، لدراسة اللغة الهندية فى الهند .

واما من سافروا من مجلس الهند للروابط الثقافية الى الخارج لتمثيل البلاد فهم :

الدكتور ر . و . جوشى استاذ اللغة السنسكرتية فى جامعة دلهى زار تشيكوسلوواكيا وبولاندا والمجر لثمانية اسابيع، والدكتور ب . ن . سنج استاذ اللغة الهندية فى جامعة كوروكشيترا سافر الى جورج تاون كمحاضر ثقافى من المجلس،

* * * * * * * * *

والدكتور محمد اقبال الانصارى من معهد الدراسات الاسلامية، زار دمشق لاربعة ايام، واجاب على عدة اسئلة موجهة من رجالات الادب العربى حول الدراسات العربية فى الهند، ان طلاب العرب فى الهند فعددهم مائات ما عدا الطلاب الذين يدرسون العربية فى جامعة على كره، وحاول الدكتور انصارى كذلك ازالة الخطأ الشائع فى البلاد العربية بان الهند ترمى الى القضاء على الكلمات العربية المتشربة الى اللغات الهندية،

وسيغادر الهند عما قريب بروفيسور الدراسات الهندية فى طهران وزغرب وبزوفيسور اللغة الهندية فى بخارست ، ويوجد فى جامعة ملبورن فعلا للمجلس كرسى للدراسات الهندية .

شوون الطلاب

وكانت الفترة الاولى من العام الدراسى كدابها موسم العمل والنشاط وكان ارباب المجلس مشغولين فى مساعدة الطلاب وارشادهم فيما يتعلق بسكناهم واسفارهم وماليتهم وما الى ذلك كما عقدت دراسات تمهيدية للوافدين الجدد ، وكانت الدروس فى المسكن الدولى الطلاب من ١٠ الى ١٤ سبتمبر ١٩٦٤ . وقام ١٤ طالبا اجنبيا بجولة ايام عطلة عيد دسهرة فى سد بهاكرانكل وتشندى كره وحدائق بنجور .

مكتبة المجلس

اخذت مكتبة المجلس منذ قليل تحتفظ بقصاصات الجرائد والمجلات لاستخدامها فى المجلس ، ورتبت هكذا محاضرتين فى سلسلة الحوار حول علوم المكتبة . وكان سرى رام تشندر الامين العام للمكتبة التابعة لمصلحة الآثار الهندية قد تحدث فى ٨ اكتوبر ١٩٦٤ عن صيانة الكنوز الخطية ، وفى ٢٠ من نفس الشهر تفضل المستر رسل بودن نائب امين المكتبة للمجلس البريطانى بالقاء محاضرة عن جمع الكتب للمكتبات ، كما تحدث احد اعضاء المكتبة فى كلتا الحفلتين .

واستقبلت المكتبة كذلك جماعة من طلاب الدبلوما فى علوم المكتبة المتعلمين فى جامعة كرناتك، وعرفتهم على طريق العمل.

المطبوعات الجديدة

صدر فى ١٤ نوفمبر كتاب الفكر الهندى المعاصر للمولف و. س ناراوانى، مع تعاون المجلس والدار الاسيوية للطبع والنشر ويعرض المولف فى هذا الكتاب النظريات الاساسية للمفكرين الكبار بادئا من رام موهن راے الى الدكتور رادها كرشنن، ممن صبغوا الفكر الهندى بصبغة خاصة فى خلال القرن الماضى ونصف القرن الحالى، وقام المولف بفحص الافكار وتناولها تناولا فلسفيا، وبحث فى النظريات والافكار.

THAQĀFATU'L-HIND

Vol. XVI | January 1965 | No. 1

Editor:

S. Taiyebali Lokhandwalla

CONTENTS

	Subjects		Contributors		Page
1.	Intellectual Heritage of Muslims of India and Their Contribution to Arab Literature	...	MAULANA ABDUL HASAN ALI NADVI	...	1
2.	Indo-Arab Relations since Ancient Times	...	DR. TARA CHAND	...	9
3.	Indo-Arab Commercial Relations	...	DR. MAQBOOL AHMED	...	20
4.	In the Month of Ramadan	...	MR. IBRAHIM JOYO	...	54
5.	Nehru and the Arabs	...	MR. MOHD WAHBY	...	58
6.	Indian Sciences and Their Influence on Abbasid Period	...	DR. ALI ABDUL RAHMAN ABA HUSAIN	...	63
7.	From the Land of Cocoanuts to the Land of Dates	..	MR QAZI 'ATHAR MUBARAKPURI	...	77
8.	Cairo	...	PROF. SA'ID AHMED AKBARABADI	...	115

ثقافة الهند

تصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية

رئيس التحرير ـ شمعون طيب على لوكهندوالا

المجلد السادس عشر | يوليو سنة ١٩٦٥ | العدد الثالث

الصفحة

محتويات هذا العدد

١	العلمانية فى الهند	للبروفيسور همايون كبير	١
٢	غاندى والنهضة النسائية	للاستاذ ر. ر. ديواكر	٥
٣	الارتقاء الثقافى بكشمير فى عهد السلاطين	صاحبزاده حسن شاه	١٩
٤	من النارجيل إلى النخيل	للاستاذ قاضى اطهر المباركپورى	٣٣
٥	فن العمارة الكشميرى بين العهد القديم والعهد المتوسط	للاستاذ بى ـ اين ـ كے ـ بامزائى	٦٧
٦	كيهو سوامى	للدكتوره سيدة جعفر	٧٧
٧	عربى فى الهند	للاستاذ جمال مناع على	٨٧
٨	الأفراح فى الهند القديمة	للاستاذ محى حسن القوى	٩٥
٩	الأنباء الثقافية		١٠٢

مجلس الهند للروابط الثقافية

الرئيس : المستر محمد على كريم تشاجلا

يهدف المجلس — كما ينص دستوره — إلى إنشاء وإحياء وتعزيز الروابط الثقافية بين الهند والبلاد الأخرى بالوسائل التالية :

(١) التوسع فى معرفة وتقدير لغاتها وآدابها وفنونها
(٢) إنشاء الروابط الوثيقة بين الجامعات والمعاهد الثقافية
(٣) اتخاذ جميع التدابير الأخرى لتنمية الروابط الثقافية

العلمانية فى الهند

البروفيسور همايون كبير

يوجد سوء تفاهم كبير حول سياسة العلمانية لدولة الهند. فيعتقد بعض الناس أن العلمانية تعنى خصومة أو على الأقل تجاهلا عن الدين. ولا يصح ذلك، لأن التقليد الهندى الدينى لقوى الى حد أن أية محاولة تهدف الى إنكار أهمية الدين ستؤدى الى رفضه المباشر من قبل الشعب الهندى. ولذلك يختلف مفهوم العلمانية فى الجو الهندى ويجب أن يفهم بأنه يقضى بأن الدولة ليس لها دين خاص.

ولا غرابة فى ذلك، فان الحياد بين الأديان المختلفة كان دائما سياسة الهند التقليدية عبر القرون. فقد كانت الهند موطنا لأديان وعقائد مختلفة منذ أقدم العصور ولكن تعدد الأديان هذا لم يعترض أبدا فى اتباع مختلف طبقات الشعب مناهجها وطرق حياتها بصورة سلمية. وليس من الصدف إذا أن المسيحيين واليهود الذين وصلوا إلى الهند فى القرن الأول من العصر المسيحى لاقوا حفاوة واستقبالا حارا فى هذا البلد. وبعد مرور عدة قرون وصل المسلمون والفرس فلاقوا مثل هذه الحفاوة. ومنذ ذلك الوقت تعرف الهند بأنها موطن شعب يتبع بمختلف الأديان والعقائد بكل حرية ووئام ورفاهية وازدهار..

وقد أصبح الآن حقيقة تاريخية أن البوذية ومختلف أشكال الهندوكية ترعرعت فى الهند جنبا بجنب مع الآخر لعدة قرون. وكان «أشوكا» أحد الملوك الأولين الذى خصص لنفسه عقيدة دينية خاصة ولكنه أصر على منح متبعى الأديان الأخرى معاملة متساوية. وكذلك ينطبق ذلك على عهد ملوك «Ikshakn» فى «Vijaypuri» الذين منحوا

بوذيين والهنادكة حقوقا وصيانة متساوية ورعاية حكومية. ويذكر أن الملكات كن يتبعن الدين البوذى فى الوقت الذى كان الملوك يعتنقون دين الهندوكى. فاذا كان الكهنة الهنادكة يتلقون رعاية وتأييد الملوك الهنادكة كان الكهنة البوذيون يتلقون نفس التأييد من الملكات البوذيات. فى الشمال والجنوب كانت الدولة تزدهر والشعب يمضى قدما فى سبيل الرفاهية ما دامت سياسة التسامح مستمرة. وعند ما تغيرت هذه السياسة وبدأ التحيز الى جانب إما البوذية أو الهندوكية أدى هذ التغير الى حدوث فرقة واختلاف مما أدى الى زوال المملكة.

ووقعت نفس القصة فى عهد حكام بتهان والمغول فى الهند. فقد تعلم ملوك بتهان فى بداية عهدهم أن أحسن الطرق لبقاء حكمهم هو الفوز بولاء رعايا الهنادكة لأن الحكم الذى يقوم على الخوف وحده لا يستطيع أن يدوم. وهذا هو سر عظمة الامبراطور أكبر الذى جعل هذه السياسة فلسفة الحياة. وكافح بكل حزم وثقة لتطبيق مبدأ منح فرص متساوية لجميع رعاياه وكانت النتيجة أن الهند فى حكمه وصلت الى مستوى ثقافة وحضارة كانتا مبعث حسد وخيبة أمل لاوروبا المعاصرة. وعند ما تغيرت سياسة المعاملة المتساوية التى رسمها أكبر لرفاهية جميع رعاياه بدأ انحطاط الحكم المغولى.

وإننا نجد خلال فترة تفكك الحكم المغولى والسيطرة البريطانية أمثلة جديدة لتنفيذ هذه المبادئ فقد حقق شيواجى نصرا هائلا لأنه عامل جميع رعاياه بغض النظر عن أديانها ومعتقداتها معاملة متساوية. ولم يبلغ بعض خلفائه هذه الذروة والنجاح الذى حققه هو فى عهده فقد

أدت سياستهم القائمة على التحيز الى انتقاد الرعايا غير الهنادكة وبلغ الحـ
الى حد أن الهنادكة الذين لم يكونوا من طائفة « المراتهة » انقلبوا ضدهم
ويعرف أنه بصورة عامة أن فشل «المراتها» فى الحرب الثالثة فى (anipat'
كان سببه الرئيسى عدم التعاون وفى بعض الأحوال الخصومة الشديدة بين
الجات والراجبوت وقد بلغ رانجيت سنگهم ذروة هائلة بسبب وفاء وولا
رعاياه الذين كانوا يتبعون مختلف الأديان والمعتقدات .

ويتلخص درس تاريخ الهند إذا ، أن الحياة السياسية الراضـ
لايمكن أن تقوم الا على وفاء وولاء جميع طبقات الشعب فى بلد مترا
الأطراف ومتنوع الأجناس والطبقات مثل الهند . وإن اعتناق الدو
لأى دين خاص يؤدى الى حذف هذا المبدأ . ومن الطبيعى أن تتـ
رغبات متبعى دين يتمتعون بكونهم فى أغلبية ساحقة فى بلد الى ترا
دينهم طريق حياتهم على الآخرين إلا أنه ملئ بالأخطار لأن التار
فى الهند والبلدان الأخرى يعلم أن الأقليات تلعب دورها وتبذل مساهمة
حسب نسبة عددها فى نمو الحياة والثقافة القومية ، وكذلك يطالب الهيـ
الخاص للمجتمع الهندوكى بنفسه بأن لاتثار مسألة تحديد الدين فاذا أثير
هذه المسألة فانها لن تقف عند حد التميز بين الهنادكة وغير الهنادكة .
أنها تتطور فورا إلى تكرير صفوة الملاقات بين مختلف طبقات الطا
الهندوكية بنفسها .

ولما ان المجتمع الهندوكى اتحادى فى هيئته يؤدى هذا الاتحاد ا
وجود طبقات اجتماعية واقتصادية وتقسيمات دينية وعقائدية . وتتكو
الهندوكية من عدة فرق عقائدية وتقليدية وفى بعض الأحيان توجد لها

بين طائفة هندوكية وأخرى ما لا تقل وسعا من الفجوة التى توجد بين دينين مستقلين فى العالم. فاذا طبق مبدأ الانفصال الدينى والتحديد الدينى فى السياسة الهندية فسيؤدى ذلك الى تفكك ليس فى القومية الهندية فحسب بل فى المجتمع الهندوكى أيضا.

وعلاوة على الاعتبارات التاريخية تقتضى التطورات العلمية والتكنولوجية للعصر الحاضر بأن لا تتبع الهند الا سياسة علمانية. وإن حضارات وثقافات مختلفة فى العالم اليوم تتقابل بعضها مع الآخر فى مرحلة تتضايق بسرعة وهذا التقابل يزداد شدة وتقاربا فى الهند بالنسبة لأى بلد آخر. فالتسامح والاحترام لوجهات النظر المختلفة يلزمان لبقاء البشر فى هذا العصر الذرى.

وفى الهند توجد هذه الضرورة بدرجة اعلى فاذا كانت الهند جزءا من العالم تتلخص فيه جميع حضارات العالم فلا تسد حاجات الهند الا تلك السياسة التى تخدم العالم من حيث المجموع.

غاندى والنهضة النسائية[1]

للاستاذ ر . ر . ديواكار[2]

يهتم زعماء الاصلاح الاجتماعى اهتماما كبيرا بالنهوض بالمرأة . ومن هنا لقب غاندى بـ « المصلح الاجتماعى العظيم » فقد اهتم بأشياء كثيرة ومن بينها تقدم الجنس النسائى . وبالطبع فان هذا الوصف يشمل غير ذلك من أعمال غاندى الأخرى كاهتمامه باصلاح حال القبليين (البدو) والمنبوذين والطوائف المتخلفة الأخرى .

ولكننا نخطئ حين ننظر الى غاندى نظرتنا المعتادة الى المصلحين الاجتماعيين الآخرين ، أو نضعه فى مرتبة مماثلة لمراتبهم، لأننا حينئذ نكون قد تجاهلنا عمق فكرته وقوة احساسه ووضوح رؤيته لقضية المرأة وتقدمها . واهتمامه بالجنس اللطيف لم ينبع أساسا من عطفه عليهن ، أو من شهامته ومروءته ، أو من مجرد موقفه كمناصر ومناضل من أجل الضعفاء ، ولكن هذا كان جزءا من نظريته المتكاملة الشاملة عن الحياة . وهذا كان نتيجة لاحساسه بما يعتلج فى أعماق صدور كل رجل وامرأة من عزم وتصميم قويين على تحقيق ما يدأبان فى النضال من أجله - عن قصد أو بدون قصد - ألا وهو التناسق الذى يجب أن يسود كل بيت إذا تعادل دور كل منهما ، وأخيرا كان هذا بوحى من نظريته عن الغبطة المدهشة التى تأتى نتيجة لسمو العلاقات بين الجنسين .

---

(١) من محاضرة القاها الكاتب بجامعة باروودا Baroda فى اكتوبر سنة ١٩٦٣ .

(٢) R. R. Diwakar

ومعظمنا يتبنى - على الارجح - فكرة سطحية عن مشكلة نهضة المرأة أو تحريرها ثم يروح يفكر فى إصلاح هنا أو تغيير هناك ، ونحن فى هذا نتناسى - تقريبا - كل مجرى التطور والمكان الذى هيأته الطبيعة للمرأة ووضعتها فيه فى المرحلة الحالية من التطور البشرى ، ولهذا فانه من الضرورى أن نستعرض باختصار الطرق الطويلة التى كانت الطبيعة تسير بنا خلالها .

وباختصار فالحياة على هذا الكوكب قد تطورت من كائنات ذات خلية واحدة[١] إلى كائنات متعددة الخلايا[٢] ، واستمرت على هذا المنوال . وفى المرحلة المبكرة ابتدأت الخلية تتنفس وتنبض بالحياة ، وهذه الخلية الواحدة كانت لها جميع وظائف الحيوان الحى ولم تكن أبدا ذكرا أو أنثى[٣] ، وكانت طريقة التكاثر هى انشطار الخلية الى شطرين متساويين إذا بلغت درجة النضوج . وكانت هذه طريقة لانتشار النوع لا تناسل فيها[٤] .

فأين إذن كان الذكر أو الأنثى ؟ .. أين كان الجنس وكل التعقيدات التى نتجت فيما بعد ؟ .. الذى كان موجودا هو إلحاح فطرى من أجل الحياة ومن أجل تجددها باستمرار جيلا بعد جيل ومن أجل إثبات الذات . وربما قيل بأن الرغبة فى إثبات الذات هى فى الحقيقة الدافع الأساسى الأصيل ، وربما عرفت بأنها الارادة أو الرغبة الأساسية . وقد ورد فى نصوص

---

(١) Uni-cellular (٢) Multi-cellular (٣) عديمة الجنس

(٤) asexual

«الأپانيشادس» (the Upanishads) ما يلى : «كان فى البداية» «الكائن الأوحد» فقط ، ونتيجة للشعور بالوحدة أو لعدم رضائه عن التفرد فى الوجود فان هذا «الكائن الأوحد» قد رغب فى أن يتعدد (ekoham bahusyama) ومن ثم كان تكاثر الحياة ، وأيضا كان هذا الاختلاف المحير بين الكائنات الحية.

وقد ظلت الكائنات ذات الخلية المفردة تعيش جنبا الى جنب مع الكائنات ذات الخلايا المتعددة تحت سمع وبصر كل باحث أو دارس. وفى الحقيقة فانه بالرغم من أن الانسان كائن متعدد الخلايا إلا أن الخلايا التى يتكون منها جسمه إنما هى مفردة فى تركيبها. ومع هذا فالانسان متعدد الخلايا لا لأن جسمه يحتوى على ملايين الخلايا فقط بل أيضا لأن به الكثير من الأنواع المختلفة من الخلايا ، وفى طريق هذا التطور للكائن ذى الخلية المفردة وأيضا للمتعدد الخلايا توجد مرحلة يبدو أن «الكائن عديم الجنس» قد تطور فيها الى «الكائن الخنثى» (bisexual creature) أى الكائن الذى به خصائص الذكر والأنثى معا. أما الخطوة التالية فى التطور الجنسى فكانت تخلق الحيوانات ذات الاشتهاء لجنس مغاير (heterosexual animals) ، وهى حيوانات يتميز فيها الذكر

---

(١) «الأپانيشادس» (the Upanishads) هى أجزاء من «الفيدا» (Veda) تتحدث عن كيفية الخليقة وكيف تمت ومتى بدأت وكذلك تتحدث عن الحياة وعن الأحياء وعن العلاقات الجنسية. والفيدا هى النصوص المقدسة للديانة الهندوسية (المترجم).

من الأنثى. ومن هنا فالطبيعة قد انتهجت فى تكاثر الجنس طريقة التزاوج بين الذكر والأنثى من النوع الواحد، وهذا أدى الى الترقى فى الحيوانات والثدييات وأخيرا فى الرجل والمرأة اللذين يشتهى كل منهما الآخر. وبالرغم من هذا، فانه لما كان أحدث الكائنات تطورا يمر فى العادة بجميع الخطوات التى اجتازها فى مراحل تطوره وتبقى فيه بالرغم منه بعض السمات الثابتة التى رسبها فيه ماضيه الطويل فاننا نجد فى كثير من الرجال والنساء نزوعا إلى «النرجسية» (Narcissism) وإلى «العادة السرية» (self-pollution) والى الشذوذ الجنسى باشتهاء الجنس المماثل (homosexuality) وما إلى ذلك.

ومن الممكن أن نفسر هذا علميا بأنه من مخلفات مراحل الماضى التى مر بها الانسان، وهذه الأشياء نسميها اليوم بالانحرافات المؤقتة، وربما أطلقنا عليها أيضا اسم «انتكاسات غير طبيعية».

ومن المحتمل أن لايكون هناك تطور خلقى أو عضوى قد ظهر فى الانسان خلال بضعة آلاف مضت من السنين، ولكن يبدو أن الطبيعة قد قفزت قفزة درامية جريئة حين طورت «الايپ»[١] (the ape) الى إنسان، وفى الوقت الذى ظلت فيه سائر صنوف الحيوان ثابتة فى نوعها وملتزمة طرق حياتها التى يسيرها ويتحكم فيها ما نسميه بالغرائز فان الانسان قد وهب القدرة على الادراك الذاتى الذى يستوجب التفكير والتأمل وهذا يؤدى الى تكون ملكة «الضمير» (conscience) وهو التمييز بين ما هو صواب وما هو خطأ، ولذلك فللانسان اليوم سجاياه الخلقية، كما أنه أهل ـ

---

(١) هو نوع راق من القردة قريب جدا من الانسان ويسمى «إنسان جاوه»

الى حدما - لتشكيل مصيره بنفسه. وفى الوقت الذى يستطيع فيه عقله أن يتغلغل فى أسرار قوانين الطبيعة ويستطيع ضميره أن يميز بين ما هو صواب وما هو خطأ فان لارادته قوتها التى يستطيع بها أن يصدر قراره الى أية وجهة يمكن أن ينحاز هل الى الأفضل أم إلى الأسوأ. وكذلك تستطيع قوة إرادته هذه أن تستغل وأن تستعمل ما حصلته من معرفة وعلم بهذه القوانين فى إشباع دوافع الحياة الحيوانية الدنيا أو فى النضال من أجل الأهداف العليا للحياة السامية التى يجتذبه اليها مصيره، ويبدو أن نهج التسلسل الطبيعى للتطور الانسانى يبدأ من «الوحش» (beast) ويتسلسل الى «الذات العليا»[1]، والطبيعة فى هذا تساعد هؤلاء الذين يسيطرون على مصائرهم وتسير بهم فى التطور الى مستوى أفضل، وإن لم يتم هذا على نمط كامل فانما يتم بصورة جزئية على الأقل. وقد دعا «آروبندو» (Aurobindo) الى ممارسة «اليوجا» (Yoga) «أو التطور المحسوس» (conscious evolution) أما عملية التطور العضوى غير المحسوس أو غير الملموس التى كانت تتم خلال حقب الماضى الطويلة فان هناك الآن محاولات لأن تكون تطورا إراديا محسوسا نحو المثل الوجدانية العليا ومن أجل توجيه القوى البشرية الى أنبل المقاصد.

وفى محيط هذه النظرية فان الرجل والمرأة وعلاقاتهما المتبادلة يجب أن يفحصوا وأن يدرسوا، لأن البشرية ينبغى أن تنتهج أفضل منهج خلال رحلتها نحو الأصلح.

---

(١) عبر الكاتب هنا بالكلمة الانجليزية «God» اى الاله. والكاتب يدين بالهندوكية (المترجم).

وليس ثمة من داع لأن تتزود بالحكمة أو بمزيد من العلم لكى نقرر أن كلا من الرجل والمرأة ينجذب نحو الآخر بعوامل جنسية ، وأن هذا الأمر لاضابط له سوى ما تقتضيه دواعى الصحة والتربية الحسنة والآداب الاجتماعية ، وأن الجنس ليس فقط أداة لتكاثر النوع بل هو أيضا وسيلة للحصول على أعلى مراتب المتعة الجسدية المتاحة لكل من الرجل والمرأة ، وما إلى ذلك .

وما ذكرناه من أفكار ونظريات منطقية يتجاهله هؤلاء الذين يهتمون تمام الاهتمام بالجسد فقط وبمسراته وبملذاته ، وكذلك الماديون الذين يقولون بأنه لاكينونة ولا وجود الا للجسد .

ولكن الذين يدرسون أنماط التطور ، ويتقصّون المراحل التى اجتازها ، والذين يرون الذرى السامقة التى ارتقى اليها قلة من الرجال والنساء ذوو همم سامقة وذوو نبل مثل : الفنانين والشعراء والقديسين والشهداء ، وكذلك الدين يؤكدون بأن هناك كثيرا من المتع والمباهج التى تفوق كثيرا ما يتلذذ به الجسد ، وأن هذا الجسد ليس إلا وعاء متنقلا يغلف شيئا ما نسميه نحن فى العادة بـ « النفس » أو بـ « الروح » كل هؤلاء يعتنقون النظرية التطورية . وهم أيضا على ثقة من جدوى المحاولة لقيادة الجنس البشرى ، فى النضال من أجل تحويل المحرضات الحيوانية الى دوافع الايثار وإلى الارتقاء بالجنس البشرى الى مستوى أعلى فى الحياة الروحية .

ولاشك فى أن غاندى ينتمى الى الطائفة الأخيرة من الناس الذين يناضلون فى الجبهة الأمامية فى سبيل التطور الحقيقى للجنس البشرى ، ومن أجل هذا فنحن الآن بصدد نظرياته عن المرأة ونهضتها ، ولن نستطيع فهم

أفكاره عن المرأة وكيف حاول أن يحرر كلا من الرجل والمرأة من الحياة الحاضرة التى تسودها الأوزار الحيوانية والتى بسببها يبدو معظمنا وكأنه مستسلم لخوره وضعفه .

لن نستطيع فهم أفكاره هذه ـ اذا نحن تناسينا النظريات الروحية العميقة الخاصة به أو تجاهلنا مدى ما وصل اليه من تطور على جوهرى أو اذا لم نقدّر رغبته الجادة فى الارتقاء بالرجل والمرأة الى مستوى أعلى فى الوجود الانسانى ، وهو قد احتقر النزعات التى وضحها فى جلاء «بيترم سوروكين» (Petrim Sorokin) فى كتابه «الثورة الجنسية الأمريكية» (The American Sex Revolution) ، والتى لخصتها مؤخرا المسز «كليو شپ» (Mrs. Clio Shupp) فى مقال افتتاحى نشرته جريدة « ستردای إيفننج بوست » (Saturday Evening Post) جاء فيه ما يلى : تقوم الأمهات ـ فى تهور وفى غير تبصر للعواقب ـ بالزج ببناتهن الصغيرات الى معترك الجنس فى سن مبكرة جدا وهن بذلك يحرمنهن من النمو العاطفى الطبيعى ، ويجعلن زمن صباهن متجهما بشعا ، ولهذا فان البنات الصغيرات اليوم لسن بصغيرات على الاطلاق ، ولكنهن إناث مكتملات النمو بدون أن يتاح لهن وقت يؤهلهن لأى شئ فى هذه الحياة وبدون أن يكن مستعدات للحياة الجنسية .

وقد أبدى غاندى مخاوف حقيقية تجاه ما كان فى بلادنا من نزعات قوية نحو تقليد المناهج الغربية المادية وتبنى الآراء أكيدة الضرر ، وهو لم يكن يرفض أى شئ لأنه غربى ، فلم يكن متزمتا ولا محافظا ولا مجرد وطنى ضيق الفكر ، ولكنه كان دائما متفتح العقل صادق الوجدان ،

وكثيرا ما كان يقتبس الأفكار من أى مكان ويتبنى النظم من أى بلد إذا أدت الى صالح الشعب. وإذا كانت متسقة مع المثل التى يعتنقها، وفى نفس الوقت كان يعادى ويحرم كل فكرة أو عمل لايتمشى مع النمو الروحى للشعب أو يضر بحرية الانسان أو بكرامته أو باحترامه لنفسه أو يعرقل محاولات الانسان فى إثبات وجوده، وفوق كل ذلك كان يحرم أى شئ يخالف الطريق الذى اختاره الى الحق وإلى «اللاعنف». ومن جهة اخرى فانه كان يرحب بأى شئ يخدم ويدعم قضية الحق عن طريق اللاعنف سواء كان مصدره تقاليد وطنه أو كان من الغرب أو حتى من قبائل الاسكيمو.

وهو لم يكن يفرق بين الرجل والمرأة طالما ان الهدف الروحى والطريق اليه لم يهملا، وفى نفس الوقت كان غير غافل عن الفوارق العضوية التى سببتها الطبيعة، ولا عن الاختلافات الهامة فى بيئات ووظائف كل من الجنسين، ومع أنه كان لايتزحزح عن رأيه بالمساواة بين الجنسين، ووجوب احترام حقوقهم فقد كان أيضا يفصح عن رأيه بأن المساواة لاتعنى المماثلة أو حتى المشابهة الميكانيكية. وكان معنى المساواة عنده الفرص المتساوية فى الحياة، وكان يعتقد بأن الرجل والمرأة ولو أنهما متساويين الا أن كلا منهم قد خلق لتكريم الآخر، وأن أيا منهما لايكتمل أبدا بدون الآخر.

وقليل ما هم هؤلاء المصلحون الاجتماعيون الذين عالجوا قضية المرأة بمثل العمق والاهتمام اللذين عالجها غاندى. بهما. ولم أعرف فيلسوفا اجتماعيا آخر قد كتب بصراحة وثبات وبإحاطة كبيرة عن مشكلة الرجل

والمرأة كوحدة أساسية للمجتمع الانسانى وعن علاقاتهما ومهماتهما . وقد عالج غاندى هذه المشاكل لاعلى الطريقة النظرية البحتة ولكن حينما وكلما تصادفه وتعترضه خلال حياته الحافلة . ولم يكن من الممكن أن يغفل أى جانب من جوانب دور الرجل والمرأة فى المجتمع ، وكلما كتب عن هذه المسائل لم تكن كتابته تحمل أى طابع أكاديمى ، ولكنها دائما كانت آراء مبتكرة ونابعة من تجاربه .

وكانت لغاندى طريقته الخاصة فى العمل من أجل إصلاح المجتمع النسائى وكذلك فى كثير من المسائل الأخرى . وينبغى علينا حقيقة أن ندرس وأن نبحث منهجه العلمى على وجه الاجمال . فهو لم يكن يهمل حقوق النساء لحظة واحدة ، وهذا لايعنى أنه كان مجرد محام لحقوق المرأة فقد كان يعرف أنه يجب لكل حق أن يمارس ، ومن شأن هذا أن تكون هناك واجبات حتمية ، ومسئوليات لابد وأن يتحملها شخص ما من أجل احترام هذا الحق والسماح بممارسته ، ومن هذا القبيل كان من رأيه أنه من الأحسن للنساء أن يمكن من حماية أنفسهن ، وذلك يتأتى إذا اعتمدن على أنفسهن ووثقن فيها . أما الصياح والعويل والاستجداء على أبواب الرجال فلن يجديهن شيئا ، ولن يبعث فيهن أى شئ من القوة الداخلية ، أما اذا تفهم النساء واجباتهن ووقفن بثبات يدافعن عن حرياتهن ويطورن أنفسهن فانهن سيرغمن الرجال على احترامهن .

وهناك حادثة مشهورة توضح موقف غاندى ونظرته الى الحقوق والواجبات فان الكاتب الانجليزى «ج . هـ . ويلز» (G. H. Wills) قد أصدر ذات مرة ميثاقا ضمنه الحقوق الانسانية وأرسله الى كثير من

الرجال البارزين والقادة فى العالم ومن بينهم غاندى وطلب منهم تأييد هذا الميثاق وتذييله بتوقيعاتهم ، ولكن غاندى أعاده اليه بلا توقيع وأرفق به رسالة قال فيها : «إنه يجب عليه ـ أى على ويلز ـ أن يصدر فى الحال ميثاقا عن الواجبات ...»

ولم يكن غاندى أبدا منقطعا لقضية المرأة كما لم يستجب أبدا لرغباتها ، وكثيرا ما كان عنيفا ـ إلى حد ما ـ فى نقده للنساء مثلما كان مع الرجال . ولكن عطفه على النساء لم يكن لأنهن نساء ولكن لأنهن المطبقة المغبونة . وكذلك لم يكن غاندى من المطالبين بمنح المرأة حق الانتخاب . ولكن كنتيجة لموقفه وموقف زملائه التقدميين ظفرت المرأة بحق الانتخاب فى أول دستور للهند ، وكثير منا يجهل أن عديدا من الدول الأوروبية المتقدمة لم تسلم بتحرير المرأة الا بعد عناء ونضال مرير ، وحتى الآن فان بعض ولايات سويسرا لاتعطى المرأة حق التصويت فى الانتخابات العامة .

ولم يبدأ غاندى أى حركة ـ من حركاته التى كانت تعم الهند كلها ـ من أجل النساء كما فعل فى قضية «المنبوذين» (Harijans) وهناك بلاشك بعض المؤسسات النسوية فى مدينة «واردها» (Wardha) الهندية ولكن هذه المؤسسات قامت لغرض خاص هو تزويد البنات بقدر من التعليم والتدريب أكثر من أن تكون برنامجا خاصا يهتم اهتماما كليا بنهضة المرأة .

إذن فما الذى فعله غاندى ـ بصفة أساسية ـ من أجل النهوض بالمرأة إلى مركز أعلى ؟ ؟ والسر هنا يكمن فى دأبه المستمر على أن تكون قضية المرأة أمام عينيه ، وهو لم يضيع فرصة واحدة فى حياته دون أن يطمئن على أن هذه القضية قد أصابت نجاحا .

وإلى الطريقة التى نظر بها غاندى الى قضية المرأة وكيفية معالجته لها يرجع الفضل فى ارتقاء مركز المرأة ونموثقتها بنفسها وتضاعف فرصها، والتزايد الملموس فى الحرية والحركة، وهو قد استفاد طبعا من أنه خاض المعمعة فى ميدانها بعد عدد من رجال الطليعة الذين سبقوه منذ أيام «الراجا رام موهان راى» (Raja Ram Mohan Roy) الذى مهد السبيل أمامه. ولكن من الممكن أن يقال أن التقدم فى عهد غاندى قد قفز قفزات سريعة كبيرة بينما كان فيما سبق يسير الهوينا أويجرى على أكثر تقدير.

وقبل كل شئ دعنا أولا نرى على الرغم من آرائه المتزمتة التقليدية عن السيدة «كستوربا»[١] (Kasturba) وعن خضوعها الأعمى له كزوجة هندية مخلصة ـ كيف ارتقت هذه الزوجة الى مركز السيدة الأولى فى الهند. وبينما نعزى الى تضحياتها وخدماتها الجليلة ارتقاءها الى هذا المركز السامى فاننا لانغفل أبدا أن غاندى قدحاول دائما أن يهيئ لها الفرصة الضرورية لكى تزاول إمكانياتها ومقدرتها الكاملة. وقليل من عظماء الرجال من يفخر بزوجة هى شريك له على قدم المساواة، ليس فقط فى مباهج الحياة ومآسيها ولكن فى الاقدام والمجد اللذين ينشئان عن النضال البطولى والخدمات الجليلة على أرفع مستوى.. والأغلب فى زوجات عظماء الرجال أن تضمحل شخصياتهن أو يفقدن كيانهن تماما.. ومن المعروف جيدا أن غاندى كان فى منزله طاغية ودكتاتورا الى حدما، ولكنه حتى فى هذا لايغفل عن مقتضيات المبادئ، وهو حينئذ قد صح لديه بأنه لم يهن زوجته ولم يجرح عزة نفسها أو كرامتها ولم يثبط من طموحها الى خدمة زوجها وشعبها.

---

(١) السيدة كستوربا زوجة غاندي.

وهناك قصة شهيرة تروى عن الدكتور «د. ك. كارفى» (Dr. D. K. Karve) الذى توفى مؤخرا عن عمر يناهز خمسة ومائة عام بعد حياة حافلة بالعمل الشاق الذى كرسه لقضية المرأة، وهو الذى أسس أول جامعة للنساء فى الهند، وقد كان باليابان فى بعثة ما عام ١٩٣٠ حينما بدأ غاندى «مسيرة داندى» (Dandi March) مفتتحا «حركة الملح» (The Salt Satyagraha) وعاد كارفى الى الهند حينما كانت هذه الحوادث على أشدها، فشاهد ظاهرة بللت عينيه بدموع الفرح. لقد شاهد مئات من النساء.. من الطبقات الرفيعة ومن الطبقات الدنيا، من العجائز ومن الشابات - سائرات نحو البحر فى شوارع بومبائى المزدحمة، وكانت جموعهن مطوقة بكونستبلات وجنود البوليس المدججين بالسلاح الأبيض، وبدون رهبة أوخوف كن يسرن وقد ارتدين الملابس الزاهية الألوان ويرددن أناشيد البطولة، ويتقدمن فيلقا فى إثر فيلق نحو البحر منتهكات قانون الملح، وصاح كارفى من فرط الاعجاب قائلا: «ان ما فشلت جهودى وجهود أمثالى فى تحقيقه خلال عشرات السنين قد حققه ساحر[1] «سابارماتى» (Sabarmati) بعمله الخيالى دفعة واحدة..

وحينما يرى أى انسان مثل هذا الموكب النسائى يضم سيدات لايعرفن الخوف فى اقدامهن على خوض معركة الحرية لايسعه إلا الاعجاب بشجاعتهن. ومن يستطيع حينئذ أن لايبادر باحترامهن، ومن يستطيع أن يلقبهن حينئذ بالجنس الأضعف أو يتجارأ فيدعى بأنه ينبغى عليهن أن يكن مجرد جوارى يقبعن فى المطابخ أو فى الحريم كمجرد وسائل لقضاء شهوة الرجال.

---

(١) يعنى غاندى

وكان هذا هو الأسلوب الذى زاوله غاندى . وكان يستدعى الفتيات والسيدات ويملؤهن بالحماس والغيرة ، ويقوى فيهن الوعى بالقضية الكبرى ، ويدفع بهن قدما الى الأمام كى يجدن طريقهن نحو مركز جديد ومساو للرجال . كان يفعل ذلك سواء أكان قابعا فى مقره «بأشرام» (Ashram) أو مصطافا على شاطئ البحر فوق الرمال الملتهبة فى قيظ الظهيرة .

وهناك كتاب أو اثنان يتحدثان عن «النساء فى حياة غاندى» (Women in Gandhi's Life) أو «نساء خلف غاندى» (Women Behind Gandhi) ولكن قد حان الوقت كى يكون لدينا كتاب فى موضوع «غاندى فى حياة النساء» (Gandhi in Women's Lives) حتى نتمكن من معرفة كيف ومتى وإلى أىّ مدى وفى أية وجهة كان أثر غاندى فى حياة الفضليات من النساء فى عهده .

ولم يكن غاندى مقتنعا بتقدم عدد قليل من السيدات اللائى نشأن بالمدن أو المتحذلقات أو المثقفات بل إنه فى الحقيقة قد عبر عن أساه لتقدمهن المزعوم . وحينما أقيمت «مؤسسة كاستوربا» (The Institution of Kasturba Trust) وطلب منه أن يتفضل ببركته وهدايته اهتاجت نفسه الى أعمق أغوارها ، وتجلى اهتمامه بالنساء فى القرى النائية على هيئة مقترحات بدت وكأنها صعبة التحقيق . وقد اقترح بأنه ينبغى أن يتاح للفتيات تدريب على الخدمة المدنية فى مجالات شتى ، كما ينبغى أن تنشأ مراكز التدريب هذه فى القرى العامرة أو التى يقل سكانها عن ٢٠٠٠ نسمة ، وفى هذا وضح تماما للجميع اهتمامه بالقرويات ، وقد تشبث دائما باقتراحه هذا على الرغم من الصعوبات التى تأكد منها .

وقد رأى غاندى باحساسه المرهف أن المرأة ليست طائفة، وليست مجتمعا، كما أنها ليست فردا فى مقر سكنى ولكنها نصف البشرية فى التعداد، وهى هناك فى أى مكان يوجد فيه الرجل، وحياتها لايمكن التفكير فيها وحدها بمعزل عن حياة الرجل، وهما فى الحقيقة متساويان. وقد استطاع غاندى أن يدرك بسهولة أن تقدم الرجل يتأثر بتقدم المرأة بصورة جوهرية كما أدرك أيضا أن الرجل اذا لم يتقدم بسرعة كافية فسبب ذلك أن شريكته لم تصبح بعد كفئا لذلك. ونظرية غاندى كانت متكاملة، وقد ناضل جاهدا من أجل استقرار كل من الرجل والمرأة ومن أجل اقناعه بأن تقدم وخلاص الانسانية واكتساب الانسان لمستويات أعلى فى حياة بهيجة متناسقة يتوقف على التعاون التام والتقدم المتساوى لكل من الرجل والمرأة.

وهذا فقط سرد وإيضاح لقيمة القدر الأساسى مما استطاع غاندى أن يقدمه لنا كمفتاح لكل ما فكر فيه ولكل ما قال ولكل ما كتب ولكل ما فعل فى قضية المرأة.

تعريب: الاستاذ زاهر عزب الزغبى[1]

---

(١) والمقال ترجمه الاستاذ زاهر عزب الزغبى وهو استاذ للعلوم الدينية والعربية بمعاهد الأزهر وقد تخرج من كلية الشريعة الاسلامية - جامعة الأزهر وحصل على إجازة التربية وعلم النفس من معهد تخصص التدريس بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر.

الارتقاء الثقافی بکشمیر فی عهد السلاطین

صاحبزاده حسن شاه

لاتزال کشمیر مرکزا ثقافیا منذ قدیم الزمان ۔ ولو ان اکتشافات «بزرهامة» الحالیة لاتساعد علی تعیین الزمان ولکننا اذا تطلعنا الی الوراء قبل الفی سنة وجدنا الشعب «ناگا» یسکنها ۔ وما کان هذا الشعب وراء امة معاصرة فی میادین الثقافة والفنون ۔ وفی ذلک الیوم کانت کشمیر اقلیما هاما من «جندهار» التی امتدت من «شهباز گڑهی» الی «اننت ناگ» وکانت «تیکسلا» البلدة الطائرة الصیت عاصمة ثقافیة فنیة لهذا الاقلیم التی ذکرها «باذنی» باسم «تاکشک» او «تاکشکشلا» فی کتابه «اشٹ ادهیانی» ۔ وقد ورد ذکر الملک «تاکشک» فی «مهابهارت» الکتاب المقدس لدی الهنود ۔ ویری العلماء ان المراد به هو ملک الشعب «ناگا» ای راجا «تیکسلا» ۔

ولقد کان من هذا الشعب العظیم الماهرون فی العلوم والفنون والبارعون فی الفلسفة والحکمة فکان «کمل» من اصحاب الفلسفة «سانکهیه» وپاتنجلی صاحب «مها بهاشیه» «یوگ سوتر» وپرما رتهه سار وکان «ناگارجن» و «ناگ بوده» من علماء البوذیة ۔

وما زالت هذه التقالید العلمیة تزدهر فی کشمیر حتی بعد السیطرة الآریة وصارت کشمیر مرکزا هاما للبوذیة اثر دعوة «مجهینتک» واصبحت کشمیر فیما بعد مهد المهایان الدیانة البوذیة بما بذله الامبراطور «کنشک» و «اشوکوش» من المجهودات حتی ان تعالیم ساکی منو فلسفته اصبحت ترسل اشعتها من «مین» الی التیبت والصین واواسط آسیاء

الهمدانى رحمه الله الذى دفن فى بلدة كولاب من جمهورية تاجكستان فى الاتحاد السوفياتى وانتهج السيد فى سبيل الدعوة الاسلامية منهجا ملؤه المودة والحسنى والموعظة الحسنة ـ ودعوته هذه حقا من مفاخر الاسلام كما هى من مفاخر آسيا ـ ويقوم التاريخ شاهدا على ان وصول الحضارة العجمية فى كشمير وازدهار الفنون والآداب فى هذه الربوع يرجع فضله الى حضرة السيد ـ كما اضفى على الآداب الكشميرية وعاداتهم وازيائهم وتصرفاتهم وعلى صور عباداتهم صبغة اسلامية على عهد السلطان شهاب الدين وفتح ابواب الفيوض الخالدة بما الفه من الكتب القيمة التى منها ذخيرة الملوك والرسائل والمكاتيب التى تؤثر عنه ـ ولم يمض قليل حتى صارت كشمير صورة طبق الاصل لايران ـ وقد اشار الى هذه الحقيقة الشاعر «الشيخ محمد اقبال رحمه الله» فى هذه الابيات الفارسية ـ

سید السادات سالار عجم	دست او معمار تقدیر امم
مرشد آن خطهٔ مینو نظیر	میر ودرویش وسلاطین رامشیر
خطه را آن شاه دریا آستین	داد علم وصنعت وتهذیب و دین
آفرید آن مرد ایران صغیر	با هنرهائے غریب و دلپذیر

(انه سيد السادات وامير اهل العجم الذى بنى بيده مصائر الامم وهو المرشد الوحيد فى تلك البقعة التى تحكى الجنان وهو الجامع لصفات الامارة والفقر الذى يستشير به الملوك والسلاطين وهو الذى افاض على تلك الربوع انهارا من فيوضه الروحانية ـ ومنحها حظا وافرا من العلوم والصناعات ومن الحضارة والدين حتى انه خلق من كشمير ايران صغيرة بفضل صفاته التى تخلب الالباب وتدعو الى الاعجاب .)

وبعد ان توفى هذا المرشد الجليل تولى نجله «السيد محمد الهمدانى» شيخ الكشميريين مقامه وذهب مذهب التبليغ الدينى وطريق الارشاد والهداية الذى كان مهده «السيد شهاب الدين رحمه الله» ـ وتم فى هذا الزمان تقريبا تدوين المجموعة الاولى لقانون كشمير وسميت «بالفتاوى الشهابية» وبفضلها كان تنفيذ القانون الاسلامى فى كشمير واصبح الاسلام سائدا على حياتها العامة وسياستها وعلى جانب آخر ظهر فى مطلع الروحانية السيد حسين السمنانى والشيخ نور الدين ظهور الشمس والقمر فانتعشت بهما التقاليد الدينية القديمة ونالت حياة جديدة ودوت الارجاء بانغام من الروحانية وحسن الخلق والمعرفة الالهية وافاض على البلاد كلها نشوة من النفحات الروحية ـ والتقى فى تعاليمهما تيارات من التصوف الاسلامى وفلسفة «شيومت» بصورة انفجرت منها ينابيع التصوف الاسلامى المعروف بالسلسلة الريشية بكشمير ـ وتوجد فى كلام الشيخ مصطلحات التصوف كما يحتوى كلام «لله عارفه» على مصطلحات «شيو» ولكن صوتهما واحد فى بيان الوحدة الالهية كما يظهر توحد اساليبهما فى طرق ترويض النفس وهضمها ـ وهذا ما جعلهما محترمين لدى الهندوس والمسلمين على السواء ـ وهذه هى التقاليد التى تقوم عليها مميزاتنا القومية ـ

ان التصوف الاسلامى اى الطريقة الريشية الكشميرية تراث عظيم للقرون الوسطى ولا تزال تجرى فيوضه حتى الآن ـ ونرى ان الشيخ نورالدين رحمه الله هو قطب هذه الدائرة التى نجد فيها امتزاجا جميلا للروايات الاسلامية والبوذية والبرهمية فى سبيل الدعوة والارشاد ـ كما اماط «داؤد المشكاتى» اللثام عن وجه هذه الحقيقة فى تذكرته المعروف «باسرار الابرار» وكان حضرته من العلماء العاملين الاتقياء فى ايام الملك «جهانگير» ـ انه يقول :

«در تاریخ هفت صد وپنجاه وهفت هجری شیخ نور الدین قدس سره تولد یافت وبعد ازسی سال ریشی بود وتوبه کرد وبعد از توبه به شش سال نان غله از خود پرهیز کرد وطریقه ریشی مجدد گردانید وطریقه رهبانیه وبرهمنیه واهی ساخت واگر چه پیش ازان تازه بود وچنانچه طریقهٔ ریشیه قبل از جادهٔ برهمنیه بهیه وسنیه بود».

(ولد الشيخ نور الدين قدس سره عام سبعمائة وسبعة وخمسين ـ واصبح ريشيا بعد ثلاثين وتاب وبعد توبته بست سنوات احتمى عن تناول خبز الغلة وجدد الطريقة الريشية والغي الطريقة الرهبانية والبرهمية التي كانت سائدة قبله ـ وكانت تعرف الطريقة الريشية قبل الطريقة البرهمية بالبهية والسنية ـ)

وهذه العبارة محل للنظر دراية وثقافة وخاصة لان صاحب هذا التحرير كان عالما بارعا وانه كما يقول هو بنفسه ما اقتصر على الروايات المختلفة فحسب بل كان يطالع بعض المؤلفات باللغات الفارسية والكشميرية من الكتب النادرة التاريخية حينما كان يدون تاريخ الصلحاء ـ فما لا جدال فيه ان المؤلف كان مطلعا على التصريحات التي تشير اليها هذه العبارة ـ ويظهر منها ان :

(الف) كانت الطريقة الريشية مما جدده الشيخ على انها كانت توجد فى كشمير منذ زمن قديم مهما كانت اشكالها.

(ب) انه ترك طريقة الرهبانية القديمة ونسخها.

(ج) كانت الطريقة الريشية واقعة موقع القبول فى كشمير قبل الطريقة الرهبانية وانتشارها.

وفى صورة اخرى ان كانت «بهية وسنية» «بديهية وسمنية» وفقا لبعض النسخ من «اسرار الابرار» فيتضح المراد تماما بان الطريقة الريشية قبل الطريقة البرهمية كانت «البوذية والساكنية» ـ ولايخفى ان السمنية اختصار للساكنية-التى تستعمل فى اللغة العربية للدين البوذى ـ وان سلمنا هذا التوجية الاخير فتظهر السلسلة الريشية البوذية والشيوية فى زى التصوف الاسلامى ـ وهو فى كشمير عامل ثقافى لانجد له نظيرا فى التاريخ الهندى ـ ولتائيد هذا الدعوى ناهيكم بما قال داؤد المشكاتى تعريفا للريشى ـ اذ يقول :

«اعلم ان الريشى هو المرتاض من الزهاد والعباد والمجرد عن الازواج والاولاد والمرغب عن النقود والعروض والعقار ولايختار للسكونة الا فى الجبال من ناحية الارض والاقطار».

وكان من خواص المرتاضين الذين يكثرون فى العبادة ويحترزون من الدنيا وارجاسها ويلتزمون الصمت ويجتنبون من اكل اللحوم وايذاء الحيوانات والذين هم قانعون على الاستجداء امام عشر بيوت ـ ولايخفى ما فى هذه الطريقة المماثلة بطريقة الفقراء الهنود ـ وهى من العوامل الهامة التى ادت الى نجاح المرتاضين وكلل مسعاهم بالنجاح فى سبيل التبليغ الدينى فى كشمير حتى اننا نجد اليوم ان كشمير تشرق ارضها بنور الاسلام واضواءها.

قد تأثرت الحياة العامة فى كشمير بهذه الحركة الصوفية الواسعة وصفائها الباطنى وظهر هذا التأثير فى صورة الحكمة السياسية البالغة التى جاء بها السلطان زين العابدين واضاف الى التاريخ الكشميرى بابا ذهبيا.

كان السلطان نفسه من معتقدى الشيخ وانه ام صلاة جنازة الشيخ ـ وان المزايا الفاخرة من المودة والحسن التى كان بها السلطان متحليا لم تكن الا نتيجة عامة طبيعية لتوجيه الشيخ نور الدين وفيوضه رحمه الله .

ان عهد السلطان زين العابدين افخم الابواب فى تاريخ مجدنا الغابر كما هو ابرز حلقة فى تاريخ الرقى المدنى الذى يسرد عهد السلاطين .

وتربى السلطان زين العابدين فى احضان ابيه السلطان سكندر المعروف بتقواه وحبه للعلم وعظمته الباهرة والذى يقول فيه فرشته ـ

«كان السلطان سكندر معروفا بجوده وسخائه حتى كان الناس يجتمعون حوله من العراق وخراسان وماوراء النهر وكان هذا المرشد الجليل الذى عزز دعائم العلوم والفنون وقوى اعمدة الاسلام فى كشمير ولذا صارت كشمير تضاهى خراسان والعراق .

ان السلطان امضى زمان صباه فى صحبة «السيد محمد الهمدانى» ورفقائه العظام وتتلمذ على شيخ الاسلام «الملاكبير» ـ وكان تأثر من بركاتهم الى ان صار عهد السلطان بمثابة النهضة الثانية الثقافية لكشمير .

وكان السلطان بنفسه شاعرا عالما ولذا كان يتولى رعاية الشعراء ومجهوداتهم العلمية والفنية ـ ولايخلو عن تسلية القراء ذكر نبذة مما احرز من الاقتصارات الباهرة فى عهده .

ولم يقتصر السلطان على تشييد قصر رفيع لنفسه وهو ما وصفه الميرزا حيدر دوغلات الكاشغرى فى التاريخ الرشيد باسهاب واطناب بل رفع قواعد دار العلم قريبا من قصره ـ وكان رئيس اساتذته شيخ الاسلام «الملاكبير» معلم السلطان نفسه ـ وكان من بين الاساتذة الآخرين والعلماء

البارعين فى هذا المعهد «الملا احمد الكشميرى» و «حافظ البغدادى» و «الملا بارسا البخارى» و «ميرعلى البخارى» و «الملا يوسف الرشيدى» وقاضى القضاة «الملا جمال الدين الخوارزمى» - وعلى حسب التقاليد الاسلامية تقوم هذه المدرسة بكل حاجات التعليم من الكتب والمأكل والملبس والمسكن - وكان دخل هذا المعهد من عدة قرى وقفها السلطان عليه - ويروى ان دار العلوم هذه واجهت ازمة اقتصادية فلم تلبث ملكة السلطان ان خلعت من جيدها عقدها الثمين لحل تلك المشكلة - وفضلا عن ذلك كانت هناك مدارس اخرى بين صغيرة وكبيرة اقامها السلطان - وكان السلطان وامراؤه يتسابقون فى القيام برعاية هذه المدارس ويرون فى هذا التنافس من معانى الفخار والمباهاة.

واسس السلطان مكتبة عظيمة ملحقة بدار العلوم واحتوت على حسب قول «ابى الفضل على الكتب العربية والفارسية والتركية وعلى النوادر من الكتب الكشميرية أيضا - ان السلطان يهتم اهتماما بالغا بهذه المكتبة واعلاء شأنها فكان يطلب لها الكتب من بلاد نائية - ويروى ان السلطان بعث برسوله الخاص الى مكة المكرمة لاحضار تفسير «الكشاف» المعروف للعلامة «جار الله الزمخشرى» فطلب من هذا التفسير نسخة يوثق بها - وعند ما قفل الرسول راجعا اكرم وفادته ورحب ترحيب الملوك واحتفل باقتناء هذا السفر الجليل ايداعه للمكتبة ويروى أن هذه النسخة كانت باقية فى المكتبة الى ان دالت دولة «چك» - وكان الكشميريون يعتبرونها اثمن تراثهم - ومن سوء حظنا أن هذه المكتبة القيمة اصبحت عرضة لتقلبات الدهر بعد الغارات التى شنها «الميرزا حيدر دوغلات

الكاشغرى ، وكذلك طلب السلطان من الدكن نسخة موثوقا بها من «يجرويد» وكان من عادة السلطان ارسال التحفة الغالية الى ملوك الدول الاخرى ويستعيض عنها الكتب النادرة النافعة ـ وذلك ما يدل على ذوق السلطان العلمى .

ومن اعمال السلطان الخالدة تأسيسه لمنتدى التاليف والترجمة التى كان من أعضائه البارزين جونراج ، و شرىدر ، و سومدت ، و يودهابث ، و الملا احمد الكشميرى ، والقاضى حميد الدين ، والملا نادرى ، وبهث اوتار ، فكانت «لجونراج» «وشرىدر تتمات» «راج ترنگى» ـ وألف «بهث اوتار» مجموعة للاحكام الملكية تسمى «بزينه ولاس» ـ وكانت من تصنيفات «يودهابث» «زين» حول الفن الموسيقى والف الملا احمد الكشميرى وقائع كشمير التى كانت مبنية على «رتنا پركران» والتى تحتوى على ذكر الخمسة والثلاثين ملكا الذين يسكت عنهم «كلهن» ـ وكذلك «مهابهارت» ورهت كتهاساز» «وهاث كيشور كتها ، والتراجم الفارسية «ليوك وشسث» والكفاية المنصورية فى «الطب والتواريخ الفارسية «للقاضى حميد الدين» «والملا نادرى» والمقامات فى التصوف «للجامى ادهم» كلها من المولفات الخالدة لذلك الزمان ـ

وكانت فى ذلك العصر بداية النثر باللغة الكشميرية ايضا ـ كما الف «يودها بث» المسرحية الموسومة «بزينة پركاش» ورتب «شرىدر» مجموعة الحكايات والقصص بالكشميرية ودون الملا احمد الكشميرى فى نفس العصر كلام «الشيخ نور الدين» وتناوله بالشرح بالفارسية ـ وقال الملك «حيدر الچاثروى» واضع التاريخ الكشميرى فى عهد «جهانگير» ما يدلنا على سلامة الذوق الشعر لدى السلطان ـ إذ يقول :

کان السلطان شاعرا متخلصا بقطبی ـ والبیتین التالیین یدلان علی قریحته الوقادة :

اے بگرد شمع رویت عالمے پروانهٔ
و زلب شیرین تو شوریست در هر خانهٔ

من بچندین آشنائی می خورم داغ جگر
آشنا را حال اینست وائے بر بیگانهٔ

وجاء فی ذکر مجالسه الادبیة ان قدم ذات یوم ملك الشعراء «الملا احمد» الکشمیری مرنحا وقد لعبت برأسه الخمرة حتی تدلی طرف عمامته علی جبهته ـ وما کاد السلطان یراه حتی قال مرتجلا :

شاخ پیشانی ملا احمد کشمر به بین . . .
گونه دیدستی تودر آفاق انسان شاخسار

ولکن کان «الملا احمد» ایضا حاضر البدیهة ـ فلم یکن یسکت علی هذه النکتة اللاذعة حتی قال مرتجلا :

شاخ پیشانی خد یوکوك داری داشتم
تا نیایم درمیان ماده گاوان در شعار

فحبذا السلطان وجلساؤه هذا الارتجال .

ویصف المورخ المعاصر «شری دهر» فی کتابه «زینة راج ترنگی» وصفا دقیقا رائعا کما رآه لمجالس الطرب التی یعتقدها السلطان ولا سیما وصف عید الصیف وعید التسنة الذی یأخذ بمجامع القلوب ـ فکان القاری یصبح علی مرأی من کل هذه المشاهد ـ واجمع «شری‌در» و «ابوالفضل» و «نظام الدین بخشی» کلهم علی ان کثیرا من المطربین المجیدین والموسیقین

البارعين كانوا ينالون حظا موفورا من سخاء السلطان ينعم عليهم بجوائزه وعطاياه - كما كان «الملا عود» و «الملا جميل» و «يودها بث» من الفنانين المهرة الذين لم تر مثلهم عين الدهر - وكان السلطان يبالغ فى اكرامهم وكان مولعا اشد الولع بالمسرح والمسرحيات وعليه فان «شرىدر» أورد فى الفصل الرابع من كتابه «زينة راج ترنگى» - ويظهر من بيانه وذكره ان الرقص والتمثيل بلغا فى ذلك الوقت اوج الارتقاء - ويا للاسف ان الاكثر من هذه الثروة القومية الثمينة قد ضاع ولم يبق فى ايدينا الا النزر اليسير.

وكان السلطان مولعا بالرسم والخط ولعه بالفنون الجميلة الاخرى - وبهذا الصدد يعرف اسم «الملا جميل» الفنان البارع على العموم بيد ان دلائل قطعية لا نعثر عليها الا فى بطون الاسفار ولا على صفحات الآثار.

وكان السلطان أيضا من المغرمين ببناء القصور والمساجد وتعمير المحلات والقرى والدساكر وتنظيم المنتزهات والجزر الصناعية والبساتين والحدائق. وكان الفن المعمارى فى ذلك العصر متسما بالملامح المنتشرة فى آسيا الوسطى. وتنطق آثار زينة ڈب وڈومت بلسانها وتشهد شهادة ناطقة على سلامة ذوق السلطان والقصور الفخمة التى بناها السلطان كانت تضارع الابنية العظيمة والعمارات الشاهقه التى شيدت فى خراسان وفى بلاد ما وراء النهر. ويشهد على ذلك ما جاء مفصلا فى تاريخ رشيدى لمولفه الميرزا حيدر دوغلات الكاشغرى.

وفضلا عن هذه النهضة الثقافية والفنية نجد فى عهد السلطان جوا مفعما بصفات انسانية سامية وباخلاق حسنة فاضلة. وهم لا يزالون يحترون

[illegible]

المباهاة بها . ولم تقف هذه النهضة الى هذا الحد بل ارتفعت الى اوج الكمال كما بلغته الفنون الاخرى . وكانت هناك مصانع انشأها السلطان ومنظمات وهيئات شخصية يتمتع بالعناية الملكية . وكان السلطان يطلب المهرة من الصناعين والفنانين من البلاد النائية ويبالغ فى تشجيعهم واكرامهم ويوفر لهم وسائل راحتهم ومعيشتهم .

والصناعات التى ازدهرت فى كشمير مثل «كار قلمدان» ودباغة الجلود وتحويلها الى ورق لطيف و «نسيج السجاد والحرير والصوف «وصناعة الورق» كانت بفضل اهتمام السلطان بها الذى انشأها وهيأ لها كل وسائل التطوير والتنمية . ودعا الى كشمير كثيرا من ارباب المهن والصناعات المختلفة ورحب بهم كل الترحيب فكان من هولاء الحكاك والنحات والزجاج ورقاق الذهب والاطباء والقوابل والممرضات . وكانت توجد عائلاتهم فى البلاد الى عهد الميرزا حيدر دوغلات الكاشغرى ولاتزال سلالاتهم الباقية حتى الان تمطر عليها شآبيب من الاثنية والمدائح من كل اصقاء العالم لما لها من الاياد البيضاء والاقدام الثابتة فى تلك الصناعات الدقيقة التى لايوجد لها نظير فى العالم كله . ويذكر شرى‌دهر بركات هذا العهد السعيد بان كل كشميرى يرتدى ملابس حريرية لوفرة الحرير فى هذا الوادى . وبلغت اسعار الحاجات الى درجة من التهاود حتى كان الناس يشترون خمس راقات من العنب بقرش واحد وثمانين كيلوغرام من الرز بقرشين فقط .

ومما يدعوا الى الاسف ان السلطان لم يأن اوانه حتى اندلعت السنة الثورة والفساد كما حمى وطيس الحرب الاهلية واحاطت البلاد من كل ناحية . وراحت الاسرة المالكة ضحية احقاد الامراء وضغائنهم . وكان من

نتيجة ذلك ان كسدت سوق الآداب فى البلاد . ويقول فى ذلك الشيخ غلام حسن فى تاريخه .

«وحدث ان استمر الفساد وعم البلاء حتى مرور مائة سنة على وفاة السلطان زين العابدين ـ فكانت الامور فى حرج ومرج ولم تقم قائمة للعلوم والفنون ـ»

فكان عهد خلفاء السلطان زين العابدين دور الفتن الذى تخربت فيه المحافل الادبية وغيضت منابع السعادة والرخاء وجمدت عيون الحضارة والارتقاء بيد ان الموسيقى والرقص كان موضع عناية السلطان حسن شاه وحسين شاه ويوسف شاه . فارتفع منارهما وقوى بنيانهما ونالا مكانة رفيعة من التقدم والازدهار فكان هذا لرقى نذير الخطاطم وزوال سلطانهم الى ان صار الملك للامبراطور اكبر . ورثى لهذه الكارثة «السيدة حبه خاتون .

وشخصية المير شمس الدين العراقى ودعوته بمكان عظيم من الاهمية عند الملمين بدراسة التاريخ . فلم يكن المير شمس الدين العراقى موسس المذهب الامامية فى كشمير فقط بل كانت دعوته دعوة مهمة جدا بالنسبة الى الحضارة الايرانية واللغة الفارسية وشعرها ـ فوثق اواصر كشمير بايران عوضا عن آسيا الوسطى . وكان عهد السلطان زك شاه والميرزا حيدر دوغلات الكاشغرى آخر معركة بين الاستبداد الاسيوى السائد فى تلك البلاد وبين سلطة ايران حتى خرجت ايران من هذه المعركة منتصرا . ولم يكن النزاع القائم بين اهل السنة والشيعة الا ناحية دينية من هذا التنازع اتاح للامبراطور اكبر فرصة التدخل فى سياسة كشمير . . .

تعريب : زبير احمد الفاروقى

من النارجيل إلى النخيل

(٢)

للاستاذ قاضى اطهر المباركبورى

وكانت فى جزيرة العرب طائفة هندية اخرى هبطتها فى الزمن الغابر البعيد وعرفها العرب «بالميد». وبالرغم من الاتحاد فى الاسم الذى اطلقوا عليها كانت - بمعنى ادق - عصابتين متباينتين كل واحدة منهما لها طابع خاص تطبعت به، واسلوب فى الحياة امتازت به عن غيرها.

العصابة الأولى هبطتها خضوعا لمشيئة أباطرة ايران الذين كانوا يتمتعون بالسلطة القاهرة على بعض اقطار الهند فى فترة من الزمن. وكان هؤلاء الهنود المستجلبون لنوع عملهم بمثابة رجال من الجيش الامبراطورى والجنود الايرانيين

واما العصابة الاخرى فقد كانت تتالف من رجال فوضويين نزحوا إلى الجزيرة بارادتهم من غير قصد إلارضاء لمشيئة أحد من اصحاب القوة والسلطة. وجعلوا من ارض الجزيرة موطنا لأوكارهم ومخابئهم. وهؤلاء هم الذين سماهم العرب فى اصل التسمية بالميد الذى يعنى به اللصوص او الداهية البحرية. وانما سموا بذلك لأن السفن العربية كثيرا ما كانت تتعرض لغاراتهم الارهابية ونهباتهم اللصوصية التى كانت تهدد ركابها بخطر جسيم وتسبب فى انتشار ذعر مستطير مما كان قد يعرقل حركة الملاحة ويصيب عجلة التجارة البحرية بالتوقف أو الشلل؛ لعدم اطمئنان أولئك التجار من الركاب على ارواحهم واموالهم.

ويقول العلامة السيد سليمان الندوى فيما كتب بهذا الصدد من أن ملوك إيران كانوا قد فرضوا سلطانهم على السند وبلوخستان منذ عهد بعيد . وجندوا فى جيشهم اللجب قبيلتين منهما «الزط» و «الميد» لاستغلالهم فى تحقيق مطمع التوسع وتوطيد قوائم العرش وتعزيز السلطان .

ولعل هذه الغارات والهجمات البحرية التى واجهتها السفن العربية على أيدى قراصنة الميد ـ كانت هى العامل الذى حدا بالعرب إلى الاستعانة بمواطنيهم «السيابجة» و «البياسرة» الذين كانوا اكفاءهم فى البأس والشكيمة باستصحابهم فى السفن دفاعا عنها ووقاء من هجمات القراصنة المعتدين ، حتى يتسنى لسفنهم الوصول إلى الشواطئ المقصودة آمنة مصونة .

ويجنح بى الخاطر إلى ان كلمة «الميد» مردها إلى الاصل العربى الصميم ، كما يتايد ذلك بسناد من بعض امهات المصادر العربية . ومعناها فى اصلها اللغوى : التحرك والاضطراب أو ما يصيب فى الغالب راكب البحر من الدوار والقيئ والغشيان من تمايده فى البحر بفعل امواجه المتصارعة واستنشاقه لما ينبعث من مياهه المنتنة الآئنة من الرياح الكريهة الخانقة . والموائد والمآود : الدواهى وهى المصائب والنوائب الشديدة . وللاكتناه لاصل «الميد» تلزمنا المعرفة بطرف من استعماله بالرجوع إلى لسان العرب الذى تعرض له بالتفصيل فى غير اطناب . فننقل إلى القراء نصه الآتى :

«... وقد ماد فهو مائد ، من قوم ميدى ، كرائب وروبى . ابوالهيثم : المائد الذى يركب البحر ، فتغشى نفسه من نتن ماء البحر ، حتى يدار به ، ويكاد يغشى عليه فيقال :

ماد به البحر يميد به ميداً . وقال ابو العباس - فى قوله : أن تميد بكم - : تحرك بكم وتزلزل . قال الفراء : سمعت العرب تقول «الميدى الذين اصابهم الميد من الدوار» فى حديث أم حرام : المائد فى البحر له أجر شهيد هو الذى يدار رأسه من ريح البحر واضطراب السفينة بالامواج - الازهرى : ومن المقلوب الموائد والماود الدواهى[١] . »

وقصارى القول أن ما ينتاب الانسان من الدوران والغشيان والقئ من ركوب البحر بسبب رياحه المنتنة أو اضطراب السفينة بامواجه العاتية يسمى الميد وبعبارة اوجز : الميد يغلب استعماله على الاسقام البحرية التى يمكننا أن نطلق عليها الداهية البحرية . وليس من شك فى ان العصابة الهندية الساحلية التى كانت تجرد الحملات الاستلابية على سفن العرب كذلك كانت داهية بحرية خطيرة فكان ذلك هو السبب فى تسميتها بالميد لاشتهارها به فيما بين العرب .

وهؤلاء القراصنة من الميد كانوا من سكان تلك الجهات الساحلية التى امتدت من السند إلى الكجرات بل على الاصح جاوزتها إلى ما وراءها . وكانوا عتاة مشاغبين مردة معربدين فى نشأتهم اختاروا القرصنة البحرية لابتزاز الاموال من التجار ، الذى كان قد اضحى لهم أكبر معاش غير أنه لم يكن مقصورا على القرصنة فقط بل كانت لهم إلى ذلك طرق أخرى فى البر كانوا يتعاطونها للكسب . وكانت اغلبيتهم تعتنق الديانة البوذية . لقد وصف ابن خرداذبة الجغرافى طريق الهند الساحلى من السند فقال :

---

(١) لسان العرب ، ج ٣ - ص ٤١٢

«ومن مهران إلى اوتكين ـ وهى اول ارض الهند ـ مسيرة اربعة ايام وفى هذه الارض ينبت القنا فى جبالها، والزرع فى اوديتها، واهلها عتاة مردة لصوص. منها على فرسخين الميد[١].»

ومؤدى ذلك أن المرحلة من مهران (التى تقع بما وراء نهر السند) تبدأ منها بالذات سلسلة مواطن مبعثرة لقوم من العتاة والمردة واللصوص والسرقة وهم الذين تسمى باسمهم المرحلة التالية للاولى: فتعرف بالميد؛ وان فى ذلك ما يمكننا به الادراك لمدى ما كان من هذا القوم لبوارج العرب وسفنهم من خطر مهدد وخطب محدق. وقد صرح الاصطخرى بأن كفرة البلاد الواقعة بحدود السند كلها ينتحلون النحلة البوذية ويساكنهم قوم يعرفون بالميد. ولفظه:

«والكفار فى حدود بلاد السند انما هم البدة وقوم يعرفون بالميد[٢].»

واستطرد فى الوصف والبيان، وأتى على امور كثيرة تتصل بالميد، إلى أن ذكر مواطنهم الاصلية وما كانوا عليه من كثرة العدد والمنعة والشوكة فقال:

«والميد فهم على شطوط مهران من حدود الملتان إلى البحر ولهم فى البرية التى بين مهران وقامهل مراع ومواطن كثيرة ولهم عدد كثير[٣].»

وإن ما ذكره الاصطخرى فى التعريف بهم اكثر وضوحا وجلاء بالنسبة إلى ماحكى لنا عنهم ابن خرداذبة الجغرافى. كما احتوى على

---

(١) المسالك والممالك ـ ص ٦٢ (٢) المسالك الممالك ـ ص ١٦٧

(٣) المرجع السابق.

معلومات اوفر تعين الباحث على الحكم بأن الارض الممتدة من ضفاف نهر السند إلى حد الملتان كانت آهلة بالميد . وان المنطقة الواقعة بين نهر السند ومدينة قامهل التي هي احد التخوم الهندية كانت عن بكرة ابيها كورة لمواطنهم . ولعله يريد بهذه المنطقة منطقة تبدأ من صحراء السند وتشمل جزءا من كاتهياوار وجزءا من الغرب الشمالى من راجستهان . وهذه المنطقة تحتوى على صحار ذات رمال غزيرة وأراض ذات جبال طويلة بيد أنها على الرغم من ذلك غنية بحاصلات كثيرة . ولاتزال توجد حتى اليوم باقية على وضعها ذلك التاريخى الواغل فى القدم . وفى صحاريها تتمثل حياة البيئة العربية القديمة . ويخيل إلى من يتوغل فيها من الرواد السائحين أنهم اصبحوا فى احدى الصحارى العربية ومما يثبت ان هذا القوم من الميد القراصنة بالذات هم الذين قاموا فى القرن الاول من الهجرة بنهب تلك السفينة القائمة من سرانديپ التى كانت تحمل عددا من نساء المسلمين واولادهم ، والتى كانت قادمة بهم بأمر من ملك سرانديپ الذى كان قد احتفى بهم واكرم مثواهم واراد ان يوصلهم إلى الخليفة الاموى آنذاك . وقد ذكره صاحب فتوح البلدان ، ويكفينا أن نقتطف منه الكلمة التالية : « فعرض للسفينة التى كن فيها ، قوم من ميد الديبل فى بوارج[1] . »

وظلت هذه العصابة الهندية من القراصنة مسيطرة على تلك الشطوط متمردة مطلقة السراح ، تتمتع بحرية طاغية تمزق الامن وتمرق على قيود النظام ، وتحرم كل من يمر فى البحر بحدودها من التنعم بالراحة وهناء البال باقلاقهم من هجماتها المباغتة المروعة ، وتمادوا فى مسلكهم هذا واستمروا فى طغيانهم يعمهون كذلك امدا طويلا حتى توجهت اليهم ارادة الدولة

---

(١) فتوح البلدان . ص ٤٢٣ .

الهامانية وعنايتها فى القرن الثالث لجردت عليهم حملة تأديبية حاسمة دحرتهم وطهرت السواحل الكائنة بين حدود اليمن وكاتهياوار من فتنتهم فهمدت ثائرها المضطرمة واستتب الامن فى تلك الجهات وتنفست القوافل الصعداء .

وانه لما يمكن العثور على وثيقة تاريخية من عهد النبى صلى الله عليه وسلم عن الميد ، تكشف القناع عن موقفهم تجاه الاسلام ونوع صلتهم به .

السيابجة او السبابجة

وهناك طائفة ثالثة غير الزط والميد ، وجدت فى جزيرة العرب كذلك من قديم الزمان . وكانت معروفة باسم اما ان يكون ذلك السيابجة (بالياء) واما أن يكون السبابجة (بالباء) . اضطربت الرواية فى اسمها ، فاختلف المورخون فى الاخذ بواحد من هذين الاسمين . وقد ذكرها البلاذرى فى فتوح البلدان ، وابن خلدون فى تاريخه فى مواضع كثيرة بالسيابجة كما اخذ به غيرهما من عامة المؤرخين ولذا فقد آثرنا استعمال هذا الاسم بالذات فى كتابنا رجال السند والهند . واما الاسم الثانى (بالباء) فقد اختاره ابن الفقيه الهمدانى فى كتاب البلدان ، وابن دريد فى جمهرة اللغة وابن المنظور الافريقى فى لسان العرب ، حيث قالوا : السبابجة جمع سبيجى اوسابج .

والعلامة السيد سليمان الندوى قد صرح عن السيابجة فى بحث «الروابط العربية الهندية» فى امكنة كثيرة بأنه معرب «سياه بچه» (الطفل الاسود) . ولكنه حينما ذكر (السابجة) نقلا عن كتاب ابن دريد جمهرة اللغة قال : «لم يعرف الاصل الهندى للسابجة .»

والمؤرخون الذين اثبتوا ذكر السبابجة فى كتبهم (بالباء) يروونه جمعا للسبيجى أو السابج كما يقال فى نحو بعض اسماء الجموع المتقدم ذكرها

من ان الاساورة جمع الاسور ، والاحامرة جمع الاحمر ، والياسرة جمع اليسر . واما لفظة السبيج على وزن الرغيف فهى - على ما يبدو لنا - معربة من كلمة « سبى » الفارسية الاصل التى معناها : القميص . ويصغرونها على السبيج . وقال الشيخ محمد طاهر الكجراتى : « هو ثوب صوف اسود. »[1]

وقد استعمل هذا اللفظ ابن خرداذبة فى وصفه لقرن المرميس (الكركدن أو وحيد القرن) واراد به ما يقرب كثيرا من معناه السالف الذكر حيث يقول :

« فيه صورة من اول القرن إلى آخره . فاذا شق رأيت الصورة بيضاء فى سواد كالسبج فى صورة انسان أودابة ، او سمكة أو طاؤس او غيره من الطير . »[2]

ومعروف ان السبجة هى الكساء الاسود الذى يكون فى الغالب غليظا عريضا . والفعل منه : تسبج بمعنى لبس السبجة . ويترجح عندنا ان هذا هو المصدر لكلمة السبابجة ، فهو الاصل الذى اشتقت منه هذه الكلمة ، بيد ان ذلك انما يصح ان صح القول بانها جمع السبيجى والذى يحدو بنا إلى ترجيحه هو أن ملبسهم العادى إنما كان من السبج . وذلك لان وظيفة هؤلاء القوم بعد قدومهم إلى الجزيرة كانت فى بادئ الامر مقصورة على القيام بحراسة السفن ووقايتها من قرصنة لصوص البحر ما كان قد يلجئهم إلى محاربتهم واشتباكهم معهم فى القتال . وأيضا قد اسندت اليهم حراسة السجون من بعد . فلقد كانوا يرتضون لبس السبج نزولا على مقتضى طبيعة العمل الذى احترفوه لئلا يقرسهم البرد ولا يصيبهم

(١) مجمع البحار - مادة سبج (٢) المسالك والممالك ، ص ٦٧

الماء وموج البحر بضرر . ويتغلبون على الجواء غير المواتية . وكان لباسهم هذا كله يقى اجسادهم من الاصابات وقت القتال . وقد ورد ذكر السبابجة فى لسان العرب كما يلى :

والسبابجة قوم ذووجلد من السند والهند يكونون مع رئيس السفينة البحرية يبذرقونها . واحدهم سبيجى . ودخلت فى جمعه الهاء للعجمة والنسبة كما قالوا : البرابرة وربما قالوا : السابج[١] .

وهذا الوصف لعصابة السبابجة صريح فى أنهم كانوا رجالا اقوياء ضخام الهياكل سبحلة الاجساد . وكانوا يضطلعون بعبأ خراسة السفن وبذرقتها فى الرحلات البحرية كقوة حامية تقف فى وجه اللصوص الهمج المعتدين ، وكان ذلك حرفتهم فى جزيرة العرب تكفل لهم مؤنة العيش . وفيهم يقول ابن السكيت :

«السبابجة قوم من السند يستاجرون ليقاتلوا فيكونون كالمبذرقة[٢] .»

وقال الجوهرى امام اللغة :

«السبابجة قوم من السند كانوا بالبصرة جلاوز وحراس السجن[٣] .»

وكتب الامام اللغوى الكبير ابن دريد فى كتابه جمهرة اللغة :

«السابجة قوم من الهند يستأجرون للقتال فى السفن[٤] .»

ويقول ابن الفقيه الهمدانى فى كتاب البلدان :

«وعلوج السند السبابجة[٥] .»

---

(١) لسان العرب ج ٢ ص ٢٩٤ . (٢) المرجع السابق . (٣) المرجع السابق . (٤) جمهرة اللغة ـ ج ٣ ص ٥٠٤ كما نقل فى كتاب «عربون كى جهاز رانى» ص ١٩ . (٥) كتاب البلدان ـ ص ٣٥ .

وموجز ما نستنبطه من التصريحات السالفة ان السبابجة قوم من السند والهند قطنوا فى الجهات الساحلية من جزيرة العرب وكانت حرفتهم حراسة السفن فكانوا يستأجرون ليقوموا بقتال القراصنة عند مسيس الحاجة ذودا عن ركاب السفن ومشحوناتها . فلما عمرت البصرة من بعد اقيموا حراسا على السجون ونحوها من بعض مرافق الحكومة الهامة الحساسة .

وبالرغم من كل تلك النصوص والتصاريح المؤكدة المحكمة التى سردناها فيما سبق اقتطافا من امهات المصادر العربية القديمة المعول عليها - لاندرى ما هى الشواهد والمعارف التى يستند اليها ما اثبت فى ملحق المنجد الجديد (فى الادب والعلوم) من ان السبابجة اصلهم من اندونيسيا واعتنقوا الاسلام سنة ٦٣٨ م وإليك ما قيل فيه :

«قوم قطنوا قبل الاسلام فى سواحل خليج العجم. اصلهم من جزيرة سوماترا . اعتنقوا الاسلام سنة ٦٣٨ م. وتجندوا فى جيشه . اقيموا حرسة على خزينة البصرة ٦٥٦ .»

غير أنه لا يخامرنا الشك فى ان الواقع على نقيض ذلك تماما ؛ اذ ان السيابجة انما كانوا من اصل هندى على ما عرفنا ، ولم تكن لهم صلة ما بسوماترا و اندونيسيا . ولا يرتاح الفكر و البحث إلى القول باصلهم الاندونيسى او السوماترى مالم يظهر أن له سناداً أوضح و أوثق يبتنى عليه . ولانعرف كذلك وجها لتعيين سنة ٦٣٨ م لاسلامهم .

- وان هناك آثارا تدل على أن وجود السيابجة فى ايران اقدم منه فى جزيرة العرب كما اثبت بعض التصاريح رحلاتهم بين الهند وايران واقامتهم فيها . وقد كتب ابو الفرج قدامة بن جعفر البغدادى فى كتاب

الخراج وصنعة الكتابة ان انوشيروان بن قباد لما اعتلى عرش البلاد أنشأ ثلاث مدن عرفت بشابران، ومسقط، وباب الابواب. ثم قال: «وأسكن ثابنى من جنده قوما سماهم سباسجيين[١]».

ولا مرية فى ان الظاهر هنا يقضى بانه ليس هناك اى رباط ترتبط به الكلمات الثلاث: سياسجيين، وسيابجة وسبابجة. غير أنه من الممكن المحتمل جدا أن يكون هذا القوم من السند والهند هم الذين اسكنهم انوشروان بن قباد مدنه الجديدة إثر انشائها. وان يكونوا قد ظلوا يحافظون على امنها، ويذودون عن حماها بدفع هجمات اللصوص وغيرهم، فراحوا يعرفون بلقب سياسجيين ثم يكون قد تحول هذا اللفظ بالتعريب من شكله الاول إلى السبابجة او السيابجة - على اختلاف سبق ان اشرنا اليه - من بعد. وهذا الرأى المؤسس على الحدس يصير منطقيا بل يكاد يكون واقعا اذا ما تذكرنا أن سيابجة السند قد كانوا من المتجندين فى الجيش الايرانى، كما سيأتى بيانه.

وكانت فى ايران العتيقة قرى ومساكن قطنها الاجيال السوداء وعرفت بـ (سياه جرد) و (سياه مص) و (سياه)[٢] كما نفيده من الكتب القديمة التى تناولت ذكرها بهذه الاسماء. غير انه من الصعب العسير الحكم بشئ عن اصل هذه الأجيال ومواطنها الاصلية على وجه التحقيق، وانما القياس يقتضى ان تكون غالبيتها من سود الهند من الزط والسيابجة.

والسيابجة وان كانوا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وقبله يقطنون فى المناطق الساحلية من جزيرة العرب على وجه عام إلا ان الايلة حيث

(١) نبذة من كتاب الخراج الملحق بمسالك الممالك ص ٢٦٠

(٢) يراجع لذلك صفحات «المسالك والممالك»: ٣٣، ٤٥، ٥٨

عمرت البصرة من بعد، والبحرين بخاصة كان كل منهما مكتظا بهم ومركزا لهم. وقد سبق ان قدمنا عن زط البصرة والسيابجة رواية البلاذرى التالية:

«فانضم إلى الأساورة السيابجة، وكانوا قبل الاسلام بالسواحل. وكذلك الزط. وكانوا بالطفوف يتتبعون الكلا.»[1]

والمراد هنا بالسواحل والطفوف هى المناطق والبلدان الكائنة على شواطىء البحرين وعمان وما والاهما. ومما شملته تلك الجهات: القطيف، وهجر، ودارين و الخط، وقطر. وقد اسلفنا أنه لما قامت فتنة الارتداد فى البحرين إثر استهلال عهد خلافة ابى بكر الصديق رضى الله عنه كان السيابجة والزط فى انضمامهم الى المارقين من دينهم المثيرين للفتنة الداهمة كغيرهم من أولئك الوثنيين المشركين الذين جاهروا النكوص عن الخضوع لسلطان الاسلام، وعداءه بقيادة حطم بن ضبيعة الذى عمل على البابهم واستغوائهم كما يثبت من التصريح التالى الذى عرضناه قبل:

«حتى نزل القطيف، وهجر، واستغوى الخط ومن فيها من الزط والسيابجة.»[2]

والسيابجة وان كانت تسند اليهم حراسة السفن عامة فى نظير الاجور المعلومة كما صرح به جمهرة المؤرخين عنهم على انه من الثابت كذلك ان عددا منهم كان يمثل جزءا من الجيش الايرانى، وكانوا فى حساب احدى القوات الايرانية المستجلبة من السند وأما رواتبهم التى كانوا يتقاضونها فانما كانت ضئيلة إلى ابعد حدود الضآلة، وبذلك فقد كانت جنديتهم اقرب

---

(١) فتوح البلدان - ص ٣٦٧ (٢) تاريخ الطبرى - جلد ٣ ص ٢٥٥ - وكامل ابن أثير - ج ٢ ص ١٤١

منها إلى العبودية التى تتمثل بشتى الصور والالوان. وقد سبق أن قدمنا ايضا رواية البلاذرى التالية بهذا الصدد :

«واما السيابجة، والزط، والاندغار فانهم كانوا فى جند الفرس ممن سبوه وفرضوا له من اهل السند.»[1]

والاندغار قوم كانوا يسكنون اعمال كرمان المتاخمة لسجستان.

والبرهان الذى ينهض معنا علاوة على كل ماسبق لدعم مانستخلصه من تتبع المصادر العربية الموثوق بها من ان السيابجة كانوا يسكنون فى جزيرة العرب بعدد كبير، واندمجوا فى البيئة العربية واحتلوا من الحياة العربية مكانة لايستهان بها ـ ذلك البرهان ـ هو انطواء ثنايا الثقافة العربية الادبية القديمة على ذكرهم، وتسجيل الشعر العربى لتاريخهم بتنويهه ببسالتهم النادرة. ومماقيل فيهم من الاشعار هذان البيتان :

يقول يزيد بن مفرح الحميرى :

وطماطم من سيابيج حزر   يلبسونى مع الصباح القيودا

وقال فيهم شاعر آخر يسمى هميان :

لو لقى الفيل بارض سابجا   لدق منه العنق والدوارجا

وان السيابجة قد وجدوا فى جزيرة العرب من قبل عهد النبى صلى الله عليه وسلم ولم يرو لنا التاريخ ما يثبت اسلامهم على عهده صلى الله عليه وسلم، غير انه من الثابت المعلوم أن سيابجة البصرة واعمالها كانوا قد اسلموا ايضا مع الزط على عهد عمر الفاروق ـ رضى الله عنه ـ أو قبل ذلك بقليل. ولما قدم اساورة ايران البصرة ليعيشوا فيها بعد أن اعتنقوا

---

(١) فتوح البلدان ـ ص ٣٦٨

الاسلام على يد ابى موسى الاشعرى ـ رضى الله عنه ـ كان نزولهم على أولئك الاساورة والسيابجة الذين كانوا قد اسلموا من قبل . ولما اجتمعت قبائل الزط والسيابجة والآساورة اخذت كل قبيلة من القبائل العربية فى استمالتها إليها فاسفر ذلك عن استئثار قبيلة بنى سعد بمحالفة الاساورة ، ويحالف كل من الزط والسيابجة مع بنى حنظلة . وبدأت تعمل كل قبيلة من هذه القبائل على تعزيز شوكة الاسلام بمناصرتها للمسلمين فى محاربتهم للكفار والمشركين . وأما سياسة هذه القبائل بالنسبة إلى الخلافات الداخلية بين المسلمين ومشاداتهم فانما كانت تنطوى على مجانبتها على الاطلاق أول الامر ، كما سبق فى الحديث عن الزط .

وقد اقيمت جماعة من السيابجة حرسة على بيت المال بالبصرة على عهد على ـ رضى الله عنه ـ وكانوا اربعين شخصا على احدى الروايتين . واما الرواية الاخرى فهى تحدد عددهم باربعمائة رجل . وكان عثمان بن حنيف رضى الله عنه عامل البصرة من قبل على ـ رضى الله عنه ـ عندئذ . ولما قدم طلحة بن عبيدالله ، وزبير بن العوام رضى الله عنهما ـ البصرة وحاولا الاستيلاء على بيت المال أبى الحرسة اباء نتج عنه قتلهم عن بكرة ابيهم فى الليلة قبل ان يصبحوا الصباح ، وكان رئيسهم حينئذ ابا سالمة الزطى الذى كان على جانب كبير من الكرم والمروءة والصلاح . ثم ان معاوية ـ رضى الله عنه ـ نقل من البصرة جماعة كبيرة من زط الهند وسيابجتها القدماء الى الشام وسواحل انطاكية فاسكنها اياهم . (وكل ما سبق آنفا من البيان المسهب تلخيص لما اورده العلامة البلاذرى تحت عنوان «امر الاساورة والزط»)

الأحامرة

وكانت فى جزيرة العرب جالية هندية اخرى قطنت فيها منذ قديم الزمان وكانت العرب تطلق عليها عدة اسماء وهى : الحمراء ، والحمر ، والاحامر ، والاحامرة . وأما الفرد منها فكانت تسميه الاحمر أو المحمرة . والاحامرة القدماء الذين عرفوا بهذا الاسم انما كانوا قوما من اصل هندى ثم تجاوزتهم التسمية إلى من اسلموا على عهد عمر الفاروق ـ رضى الله عنه ـ من موالى فارس فاطلق الاسم نفسه على هؤلاء وأولئك غير ان هؤلاء الاحامرة كانوا يسمون بهذا الاسم عادة بنسبتهم إلى حمراء ديلم . والاحامرة القدماء كانوا من محتدسندى . ونعثر على اثرهم التاريخى القديم فى مروج الذهب للمسعودى حيث كتب فى موضع من كتابه عن ظهور بوداسف فى الهند ودعوته وتعاليمه ما يأتى : «وقيل ذلك فى حمر السند.»[١]

ويقول العلامة السيد سليمان الندوى نقلا عن «الملل والنحل» للشهرستانى ما ترجمته والاسم الثالث الذى ورد فى الكتب العربية للبوذيين المحمرة أى ذوو الثياب المحمرة ولعل المراد بهذا اللون الداكن أو الزعفرانى الذى كان شعارا لنساكهم القديسين المتبوعين وفى لسان العرب :

«والعرب تسمى الموالى الحمراء ، والاحامرة قوم من العجم نزلوا البصرة.»[٢]

وقد ورد ذكرهم فيه تبعا لذكر الاساورة :

«والاساورة قوم من العجم بالبصرة نزلوها قديما كالاحامرة بالكوفة.»[٣] وانّ مثار العجب هنا هو ظن العلامة السمعانى المتضلع فى

---

(١) مروج الذهب على هامش كامل بن الأثير ـ ج ٥ ص ٤

(٢) لسان العرب ـ مادة ح ر ج ٤ ص ٢١٠

(٣) المرجع السابق ـ ج ٤ ص ٢٨٨ ـ ماده سور

علم النسب بهم أنهم بطن من قبيلة الازد ولاندرى كيف داخله هذا الظن الذى اعرب عنه فى كتاب الانساب حيث قال :

« الاحمر هذه النسبة إلى الاحمر وظنى انه بطن من الازد . »[١]

ولكنه لمما لامشاحة فيه ان احامرة الجزيرة القدماء كانوا من سكان الهند وكانوا يتحالفون مع القبائل العربية ويتعايشون معهم عيشة الولاء والصداقة .

ومما لاينكر أن بعض العرب الذين استعملوا الازياء الحمراء هم ايضا عرفوا بهذا اللقب . فالتحمير فى اللغة الحميرية يستعمل منه الفعل لمن يتكلم بها أو يرتدى الملابس الحمراء حيث يقولون : حمر اذا تزيى بزى احمر او تكلم باللغة الحميرية . ويقول ابن الانبارى فى كتاب الاضداد فى اللغة فى خلال البحث للفظ « وثب » أنه وفد رجل على احد ملوك ضفار الحميريين فقال الملك : « من دخل ضفار حمر » . ثم شرح ذلك بقوله : « أى تكلم بلسان حمير وقال بعضهم : معنى حمر تزيأ بزيهم ولبس الحمر من الثياب » .

ومما ينبغى ان يلحظه الباحث هنا ان النهى الوارد من النبى صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ الملابس من الثوب الاحمر القانى للرجال - يحتمل ان يكون من اجل ان الملابس الحمراء كانت قد اتخذت منها امة وثنية شعارا دينيا لها كما أن جماعة من البوذيين امتازت بنفس اللون الاحمر فكان ذلك ميزة لها عرفت بها وذاعت بها شهرتها . ومما يحتمل كذلك ان الجرة لما اقتناها ملوك حميرو اتخذوا منها صبغتهم الملكية الخاصة اكسبوها لونا من الابهة الجاهلية الجوفاء ونوعا من البطر والخيلاء التى ابغضها

---

(١) كتاب الانساب - ج ١ ص ٢١

الاسلام إلى ابعد حدود البغضاء؛ فلهذا وجهنا النبى صلى الله عليه وسلم إلى اجتنابها بقوله صلى الله عليه وسلم: «اياكم والحمرة، فانها من احب الزينة إلى الشيطان» وفى حديث آخر:

«نهى عن المياثرة الحمر والقسى» (كنز العمال ج ٨ ص ٢٠).

وان بعض الروايات تدل على ان هؤلاء الاحامرة الهنود كانوا يعيشون بعدد كبير فى الاقاليم الكائنة فيما بين المدينة والشام محالفين لبنى غفار سكان تلك الاقاليم الاصليين وانهم تخلفوا عن مساهمة حلفائهم الغفاريين فى الجهاد الاسلامى فى غزوة تبوك. فقد اورد الامام البخارى فى «الادب المفرد» عن غزوة تبوك رواية طويلة تشمل على بيان لقائه صلى الله عليه وسلم لابى رهم فى الطريق ومادار بينهما من الحوار. واليكم شطرها الاخير الذى يجرى على لسان ابى رهم نفسه كما ياتى:

«فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألنى عمن تخلف من بنى غفار وهو يسألنى فقال: مافعل النفر الحمر الطوال الثط. قال: فحدثته بتخلفهم قال: فما فعل السود الجعاد القصار الذين لهم نعم بشبكة شرخ.[1]»

وقد ذكر فى لسان العرب فى البحث حول مادة ثطط جزء من الحديث كما ياتى:

«فقال: مافعل النضر الحمر الثطاط... وروى هذا الحديث: ما فعل الحمر الثطاط.[2]»

والثط يجمع على ثطاط، ويطلق على الرجل البطين الكسلان، وعلى الرجل الكوسج الذى لحيته على ذقنه لاعلى العارضين او الذى

---

(١) الادب المفرد - ص ١١٢ طبع بمطبعة تازية - مصر

(٢) لسان العرب - ج ٧ ص ٢٦٨

لايكون على وجهه الشعر مطلقا واما النطط فهو جمع النطناط وهو الطويل المديد القامة .

ويبدو لى أن قوله صلى الله عليه وسلم : « النفر الحمر الطوال الثط » المقصود به الاحامرة الهنود الذين كانوا حلفاء لبنى غفار . واما قوله صلى الله عليه وسلم : « السود الجعاد القصار » فانما المراد به الزنوج الحبشة الذين كانوا موالى بنى اسلم كما يؤيد الأخير ما فى نفس رواية ابى رهم الآنفة الذكر من قوله : « ففكرت عنهم وقلت : يا رسول الله هؤلاء من بنى اسلم» وانما خلصنا بهذه النتيجة نظرا لظاهر الالفاظ واسلوب الكلام . واما المزيد من البحث العلمى المركز فانما هو واجب يقع على عاتق علماء هذا الفن .

قد تناولنا فى الحديث السالف أولئك الاحامرة القدامى الذين كانوا سكان الهند الاصليين نزحوا من بلادهم إلى جزيرة العرب مثل الجماعات الهندية المهاجرة الاخرى . واندمجوا فى البيئة العربية وتطبعوا فيها بطابع الحياة العربية . وقد اشتهرت هناك جماعة اخرى من بعد باسم الحمراء والاحمر . وكانت على الغالب تعرف بانتمائها إلى حمراء ديلم . واثبت البلاذرى فى فتوح البلدان رواية عن مسعر بن كدام يقول فيها : وفى حرب القادسية كان مع رستم القائد الايرانى لقتال المسلمين اربعة آلاف جند الذين كانوا يعرفون بلقب « جند شهنشاه » .

ولما اسلم هؤلاء الجند من الجيش الملكى طالبين للامان من المسلمين تقدموا إليهم بشروط منها :

١ — أن يمنحوا الحرية فى اختيار بقعة من الجزيرة لاستيطانها .

٢ — وان يتمتعوا كذلك بالحرية فى انتداب اية قبيلة عربية لمحالفتها .

٣ — وان توظف لهم الوظائف الرسمية كالغيرهم من المسلمين على السواء

فقبلت شروطهم باسرها فاصبحوا حلفاء لبنى زهرة بن حويه السعدى — بطن من بنى تميم — وقد اسكنهم سعد بن ابى وقاص — رضى الله عنه — مدينة البصرة برغبة منهم فى استيطانها . وعين لهم وظائف معلومة . فراحوا يعرفون بلقب حمراء ديلم . ولفظ البلاذرى بهذا الصدد :

« وكان لهم نقيب منهم يقال له ديلم فقيل حمراء ديلم » . واردفه بقول ابى مسعود الراوى :

« والعرب تسمى العجم الحمراء ، ويقولون جئت من حمراء ديلم كقولهم جئت من جهينة ، واشباه ذلك[١] » .

وتجرى رواية اخرى عن اسلامهم تفيد بأنهم اسلموا عند فتح قزوين وفتح زنجان واقاموا فى الكوفة مع زهرة بن حويه[٢] .

وحينما تعرض الطبرى لبيان فتوح العراق اثبت ثلاثة اسماء تنتهى بنسبة الاحمرى وهى : (١) زياد بن سرجس الاحمرى (٢) سفيان الاحمرى (٣) عبدالرحمن بن سياه الاحمرى . ولفظه عن الاخير :

« وعبدالرحمن بن سياه الاحمرى الذى ينسب اليه الحمراء فيقال سياه[٣] » غير انه لم يعرف من ذلك هل كان هؤلاء « الاحمريون » الثلاثة من الحمر الهنود ام كانوا من حمراء ديلم اذ لم يات التصريح بوطنيتهم وعنصريتهم فليس من الميسور الحكم الحاسم بشئ . وانما المعلوم عنهم انهم كانوا مع رستم فى جيش ايران الملكى فحسب .

---

(١) فتوح البلدان . ص ٢٧٩ (٢) فتوح البلدان . ص ٣١٧

(٣) تاريخ الطبرى - ج ٤ ص ٦٠٥

الأساورة

ان التاريخ ليحدثنا باسم الاساور والاساورة على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وفيما يقرب منه مما سبقه ووليه من الادوار بكثرة وكانوا اكثر الجاليات التى استقر بها المقام فى الجزيرة العربية عددا واكبرهم قوة وشوكة ، بل لقد كان هؤلاء من الرفعة والمنعة على ما يستسيغ لنا به القول بانهم كانوا يتحكمون فى كل ما للمناطق العربية الساحلية الممتدة من العراق إلى اليمن من السياسة والحكومة وهم الذين كانوا يمارسون فيها الحكم ويتمتعون بالسلطة مستغلين اسم ملوك ايران ومركزهم فيها . وان الاساورة كانوا فى حقيقة الامر يمثلون الجيش الملكى الايرانى الذى كان يعمل على الاحتفاظ بكيان الامبراطورية الايرانية وتدعيم سلطانها فى ايران والجزيرة العربية وما جاورهما من المستعمرات الايرانية . وكانوا يحتلون مكانة مرموقة ومركزا ممتازا فى الحكومة الكسروية . وما كانوا يحذون فى المعيشة حذو الجماعات العجمية الاخرى التى عاشت هناك مندمجة فى الحياة العربية التى امتصت شخصيتها الممتازة - بل انهم كانوا على نقيض ذلك يحرصون كل الحرص على صيانة شخصيتهم من الذوبان فى مؤثرات الحضارة العربية كما ان تمتعهم بالغلبة والشكيمة والعزة والمنعة كان قد خولهم مركزا حاكميا واكسبهم شخصية عليا . على ان جماعة منهم اعتنقت الاسلام بعد ما كان بزوغ فجر الاسلام وقيام الحكومة الاسلامية العادلة على انقاض الملوكية العجمية الجائرة ، فشاركت المسلمين فى الجهاد وانضمت إلى القبائل العربية وارتضت لها الحياة العربية واندمجت فيها . ومن قبل كانوا يعيشون عيشة تطبع بطابع المعيشة الايرانية . وقلما كانوا يحتكون

بالعرب فكانوا أشبه بالطبقة الارستقراطية التى تجانب الاختلاط بمن تراهم دونها منزلة وكان السبب فى ذلك مكانتهم تلك الحاكمية الرسمية التى كانوا يستبدون بها .

والاساور والاساورة كلاهما جمع للاسوار ، وهو فى رأينا مركب من كلمتين سنسكريتيتين «اشو» (الحصان) و «وأر» (المستعلى والرفيع) ومعنى الكلمتين اذا اضيفت احداهما إلى الاخرى على نحو التركيب الذى يستعمل : ممتطى الجواد . ويلاحظ ان اللغة البهلوية والسنسكريتية ترتبطان برابطة الآرية التى اوجدت بينهما القرابة والواشجة فتوجد بين كثير من الفاظهما المفردة مقاربة حرفية وصوتية ، اذن فهذا التركيب الفارسى الذى يتأتى فى «اسوار» أيضا يمت بصلة إلى السنسكريتية كما يتأيد ذلك بما يؤثر عن قدامى الايرانيين انهم كانوا يطلقون على آدم عليه السلام لقب «جيومرت» الذى شرحه ابن خرداذبة فى كتابه المسالك والممالك كما يأتى : «الجيو : الحى ، المرت : الميت[١] .»

وكذلك فان هناك الفاظا وتراكيب اخرى تتقارب وتتشابك بوشائج القرابة ، ومنها لفظة «اسوار» ، وقد استعملها العرب فى لهجتهم بطرق مختلفة وقد ارادوا بها فى كثير الاحايين : الفارس . وفى لسان العرب :

«الاسوار ، والاسوار قائد الفرس . وقيل هو الجيد الرمى . وقيل هو الجيد الثبات على ظهر الفرس . والجمع اساورة واساور . . . والاسوار والأسوار الواحد من اساورة فارس وهو فارس من فرسانهم المقتال . والهاء عوض من الياء

---

(١) المسالك والممالك - ص ٢ .

وكان اصله اساوير . وكذلك الزنادقة اصله زناديق عن الاخفش . »

والخلاصة ان لفظ الاسوار اضطرد استعماله على طريقين بضم الاول وكسره وله معان منها . قائد الجند الفرس ، والجيد الرمى ، الثبات على صهوة الجواد ومما يبدولنا إلى ذلك ان كلمة «سوار» التى تستعمل فى اللغة الاردية بمعنى راكب الحصان هى ايضا فى الاصل كلمة «اسوار» ذاتها ، وإنما سقطت الالف من اولها لكثرة الاستعمال كما فى كلمة «اسيوط» و «سيوط» التى تستعمل على الطريقتين وكلاهما صحيح .

ان الاساور كانوا فرسان الجيش الايرانى . وكانوا يعرفون فى جيش ملوك ايران باسم «جند شاه» كما علمنا فيما سبق . وكانت طائفتان هنديتان تنضويان إلى جيش اباطرة ايران احداهما الزط والاخرى الميد . وكان سيابجة الهند احدى الطوائف الهندية الاخرى التى كانت تعمل فى جيشهم غيرهما . كما انه قد جند فيه عدد من سكان السند وبلوخستان نتيجة لخضوعهما للسلطان الايرانى . فالاساورة انما كانوا خليطا من مختلف الطوائف وفرقة فرسان الجيش هؤلاء كما كان فيها الفرسان الفرس كذلك كان يشترك فيها الفرسان الهنود على حد سواء . فوجود الاساورة الهنود مع الاساورة الفرس مما لامجال فيه لشك . وانما لم ينكشف اصلهم الهندى من أجل صلتهم بالجيش الايرانى واندماجهم فيه اندماجا كليا .

وان ابن قتيبة قد أورد قصة فى كتاب «المعارف» نجملها فيما يلى :

روى أن ملك ايران بهرام جور بن يزد كان قد رحل إلى الهند متنكرا بزى رجل مجهول فى العهد الاول من

---

(١) لسان العرب - ج ٤ ص ٣٨٨ .

حكمه . وجعل يعيش عيشة رجل عاد خامل الذكر مجبوه الحال لايطلع على حقيقته من حوله . واتفق انه قتل فيلا ذات مرة . فذكره احدهم عند حاكم ذلك الاقليم بفعلته التى فعل . وكان الحاكم قلقا مضطربا فى تلك الاونة لان احد مخاصميه كان يعد العدة لمحاربته وكان على وشك ان يجرد عليه الحملة فحضر بهرام جور الملك المتنكر ببلاط الحاكم وتقدم إليه وقص عليه القصة المتصلة به التى تمثلت فيها شجاعته ورباطة جأشه ، ثم استاذنه فى مناورة خصمه المهاجم عليه فاذن له . فاستصحب الاساورة معه وسار فيهم نحوه حتى واجهه بهم بحنكة وسياسة حكيمة حتى كسر العدو والحقهم هزيمة نكراء. واليك بعض الكلمات من الكتاب :

«فركب بهرام فى سلاحه . وقال لاساورة الهند : احرسوا ظهرى ، ثم انظروا إلى عملى فيما امامى .وكانوا قوما لايحسنون الرمى واكثرهم رجالة.»[١]

ويثبت من بعض الروايات ان السيابجة الذين كانوا الهنود الخلص قد عرفوا تارة باسم الاساورة كما يؤيده قول البلاذرى فى اسلام شيرويه الاسوارى ـ الذى ذكرناه من قبل وهو : «فانضم إلى الاساورة السيابجة»[٢] .

وان هذه الشواهد الكثيرة المتوافرة تدل دلالة واضحة على ان الاهاند كانوا بعدد كبير فى الاساورة ، غير انه لم يعد بامكاننا أن نميزهم لغلبة الايرانيين اولا ولما كان بين الاساورة وأولئك الزط والسيابجة الذين كانوا ينحدرون من الاصل الهندى ـ من توافق كبير فى الميول والنزعات ونوع

(١) كتاب المعارف ـ طبع مصر ـ ص ٩٠

الحضارة واسلوب الحياة ثانيا. فكانت تبدو هذه الجماعات الثلاث كأنها فروع من شجرة واحدة وثبتت هذه الجماعات الثلاث على حالها تلك من الوفاق والوئام بعد ان اعتنقت الاسلام فقد ظلت كل واحدة منها توازر وتساند الاخرى متشبثة بوحدتها تلك القويمة الرشيدة.

ولما انكسرت الشوكة العجمية فى العهد الفاروقى اخذت هذه الجماعات تدخل فى الاسلام وتتحالف وتجتمع لتحيا حياة اجتماعية. ويثبت من رواية للبلاذرى أن الاساورة لما اسلموا انضموا إلى سيابجة البصرة وزطها، غير ان القبائل العربية فرقتهم من بعد. اذ تنافست كل قبيلة مع الاخرى فى الإستمالة لواحدة منها إلى نفسها تنافسا اسفر عن تبدد شملها وتشتت شعثها. يقول البلاذرى:

«فلما اجتمعت الاساورة والزط والسيابجة، تنازعتهم بنو تميمة فرغبوا فيهم فصارت الاساورة فى بنى سعد والزط والسيابجة فى بنى حنظلة.»[1]

وفى رواية اخرى له ان السيابجة والزط والديلم كلهم كانوا فى الجيش الفارسى اسرهم الفرس وضمهم إلى جماعة السنود ووظف لهم وظيفة ثم يقول البلاذرى:

«فلما سمعوا بما كان من امر الاساورة اسلموا واتوا ابا موسى، فانزلهم البصرة كما انزل الاساورة[2].»

ولما اسلمت الطوائف الثلاث عاهدت المسلمين على عدم التدخل فى الشئون الداخلية لهم ومجانبتهم مجانبة كلية فى امورهم الخاصة. وعهدت وعدها وظلت تحافظ على عهدها زمنا طويلا فلم تشترك فيما شجر بين المسلمين من حروب كالجمل و الصفين.

[illegible]

ومما تقدم يظهر أن سيابجة الهند وزطها والاساوره كانت ترتبط بواشجة وصلة وثيقة كتلك التى ترتبط بها طوائف قطر واحد على العادة. وليس هناك من سبب ظاهر لذلك سوى أن الاساورة كان فيهم ايضا عدد كبير من الجند الاهاند.

ان الاساورة كانوا يمثلون قوة كبرى للحكومة الايرانية كما قدعلمنا، فهم الذين كانوا يضطلعون باقامة الامن فى بلدان المملكة وتثبيت دعائم الحكومة. وعليهم كان اكبر اعتماد الفرس وتعويلهم فى حكمهم وفى المدن الفارسية نفسها كانت جماعة منهم تخدم مصالح الحكومة. فلقد كانت فى ايران عصابة منهم تتولى حراسة القلعة فى قزوين قبل أن يمتد اليه سلطان الاسلام. وكثيرا ما كان يشتبك القتال بينها وبين الديلم وعند ما كان ينعقد الصلح بينهما كانت وظيفتهم تنحصر فى الذود عن حمى مدينة قزوين ضد اللصوص المهاجين. ويقول البلاذرى:

«ولم يزل فيه لأهل فارس مقاتلة من الاساورة يرابطون فيه فيدعون الديلم اذا لم يكن بينهم هدنة ويحفظون بلدهم من متلصصهم وغيرهم اذا جرى بينهم صلح[١]».

وكان هؤلاء الاساورة إلى اضطلاعهم بهذه المهام فى فارس هم الذين يقومون بما اسند اليهم من مختلف الامور المتصلة بالحكومة من اقامة الامن والمحافظة على النظام فى المستعمرات الفارسية من الجزيرة العربية تلك التى كانت تمتد على السواحل المنحصرة فيما بين مدينة العراق الابلة والخليج العربى، بل لقد كان مجال وظيفتهم يمتد إلى اليمن. وفى فتوح البلدان:

---

(١) فتوح البلدان ـ ص ٣١٧

«فانضم إلى الاساورة السيابجة وكانوا قبل الاسلام بالسواحل[١].» وفى لسان العرب :

«والاساورة قوم من العجم بالبصرة نزلوها قديما كالاحامرة بالكوفة[٢]»

ويعرف من التصريحات السابقة ان مدينة العراق الابله حيث عمرت البصرة سنة ١٤ هـ كانت بخاصة مركزا كبيرا للأساورة كما أنهم قد وجدوا بعدد كبير فى الاقاليم الساحلية الاخرى بعامة منذ قديم الزمان .

ويمكننا التقدير لكثرة عدد الاساورة الذين كانوا يسكنون «الابلة» بحسب بما رواه التاريخ من ان عتبة بن غزوان رضى الله عنه — لما توجد اليها سنة ١٥ هـ كان فيها من الاساورة خمسمائة نسمة يتولون حراسة المدينة وحمايتها ففى تاريخ الطبرى :

«وبالابلة خمسمائة من الاساورة يحمونها وكانت مرفأ السفن من العين وما دونها[٣].» وفى كامل بن الاثير :

«اقام نحو شهر فخرج اليه اهل الابلة ، وكان خمسمائة اسوار يحمونها[٤].» والمزيد عليه أن صاحب هذا الاقليم هرمز الذى كان اسوارا هو نفسه كان يحارب العرب والهنود بهؤلاء الاساورة حيث يقول ابن الاثير :

«فكان صاحبه اسوار اسمه هرمز يحارب العرب فى البر والهند فى البحر[٥].»

وان كسرى انوشروان لما جرد الحملة على سرانديپ كان جنود الاساورة هم الذين نفذهم اليها فقد قتل هؤلاء الجند صاحبها وبعثوا بكمية كبيرة من

---

(١) فتوح البلدان ـ ص ٣٦٧ (٢) لسان العرب ـ ج ٤ ص ١٥٠

(٣) تاريخ الطبرى ـ ج ٤ ص ١٥٠ (٤) كامل ابن الاثير ـ ج ٢ ص ـ ١٨٩

(٥) كامل بن الاثير ـ ج ٢ ص ١٤٧

سلابها إلى كسرى[1]. ولا يخفى على المتأمل فى النص السابق ان هؤلاء الجند الاساورة الذين كانوا يزحفون على الهند لابد أن يكون قد اشترك فى هذا زحف عدد من الاساورة الهنود كما ساهمهم الاساورة. بل انه ليترجح عند العقل طبعا قيامهم بابراز نشاط أوفر واكثر نظرا لدقة موقفهم ذلك الذى كانوا فيه .

وقد اضحت مدينة الابلة تعرف بارض الهند وفرج الهند والسند لكثرة من كان فيها من الاساورة وغيرهم من اقوام الهند. ولما استولى ابن ملك الحبشة ابرهة الثانى مسروق بن ابرهة على اليمن واستغاث عليه حاكمها العربى سيف بن ذى يزن الحميرى بالملك كسرى انوشروان جهز الف سجين بقيادة رجل من الاساورة يسمى دهرزو سيرهم اليها فى ثمانى سفن اصاب اثنتين منها الغرق بمن فيها فهبط من نجوا بحياتهم فى السفن الباقية الساحل الايرانى حضرموت. وقبضوا على ناصية الحكم فى اليمن ومما يستفاد ذلك مايأتى :

«فقود عليهم قائدا من اساورته يقال له د هرز. وقيل بل كان من اهل السجون سخط عليه كسرى لحدث احدثه لحبسه وكان يقيد بالف اسوار[2].»

ولما استتب الامر لكسرى انوشروان فى اليمن وتمت له الغلبة فيها بدأ نوابه الاقامة فيها، ومنذ ذلك الحين نفسه اصبح الاساورة اصحاب الامر النافذ والكلمة المسموعة فيها وان الجيل الجديد الذى تكون عن نشأة ذراريهم الذين شبوا فيها سماه العرب فى عرفهم «بالابناء» فان ذرية اساورة اليمن هذه التى عرفت بابناء اليمن لابد ان تكون هى كذلك مؤلفة من

---

(١) ابن خلدون ـ ج ١ ص ١٧٧ (٢) كامل بن الاثير ـ ج ١ ص ٥٨

اولاد الاساورة الهنود والفرس على وجه سواء غير ان لفظ «الاساورة» الجامع كما انه يحول دون تمييزنا للاساورة الهنود من غيرهم كذلك يصعب من اجله ان نعين من ابناء اليمن ابناء الهند وغيرهم . ولو قدر لهذه المعضلة أن تنحل لبدا معظم المفاخر الاسلامية بايران فى صالح الهند ولكان للباب الاول من تاريخ الهند فى الكتابة اسلوب ولون غير ما هو عليه الآن .

وان الاساورة أيضا كانوا قد تبعثروا فى الجهات الساحلية الممتدة من العراق إلى اليمن وكانوا يمارسون الحكم فى كثير من البقاع ممثلين للتاج الكسروى . فقد نقل الحافظ بن حجر فى الاصابة وابن عبدالبر فى الاستيعاب رواية عن ابى شداد الزمارى العمانى أن قدم علينا كتاب النبى صلى الله عليه وسلم فى عمان بدعوة الاسلام وكان مكتوبا على الجلد فلم نجد عندنا من يقرأه حتى قرأه علينا ولد[1] . وقال الراوى :

«قلت : فمن كان يومئذ على عمان ؟ قال اسوار من اساورة كسرى .»[2]

وكان فى اليمن على عهد النبى صلى الله عليه وسلم عدد كبير من الاساورة . فعلى اثرموت كسرى اسلم باذان والى اليمن الذى كان آخر من قدمها من ولاة العجم وبعث بذلك إلى النبى صلى الله عليه وسلم . ولما مرض ويئس من الابلال من المرض وكادت نفسه تزهق ارسل إلى اساورته الذين كانوا هناك و اوصاهم باعتناق الاسلام كما روى :

---

(١) لم ينقل حرفيا (٢) الاصابة ج ٤ ص ١٠٥ والاستيعاب على هامش الاصابة ٤ ص ١٠٧

«فاجتمعت له اساورته فقال (فقالوا) من نؤمر علينا؟ فقال اتبعوا هذا الرجل وادخلوا فى دينه واسلموا[١]».

ولعل هؤلاء الاساورة كانوا قد اسلموا كلهم بعد وفاة باذان – رضى الله عنه – فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وولى امرهم فى حياته زبرقان بن بدر – رضى الله عنه – فى تاريخ الطبرى:

---

(١) كان مولانا محمد كرامت على بن محمد حيات على الدهلوى الموسوى الاسرائيلى الشافعى عالما كبيرا ومحدثا جليلا فى القرن المنصرم. ولد فى دهلى، وتتلمذ على الشيخ الشاه رفيع الدين الدهلوى والشيخ فضل امام الخير آبادى والشيخ اسمعيل الدهلوى. واخذ اجازة الحديث عن الشيخ الشاه اسحق ومكث فى دهلى مدة طويلة قضاها مشتغلا بالتدريس ثم سافر إلى مدينة حيدرآباد وفيها توفى سنة ١٢٧٧ هـ وكتابه «السيرة المحمدية والربقة الاحمدية» من اهم كتب السيرة النبوية وقد استعان الشيخ المغفور له فى جمعه وتاليفه من السيرة الحلبية وغيره من كتب الاحاديث والسير الموثوق بها. وهو سفر ضخم يحتوى على ستمائة صفحة من القطع الكبير وكل صفحة منها ٣٥ سطرا. وقد طبع طباعة انيقة على الطراز القديم. وانما الذى يدعونا للاسف والعجب ان كتابا ضخما معتبرا هاما مثل هذا الف فى الهند باللغة العربية ولم يحفل به العلماء ولم يهتموا وكادوا يكونون فى غفلة عنه فضلا عن ان يعيروه من العناية والاهتمام ما يستحقه. وهذا الكتاب خلو من ارقام الصفحات كما لم يذكر فيه اسم المطبعة ولاعام الطباعة. وهذا الكتاب القيم النادر توجد منه نسخة فى مكتبة قاضى مباركبور بالهند.

« ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى وقد فرق فيهم عماله فكان الزبرقان بن بدر على الرباب وعون ، والابناء فيما ذكر السرى[1] . »

« وابناء اليمن » هؤلاء كانوا من نسل الاساورة وكان العرب يعرفونهم بهذا اللقب الخاص وان ابن سعد حينما عرض لذكر اهل اليمن تناول ابناء اليمن خاصة بالبيان وصرح بأولئك الذين كانوا منهم .

وكان الصحابى المعروف سلمان الفارسى ـ رضى الله عنه ـ الذى عده النبى صلى الله عليه وسلم من اهل بيته ـ من الاساورة انفسهم على رواية فقد كتب الاصطخرى :

« ويقال ان سلمان الفارسى من ولد الاساورة[2] . »

وقد نشأمن بعد فى الاساورة جلة العلماء وكبار رجال الدين وعظماء اعلام الاسلام ومنهم كان موسى بن سيار الاسوارى الذى قال الجاحظ فيه أنه كان من عجائب العالم وكان يجيد اللغتين العربية والفارسية معا ويقدر عليهما قدرة نابغ وكان العرب يجلسون فى محفله العلمى عن يمينه والعجم ياخذون مكانهم عن يساره فكان اذا تلا آية من القران الكريم فسرها بالعربية للعرب وبالفارسية للعجم .

وبما أن الاساورة كانوا رجال حرب يتسمون بالبطولة والبسالة فقد ذكرهم الشعراء العرب بنفس الوصف وان الشعر العربى كله من عصر الجاهلية إلى عصر الاسلام كلما تعرض لذكرهم كلما اختار له هذا الاسلوب فيقول النابغة الذبيانى :

فظل فى سبعة منها لحقن به   يكر بالروق فيها كراسوار[3]

---

(١) تاريخ الطبرى - ج ٣ ص ٢٣٦ (٢) مسالك الممالك ــ ص ٩٤

(٣) جمهرة اشعار العرب ــ ص ٥٥

وقال شاعر آخر:

فجئنا بحى وائل وبلفها وجاءت تميم زطها والاساور

وقال عبدالله بن عوم:

ويغنى الزط عبدالقيس عنا وتكفينا الاساورة المزونا[١]

وقال غيره:

ووتر الاساور القياسا صغدية تنتزع الانفاسا.

ويقول نابغة الجعدى:

يبيت اذا ابدى بروق كأنها سيوف زحوف جرتها الاساور

وقال حارث بن سمى بن رواس الهمدانى المرهبى الذى شهد حرب القادسيه:

اقدم اخافهم على الاساورة ولاتهالن لرووس نادرة[٢]

وإلى ذلك يوجد كثير من الابيات من الشعر العربى وجزء كبير من التراث الثقافى العربى القديم يحفل بذكر الاساورة ويشيد بجلادتهم الممتازة وبطولتهم العربية وبسالتهم النادرة.

البياسرة

واحده البيسر والبيسرى. وهو جيل من الهند وجد فى جزيرة العرب كالاجيال الهندية الاخرى بيدأنه يستعصى القول بتعيين ذلك الزمن الذى وجد فيه هذا الجيل اول الامر. ومما يعلم عنه انه كان يحتذى حذو

---

(١) لسان العرب — ج ٧ ص ٣٠٨ (٢) الاصابة — ج ١ ص ٣٦٨

السيابجة فى احترافه لبذرقة السفن العربية وحمايتها من غارات القرصان عامة والميد منهم خاصة . وفى لسان العرب :

« والبياسرة قوم بالسند وقيل جيل من السند يواجرون انفسهم من اهل السفن لحرب عدوهم . ورجل بيسرى[1] . »

والبياسرة قد تناولهم الجاحظ ايضا بالذكر فى احدى المناسبات وعزاهم إلى اصل من الهند والسند واثبت لهم نفس الحرفة التى صرح به صاحب لسان العرب حيث قال :

«البيسرى جيل من الهند والسند تستاجرهم النواخذة لمحاربة العدد .[2] »

ثم انه قد اخذهم بالذكر والوصف فى شئ من التفصيل حيث تكلم على لفظة « البيسرى » « والبيسر » كلاما لغويا فقال :

ورأينا البيسرى من الناس وهو الذى يخلق بين البيض والهند لايخرج ذلك النتاج على مقدار ضخم الابوين وقوتهما ولكنه يجئ احسن واملح . وهم يسمون الماء اذا خالطته الملوحة بيسرا قياسا على هذا التركيب الذى حكينا عن البيض والهنديات (كتاب الحيوان للجاحظ ـ ص ١١٤) .

وحقيقة الامر أن البيسر معناه هو الخلط والنبذ كما فى لسان العرب :

«وبسر التمر يبسر بسرا ، وبسره لذا نبذ فخلط البسر بالتمر .[3] »

وقد استعمل «البسار» للمطر الذى ينزل على بياسرة السند زمن الصيف ويدوم ولاينقطع ساعة فى لسان العرب :

---

(١) لسان العرب ج ٤ ص ٥٨ (٢) كتاب الحيوان (٣) لسان العرب ج ٤ ص ٥٨

«والبسار مطر يدوم على اهل السند فى الصيف ولا يقلع عنهم ساعة فتلك ايام البسار . وفى المحكم : البسار مطر يوم فى الصيف يدوم على البياسرة ولا يقلع[1] .»

ومما يخطر على بالى ان البيسر لفظ هندى يتركب من كلمتين احداهما بىء التى معناها فى اللغة الكجراتية اثنان والاخرى سر التى معناها الفرد والشخص والذات . فمعنى البيسر على هذا — ان صحت الفكرة — الشخص الذى يرتبط باصلين مختلفين وينحدر مهما كان يكون الرجل من عربى وام هندية . وهذا التوجيه هو الذى اخترته فى ذكر يزيد بن عبدالله القرشى البيسرى فى كتابى رجال السند والهند . وان السائح الرحالة الشهير المسعودى الذى قام بزيارة تهانه ، وبهروج وسوپاره وصيمور (بمباى) وغيرها من البلدان سنة ٣٠٣ ه يقول : ان صيمور كان فيها من البياسرة عدد يناهز عشرة الاف اسوار . ويقول فى بحثه للفظة البياسرة والبيسر ماياتى :

«ومعنى قولنا البياسرة يراد به من ولد من المسلمين بارض الهند يدعون بهذا اللقب واحدهم بيسر وجمعهم بياسر[2] .»

ولم اتمكن من العثور على وثيقة تاريخية يثبت منها استيطان البياسرة للجزيرة العربية منذ زمن قديم وكذلك لم يعرف وجودهم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم . غير انه يغلب على ظنى ان هذا الجيل انما نشأ فى الهند عن قدوم المسلمين اليها واستيطانهم لها وانشائهم لصلات المناكحة والمصاهرة مع اهاليها . اذن فالهند هى المهد الاصلى لهذا الجيل ومن هؤلاء البياسرة

---

(١) المرجع السابق (٢) رجال السند والهند ص ٢٦٨ نقلا عن مروج الذهب

انفسهم تكون الغالبية الكبرى للمسلمين القاطنين فى السواحل الهندية بيد ان رابطتهم قد ظلت ايضا قائمة مع الجزيرة العربية والممالك الاسلامية الاخرى كما ان بعضهم كانوا قد نزحوا من بعد إلى الخارج حيث سكنوا واقاموا. وقد برز بعد فى البياسرة كبار المحدثين وجلة العلماء. فقد ذكر ابن حاتم الرازي فى كتاب الجرح والتعديل محدثا يزيد بن عبدالله القرشي البيسرى وكتب عنه انه روى الحديث عن محمد العمرى وروى عنه على بن ابى هاشم طبراخ.[١]

التكاكرة (ٹھاکر)

التكاكرة جمع للتكرى او التاكر (ٹھاکر) وهم قوم من الهنود القح امتازوا بشكيمتهم وبسالتهم حتى كانت شجاعتهم مضرب المثل فى العرب وفى لسان العرب:

«التكرى: القائد من قواد السند والجمع تكاكرة، الحقوا الهاء للعجمة ... وفى التهذيب الجمع تكاكرة.»[٢]

ونجد ذكر هؤلاء التكاكرة فى الكتب الاسلامية مقرونا بذكر حملة محمد بن قاسم على السند ومحاربته لحاكمها ولم يتسن لى الاطلاع على ذكر هذا القوم فى مكان قبل.

وفى فتوح البلدان ان محمد بن قاسم لما عبر مهران (نهر السند) وتعقب داهر حاكم السند اقبل عليه الحاكم ومعه التكاكرة فاستمر القتال بينهم وبين المسلمين وقاتلوا قتال المستميت ولفظه:

---

(١) رجال السند والهند ص ٢٦٨ (٢) لسان العرب ج ٢ ص ٩٢

«ولقيه محمد والمسلمون وهو على فيل وحوله الفيلة ومعه التكاكرة فاقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع بمثله»[1].

ولعل هذه الايام هى التى ذكرها شاعر عربى حينما نوه بشجاعته ازاءهم وفاخرهم بها اذ يقول :

لقد علمت تكاثرة ابن تيرى غداة البد انى هبرزى

وقد ورد فى التهذيب فى هذا الشعر لفظ «التكاكرة» مكان «التكاثرة» حيث قيل فيه : «لقد علمت تكاكرة»[2].

والتكاكرة لم نجد ذكرهم كالبياسرة فى قديم العصر من تاريخ الجزيرة العربية ولذا يظهر انهم كذلك لم يكونوا فى الجزيرة العربية على عهده صلى الله عليه وسلم. وانما تناولت البياسرة والتكاكرة هنا بالذكر حرصا على الاستيعاب ورغبة فى اشباع البحث واحاطته بجميع النواحى، وإلا فان هذين الجيلين ليس لهما صلة قريبة قوية بموضوعنا الخاص.

(يتبع)

تعريب : عبد الرمان القاسمى الكيرانوى

(١) فتوح البلدان - ص ٤٢٦ (٢) لسان العرب ج ٢ - ص ٩٢

فن العمارة الكشميرى

بين العهد القديم والعهد المتوسط

للاستاذ پی ۰ این ۰ کے ۰ باموزی

يقول «برسى براؤن» عن كشمير :

«كان أهل هذا الوادى يحتلون مركزاً ممتازاً فى فن العمارة من بين الفنون والصناعات التى عرفت فى العهد الاسلامى، ونالت قبولا فى الناس، إن أطلال العمارات الضخمة المبنية من الحجارة التى توجد الآن فى كشمير خير شاهد على ذلك. كما أن النماذج الرائعة لفن العمارة التى تحملها عمارات «مارتند» و «أوتى پور» تدل على أن فن العمارة الكشميرى وصل إلى هذا الحد من التقدم والازدهار بعد ما قطع شأوا بعيداً فى هذا المضمار، ومر بمراحل عديدة وطويلة. غير أنه تأثر بأساليب فنية متعددة للعمارة، كما يبدو بشكل المبانى المثلثة ومحاريب ذات الأشكال المستديرة وأسطوانات جدولية.

طراز العمارة الآريائى

معابد الهندوس المبنية من الحجارة منبثة فى هذا الوادى فى كل مكان، وهى أول ما يستلفت أنظار السياح والمهندسين عند ما يزورون كشمير، يقول «كننگهم» وهو أول من قام بدراسة هذه الأطلال والآثار. «إن طراز العمارة فيها هو طراز العمارة الآريائى» وقد أصاب «كننگهم» فى قوله، لأن هذا الطراز لجميع خصائصه يمتاز عن أساليب العمارة الاخرى، شأن طراز العمارة القديم المعروف.

يحمل فن العمارة الكشميرى خصائص بارزة، لأن السقوف الفخمة المنحدرة والأبواب ذات ثلاثة أركان وشرفات العمارة المثلثة، وعرض

الأسطوانات الداخلية كل ذلك يدل على أن فن العمارة الكشميرى يحمل طابع فن العمارة الروى واليونانى، كما يدل على أن عمد العمارات فى كشمير تماثل طراز العمارة اليونانى القديم، إن صفوف العمد القائمة فى العمارات التى هى ميزة بارزة لفن العمارة الكشميرى جاءت عن طريق أهل اليونان، الذين أقاموا فى الهند عند احتلالهم فى وادى كابل، والبنجاب الغربية.

لقد كان فن العمارة الكشميرى يتفوق جميع فنون العمارة فى الهند. وكان معترفا بتفوقه لدى المهندسين ورجال العمارات، فقد كان أهل كشمير يدعون باسم «شستر شلبنا» ومعناه خبراء العمارات والمهندسون وقد نالوا هذا الخطاب لما كانت لهم يد طولى وخبرة عظيمة فى بناء العمارات وتخطيطها.

ونماذج هذا الطراز الأولى كما يلى:

١ — معبد (مندر) شنكراتشارية، فى سرى نكر

٢ — أطلال «لدو»

٣ — معبد پراوريش، الذى يقع فى سفح جبل هرى، ويسمى الآن «بهاؤ الدين صاحب»

معبد شنكراتشارية

ومن العمارات التى تستلفت نظر السياح أكثر من كل شئ وتسترعى انتباههم فى سرى نكر هو معبد قديم يقع فوق جبل شنكراتشارية الذى يرتفع ألف قدم من سطح الأرض، أما المعبد فيقوم على صخرة جميلة ذات ثمانية أركان، تقوم عليها عمارة مربعة تزدان بشرفات فى جوانبها الأربعة.

إن تاريخ «راج ترنگنی» يشير إلى أن «جالك» نجل الامبراطور «أشوك اعظم» هو أول من بنى هذا المعبد على هذا الجبل فى مساحة مائتى قدم ، ثم جاء «كوپاديتا» فبنى هذا المعبد من جديد ، ونسبه إلى جيتشور ، ومدة حكمه فى كشمير تطول من ٢٥٣ م إلى ٣٢٦ م ، وقد تكون جدران هذا المعبد الأرضية وأساسه لذلك العهد القديم ، أما اجزاؤه الأخرى فلاشك أنها بنيت بعد ذلك .

بناية هذا المعبد تنم على أن طراز العمارة الكشميرى البدائى كان فى غاية السذاجة ومراحل التجربة إلى ذلك العهد ، وفيها محاولة لتمثيل طراز عمارة شكهر القديم ، كما أن فيها جزءاً مثلثاً من سقف ذى وجهين يبدو للناظرين بالرغم مما أعيد بناؤه ، أننا نجد فى هذا الطراز محاريب مستديرة ، وهى ميزة بارزة فى عهده الأخير ، كما تدل عليه معابد «مارتند» .

معبد «لدو»

ويوجد فى «لدو» معبد (مندر) پراوريش ، وموقعه على بعد ميلين من الشارع الذى يذهب من «پمپور» إلى «أونتى پور» ويمثل هذا المعبد الطراز الغندهارى من ناحية تخطيطه وأجزائه الفنية ، إنك تجد فى عمارة هذا المعبد مكان الجدران البارزة التى تقوم عليها شرفات السقف منارة رحية ساذجة تتركب من ثلاثة أحجار بعضها فوق بعض ، وبارزة إلى خارج الجدار كما تجد فيها أول نموذج للقبة ، إن سذاجة البناء وفقدان الزينة والزخرفة فى هذه العمارة يشير إلى حداثة عهد هذا الطراز .

پراوريش

إن أطلال معابد پراوريش تقع من الأهمية بمكان ، وقد بناها «داستين» تشبه بسور مقبرة بهاؤالدين ومعبد «راناسوامين» فى سرى نگر»

ويرجع تاريخ هذه الأطلال إلى القرن السادس الميلادى ، كما يقول «كاهن» وبذلك نستطيع أن نعلم أن طراز عمارة المعابد فى كشمير فى العهد المتوسط - وهو عبارة عن فناء واسع واسوار المعابد — كان قد تقدم إلى حد كبير ولو كان ذلك الفن فى عهده البدائى ، فلم تكن العمد فى داخل المعابد تحمل المحاريب كما كانت السقوف فوق الأبواب ساذجة للغاية ، غير أننا نجد فى ناحية أخرى بازاء هذه العمارة بعض المعابد الأخرى التى تعد من خصائص «مارتند» و «اونتى پور» و «بنيار» .

مارتند

إن المشرف الأعلى على الطراز الآريانى لفن العمارة الكشميرى ، بل ومخترع ذلك الفن إنما هو «للتادتيه» (٧٠١-٧٢٤ م) وهو الذى بنى معبد «مارتند» ذلك المعبد الذى يحتل منزلة عظيمة من الفخامة ، وموقعه من أحسن المواقع فى كشمير ، كما أنه من أجمل المعابد الحاضرة وأحسنها من ناحية التناسب والتعمير ، ولو أن هذا المعبد يتجاوز ارتفاعه ٤٠ قدما ولكن الجدران الفخمة وخطوطها البارزة ، والعمد التى تحيط به من كل جانب ترفع من شأنه ومنزلته وإن الناظر إليه لايطلع فيه على أشياء صغيرة غير واضحة ، بل وكل شئ فيه واضح يحمل من الجاذبية والجمال ما يسر الناظرين ، وتلك هى ميزة هذه البناية إن هذا المعبد عبارة عن بناية مركزية مرتفعة ، وعمارات صغيرة أخرى بجانب الأبواب ، وكل ذلك فى حائط كبير واسع تقوم فى جوانب الاربعة صفوف من العمد ذات الجداول وتتوسطها محاريب مثلثة .

إن هذه العمارة المركزية أفخم العمارات يوجد فى وسطها مكان يمتد على مسافة ١٨ قدماً مربعة عدا محل العبادة الخاص ، شأن المعابد الكشميرية

الآخرى ، وهذا المحل المعد للعبادة ساذج ونظيف ، غير أن هناك غرفتين فيهما نوع من الزينة التى تتجلى فى خطوطها ومشاكيتها ، ويقاس أن سقفها منحدر ، والغرفة التى تلى الباب وأجزاء العمارة الآخرى تكون مزخرفة بأدوات الزينة ، كما ستكون فيها أربعة سقوف منحدرة ومنفصلة بعضها عن بعض ، ولكن سقف الغرفة الداخلية يكون أجمل وأفخم من الجميع ، ويكون ارتفاع منارته الرحبية من سطح الأرض ٧٥ قدماً .

لقد بلغت ميول العمارة فى عهد «كركوت» فى عهد أقيال «أت پال» أوجها ، فان معبدى «أونتى سوامين» و «انتيشور» الذين لاتزال أطلالهما باقية إلى الآن مفخرتى «اونتى پور» ومركزى قداستها ، إن موقعهما لجميل جداً يمر به نهر «جهلم» بشئ من الانحراف ، ويقع هذا المكان على بعد ١٨ ميلا من سرى نكر ، فى الجنوب الشرقى .

ويوجد لهذين المعبدين أطلال وخراب غير أن شكل البناء مفقود أما الأبواب الرئيسية وعمد المعابد الصغيرة فيهما فلا تزال باقية إلى الآن ، وقد كانت مدفونة فى الأرض ولكنها اخرجت بعد إجراء عملية التنقيب ، ويشبه طراز عمارتها بعمارات «مارتند» غير أن هناك فرقاً يسيراً وهو أن عمد المحاريب الملحقة تزدان بمزخرفات مختلفة أما العمد غير الملحقة فلا توجد فيها عناية بتناسب خاص ،.

إن هذه المعابد التى بناها «سمكرا ورمن» فى «پتن» تمتاز فى هيئتها بالجمال والتاثير ، ويتجلى فيها إشعاع تلك البيئة الثقافية التى كانت سائدة على كشمير أيام حكم «اونتى ورمن» .

باندريتهن

ومنذ استهلال القرن العاشر كان هذا النوع من فن العماره قد قضى عليه بالزوال ، لأن الأوضاع السياسية التي سادت بعد ذلك الهند لم تسمح ببناء معابد الهندوس إلا قليلا ، غير المعابد الصغيرة فانها كانت مستمرة في البناء والتعمير ، وقد يوجد فيها بعض الآثار التي تدل على نهضة فن العمارة ، ولايزال معبد «باندريتهن» الصغير مثالا لهذه النهضة ، وهو يقع على مسافة ٣٢ ميلا في الجنوب من سرى نگر ، وقد بناه «ميرووردهن» في أواسط القرن العاشر ، في ترعة صناعية تمتد في مساحة أربعين ذراعاً مربعة ، إنه نموذج رائع وجديد لفن العمارة الكشميرى ، يبرز في جانبيه رواقان يزخرفان بزخارف التعمير ، ومما يجد فيه بالزيارة هو الأجزاء المثلثة في جوانبه ذات الأركان الثلاثة ، وقبة السقف التي تحمل أنواعاً من نماذج التماثيل القديمة والجديدة .

وهناك معابد أخرى عدا هذا المعبد ، وفيها ما هو أصغر من معبد «باندريتهن» ، وبعضها مبنى من حجر واحد فقط ، مثل معبد «پيار» و «محل» و «كولهير» و «بمزو» وكل ذلك ينم عن انحطاط هذا النوع من فن العمارة .

فن العمارة الاسلامى

يقول الدكتور جونتر ا إن جوامع كشمير ومزاراتها التي بدأ بناؤها منذ ١٣٤٦ م حينما دخل الاسلام في كشمير يتجلى فيها طراز العمارة الخشبي الذى انتشر في أواخر العصور المتوسطة ، وقد تبنى أهلها هذا النوع من العمارة بشئ من التغيير والتعديل ، ومن أبرز خصائصه أن المنازل مبنية من الطوب المكعب وسقوفها منحدرة أنبت عليها الحشيش ، وعلى كل سقف مأذنة تشبه منارتها بمنارة البوذ والهندوس .

ولو أن فن العمارة الخشبى فى كشمير يعزى إلى الولاة المسلمين خاصة، غير أن الأسلوب الرائج المعروف عندهم اليوم يرجع تاريخه إلى الماضى، وقد أبقى المسلمون على عادات هذا الوادى القديمة، وتبنوا أسلوب المتقدمين فى العمارة والبناء، ولكنهم لم يروا البقاء على هذا الاسلوب القديم رأياً، فقاموا فيه بتغييرات وتعديلات شتى حسب ضرورتهم فى ذلك وأدخلوا فيه بعض خصائص فن العمارة الاسلامى، فأصبح طرازاً جديداً فى العمارة، مثلا إنهم وسعوا العمارات، وذلك مالم يكن يحلمه المعمار الهندوكى القديم ولا يتصوره فى عصره.

وقد شجع السلطان زين العابدين فن العمارة الخشبى فى كشمير وأشرف عليه، ووضع مصاحبه المؤرخ شرى داز قائمة طويلة للعمارات التى بناها السلطان من الطوب والخشب، وقد دام بعض قصوره التى بناها إلى عهد حكومة مرزا حيدر دوغلات والذى يذكر أن قصراً للسلطان زين العابدين كان مبنياً كله من الخشب فى زيناكير وفى جزيرة من بحيرة دولر.

فن العمارة الخشبى فى العهد المتوسط

إن الطريقة المتبعة فى بناء العمارات الخشبية هى أن تتخذ قطع الخشب وتركب واحدة فوق الأخرى مثل مايكون فى تركيب الآجر واحد فوق الآخر، وبهذا الشكل تبنى الجدران والعمد غير أن العمد تتخذ بصفة عامة من جذوع الأشجار، وقد جيئت ذات مرة بغابة كثيفة من الخشب من المناطق الجبلية إلى صحن الجامع فى سرى نكر.

وتمتاز فن العمارة الاسلامى فى كشمير ببناء السقوف على نحو مناطة بهيبة، فانها تكون ذات الشرفات التى تعتمد عليها جذوع السقوف،

وهي تحمل من الزينة والزخرفة شيئاً كثيراً، أما السقوف فانها تغطى بقشور الجذوع كي لايتسرب إليها الماء وفوقها قبة جميلة طويلة، ويقوم الخبراء من النجارين برفع شأن العمارة بصناعة الزخارف فى النوافذ، كما أن فى القاعات عمداً من خشب خاص يسمى «ديودار» وتركب فى السقوف الواح خشبية.

زاوية السلطان همدان

زاوية السلطان همدان فى سرى نكر نموذج لفن العمارة الخشبى فى العهد المتوسط، وقد بنيت هذه الزاوية فى سنة ١٣٩٥ م فى عهد السلطان سكندر تذكاراً لرحلة مير سيد على الهمدانى إلى كشمير وقد اصابها الحريق مرتين فى سنة ١٤٧٩ م وسنة ١٧٣١ م، وأعاد أبو البركات خان بناء المسجد فى سنة ١٧٣٢ م وهو لايزال إلى الآن، وتتناولها الأيدى بالاصلاح والترميم حيناً لآخر، ويتوزع سقف هذه العمارة المنحدر بين ثلاثة أجزاء متوازية، وفوقه برج يرتفع من الأرض ١٢٣ قدماً وهو مزدان بشمسية مذهبة وزخارف، وتتزين أركان السقف الأربعة بأهداب من الخشب جميلة. أما الجدران فهى مصنوعة بقطع ضخمة من خشب «ديودار» وتتركب فى خلالها الآجر، وعلى الطابق الأول غرفات أرضها من الخشب المنقش، كما يقوم سقفها على عمد خشبية تحمل نقوشاً وزخارف جميلة، وعدا ذلك توجد فيها محاريب، وأروقة، وتتجمل واجهتها الأمامية بشبابيك جميلة ونقوش قيمة.

وفى داخل العمارة دهليز واسع توجد فى جانبه الجنوبى والشمالى أربع عشرة غرفة، وتزدان جدرانه بألواح من الخشب ذات شكل

« الأقليدس » ويقوم السقف على أربعة عمد خشبية ، تتركب فيها قطع خشبية تشبه عظام الاسماك الدقيقة

جامع سرى نكر الكبير

يحتل جامع سرى نكر الكبير مكانة عليا فى فن العمارة الخشبى فى كشمير ويعد نموذجا رائعا لهذا الفن وقد قام السلطان سكندر (١٤١٢ - ١٣٨٩م) بتشييد هذا الجامع لأول مرة ، وبنى فى جوانبه الأربعة أبوابا ، ورفع على أركانه الأربعة أربع منائر عالية ، وزينها بالتزويق والزخرفة ، وقد شهد هذا الجامع أدواراً كثيرة للتاريخ ، فنى عهد حكم السلطان حسن شاه (١٤٨٤ - ١٤٧٢ م) أصابه الحريق فاستأنف السلطان بناءه من جديد ، ولكن فاجأه الموت فتم البناء على يد قائده الكبير ابراهيم ، وعاد إليه الحريق فى عهد السلطان جهانكير عند ما كان السلطان موجوداً فى سرى نكر فأسهم فى إطفاء الحريق بنفسه ، وشيده من جديد ، وما ان استهل عهد أورنك زيب سنة ١٦٧٤ م إذ أصابه الحريق للمرة الثالثة ، فشيده السلطان أورنك زيب ، ولايزال بناءه موجوداً إلى الآن ، غير أن مخطط الجامع كسابقه الذى كان فى عهد السلطان سكندر .

إن هذا الجامع يمثل فن العمارة الخشبى فى كشمير بجميع خصائصه ولكن الذى يلاحظ فيه هو أن البنائين اعتمدوا فى تخطيطه على الجوامع المبنية على الطراز القديم ، ويوجد فى هذا الجامع أربعة جدران يقابل كل واحد منها الآخر ، ويتصل بعضها ببعض عن طريق الأسطوانات الخشبية الكبيرة .

وبناء الجامع مربع إلى حد كبير ، يمتد طوله شمالا وجنوبا ٣٨٤ قدماء ويبدو أمام المنبر محراب كبير مرفوع السقف ، وبين الحجرات

الأربع بروج تحتل محل المنائر، ويستعملها المؤذنون كالمآذن. ويقوم سقف هذه الحجرات المتصلة بعضها ببعض على صفين من العمد التى يبلغ عددها إلى ٣٧٨ عموداً. أما العمد التى تقوم عليها القبب والبروج، فترفع ٤٠ قدما، ولكن العمد التى يقوم عليها بناء الجامع فيبلغ إرتفاعها ٢١ قدما، إن هذه العمد الخشبية رفعت من شأن الجامع وزادت فى بهائه وجماله زيادة قيمة.

ويوجد فى كشمير كثير من الجوامع والآثار التى تمثل روعة فن العمارة الخشبى للعهد المتوسط فى كشمير، وتنتشر هذه الجوامع والآثار فى طول الوادى وعرضه فى كل مكان.

تعريب: الاستاذ سعيد الاعظمى الندوى

كيشوسوامى

الدكتوره سيدة جعفر

كان كيشوسوامى احد التلاميذ الخمسة لرام داس[1] ـ اما شعره واعماله الادبية فى اللغة المراهتية[2] فلا تحتاج الى التعريف ولكن شعره فى اللغة الدكنية شئ جديد لاهل اللغة الاردوية ـ ان الهنادك والمسلمين فى الهند الجنوبية متأثرون بقواته الروحانية ونظرياته فى باب الاخلاق والاجتماع .

وكم من احترام بالغ فى قلوب الشعب الدكنى لكيشوسوامى وكم من قصص له تجرى على السنة وكيف يجرى روح رواياته فى حياته الحاوية وكم من حلاوة فى أناشيده ومن اين تعلم الاخوة الانسانية ومن علمه اسألة الدموع الحارة لمصاب الآخرين وما هو مصدر ذلك الايحاء وينبوع تلك التعاليم التى لاتزال القلوب تشعر بحرارة وحماس ـ هؤلاء اسئلة ـ والاجابة عليها ليست من الهين اليسير .

وكان اسمه الكامل «كيشوسوامى بهاكيه نكركر» يظهر باسمه انه كان من سكان بهاكيه‌نكر اى حيدرآباد ـ وكان ابوه آتمارام نبت كاتباً فى كليان ـ وكان اسم امه جنجابائى التى كانت بارة تقية عند الناس .

ان فى ولادة كيشوسوامى وحياته وشعره وايضا فى موته آثاراً روحية ـ ومن المعروف انه ولد حينما كانت امه جنجابائى فى ثمانين من عمرها وهى كانت تحج الى بنداپور مع زوجها ـ وهذا ما جعلها تعتقد انها لم تنجبه الا ببركة زيارتها لبنداپور .

---

(۱) مدهيه يوجنيش چرتركوش ـ م سدهيشور شاستری چتراؤ ص ۲۱۶ (۲) مراهتى گيان كوش ج ۲ ص ۶۹۱

انه ولد فى سنة ١٦٢١ م وكان اخرس فى صغره ـ فازال ابواه يضطربان اضطراباً شديدا حتى جاء شرى‌مت اتشاريه فى كايان ـ فذهب به ابواه الى مأوى شرى‌مت اتشاريه فى الغابة ليزوره ـ فسح شرى‌مت اتشاريه رأسه بيده وقال شيئاً فى اذنه ـ فاجاب كيشوسوامى بلفظ « بهاجوان » (الله) وكانت هذه الكلمة اول ما نطق به كيشوسوامى فى حياته ـ فابتهج ابواه بذلك غاية الابتهاج .

كان كيشوسوامى[1] من المطربين المجيدين وكان يتغنى بابياته واغانيه بالحان شجية ـ وكانت انغامه اخاذة بمجامع القلوب تجذب كل من يستمع لها وقت الصباح .

تزوج كيشوسوامى بينت شرى‌دهر بنرج فى كايان وكانت هذه الفتاة ايضا تقية بارة .

يقول نرهرسدا ميشوجوشى فى كتابه «كيشوسوامى» « اصبحت الخوارق تظهر منه فى غضون شبابه » .

وهو يقول : « ان كيشوسوامى اذا غنى امام تمثال الاله ، انخلعت على عنقه عقود الازهار عن جيد الاله ـ وكذلك كان كيشوسوامى يوزع «الفيش ناج»[2] بعد اغانى الصلاة والدعاء بدلا من الزنجبيل ولم يصب احد باذى ممن تلقوا منه هذه التبركات . »

وقد ذكر نرهرسدا ميشوجوشى من الاحداث الكثيرة فى ذلك الباب فى كتابه ـ وقد ذكر «لجمى‌رام جنادر باسنجا » :

---

(١) كيشوسوامى ـ م نرهرسدا ميشو جوشى ص ١٩٨ (٢) نوع من النباتات السامة التى تولم مثل لدغ الحية ـ والكلمة سنسكرتية معناها «سم الافاعى »

«انه توفى فى سنة ١٦٨٢ م وضريحه فى موضع بعيد من جياجره - وهى حى من احياء حيدرآباد - ويقع مقامه هذا فى بستان يملكه احد المسلمين من ملاك الأراضى على شاطئ النهر موسى - وكان هذا المكان خرابا يبابا وقاعاً صفصفاً لم يسكنه الا بضعة من الانجليز والدباغين - فقام نرهرسدا ميشوجوشى بتنظيفه وجعله صالحاً للسكنى ونصب قوس بامره على ضريح كيشوسوامى».

وكان كيشوسوامى متقلدا منصبا جليلا فى عهد ابى الحسن المعروف بتاناشاه - فطار صيته وعلا ذكره بما اتصف من روحانيته فى حيدرآباد وفى سائر انحاء الهند الجنوبية - ومما زاد فى خطره واهميته انه كان احد التلاميذ الخمسة لرامداس الشاعر المفلق والفيلسوف البارع.

قد ذكر وابلز ايس - ديمانج (Wabels S. Demang) ماتوثق من الاخلاص والمودة بين الاستاذ والتلميذ فى كتابه «رامداس واتباعه» (Ram Das & Ram Dasies) فهو يذكر : «انما هو كيشوسوامى الذى سلم رفات رامداس الى مياه كنج المقدسة وتشرف بتأدية هذه الشعيرة».

ويقول هنمنت سوامى كما يأتى :

«جمع كيشوسوامى حوله مئات من التلاميذ والاتباع بخوارقه الروحانية ومواهبه العظيمة حتى انتشر تلاميذه فى حيدرآباد ونواحيها . وكان لتلميذيه «شيورام» و «سنت راج» فى الادب المراهتى ماخلد ذكرهما.»

وان ماجرى بين سمرتهم رام داس وكيشوسوامى من المكاتبات يعد موضوعاً له شانه فى الأدب المراهتى ونبذة يسيرة من تلك الرسائل لاتزال

---

(١) رامداس جى جرتر - م هنمنت سوامى - ص ٣٢٣

مصونة عند المستر ديوا. ولم تزل المكاتبة جارية بين التلميذ والاستاذ الى زمن طويل على الرغم من بعد الشقة وطول المسافة بينهما .

يذكر ديمانج (Dimang) : كان كيشوسوامى دعا استاذه الى زيارة حيدرآباد ، فوقع هذا الطلب منه موقع القبول وتوجه الى حيدرآباد واقام بها - ولايزال الكثير من رسائلها مصونا فى «دوم جاؤن متهم»[١] .

وفى بين تلاميذ «رام داس» تلميذ هو سمى كيشو وهو تولى مشيخة المركز الدينى «كودلى» ثم ارتحل الى امبراج ، وهوا حد ناسخى «بوده» الذى توجد له سبع مخطوطات - والف هذا السفر النفيس فى سنة ١٦٩٨ م .

ويعتقد ان كتابه «اكاوش جرتو» هو اول ما جادت به قريحته الوقادة من اعماله الادبية الممتازة - وكان شعره قد حاز القبول عند الناس وهو لايزال على قيد الحياة - وديوان شعره الحافل بأغانى الحمد المعروف بـ ابهنج له قيمة غالية فى الآداب المراهتية - وهذا الكتاب يجمع بين دفتيه اناشيد رائعة يبلغ عددها خمس مائة نشيد وفضلا عن ذلك قرض الشعر الكثير فى اللغة الدكنية وله فيها من الأناشيد ما يعتد به -

يقول «راناده» صاحب ارتقاء القوة المراهتية (Rise of Maratha power) «ان كيشوسوامى كان يؤد الجمع بين الهنادك والمسلمين وبين افكارهم ويحب ان تتوثق عرى الاخوة والمساواة فيما بينهم» .

ولا عجب اذ كان يقرض الشعر فى اللغة الدكنية لانه كان من سكان حيدرآباد - وكان له علاقة ببلاط جولكنده بحيث انه كان فائزا

---

(١) رامداس واتباعه (Ram Das & Ram Dasies) م - وابلز - ايس - ديمانج - ص ١٤٩

على منصب جليل ـ وكان المجتمع هناك مجتمع الشعر والادب الذى يقدر الشعراء خير تقدير ـ وعلى ذلك الاساس علت كلمة الشعر الدكنى بعهد ابى الحسن تانا شاه .

كان كيشوسوامى فردا فى مجتمع يتفاخر فيه الناس بالتكلم فى اللغة الدكنية وفهمها وقرض الشعر فيها ـ والاقليم الدكنى كان يسكنه اهل اللغة التلنجية والمراهتية والكندية ـ وكان من عادة اهل لغة قرض الشعر فى لغة اخرى ايضا ، كما نظم محمدعلى قطب شاه ابياتا فى اللغة التلنجية فضلا عن الدكنية ـ وهكذا كان فى قلوب اهل اللغة التلنجية ميل ورغبة الى اللغة الدكنية ـ ففى مثل هذه الظروف المواتية لايستبعد اشتغاله باللغة الدكنية .

واذا وضعنا نصب اعيننا ما قاله « راناد ے»[١] بانه كان يود الجمع بين الفكر الهندى والفكر الاسلامى ، يخطر ببالنا ان شعره فى اللغة الدكنية ربما كان من المجهودات التى بذلها فى هذا السبيل - وان شعره فى اللغة الدكنية ساذج ملؤه التاثير والارتجال والسلاسة ـ ونرى فى شعره تلك المزايا اللغوية التى عرفت فى عصر ابى الحسن تاناشاه ـ ان شعره فى اللغة المراهتية يبدأ من « شرنجاررس » (الغزل) وبعد ذلك صار منغمسا تماما فى «بهجتى‌رس» (التصوف) حتى صار شعره مرآة تنعكس فيها المظاهر الاخلاقية والروحانية ـ وابياته فى اللغة الدكنية ايضا تتعلق بهذا النوع من الروحانية والتصوف ـ

---

(١) ارتقاء القوة المراهتية «Rise of Maratha Power» م راناد ے ـ ص ١٤٧

الزهد فى الدنيا وأرجاسها اى الغضب والطمع والخيانة والابتعاد من الخدع الباطلة لمظاهر الدنيا وحطامها الزائف والنجاة من آلام الدنيا بالانغماس فى العشق الحقيق ـ هؤلاء من المعانى التى يزخر بها شعر غيره من الشعراء الدكنيين، ترى اليها ابيات كيشوسوامى ايضاً .

أكد كيشوسوامى العلاقة بين الاستاذ والتلميذ كما اكدها «رامداس» فى «درس بوده» وفى «شرى مناجيے شكوك» او كما اصر الاكثر من الشعراء الصوفية على الاهتداء بالمرشد الكامل والقائد الرشيد فى سبيل الوصول الى الغاية .

يقول كيشوسوامى :

تون گرو کا عمل کھارے بھائی اس عمل کون بہوت مٹھائی
گرو کوپا میں کیشو لذت پایا تو اپنی سدآپ گنوائی
ست گرو ناتھه کا عمل سچ اس عمل میں صاحب دست
گرو کرپا میں کیشو عملدار عمل دکھائے اپنا دیدار
تم لیجیو بھائی ایك هی بار اس عمل کون چونا اوتار

(عليك بأسوة معلمك فانها تقودك الى النجاح ـ وطريق الاتباع ما يوجد فيه الصدق والحق ـ يتبع كيشوسوامى معلمه ويستفيد ببركاته ـ عليك ان تذهب هذا المذهب مرة واحدة على الاقل .)

ولكنه طعن على اصحاب الظواهر من الصوفية الذين تخلوا قلوبهم من الرغبة الصحيحة الى معرفة الحقائق، والحال انهم يعدون نفوسهم من الكبار وفى مقدمة هذا السبيل .

تم سنیو پنڈت میری بات تم آتما کی مت بھکا نو زیات
نرگن برهما م پڑھے هیں شاسترون پھر کیسے غفلت کھاوے

تون نرگن برھما کوتم نہیں جانے تون کا ہے بھکانے شاستر کے معنی
آپس کون بسرے آپس کون میانے۔ دیکھو پنڈت کیسے دیوانے

(یقول فی هذه الابیات، علیکم ان تعرفوا انفسکم ولا تنسوها.)

وان لتزکیۃ القلوب والارتقاء الروحی اهمیة بالغة عنده۔ انه یقول ان مرآة القلب لتصدأ ولا تجلو حتی یخلو من اکدار الدنیا واوساخها وعندئذ یمکن مشاهدة الجمال الحقیقی من خلالها۔

من منے گنگا من منے جمنا من منے سدا شیو گرو بتائے
من منے جمنا من منے دوارکا من منے برنداون سکھائے

(هذا من الضروری ان یتنزه القلب من اکدار الدنیا ویجلو کماء الگنج والجمن.)

ان رام داس اوجب علینا ان نبتعد من الغضب والطمع واکدار الدنیا کما انه بحث فی تزکیة النفس لان هذه هی الادواء التی تأکل القلوب من اعماقها وتخبؤ بها انوار الروح۔ وکذلك نهی کیشوسوامی عن تلك الاسقام لان الاحترازعنها لازم عنده لاجتیاز المحیط الدنیاوی.

کام کرود مدمتر چھوڑ کے یوسنسار ساگر ترنا ہے
کہیں پاون نکل جانے نہ یان سنبھل کے چلنا ہے

(ابتعدوا عن الغضب والطمع واوساخ الدنیا ولا تزل اقدامکم فی هذا السبیل.

ویقول فی موضع آخر:

بہوت براج یار گھرکون بلاو کام کرود کون زہر پلاو
تیری سکھی میں سنت کی چیلی بہوت کیا بولون باتان گھنیری

(يلزم الاحتراز من ا وساخ الدنيا - انى رفيقك وتلميذ الاستاذ لا اتمنى بان اقول شيئاً غير ذلك .)

انه يوقن بان ذكر الله هو السبب الوحيد للنجاة من الدنيا والهدوء الدائم - وهذا هو المقام الذى توجد فيه طمانينة القلب والروح وبهذا يحصل الغرض .

میرے حق میں دیارام میرا مار چلایا کام
لیجئے هر دهن کا ناؤں کیجئے باربار سلام
دکھلا کر سبت میرے اندر کیا
چت کون یوں انعام دیا کیشو کون نہال کیا

(يقول فى هذه الابيات ان ذكر الله سبب اطمانينة قلوبنا - اذكروه على الدوام - ان هذا الذكر هو الذى قد اغرق على كيشوسوامى من النعم) .

قد نظم كيشوسوامى اغان جميلة فى اللغة الدكنية ذات تاثير فى القلوب وانها تهدف الى اهداف التصوف والعشق الحقيقى والاحتراز من الدنيا وارجاسها والتفانى فى حب الله - والمزايا الاربع من السلاسة والجزالة والاخذ بمجامع القلوب والارتجال كثيرا ما توجد فى اغانيه .

يقول كرشنا ديو حول اناشيده المراهتية :

«ان اناشيده هذه تتصف بالاوصاف الجيدة من الحلاوة والسلاسة والسذاجة» .

وتلك هى الخصوصيات التى توجد فى اغانيه الدكنية ايضاً - واللغة التى إستعملها كيشوسوامى لايصحب ادراك معانيها على الرغم من بعد عهدها ان اغانيه صوت لقلبه المتالم ولذلك توجد فيها مظاهر الحزن والالم وتجذب اليها القلوب .

واليكم انموذجاً من اغانيه يدل على سذاجتها وحلاوتها .

کیا کہوں مائی اب ہری سکھ پائی
سب ہی گت میری ہری نے چرائی

ہری گن مالا پہنی ہوں نین ہری کے جوں ترک رہوں مد ہوبن میں
نش دن من میں ہری سوں لگائی ہری کے بھجن سوں پران جگائی
ہری سوں نبھہ رہی جگ سوں میں بگڑی کیشو کے سنگ سب لبری

(قد عبر كيشوسوامى فى هذه الابيات عن عشقه وحبه لله ـ ويقول انى احب ان اعيش فى الغابات واذكر الله طول حياتى .)

ان فى اغانيه حسن الجزالة والسلاسة ومع ذلك يوجد اثر من الانغام اللطيفة فى سائر ابياته .

تالی بجاوں کا ون رام کا نام ہورلو کان سوں نین میرا کام
کلیے میں تلسی من منے شیام تجیے دیکھوں نت رام ہی رام
اندر رام باہر رام رام بنائیں خالی ٹھام
کیشو کہوں پربھو دیکھنا بسرام

(يتمنى بان يتشرف برؤية الله فى كل مكان ويواجه الله فى الظاهر وفى الباطن) وفى كثير من اغانيه يوجد حنين الى زيارة بندرابن وقضاء ايام حياته فى تلك البقعة المقدسة ـ ولعل اقامته فى الهند الجنوبية أرهفت شعوره هذا بالبعد عن تلك الديار .

ہری رس پیالہ دئیوں گی میں
جو مانگے اونے بھر دئیوں گی میں ہور متوالی ہوجاوں گی میں
مدن گوپال کے گن گاوں گی کو بن تالی بجاوں گی میں
بندراین کوں چلی جاوں گی میں بندراون کو چلی جاوں گی میں

بن مال سرن من لگاون گی گلے میں مالا باندھوں گی میں
کیشوسائین کی گت پاون گی میں پھر نین آون گی میں

(انه لیذهب الی بندرابن ویقضی حیاته هناك مشغولا فی ذکرالله. ولایود العودة من هناك.)

ان اغانی کیشوسوامی احری بان تدرس لان فیها نوعاً من التاثیر والحلاوة والسلاسة والجزالة والمعانی السامیة.

تعریب : الاستاذ زبیراحمد الفاروقی

عربيّ فى الهند

للاستاذ جمال مناع على
عضو بعثة الازهر فى الهند

الهندَ من ألصق الاسماء بذهنى منذ المراحل الاولى فى حياتى - فقد كنا نقرأ فى كتب الجغرافيا والقصص فى مدارسنا الابتدائية موضوعات وطرائف عن تلك البلاد العظيمة التى اقترنت بها فى خاطرى مظاهر الرفاهية وصور الجمال والروعة التى يقربها الى ذهنى المحدود ملمس الحرير الهندى وضخامة الفيل وروائح البخور وتنوع الورود والازهار وكنت كلما سرحت الخيال على أمل تصور تلك البلاد خلتها بعيدة بعيدة حتى يلهث الخيال قبل ان يصل الى هناك . ولعل مرد هذا التصور البسيط الى ما كانت تقع عليه عيوننا من الرسوم الجغرافية التى تجمع بين الهند والمحيط الهندى فأتصور المساحة الكبيرة من المياه وما توحيه كلمة «المحيط» من بعد واسع ومزارنا - وربما أسهم فى تصور هذا البعد أيضا ما كان يذكره معلمونا عند شرحهم لحرص الاسلام على الدعوة الى العلم من خلال قول رسوله الكريم : «أطلبوا العلم ولو بالصين» والصين والهند متجاوران وان كان المراد من قول الرسول العظيم الحرص على طلب العلم ولو مع المشقة والارتحال .

ولما تقدمت بى مراحل الدراسة وخطت بى السنون فى مدارج الثقافة طالعتنى صورة اخرى للهند ، وهى صورة منسابة من خلال تعبير معهود فى كتبنا بالبلاد العربية وهو (شبه القارة الهندية) .

وكما أوحت الى كلمة المحيط - فى صغرى - البعد الكبير أوحت الى فى المرحلة التالية كلمة شبه القارة معانى كثيرة من الضخامة فى المساحة ،

والتنوع فى المناخ والانتاج، والكثرة فى السكان، والثراء فى الحضارة والثقافة.

ومنذ عشر سنوات انطلق صوت عال وانسابت نغمات حلوة أبهجت العالم وهشت لها الحياة والتفت جهة الصوت الساحر الذى جذب انتباه الدنيا فاذا «الهند» البلاد البعيدة عنى فى الصغر الكبيرة عندى فى باكورة الشباب ـ تطالع خاطرى فى صورة ثالثة ولكنها سامية وعظيمة صورة البلد العظيم من فوق الهمالايا الشاهقة يأتى صوته بالسلام ونداء الحب وترنيمات الابقاء على الحياة ـ واذا «شبه القارة» تتجسد فى نفسى بصورة أبعد عمقا، عملاق ضخم يصنع جسرا من الحياد والامن تلتقى فوقه جماعات المتحابين والمتخاصمين ـ واذا المحيط تعبره فى لحظات أنغام الحب والصداقة للحياة بل تعبر الدنيا كلها وتملا مسامع البشر دعوات رفاق «غاندى» للسلام والوئام.

وهكذا انتقل الخاطر من ايحاءات المحيط و «شبة القارة» الى النداءات والنزعات الانسانية الرفيعة التى رددها العالم وهفا اليها فى ساعات حالكة ولحظات حرجة مع «جواهر الهند» بمقدار ما فى الجواهر من اصالة ولطف ـ و «جمال» العرب بمقدار ما فى الجمال من سعادة للبشر واغراء بالحياة.

وظللت بين صورة عشقتها فى طفولتى ومعارف قرأتها فى دراستى. واشواق تمنيتها وتمناها العالم معى ـ كلما أفزعته الكلمات المخيفة وطالعته الوجوه الكالحة للازمات والتوتر واشباح الحرب والنزاع ـ وبين فتنة الطفولة واعجاب الشباب ووعى وحب الرجال كنت اتمنى ان اعبر المحيط الى شبه القارة لاعيش فى ربا السلام. الى ان أجيب طلبى وتحققت امانى فى المجىء الى الهند، لاشبع نهم طفولتى بسحرها وجمالها وأعمق أبعاد معرفتى بحبه

القارة، وما فيها ثم لاعيش على ربوة السلام حيث يرتفع صوت الصداقة للحياة. وركبت الطائرة وهذه الاحاسيس ملء خاطرى وبعد سبع ساعات التقيت بها بالوجوه الباسمة والقسمات الصديقة.

وبعد نظرات خاطفة فى جوازات سفرنا قالت عيونهم «رفاق الطريق وشركاء الرحلة» وفى دقائق مليئة بالحب خرجنا من المطار لنلتق ببلد من أجمل بلاد الهند وواجهة من أروع واجهاتها «بومبى» وخضنا شارعا من نور الى حيث الفندق الذى قضينا فيه ليلتنا وفى الصباح تنقلنا بين جنباتها نغرد مع ابنائها كأننا جميعا حمامات السلام تهيم فى ربا الهند العظيمة حيث تهب على العالم نسائم الحب والسلام. وبعد جولة غردة فى رياحينها التقينا بالذوق الهندى الجميل على مائدة منسقة بديعة فى بهو فندق «استوريا» وان كنت قد اندهشت كيف لم يحترق الانجليز طوال اربعة قرون من «نيران الفلافل الهندية» ولكن هذه الدهشة ذهبت بمذاق الحلوى الهندية الجميلة، فالحق انى عشقتها ولوكنت سآكل قبلها الفلافل.

وفى الطريق الى المطار كانت بعض القباب تلوح من خلال الاشجار والحدائق، كأنها بسمات عريضة فى وداع ضيف تحس فيه الحب لها واعجابه بها - وطالعتنى صفحة الخليج الذى تطل عليه عروس الهند وعلى شاطئه تهادت بنا السيارة فخلت ان هذه المياه تسر الى بحديث من شاطئ الاسكندرية - وركبنا الطائرة فى طريقنا الى دهلى وقطعنا الطريق فى ساعتين استمتعت فيهما بالكثير من روعة الهند، فقد ظلت الوجوه الباسمة الراضية «لطاقم الطائرة» تشبع فينا الاحساس بالجمال، وما قدم لنا من الشاى وبعض الاطعمة الخفيفة وما نلت من روائح وعطور فى أثناء

الرحلة أغرانى ان اقضى بعض الايام فى الذهاب والعودة من بومبى الى دهلى فى ضيافة شركة الطيران الهندية (Indian Airlines Corporation) الجديرة بالتهنئة والاحترام .

ثم نزلنا الى المطار ولم تكن سماحة الوجوه لاصدقاء اليوم أقل منها عند أصدقاء أمس وكأننا لم نمر بأية اجراءات وانطلقت بنا السيارة فى طريق هادئ الامن بعض الانغام من هنا وهناك وكأنها تسليمات اللقاء وتحيات الاستقبال ودخلنا المدينة العظيمة وكانت تلبس غلالة من نور كأنها تغرى الناس بالحياة . وأقمنا أيامنا الاولى مشغولين ببعض الاجراءات المعتادة من تسجيل أسمائنا وحصولنا على تصاريح الاقامة وقد لقينا فى كل مكان ذهبنا اليه أحضانا مفتوحة وثغورا باسمة وتم كل شئ فى نشوة من اعجابنا بالنظام ولطف المعاملة .

ثم بدأنا نتجول فى دهلى العظيمة وفى خاطرنا احساس بماض مجيد واعجاب بحاضر سعيد وقد وقفنا مدهوشين أمام كثير من صفحات مشرقة لكتاب ضخم اسمه « الهند » ، وتعالوا معنا نقلب صفحات هذا الكتاب . أول ما رأيت منه صورة ضخمة لعمل كبير وأثر عظيم يدل على قوة شعب عنيد ورمز يشرح جانبا من حياته ويبرز طابعا له وهو جانب الصلابة والثبات وطابع الوقار والجلال ، فالقلعة الحمراء بمظهرها العام ـ لاشك ـ يد تشير الى قوة بالغة وطاقة عجيبة تكمن فى شعب الهند ، فاذا ما تجاوزت الباب ودخلت الى الردهات الفسيحة والطرق المنظمة والحدائق المنمقة والمقاعد الجميلة ملأت خاطرك صورة ناطقة معبرة عن ذوق جميل وحب للجمال عميق ـ وبعد خطوات فى دروب التاريخ [illegible]

فى «الديوان العام» و«الديوان الخاص» وقاعات العروش طالعتك دلائل قوية على اصالة الفن وروعته فالابنية والنقوش صامدة تسخر من الزمن ومما يحاول ان يقف فى طريق الهند من عقبات .

وفى طريقنا للخروج التقينا بصورة جميلة شرقية ذكرتنا «خان الخليلى» بالقاهرة وما يباع فيه من روائع التحف وعلى جانبى الممر الى الباب الخارجى المحلات مزدانة بنماذج رائعة لآثار الهند واحقاب من تاريخها العظيم - وكانت الصفحة التالية معبرة عن رسالة الهند التى تؤذن بها من انغام السلام واحترام الحياة ، فقد ارتبط فى خاطرى صوت الهند العالى بدعوة السلام والمنار الشامخ .

ومن فوق المنار نظرنا الى البلد الجميل « دهلى » فبدت مبانيها من خلال الحدائق الكثيرة كأنها قطع معدنية تقف على بسط جميلة وكأن طرقاتها خيوط لوشى بديع بين كل خطين منها تحفة أبدعتها يد الطبيعة الحانية ويد المهندسين البارعين .

وهناك خلت ان برج القاهرة يتبادل مع منار القطب «التحيات» ، ومن رحلة التاريخ رجعنا لنلتقى بحاضر الهند ، وأنى يملأ نفسى من هذا الحاضر معنى كبير المحه فى كل جانب من جوانب الحياة فى هذا البلد العظيم وهذا المعنى هو حب هذا الشعب للحياة واحترامه وتقديره لها وقد تبدى ذلك فى جانبين : جانب الجمال والتجميل الذى تلحظه أنى سرت فى دهلى ، سواء فى جمال البنايات التى تتوارى بين الاشجار حينا وتلوح حينا كأنها وجوه باشة تداعب المارة أو فى حدائقها المتناثرة على طول الشوارع والميادين او فى المحلات التى يختلف اليها الناس لتضاء

بعض الاوقات فانك تجد الورود والازهار فى كل فندق أو مطعم لتنقل اليك ما فى قلوب أصحابها من ذوق ووداعة. أو فى اللباس الهندى فانه يحمل بالوانه البهيجة الزاهية ونقوشه المتداخلة صورا من جمال بلادهم فكأنهم يحرصون حتى وهم جلوس أو سائرون على استصحاب روعة الطبيعة وجمالها. وان السارى الهند (Indian Sari) وما يوحى به سواء فى الوانه أو طريقة ارتدائه يجعل من يلبسه طاؤوسا يتنقل خلال الاشجار.

أما الجانب الآخر فهو جانب النظام فان دهلى رغم الحركة الدائبة بها وعلى كثرة ما ينطلق فى شوارعها من وسائل الواصلات العديدة وبسرعة خاطفة لاترى فيها الحوادث التى تراها فى كثير من مدن اصغر منها واقل حركة وازدحاما، وانى فى دهلى منذ ثلاثة اشهر لم أر فيها حادثة واحدة مما كنت أرى كل أسبوع فى القاهرة.

فاذا ما رأيت الناس وهم ينتظرون مركبات الاوتوبيس فى صفوف منظمة كل يأخذ دوره فى الركوب، ازددت ايمانا بتقدير هذا الشعب للحياة. وبجانب مظهرى الجمال والنظام تحس الحب للحياة من خلال الترانيم التى تنساب الى أذنك حيث سرت فى دهلى ـ وانى ذهبت يوما الى منطقة من مناطق النزهة تسمى اوكهلا (Okhla) وهى ضاحية من ضواحى دهلى تقع على شاطئ نهر كبير فوجدت الشباب يغرد كالطيور من ليس معه راديو معه «مزمار» أو يشدو بصوت حلو وعذب أن «أقبل ايتها الحياة».

والفتيات الصغيرات يداعبن فى براءة ودوائر الماء من آثار ايديهن كأنها ضحكات مرحة ومقابلة للدعابة بالرضا [illegible]

نظرى فى طريق العودة وأنا جالس فى الاوتوبيس أن بعض الكراسى كانت خالية بالرغم من وقوف بعض الشباب، ولما سألت رفيق لم يقفون والكراسى خالية أشار الى لوحة كتب عليها «من أجل السيدات» فأكبرت فى هذا الشباب احترامه للتقاليد التنبيهات، وفى طريق ذهابى أو عودتى الى بعض الأماكن ألمح صفوفا طويلة منظمة امام دور السينما فهم رغم اقبالهم على الفن واسباب البهجة لا يهضمون النظام ولكن ينتظرون فى هدوء ووداعة تزيد من جمال ما يرون ومن متعة ما يشاهدون.

وهذا الحب والتقدير للحياة المتبدى من خلال الصور والنماذج المتعددة انعكس على حياة الشعب الهندى الآن بصورة ايجابية خلاقة تدرك ذلك عند ما تنزل الى الاسواق فانك سترى كل المعروضات صناعة هندية متينة لها طابع الذوق الجميل والجودة البالغة. وانى كلما طاردت حر النهار من حجرتى بالمراوح الهندية تمنيت لها مزيدا من التقدم والنماء. وان فى دهلى سوقا عجيبة اسمها «كنات بليس» (Connaught Place) مقامة على مساحة كبيرة فى شكل دائر جميل وتتوسطها وتتخللها الحدائق البديعة ومحلاتها آية فى أذواق العرض وجمال التنسيق وستقرأ فيها نهضة الهند الحديثة من اول «الفوتو» الى ادق «الالكترونيات». ويمكنك ان تنفق ساعات بهيجة فى واحد من مقاهيها العديدة تستمتع بسحر الموسيقى الهندية وروعة الديكورات التى تنقلك الى دنيا الهند المليئة بالورود وصور الجمال. وان معظم محلات الاطعمة فى دهلى متكاملة فهى مطعم ومقهى وصالة للموسيقى الجميلة. ولعلك تلمح من خلال ذلك ما كررته وسأظل أكرره

وكثيرا ما رأيت في دهلي القديمة فرقا موسيقية تتقدم موكبا بهيجا فرحا حول حصان مزين بالورود وعليه شاب وسيم فاخر الثياب وتداعب رأسه تيجان الورود البديعة في طريقه الى عش سعيد يكون فيه اسرة جديدة من أسر الهند المنطلقة بخطا واسعة في طريق التقدم والازدهار.

فأذكر بعض التقاليد العربية في ليالي الزفاف ـ واني منذ شهور ثلاثة يتأكد لدي كل يوم ان العرب والهند يلتقون على كثير من التراث والمشاعر، فبين القلعة الحمراء في دهلي وقلعة صلاح الدين في القاهرة مناجاة وبين منار قطب وبرج القاهرة مسارة واشارات وبين سندس الهند الاخضر وتبر النيل الاسمر مشاعر صداقة ولقاء.

واني سأترككم الان فان رائحة مانجو (Mango) تغرى القلم بالتوقف وأزاغت العين عن القرطاس وادعوكم معي الى وجبة شهية من القورمة (Korma) ومتر بلاؤ (Matar Pulao) والى اللقاء مع صورتين عظيمتين بينهما لقاء الهند في حقبة من ماضيها الاغر «تاج محل» في جانب التاريخ وقصر «صدر الجمهورية» في جانب الهند الناهضة وتحت اشجار عجيبة وورود ضاحكة في الحديقة المقبلة تقلب كثيرا من الصفحات.

الأفراح فى الهند القديمة

للاستاذ سخى حسن نقوى

الانسان بطبيعته البشرية يرغب دائما فى البهجة والفرح مثل اللعب والرقص والموسيقى وغيرها ، لان فيها متعة لحياة الانسان الكادح وهو يستريح اليها ، ولولم يكن للفرح والبهجة والتنزه مكانا فى حياة الانسان لييبس شجره وضاع .

الافراح فى اليونان

نشأ فى اليونان كثير من أصحاب العلم والفنون والفلسفة وتقدموا تقدما باهرا ، ومع هذا فانهم أيضا أبقوا بعض أفراح اليونان لانها لاتختلف فى طبيعتها مع العلوم أو الفلسفة . ولايزال العالم يعرف مهرجان «اولمبيك» الذى كانوا يجتمعون فيه كل اربع سنوات ويأتون من كل فج عميق ويتبادلون فيما بينهم الاشعار والآداب ويسابقون فى الرياضة البدنية وغيرها من الألعاب .

الأفراح فى الروم

ومن ذا الذى لم يسمع عن «اومنى تهيئر» الرومى وكان أيضا مكان الجمع بينهم وكان الروميون يقومون فيه بجميع أنواع اللعب والفرح والتنزه . وكان هذا كله بالاضافة إلى أشغالهم الأخرى فى العلوم والفلسفة .

الأفراح عند الهنود

يبدو لنا ان الهند القديمة هى كانت أسبق وأقدم فى العلوم والفلسفة من اليونان والروم . ثم نرى أن هناك فى الهند ألعابا وأفراحا أكثر بكثير مما هى فى اليونان والروم ، فهذا أيضا يدل على أن هناك ليس أى تناقض أو خلاف بين التقدم فى العلوم والالعاب والافراح .

قول موجدار

يقول البروفيسور «موجدار» ما أصاب من قال إن أهالى الهند القديمة كانوا ينفرون من الألعاب والأفراح بل وعلى العكس أنهم كانوا شغوفا بها وهم كانوا اقاموا اعتدالا واتزانا عجيبا فى طريقة سير حياتهم بالجمع بين العلوم من جهة والأفراح من جهة أخرى .

المهرجانات

والذى يدرس التاريخ والأدب الهندى يتبين له بسهولة واضحة أن هناك فى الهند القديمة أكثر من مهرجان ، يحضره العامة ويشتاقون اليه كثيرا مثل مسرحيات «كثهو پتلى» وعرض الرياضيات البدنية والسباق ، والشعوذة والسحر وما إلى ذلك .

الصيد والسباق عند الأثرياء

إن التاريخ يقول لنا أن سباق العربات الملكية (رتهـ) كان لعبا محببا إلى كثيرين من الامراء والأثرياء فى زمن «فريدك» .

ونجد فى المنظومات الهندية القديمة تفصيلا رائعا لصيد الامراء ، كيف كانوا يصطادون الافيال ، والخيول ، والظبيان بكلاب معلمة . وكان لهم طريقا خاصاً فى اصطياد الاسود ، فأولا كانوا يقيمون شبكات من الاحبال ثم يصطادونها .

أعياد الهند

عاش اهل الهند عيشة رغدة فى جميع أعيادهم وأماكن أفراحهم وقد ذكر «وات سائن» فى كتاب «كام شاستر» خمسة أعياد :

الأول كان يقام على شرف الاله كانوا يسمونها «سماج» والثانى كان يشتمل على بعض اجتماعات ترفيهية ويسمونها «غوشطى» والثالث كانوا يجتمعون منه ويشربون الخمر والمسكرات وإسمها كان «أپانك» والرابع كانوا يخرجون فيه إلى الحدائق والبساتين ويصاحبهم الأهل وأفراد الاسرة ويأكاون ويشربون هناك مجتمعين والذى اسمه الآن «پكنك» باللغة الانجليزية. والخامس كانوا يجتمعون فيه فى مكان خاص وعلاوة على الأكل والشرب اجتماعيا كانوا يلقون فيه مباحثات ويذاكرون فيما بينهم، وتجتمع هناك بعض الحسينات من الجوارى والوصائف.

الأفراح عند الملوك

كان الملوك فى الزمن القديم يحبون الصيد كثيرا، ويصطادون سباع البهائم راكبين على الافيال. ويقام سباق العربات الملكية «رتهه» يسوقها الخيول والثيران معاً بحيث يكون فرس واحد بين الثورين.

وكانوا يحبون القمار أيضا، ويقامرون فيما بينهم، وكان جميع هذا يتم فى قصورهم.

ولما كان الملوك يخرجون من قصورهم لمشاهدة بعض - استعراضات، كانوا يخرجون فى مراكب، ويتقدمن أمامهم النساء الراميات ومعهن القسى والنبال فكن يلعبن بها والملوك كانوا يشاهدون فى طريقهم ويسمى هذا الاستعراض «يادنا».

وهولاء النساء كن يوظفن فى البلاط خاصة لهذا لغرض ووظيفتهن كانت دفع الذباب عن الملوك بالمراوح اليدوية والتظليل عليهم فى الطريق بالمظلات. وكن يشددن الحبل الذهبى وسط ظهورهن.

الافراح عند الوجهاء والأثرياء

كان من عادة الاثرياء الهنود القديمة أن يعدوا ويهيئوا لهم الأدوات الترفيهية فى بيوتهم ومنازلهم مثل أدوات الموسيقى وكتبه ، وآلات اللهو الخاصة الهندية مثل « الشطرنج » و « النرد » ويلعبون بها فى أوقات فراغهم ، والرسم والنحت والتصوير كان من هواتيهم الخاصة ويزينون جدران بيوتهم وبساتينهم بتماثيل بعض الحيوانات وتصاويرهم .

الافراح عند العامة

كان عامة اهل الهند القديمة يعيشون عيشا ساذجا بسيطا ، كما ان ملابسهم ومطاعمهم وحياتهم الداخلية فى المنازل كان فى منتهى البساطة ، ولكن مع هذا جميعا ، هم يحبون كثيرا الافراح والمشاغل الترفيهية ، وفى هذا المجال نراهم يبذرون كثيرا ويسرفون أموالهم فى مناسباتهم وأعيادهم .

ولما كان أحدهم يدخل بلاط الملوك ، كان يرتدى الملابس الخاصة المنسوجة بخيوط الذهب والفضة .

تعقد فى بلاط الملوك حفلات غنائية والرقص والمسرحية ، تغنى فيها الممثلات والفنانات الاخصائيات .

تقريظ ـ ار ـ سى ـ داس

البروفيسور آر ـ سى ـ داس يستعرض حياة اهالى الهند القديمة ، ويقول إن حياة اهل الهند القديمة مليئة حافلة بأنواع عديدة من الافراح والالعاب والترفيهات سواء كان هذا فى مجال الموسيقى والغناء ، أو النحت والرسم والتصوير ، وإن لهذه الفنون مكانا مرموقا فى بيئتهم ومجتمعهم .

نجد فى كتب التاريخ القديمة أن مهرجانات كثيرة تقامُ فى الهند يحضرونها كثير من الأدباء والفنانين ويعرضون انتاجاتهم على العامة

المحتشدة ، ويتسابقون فى إنشاء الشعر ، وطرح الأساطير على بساط البحث وسرد الأعاجيب والأضحوكات ، وهكذا كانوا يفرجون عن أنفسهم ويضحكون وينسجمون فيما بينهم . ولأسماء مهرجاناتهم وحفلاتهم هذه أسماء خاصة مثل « أتسو » و « سماج » و « وهار » .

النحت فى الجبال

نجد كثيرا من آثار النحت والرسم فى كهوف الجبال ، يتبين لنا من بينها بعض مظاهر الحياة الاجتماعية فى ذاك الوقت ، خاصة نجد مرسوما عثر عليه فى جبال «رام كڈھ» وهو مكتوب بلغة البراهمة ، وهذا هو نصه «ليلة البدر من فصل الربيع تنعقد حفلات الغناء والرقص يحضرها الرجال الذين فى أعناقهم عقود من الياسمين وغيرها من أنواع الزهور ، ولعل المراد منها عيد «هولى» عيد الألوان .

يتبين من بعض مراسيم عصر الامبراطور «أشوكا» ومن كتاب «كام سوتر» مؤلف وآت سائن ، أن الناس كانوا فى زمن امبراطور أشوكا ظرفاء ، يحبون الألعاب والترفيهات كثيرا ولم يجد التزمت الدينى طريقا الى قلوبهم بعد . وكانت حياتهم مصطبغة بصبغة الترف والبذخ ومظاهر الحياة الرغدة وكانوا يتعاطون شرب الخمر والمسكرات .

نجد أن الموسيقى موجود فى الهند منذ عصور ما قبل التاريخ ، فنجد بعض مظاهرها فى عصر «نارد» وبهرت و «كالى ناتہ» و «بون» أساتذة الموسيقى ، إن هؤلاء الاساتذة كانوا يعلمون الناس الموسيقى ، وبعدهم إستمر تعليمهم على أيدى بعض تلاميذهم ، وكانت لهم لهجات خاصة ، يتمرنون عليها ويحسنون أصواتهم مثل لهجة سرگم (سا ـ رے ـ گا ـ ما ـ پا ـ دھا ـ نی)

وذكر امير ولاية «كانجى» راجه هندر پلاوه (٦٠٠م) فى بعض مكتوباته ترتيب فن الغناء والموسيقى والحانه، وصنع فيه سبعة الحان كلاسيكية، وصنف فى فن الموسيقى رسالة وجيزة.

الرقص والتمثيل فى الهند

كما كان أهل الهند يحبون الغناء، يحبون الرقص والتمثيل أيضا، لان فى مطلع القرن الخامس الميلادى حين كان تآدر وبهرت وپون يعلمون الناس الغناء والموسيقى وبلغوا شأوا عظيما فى التقدم، كان بعض الاساتذة مثل «شلالى» و «كرشاشو» ناطيه، يعلمون الرقص والتمثيل وكانت لهما فى هذا الفن طريقتهما الخاصة.

ويقال انها هما اللذان اخترعا بعض الطرق الكلاسيكية فى هذا الفن.

وقد جاء فى كتاب باسم «نت‌سوتر» ذكر بعض الكتب القديمة التى صنفها أهل الهند فى الرقص والتمثيل. بالاضافة الى هذا كان الرقص فى قديم الزمن منقسما على قسمين، دينى ولا دينى، وكان لهم ملابس خاصة لكل منهما.

بلغ هذا الفن أعلى قمة فى قديم الزمن، ووضعت آداب ومراسم خاصة له، وكانوا يستخدمونه لاظهار بعض عواطفهم الغرامية والعشقية.

قول كوزناس

البحارة اليونانى كوزناس الذى نزل على الاسكندرية، ذكر كثيرا من افراح ملوك الهند وملاعبها فى بيانه وخاصة تعرض لملاكمة الافيال التى كان يحبها ملوك الهند كثيرا.

قول ابن خردازبة

ابو القاسم عبيدالله المعروف بابن خردازبة دخل الهند فى عصر « راستركوت » ملك مليبار ، وشاهد ثقافة الهند وحضارتها فى عصره فيقول : إن ثقافة الهند منقسمة على سبعة أقسام وسابعها « اللاهود » يعنى الراقصات والمغنيات ، ونساء اهل الهند يحببن التبرج والتمشيط ، ورجالها يحبون الافراح والملاعب والترفية .

رأى الجاحظ

العالم الشهير الجاحظ البصرى الذى توفى سنة ٨٣٨ م والذى له مؤلفات كثيرة قد أثبت فى بعض مؤلفاته فضل الاسود على الابيض ويظهر من بعض ما قاله : أن الذى إخترع اللعب الشهير فى العالم « شطرنج» هو هندى . ونقل صاحب « بهار عجم » قول الرشيدى أن لفظ شطرنج دخيل ومعرب وأصله «چن‌رانگ» وهو مركب من «چن» و «انك» يعنى أربعة أعضاء . ولاشك أن هذا اللفظ سنسكرتية ، والمراد منه أربعة أجزاء شطرنج وهو (الفيل ـ الفرس ـ الرخ ـ البيذق ـ) ووصل هذا اللعب إلى العرب عن طريق الفرس . ثم العرب أدخلوا فيه تعديلات كثيرة وأحدثوا تغيرات كبيرة .

الأنباء الثقافية

يظهر فى الآونة الحاضرة على سماء الاستقلال الافريقى نجم بعد نجم، وتتوسع يوما فيوما فى القارة آفاق الحرية، والمجلس بدوره يجعل الشعوب الافريقية موضع اهتمامه الخاص، فمكتبة المجلس عاكفة على جمع الكتب الثقافية وشرائها واهدائها باسمه وباسم وزارة التعليم الهندى الى المعاهد التعليمية والثقافية فى افريقيا، نخص بالذكر منها، معهد الشئون الداخلية فى لاغوس، وكلية جاندوم، بجامبيا، ومكتبة غاندى التذكارية التابعة لجامعة لاغوس والغرفة الهندية فى مكتبة جامعة الجزائر، واثيوبيا، وجامعة لاعون باكره (غانا)

وهكذا يعتنى المجلس بالطلاب الافريقيين الذين يدرسون فى المعاهد الهندية وهم وافروا العدد من بين الطلاب الاجانب، ومما يذكر بهذه المناسبة ان طالبين من تانجانيكا، وكينيا، فازا بالجائزتين الاولى والثانية للفوتوغرافى فى معرض الرسوم والصور والمنتجات الفنية، الذى نظمه المجلس فى ١٦ مارس.

الزوار

ومن اهم ضيوف المجلس الذين زاروا البلاد الهندية، الحاج واى. ك. يعقوب السكرتير العام لمجلس المسلمين النيجيرى، وقرينته، نظم المجلس لهما جولة فى البلاد لاثنى عشر يوما، اجتمعا خلالها مع رئيس الجمهورية الهندية ووزير التعليم للحكومة الهندية.

ومن المتوقع ان ينشئ المجلس برنامجا مستمرا لترجمة الكتب الهندية الى اللغات الافريقية.

آسيا الغربية

وفيما عدا جهود المجلس لتوطيد التفاهم مع البلدان الافريقية يستمر فى مساعيه لتعزيز الروابط مع الشعوب الاخرى فكانت الروابط بين الهند والعالم موضوعا لندوة عقدها المجلس فى شهر فبراير الماضى، وتلتها زيارة ستة طلاب من الاردن وصلوا الى الهند لتعلم اللغة الانجليزية فاستقبلهم المجلس واقامهم فى مدينة الطلاب الدولية، كما قام ستة الطلاب اليمنيين من الذين اتموا دراساتهم فى كلية الزراعة باتراپراديش بجولة على حساب المجلس لزيارة مركز تربية الدجاج فى آگره، والى بهاكره ننگل، وبومباثى.

وتبنى المجلس مع تعاون سفارة بيرو محاضرة القاها الدكتور تولامول بيرو فى شهر مارس، وقدم المجلس ايضا منحة الى السفارة الهندية فى موسكو لتقديمها الى الطلاب الهنود المشتغلين بالعمل فى الحقول الثقافية.

استضاف المجلس البروفيسور ناجيام رئيس القسم فى جامعة ملايو وقضى البروفيسور فى الهند عشرة ايام ضيفا على المجلس، واستضاف المجلس ايضا وفدا من الجمهورية الديموقراطية الالمانية مكونا من ثلاثه اعضاء وكانت فى نهاية المعرض الذى اقامه المجلس حفلة الرقص والموسيقى عرض فيها انواعا من الرقص والموسيقى طلاب نيپال وافغانستان وبورما ومليشيا وموريش ويورتريكا، ودامت تلك الحفلة غير الرسمية ساعة.

ورحب المجلس بالطلاب الافغان الذين جاءوا لتعلم اللغة ا [illegible]

INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS

AZAD BHAVAN, NEW DELHI I

President: Mr. M. C. Chagla

The objects of the Indian Council, as laid down in its constitution, are to establish, revive and strengthen cultural relations between India and other countries by means of:

(*i*) Promoting a wider knowledge and appreciation of their language, literature and art;

(*ii*) Establishing close contacts between the universities and cultural institutions;

(*iii*) Adopting all other measures to promote cultural relations.

THAQĀFATU'L-HIND

Vol. XVI | July 1965 | No. 3

Editor:

S. Taiyebali Lokhandwalla

CONTENTS

	Subjects	Contributors	Page
1.	Secularism in India	... PROF. HUMAYUN KABIR ...	1
2.	Gandhi and Uplift of Women	... DR. R. R. DIWAKAR ...	5
3.	Cultural Development during the Sultanat Period in Kashmir	... SAHIBZADA HASSAN SHAH ...	19
4.	From the Land of Coconuts to the Land of Dates	... QAZI ATHAR AL-MUBARAKPURI ...	33
5.	Kashmir Architecture	... MR. P. N. K. BAMZAYE ...	67
6.	Keshu Swami	... DR. SAYYEDA JAAFER ...	77
7.	An Arab in India	... MR. JAMAL MANNA ALI ...	87
8.	Games & Entertainments in Ancient India	... MR. SAKHI HASAN NAQVI ...	95
9.	Cultural News	... ...	102

يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية

رئيس التحرير ـ شمعون طيب على لوكهندوالا

المجلد السادس عشر | أكتوبر سنة ١٩٦٥ | العدد الرابع

الصفحة

محتويات هذا العدد

١ تأثير الفن الهندى فى آسيا .... للاستاذ ك ـ ك . كول ١

٢ سد ريهاند ١٦

٣ الهند كما وصفها القزوينى .... السيد محمود حسن قيصر الامروهوى ٢١

٤ علم اللغة واللغويون فى الهند .... للاستاذ السيد محمد الثانى حسنى ٣٨

٥ من النارجيل إلى النخيل .... للاستاذ مولانا قاضى اطهر المباركپورى ٥٠

٦ عاش للود للوفاء للوئام .... للاستاذ نديم الراعى ٦٨

٧ أثر الثقافة الهندية فى الثقافة العربية .... للاستاذ جمال مناع على ٧١

٨ أسطول كجرات .... للاستاذ السيد أبى ظفر الندوى ٨٥

٩ الأنباء الثقافية ١٠١

مجلس الهند للروابط الثقافية

الرئيس : المستر محمد على كريم تشاجلا

يهدف المجلس — كما ينص دستوره — إلى إنشاء وإحياء وتعزيز الروابط الثقافية بين الهند والبلاد الأخرى بالوسائل التالية :

(١) التوسع فى معرفة وتقدير لغاتها وآدابها وفنونها

(٢) إنشاء الروابط الوثيقة بين الجامعات والمعاهد الثقافية

(٣) اتخاذ جميع التدابير الأخرى لتنمية الروابط الثقافية

تاثير الفن الهندى فى آسيا

للاستاذ ك . ك . كول

ترجمه : الاستاذ زاهر الزغبى

عضو بعثة الأزهر فى الهند

إن التفاعلات الهامة بين التقاليد الفنية الهندية والصينية المتباينة تتيح لنا من المجالات أكثرها إغراء على التخيل والبحث . ولنبدأ بايضاح قليل من هذه المجالات . ومن أجل تسهيل هذه المهمة سننسق نقاط البحث على هيئة جداول مرتبة .

«فاتسايايانا» (Vatsayana) الذى عاش خلال القرن الثالث الميلادى ذكر فى كتابه «كاماسترا» (Kamasutra) ستة من المبادئ الاساسية التى قام عليها الفن الهندوكى . وكذلك سار الفنانون الصينيون القدامى بفن النقش عندهم على نهج مماثل وقيدوه بستة قوانين وكان «هوشيه هو» (Hsieh Ho) أول من ذكر هذا فى القرن السادس الميلادى . وكل من هذين المنهجين الهندى والصينى قد ذكرا فيما يلى :

اسم الكتاب	اسم المؤلف
ا ـ معرفة المظاهر	راپا بهيدا
The Knowledge of Appearances	Rapabhida
ب ـ الاحساس الصحيح	پرامانم
Correct Perception	Pramanam
ج ـ عمل الاحساس فى صور	بهافا
Action of Feelings in Forms	Bhava

د ـ خلاصة الجمال	لافانيا يوجانام
Infusion of Grace	Lavania Yojanam
هـ ـ المحاكاة	سادريسيام
Similitude	Sadrisyam
و ـ الطبع الفنى لاستعمال الفرشاة والاوان	فارنيكابهانجا
Artistic Mannar of Using Brush and Colours	Varnikabhanga

ولما كانت المناهج الصينية قد ظهرت الى حيز الوجود متأخرة عدة قرون فان ذلك يوحى الى الأذهان بأنها قد انبثقت عن أصل أقدم منها كثيرا الا وهو الاسلوب الهندى .

وبالنسبة الى المواضيع الدينية فان الفنان الصينى لم يصبح أبدا جديرا بأن يكون له وجود على ظهر الأرض إلا بعد أن قلد الأفكار الهندية ، ويتضح هذا جيدا من بعض الشعارات الدينية فى «أضرحة تنج هوانج» (Tung Huang Shrines) حيث هناك يتكون الموضوع الرئيسى من إحدى الجنات ، ويسيطر عليه الى حد كبير مظاهر الجلال والوقار الهندية . أما الحواشى الاضافية لهذا الموضوع الرئيسى فهى صينية خالصة وتمثل العبقرية الصينية فى هذا الطراز من فن المعمار ولكن الشخصية الأساسية منبثقة عن وحى هندى .

والتماثيل الهندية ـ سواء كانت نحتا على المبانى أو تشكيلا للصخر الى وجوه حية ـ تبدو على الدوام هندية أصيلة . والرسامون والمثالون الهنود فى العصور الماضية قد نجحوا فى طبع انتاجهم بالطابع الروحى ،

وفى نفس الوقت حافظوا فى تشكيله على الأسس الواقعية ، وأعتقد بأن الفنانين الصينيين قد حاولوا عن قصد أن يجسدوا المثل الهندية فى تصويرهم للالهيات البوذية ، ولكنهم فى الأغلب لم يرتفعوا عن مستوى تصوير الصفات الانسانية البحتة أو عن استعراض جامد غير جذاب للقديسين البوذيين الذين لأول وهلة تذكرنا مشاهدتهم بأساليب ووسائل السرقات الفنية . ومن بين آثار الفن الصينى التى تخلفت عن العصور القديمة توجد أوان برونزية كانت تستعمل فى الحفلات الرسمية وهذه الأوانى مزينة بنقوش بارزة بروزا طفيفا وتشكل صورا غير واضحة لبعض الحيوانات محاطة بزخارف هندسية . وليس من السهل دائما أن نتعرف خلال الخطوط المتقاطعة ذات الزوايا المتداخلة على الغول أو الفهد أو الحية أو التنين الخ . وربما عزى هذا الى أن العصور التى شهدت نشاط كل من «شانج» (Shang) و «تشون» (Chon) كانت نتيجة لفن تشكيلى ناهض . ومضى وقت طويل ـ خلال عصر «هان» (Han) وما تلاه من عصور ـ حتى ظهر الى حيز الوجود الأسلوب الفنى الأكثر تحررا ، وهذا التغيير يعزى فى بعض جوانبه الى الاتصال المتزايد بين الصين والهند .

والتقدم فى رسم النباتات والأزهار يعزى الى الهند فالرسوم القديمة التى بقيت حتى اليوم وهى التى توجد فى «أجانتا» (Ajanta) وغيرها من المعابد تشهد بأن الهنود مغرمون بالأشجار والأزهار ، والأشكال النباتية التى رسمت فى الهند لم تشوه برسمها على هيئة خطوط وزوايا ولكنها حافظت دائما على انسيابها ورونقها الطبيعى .

والنماذج التى بقيت من نقوش الحوائط الصينية القديمة هى تقريبا تلك التى توجد فى الأضرحة البوذية ، واذا قورنت هذه بمثيلاتها الهندية ،

فانه على الرغم من وجود اختلاف واضح؛ فى طرق المعالجة والتنفيذ؛ فهناك كثير من أوجه الشبه الواضحة ـ وأول انطباع يتأثر به الرائى لنقوش أجانتا هو أنها مكتظة ومليئة بالوقائع المحيرة كمشاهد الأحلام البعيدة عن الواقع، ومثل هذا ـ بنفس الخصائص ـ يوجد أيضا فى التماثيل الصخرية بـ «ماهابليبورم» (Mahabhalipuram) وكذلك فى اللوحات المنحوتة بـ «بهارت» (Bharut) و «امارافاتى» (Amaravati)، وربما كان هذا المزيج المركب من الوقائع المتباينة فى لوحة واحدة هو من خصائص الهند الجنوبية على الرغم من وجوده أيضا فى تركستان الصينية.

ومن المعتاد أن نجد دائما فى الفن الصينى والفارسى الشخصيات وقد كسيت تماما باحكام وعناية بالملابس إلا إذا أريد تصوير الشخصيات البوذية الهندية تصويرا مطابقا للاصل، ونذكر على سبيل المثال «دفارابالاس» (Dvarapalas) والأشكال السماوية الأخرى، وهذه المعالجة التقليدية فى الصين ربما اعتبرت نتيجة مباشرة لانتقال عبادة التماثيل البوذية من الهند الى تلك البلاد.

وقد كتبت كثيرا عن الروابط الفنية مع الصين لأنها قد توثقت علاقاتها مع الهند بسبب اهتمامهما المشترك بالديانة البوذية ولكنى الآن سأوضح صلات مماثلة مع اليابان والشرق الاقصى.

فكل من سيلان وجاوه وسيام وبورما ونيبال وخوتان (Khotan) والتبت واليابان تشهد آثار نماذجها الرائعة من النحت والتصوير والعمارة على التأثير الفنى للمذهب البوذى، وقد روى «تارانات» (Taranath) مؤرخ القرن السابع عشر أن البعثات الكهنوتية قد سافرت من الهند

وتوغلت بعيدا إلى هنا وهناك حاملة معها أحدث الرسوم المزخرفة التى ظهرت فى ذلك العصر ، والشعارات الزخرفية بمعبد «تانجكا» (Tangka) فى نيبال والتبت هى من غير شك من المخلفات الباقية لهذا الأسلوب القديم ، وفى عهد مبكر سافر كاهن هندى اسمه «كاشيا بمادونجا» (Kashipamadunga) فى سنة ٦٧ بعد الميلاد بدعوة من الامبراطور «مينج تى» (Ming Ti) الى الشرق الاقصى حاملا معه عددا من الأعمال الفنية بها بعض الصور ، وهناك من الشواهد ما يثبت أن عددا من هذه الصور قد استقر فى تلك البلاد وأعيد رسمه كلوحات على الحوائط . وهذه العملية قد نشرت خصائص الفن الهندى فى هذا العصر .

وقد تأثرت اليابان تأثرا كبيرا بهذه الحركة الى درجة أن رسوم عصر «نارا» (Nara) فى القرن السابع عشر توجد فيها المبالغة والفخامة الملموسة التى لا تخطئها العين ، ولكن فى حالات قليلة نستطيع أن نؤكد بثبات وتيقن أنها من إنتاج الفنانين الوطنيين ، وتذكرنا هذه الآثار الباقية بلوحات معبد أجانتا فى «ديللون» (Dillon) وأيضا فان اللوحة الشهيرة بمعبد «هوريوجى» (Horiuji) - والتى يقال بأنها رسمت فى تاريخ يقع فى أوائل القرن الثامن عشر - يقرر «بنيون» (Binyon) بشأنها أنها ذات طابع هندى أصيل يذكرنا بلوحات معبد أجانتا فى فخامتها وشخصياتها القوية البنيان ، وحتى فى عهد متأخر فى القرن الخامس عشر فانه من الممكن أن نجد صدى بعيدا لهذا التأثير ونتتبعه فى مدرسة «توسا» (Tosa) القديمة فى أعمال التصوير باليابان . وهذه المدرسة وصفت بانها تقليد تام لفن أصيل أتى من الهند عبر الصين مع الديانة البوذية ، ونتتبع فيها الخصائص الهندية المنقولة .

ولوحات مثل لوحة «ريشى أنجيرزا» (Rishi Angirza) مع زوجته و «فاسيشتا» (Vsaishta) التى توجد فى المخطوطات الهندية القديمة، ورساموت مثل «جرى نانكاى» (Gri Nankai) و «كومالشيرو يوهى» (Kumalshiro Yuhi) و «يوسا بسون» (Yosa Buson) و «تانى بنشو» (Tani Buncho) و «توسا هيروميتشى» (Tosa Hiromichi) من «مدرسة ساميوشى» (Samiyashi School)، ومهندسون معماريون ومثالون من عصر «التوكوجاوا أو اليبدو» (The Tokugau or Yedo Period) كل هذا تظهر فيه دلائل واضحة غير خفية على تغلغل تأثير الأساتذة الهنود الى أوسع مدى.

والقاعة الأولى من معبد أجانتا (٦٢٦-٦٢٨ م) تثير انتباها كبيرا لمماثلتها لبعض أعمال النحت البوذية التى نفذت فيما بعد فى عام ٨٥٠ م فى وسط جزيرة جاوة، ولهذا فانه من المعتقد بان بعض الأصول والقواعد الفنية قد نقلها المهاجرون الهنود، ثم بعد قرنين من الزمان صارت هذه الأصول والقواعد الفنية الهندية عملا فنيا رائعا هو النقوش البارزة فى «استوبا بوروبندر» (The Stupa Borobundur).

اما القاعة الثانية (من معبد أجانتا أيضا) فهناك طرازان على الأقل من الأعمال الفنية يلاحظ أنهما يختلفان عن سائر الأعمال الفنية الأخرى فى أية قاعة أخرى فى سائر المعابد، ولكن واحدا من هذين الطرازين قد قلد تماما وبدا واضحا فى الاطار العام لبعض الرسوم التى رسمت فى وقت معاصر لهذا العهد فى «خوتان» (Khotan) كما يتضح من استكشافات «لى كوك» (Le Coq) و «ستايين» (Stein) وفيها أيضا شبه كبير بكثير من الرسوم التبتية.

واللوحات الموجودة فى «سيجيريا» (Sigiriya) بسيلان، تلك التى رسمت فى عهد «كاسيايا الأول» (Kasyapa I) الذى دام من عام ٤٧٩ م الى ٤٩٧ م تعاصر القاعتين رقم ١٦ ورقم ١٧ من قاعات أجانتا (٥٠٠ م) وبعض المناظر فيها يشبه مثيلاتها السيلانية.

وبعد القرن الثالث الميلادى ذكر «تارا نات» (Tara Nath) ثلاث مذاهب أصلية فى فن الرسم البوذى، ثم تلا ذلك عدد من المذاهب أو الأساليب الفنية الفرعية التى ظهرت فيما بين القرن السادس والقرن العاشر الميلاديين فى نيپال وكشمير وبورما. وهذه المذاهب الفرعية قامت على وحى مباشر من إنتاج تلك المدارس الثلاثة الرئيسية. وبعض اللوحات على مداخل «السانشى» (The Sanchi) كانت هبة من صناع العاج فى «فيديسا» (Vidisa)، وعجائب النحت على الخشب التى يمكن العثور عليها الآن فى المدن النيپالية بـ «خاتماندو» (Khatmandu) و «پاتان» (Patan) و «بهاتجاوْن» (Bhatgaon) توضح توضيحا كاملا درجة التعبير الفنى الذى زاوله الصناع الشرقيون الذين نهجوا ـ لعدة قرون ـ على منوال القواعد والاصول الهندية القديمة.

ومدرسة «پالا» (Pala) فى البنغال قد صانت وحافظت على عدد من أحسن الملامح الفنية الموجودة فى أجانتا ونقلتها الى بورما ونيپال والتبت حيث اصطبغت فى كل موقع بصبغة محلية، وكذلك المدرسة النيبالية ـ التبتية قد عالجت المواضيع الفنية لآلهة وآلهات «المهايانا» (Mahyana) واستهدفت ـ عن وعى ـ المزاوجة بين فنها الخاص وفن أجانتا فى معالجة فنية.

ومن السجلات البوذية نعرف بأن «مهندرا» (Mehendra) قد غزا سيلان وأن «الملك تيشيا» (King Tishya) ملك سيلان قد أنشأ

علاقة طيبة مع الهند بعد أن اعتنق الديانة البوذية، ولذلك فنحن نرى نماذج رائعة للفن الهندى البوذى من أعمال النحت والعمارة فى أطلال «انورادهاپورا» (Anuradhapura) التى كانت فيما بعد وحيا للفنون الرئيسية والثانوية فى سيلان.

وبسبب الجامعات الشهيرة فى كل من «ناالندا» (Nalanda) و«تاكسيلا» (Taxilla) و«سارانات» (Saranath) تطور كل من الفن والفلسفة والادب وانتشروا فى سائر القارة الآسيوية. فالمثقفون من العلماء والفنانين فى الصين، واليابان، وكوريا، وسومطره، وجاوه، وبالى، قد أتوا كطلاب علم وسجلوا نتائج قدومهم الى هذه الجامعات عن جدارة، ومهما كان نوع المادة التى حملوها معهم فانها قد نضجت فى نفوسهم وتمثلتها تربتهم، وهذا هو ما نجده فى الفن الأندونيسى بسيام، وكمبوديا، وجاوه، وبالى، وسومطره، وكانت النتيجة أنا نرى فى الفن الأندونيسى وجاوه اثرا عظيما للمساهمة الهندية كما فى تمثال «بوروبندر» (Borobundur) وفى تماثيل معبد «الألف بوذا» وفى لوحات «هونان» (Honan) ببالى وكذلك فى «أنكورفات» (The Ankorvat) الذى هو بكل تأكيد أعظم أثر معمارى فى العالم، وبفحص معبد «شرى ديفى» (Sri Devi) فى كمبوديا نجد كثيرا من التماثيل ذات الأصل الهندى، وهى محفوظة فى المتحف الوطنى ببانجكوك. وهى تنقيح لأصل ينتسب لـ «ويزنافا» (Vaisnava)، وعلى الرغم من أن الدين الرسمى لـ «أخمير» (Khmer) كان العقيدة الهندوكية إلا أن البوذية التى تآلفت خاصة مع الهندوكية كان ينظر اليها بعين التسامح، والتأثير الهندى المبكر فى الفن هناك يمكن أن نتتبعه الى الوراء حتى القرن السابع، وبالتالى يمكننا أن نجد موجة إثر موجة من التأثير المباشر للثقافة الهندية.

* * * *

أما العلاقة الثقافية والروحية بين الهند وفارس فقد كانت مباشرة ووطيدة وظلت مستمرة دائمة بين الفينة والأخرى.

واللوحات الموجودة فى القاعتين الأولى والثانية من معبد أجانتا (٦٢٦ - ٦٢٨ م)- إذا استبعدنا منها صورة الملك الهندى «پولاكسين الثانى» (Pulakesin II) وهو يستقبل سفيرا للعاهل الفارسى «خسرو پرويز» (Khusru Parviz) فهناك أيضا عدد من الدلائل على الصلة بين الهند وفارس.

وفى عهد أباطرة المغول أيضا حافظ الفن الهندى على قواعده التقليدية العظيمة، ونحن نعرف أن فنان البلاط الشهير «بيشان داس» (Bishan Dass) قد عهد اليه الامبراطور «شاه عباس» ملك إيران بأن يرسم صورته. وكذلك قصائد الشاعر الفارسى «نظامى» قد صورها فنانون هنادكة. والمغول لم يساهموا فى فن الرسم فقط بل ساهموا فى فن العمارة بالهند أيضا، ويشهد بذلك الطراز المعمارى «الهندى العربى» (Indo-Saracenic) الذى يمثله تاج محل الذى ظل قائما حتى اليوم كواحد من أعظم الآثار المعمارية فى العالم.

وفى الفترة التى عاصرت نهاية القرن الثانى عشر وبداية القرن الثالث عشر تقريبا تمكنت الروح الهندية من أن تمتص نهائيا - فى المناطق الشمالية - مزيج الفنون الاسلامية والتركية والايرانية، ولقد كانت هذه الروح نفسها نتاجا مباشرا للمهاجرين من إيران وأواسط آسيا الذين استقروا فى الهند وتهندوا، ولقد اشتركت منذ البداية الأولى زخارف فنون الهند والزخارف الايرانية التركية فى نفس التراث الذى ورثناه عن

بدو آسيا الوسطى، كذلك استبدل الفن فى راجستان أصول وقواعد العصور الوسطى الهندية بأخرى حديثه هى الأصول الايرانية الاسلامية، وحينئذ فقط اكتشف أهل «راجپوتانا» فنهم الوطنى الخاص. وفى البداية - نتيجة للتطور - انبثق طراز هو مزيج من الطرازين الهندى والاسلامى فى «ججرات» و «البنغال»، ولكن جرت عملية تطور فى بعض جوانب طراز «ججرات» فأدى هذا الى طراز مستقل، وقد تبنى «أكبر» طرازا أبسط فى «راجپوتانا» و «جاهانجير»، ثم امتد هذا إلى الهند الوسطى حيث «السند» وهملايا «البنجاب». وبعد سقوط «فيجاياناجار» (Vijayanager) انتشرت من جديد ترجمة الفن الاسلامى الى الروح الهندية فى كل من «بيجاپور» و «كولكونده» و «بيدار» و «احمد ناجار». ولكن فى عهد «شاه جهان» (Shah Jehan) و«أورنجزيب» (Aurangzeb) حصلت نكسة تامة فى الأصقاع التى يسكنها بدو «الراجبوتانا» و «المارتاس» و «السيخ» حيث عاد العمل بأصول الفن الهندى الأصيل ولكن على قواعد اسلامية خفية تصعب ملاحظتها.

وتماثيل أشوكا ليست هندية خالصة ففيهم مسحة ظاهرة من فن فارس إبان حكم الأشامينين[1]، وهذه المسحة لاترجع فقط الى الطراز الذى ساد الامبراطورية الأشامينية فى أوج مجدها، ولكنها ترجع الى الفنانين الذى لجاوا فارين من ايران بعد أن غزاها الفن الهلليني إبان حكم المقدونيين، وهؤلاء الفنانون اللاجئين قد وجدوا ملاذا وأعمالا لهم فى بلاط «موريا» (Mourya)

---

(١) الأشامينيون اسرة حكمت فارس خلال المدة من عام (٥٥٠ الى ٣٣٠ قبل الميلاد) وكان رأس هذه الاسرة سيروس الاكبر.

ومن الطريف أن نستعيد الى الأذهان ذكرى ذلك التطور الفريد المدهش للفن الايرانى خصوصا على يد «بيهزاد» (Behzad) فالألوان الزاهية البديعة ، والروح الزخرفية السامية التى تمثل قفزات عظيمة فى السجل التاريخي للفن الآسيوى .

ولم يتردد الفنانون الهنود أبدا فى أن يتبنوا أى اتجاه اجنبى يمكن أن يزيد مدى التأثير لتصميماتهم الخاصة ، وبعض هذه الاتجاهات فى كل من «بهارهوت» (Bharhut) و «سانشى» (Sanchi) له ملامح فارسية وآشورية ، ومن الممكن أن يكون زمن تبنيه يرجع الى عهد «داريوس الأول» (Darius I) (٥٥٢ - ٤٨٦ قبل الميلاد) وهذه الاتجاهات هى التى شكلت جزءا فى العلاقات الهندية الفارسية .

* * * *

ولايمكن أن نفكر فى جاوه أو سيام أو الصين أو اليابان بدون أن نضع فى الاعتبار بالنسبة لكل منها الحياة الفنية والتجارب الحافلة ، وبدون أن نعتبر عقولها الخلاقة وروحها المتفتحة المدهشة التى تجلت فى الأدب والفن والطقوس الدينية التى وفدت الى هذه البلاد كنتيجة لاتصالها بالهند ، ولولا هذه الصلة الفريدة لكان من الممكن أن لايوجد بجاوة مسرحيات خيال الظل التى ابتدعتها عبقرية «وايانج» (Wayang) ولا الرقص التعبيرى الذى يحكى قصتى «ماهابهاراتا» (Mahabharata) و «رامايانا» (Ramayana) ، وكان من الممكن أيضا أن لايكون بسيام الدين البوذى ، وكان من الممكن كذلك أن لايكون بالصين فنها الوسيط الذى تعكسه البوذية ، وأخيرا كان من الممكن أن تكون اليابان بدون الروائع : «أميداء

(Amida) و «كوانون» (Kwanon) وبدون «أميتابهابوذا» (Amitabha Buddha) و «أفالوكيتسفار» (Avalokitsvara) .

وكذلك إذا استعرضنا الروائع الفنية الآتية وهى تلك الروائع التى تنتشر عبر الأمم والأصقاع الآسيوية . مثل : معبدى «أناندا» (Ananda) و «باجودا» (Pagoda) والمعابد البوذية الآخرى فى بورما ، و «باميان» (Bamyan) و «هادا» (Hadda) فى أفغانستان ، والروائع المعمارية البوذية فى سيام ، و «انجكور» (Angkor) والأطلال الأخرى فى كمبوديا و «شامبا» (Champa) ، و « دايبج » (Dieng) و « بوروبندور » (Borobondur) و «برامبانان» (Pranbnan) و «باناتاران» (Panataran) و المعابد الأخرى ومجموعة المعابد فى جاوه ومالى ، إذا استعرضنا هذه الروائع نجدها كلها أثارا خالدة لاعمال تمت فى ألفة وتعاون بين نفوس وأرواح أمم أسيوية مختلفة «قد كانت ثقافة مشتركة وحياة روحية مشتركة فى كومنولث مؤلف من شعوب حرة .

ومن جهة أخرى فهناك براهين تثبت أن فن الرسم والموسيقى والفنون الرفيعة الاخرى فى الهند قد أثرت فى الفن الحديث فى اوروبا وأمريكا ، فقد بدأوا هناك يلتمسون بصفة جوهرية المثالية فى كل فن من فنونهم أكثر مما ينتهجون الواقعية ، وإذا كان التأثير الرئيسى للهند فى أمريكا وأوروبا خلال القرن التاسع عشر قد جاء من جانب الفلسفة فانه فى القرن العشرين قد تصبب من خلال الفن .

وسيكون من الخطأ أن نعتبر الصلة الثقافية من جهة واحدة فى رحلة بلاعودة من الهند الى الخارج ، لان الهند بدورها أيضا قد استفادت

فائدة عظيمة، وكذلك الهند لها تراثها الخاص الذى استفادبه العالم، واليوم أكثر من اى وقت مضى يجب أن يعرف العالم عن آسيا ماهو أكثر، وهذا من واجبنا نحن سكان الهند، لانى أشعر بأن رسالة السلام وتهذيب النفس التى طالما صدرتها آسيا خلال فنونها وثقافتها يجب أن تكون معروفة للعالم كله - والآن - وبلا توان أو تأخير - لكى نحقق هذا كله فانى أضع موضع الاعتبار المقترحات الآتية.

١ ــ يجب أن تخصص صحف ومجلات للفن الشرقى.

٢ ــ انشاء متحف للفن الآسيوى.

٣ ــ طبع بطاقات البريد المصورة المتداولة.

٤ ــ إقامة معارض للفنون الاسيوية.

٥ ــ صيانة كنوزنا من روائع الفن الأسيوية المتناثرة فى أوروبا وأمريكا.

٦ ــ إعداد كتالوجات عن الفن الاسيوى لتوزع فى أقطار العالم.

٧ ــ تشجيع وانعاش الفن الريفى.

٨ ــ معارض دولية للملصقات الاسيوية.

٩ ــ معارض دولية بالتعاون مع منظمة اليونسكو.

١٠ ــ منح جوائز لابحاث الفنون والصناعات الشرقية.

١١ ــ انشاء مدارس وطنية للفن تتعاون مع المراكز الدولية للفنون.

أما التفاصيل العمرانية وغيرها عن الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية للهند يجب أن يعدها خبراء هنود، وبعض أنواع التقاويم

المتضمنة تسلسل الوقائع سيساعد الى حد كبير على فهم الحقائق، ليس فقط عن الهند القديمة ولكن أيضا عن علاقاتها مع الأمم الآسيوية الأخرى. ويجب أن لايغيب عن الأذهان أنه فى الأديرة التبتية ـ وليس فى أى مكان آخر ـ توجد أول مخطوطات عن الأدب الدينى الهندى، وبعض هذه المخطوطات يوجد فى الأديرة الصينية أيضا، وهذه يجب أن تترجم وتنشر، ومثل هذه الجهود ستثمر عن نتائج باهرة.

ويجب على حكومة الهند أن ترسل الشبان من المهندسين المعماريين الهنود الى أقطار مثل سيام والصين وكمبوديا ليتعلموا فن المعمار الحقيقى النقى: وكذلك يجب على مشاهير المهندسين المعماريين من هذه الأقطار أن يزوروا الهند بين الفينة والأخرى. وقد نبغ اليابانيون والبورميون والسياميون والجاويون فى صناعة الخشب حفره وطلائه وينبغى لطلابنا أن يزوروا هذه البلاد ليتعلموا أهم «اسرار المهنة» كما أن الصينيين قد مهروا فى قطع الخشب وحفره حتى أن ذلك يعد من مواهبهم التى تفردوا بها وتفوقوا فيها، وعلى الرغم من أنهم قد استوردوا هذا الفن من اواسط آسيا وبورما ولكنهم يستطيعون أن يطلعوا أشقاءهم الهنود على هذا الفن ذى الروائع العظيمة، وتستطيع كل من جاوه واليابان أن تعلم الهند زميلتهما وشقيقتهما فى التطور الثقافى ـ فن طباعة الأقمشة، وبهذه الطرق وغيرها تنمحى الاختلافات السطحية وسيكون هناك تطور لخير الجميع.

وإذ كانت الهند ـ فى الأزمنة القديمة والوسطى ـ محور الثقافة الآسيوية فان لها فى العهد الحاضر دورا أكبر يجب أن تضطلع به. وهو مساهمة أغزر وأعظم من أجل نفع العالم أجمع. فالفن الآسيوى فريد فى نوعه

فقد ظل تعبيرا عن التراث الثقافى ، ولم يكن ظاهرة استثنائية ، بل ظل يتبع نفس الايقاع الذى صاحب جميع عمليات الخلق المألوفة فى كل المدنيات البشرية العظيمة . . وهذا الايقاع هو نفس الايقاع الذى سارت على دقاته مدنيات العالم أجمع . . ولهذا فهو إيقاع عالمى . . وقد سمى الصينيون هذا الايقاع بـ «تاو» (Tao) ويسميه الهنود بـ «الدهارما» (The Dharma) أى الحقيقة . .

والتعبير عن الذات بنبل وبشرف هو الوسيلة الوحيدة للوصول الى التناسق السماوى . وعمليات خلق هذا «التعبيرعن الذات» (self-expression) يجب أن تتطور فى نطاق الافراد والطبقات والأمم بل وفى نطاق المدنية كلها مثل صندوق الرسام المثلث المرايا كلما نظرنا فى عدسته رأينا أشكالا متعددة لجمال الخير والبركة السماوية .

سد ريهاند

يعتبر سد ريهاند الذى قد اكتمل الآن، أهم سدود ولاية اترابراديش. ويمتاز هذا السد بعدة مزايا تميزها عن السدود الأخرى. أولا، أنه يشتمل على أكبر خزان للمياه فى آسيا. ثانيا، استعمل فى بناء هذا السد الاسمنت المسلح الذى تزيد كميته على مجموع حجم اهرام مصر السبعة. ثالثا، طول طرق الكابلات، وطرق الحبائل التى تصل بين السد ومناجم الحجر هى اطول طرق فى العالم، وعلاوة على ذلك، شيد جسر مصنوع من الاسمنت المسلح على نهر سون فى چوبن ويعتبر هذا الجسر اكبر جسر مبنى بالاسمنت المسلح فى آسيا.

اكتمل مشروع سد ريهاند قبل الموعد المحدد ولكن المراحل الشاقة التى مر بها المشروع فى طريق انجازه، هى فى حد ذاتها تميز المشروع عن المشاريع التى لم تواجه مثل هذه الصعاب. وترجع قصة بداية هذا المشروع الى عام ٣٧-١٩٣٦ عند ما أعد المستر دائل أحد مهندسى الهند خطة لانشاء هذا السد. ولكن المشروع ظل رهين الخطة المرسومة بسبب نشوب حرب عالمية ثانية. وبذل المستر دائل مجهوداته من جديد لاحياء هذه الفكرة، فبفضل مساعيه أعيد النظر فيها فى عام ١٩٤٣ ولكن المشروع لم يخرج من حيز الفكر إلى حيز الوجود إلا فى عام ١٩٥٢. بعد أن بدأ العمل فى انجاز الخطة الخمسية الاولى، وواجه المشروع صعوبات مالية بسبب العملة الاجنبية فى البداية ولم يخرج من المرحلة البدائية الا بعد ان حصلت الهند على مساعدة بعثة التعاون الفنى.

بحيرة ريهاند

ويبلغ طول بحيرة ريهاند حوالى ١٨٠ ميلا يقع منها ٨٥ ألف فدان فى اترابراديش، اما الاجزاء الأخرى التابعة لهذه البحيرة فتقع فى ولاية مدهيابراديش، وقد سمت الهند هذا المشروع باسم الباندیت گووند بلبهم بنت؛ وتحيط به من ثلاثة جوانب صخور الجبال المتطاولة وعلى الجانب الرابع فى بحيرة گوند. هذا سد يبلغ طوله ٣٠٦٤ قدما وارتفاعه ٣٠٦ قدما، ويبلغ عرضه من القعر ٢٢٥ قدما وبالناحية الفوقانية ٢٤ قدما. واستعمل فى بناء هذا السد ثلاثمائة وخمسين الف طن من الاسمنت المسلح، ووزع على ستين قسما وبنى ثلاثة عشر مخرجا لاستخراج الماء الفائض.

وتقع محطة القوى الكهربائية لسد ريهاند فى مصب المياه الاوسط بين القسم السابع والعشرين والثالث والثلاثين. وعند ما تطلق المياه من الخزان ترتفع بعد اصطدامها الى ٨٠ قدما.

ومن اهم مزايا هذا السد انه يشتمل على اربعة نفقات للقيام ببحوث وفحص وتنظيف مختلف اقسام السد. وقد بنيت هذه النفقات على مختلف مرتفعات السد وتبلغ أطوالها ٤٥٠ و٦٠٠ و٦٥٠ و٣٠٦٠ قدما. ويوجد بجانب النفق الاطول ماء يبلغ ارتفاعه ٣٠٠ قدما، وعند ما يمر المرء بالقرب من الماء يشعر بموجة من السرور والدهشة معا.

وقد حولت هذه المنطقة التى كانت تحيط بها غابات كثيفة. الى منطقة مسكونة عامرة فيها كل شئ يحتاج اليه الانسان، من المعامل، والنوادى، والممرات المعبدة والمنازل ودور الضيافة، وتوجد فى وسط بحيرة السد جزر صغيرة جميلة يمكن تحويلها الى مراكز النزهة. وتمتاز هذه المناطق بكثرة الطيور والسمك وتتوفر فى الغابات المجاورة تسهيلات الصيد.

توليد القوى الكهربائية

يمكن توليد مائتين وخمسين الف كيلوواط من القوى الكهربائية في محطة القوى الكهربائية التابعة لسد ريهاند، وقد نصبت في هذه المحطة خمس مولدات تبلغ مقدرة كل منها ٥٠ الف كيلوواط من القوى الكهربائية ويتوقع ان هذه المحطة ستخدم المناطق الشرقية في ولاية اترابراديش خدمة جليلة في رفع مستوى المعيشة فيها وازدهارها من الناحيتين الزراعية والاقتصادية، وكانت هذه المناطق حتى الآن تعانى من قلة القوى الكهربائية والمصادر الاقتصادية. وتبلغ مساحة المناطق الشرقية من الولاية ٣٢ الف ميل مربع وعدد سكانها يبلغ ثلاثين مليون نسمة. وقد كانت الحكومة المركزية وحكومة الولاية تواجه مشكلة اعمار هذه المنطقة فلم تكن تتوفر في هذه المنطقة وسائل الرقى والنهضة، وبانشاء هذه المحطة يمكن تزويد مصنع جرك للاسمنت، ومصنع الالومنيم، ومصنع الصودا في وارانسى ومصنع العربات، بالقوى الكهربائية التى تولد فى هذه المحطة، كما ان السكك الحديدية تتلقى القوى الكهربائية للقطارات الكهربائية التى تجرى بين مغل سرائى وبتنه

النهضة الصناعية

فتحت مجالات واسعة جديدة للنهضة الصناعية بعد اكتمال سد ريهاند. كما يتوقع ان منجم الفحم في سنگرولى سيساعد ايضا في سبيل انهاض المنطقة صناعيا واقتصاديا. وبالاضافة الى ذلك تتخذ اجراءات لتوليد القوى الكهربائية اضافيا في محطة اوبر، وبذلك يرتفع توليد القوى الكهربائية في لواء مرزاپور الى حوالى ستمائة الف كيلوواط ويهدف المشروع

الثالث الى رفع مقدار توليد القوى الكهربائية فى الولاية الى حوالى ثمانمائة وخمسين الف كيلواط وسيجرى توليد ما بين خمسمائة الف وستمائة الف كيلوواط من القوى الكهربائية فى منطقة ريهاند.

الموارد المعدنية

توجد ذخائر واسعة للفحم والكورندم، والتراب الجيد، والسلمنيات ومعادن اخرى فى المناطق الجنوبية من ولاية اترابراديش مثل جهانسى، وباندہ، وهميرپور، ومرزاپور. ويتوقع ان احصاءات معدنية ستسفر عن وجود كميات كبيرة تحت الأرض من المعادن. والواقع ان توفير القوى الكهربائية، والفحم، والمعادن، والوسائل الزراعية، وموارد الغابات، ترمز إلى نهضة ينتظر ان تتحقق فى القريب العاجل فى مناطق جنوب شرق الولاية.

المواصلات

تنتشر مناجم سنگروبى للفحم فى منطقة تبلغ مساحتها حوالى ٢٣٣٠ ميل مربع وقد بدأ عمل مصنع خطوط السكة الحديد بين جرن وكبرها روڈ. وستكون السكة الحديد فى هذه المنطقة حافزا رئيسيا لنهضة المنطقة الصناعية. وباكتمال هذا المشروع تزول صعوبات النقل والمواصلات فى المنطقة وتتصل مباشرة بكلكتا وبالثانى تتخفف زحمة المواصلات الحالية فى محطة مغل سرائى.

وتشتمل المنطقة، على كميات هائلة من الفحم والكورندم، والسلمنايت والجص والفحم وعند ما تتوفر هذه التسهيلات يمكن استخراج هذه المعادن التى تحرك عجلة النهضة الصناعية.

المصانع الثقيلة

يتوقع انه سيبدأ اكبر مصنع للالومنيم الذى من المقرر ان ينتج مائتى الف طن من الالومنيم سنويا، فى الانتاج. وهناك امكانيات قوية لرفع مقدرة انتاج المصنع الى خمسين الف طن سنويا.

وقبل هذا المشروع افتتح مصنع للاسمنت فى جرن، وكان الغرض من انشاءه تزويد مشروع سد ريهاند بالاسمنت. وبعد انجاز المشروع رفعت مقدرة المصنع الى ضعف مقدرته السابقة كما اتخذت اجراءات اخرى لتوسيع المصنع.

وبفضل هذه الوسائل الصناعية التى تتوفر الآن فى المنطقة والمساعدات السخية التى تسديها الحكومة فى اجل رفع مستوى المعيشة ونهضة المنطقة الصناعية والاقتصادية، يرجى ان المنطقة التى تحيط بسد ريهاند ستزدهر بسرعة فائقة وتتوفر فيها جميع وسائل النهضة والرفاهية والرخاء.

مأخوذ من مجلة «نيادور» التى تصدر عن
مركز الاستعلامات بولاية اترا براديش

الهند كما وصفها القزوينى

السيد محمود حسن قيصر الامروهوى

تعد الهند من الممالك التى لها قدم راسخ فى الثقافة والحضارة، كما اعترف لها بالحكمة واقر لها بالتبرز فى فنون المعارف فى القرون الخالية. وكان أهلها فى جميع العصور معدن الحكمة ومنبع الفلسفة وكان لهم يد طولى فى الطب والنجوم والحساب والالهيات.

لاشك ان علماء التاريخ فى العرب ورحالهم كانوا ينظرون إليهم نظرة اعجاب وتقدير وجاسوا الديار للمعلومات التجارية والخوض فى عوائد الامم وسياستها ومعارفها فما وسعهم أن يغضوا النظر عن الهند أرض العجائب والنوادر، أرض الحكمة والفلسفة، تجولوا فى أنحائها وشغفوا بها أى شغف، وقيدوا ما شاهدوا وعثروا من المعلومات فى العقائد والنظام والتاريخ والجغرافيا والفلسفة والنجوم والحساب ونظام الترقيم فنقلوا عنها إلى العرب كنوزاً وكشفوا كثيراً من المسائل وعرفوا كثيرا من المناطق التى لا تتحدث عنها المصادر الهندية، فهم من هذه الناحية جديرون بالشكر والاكبار.

فى ايامنا هذا نشرت دار المصنفين فى اعظم كره بالهند كتاباً فى اللغة الاردوية، «هندوستان عربوں كى نظر ميں» (الهند عند العرب) جمعت فيه اقتباسات لرحال العرب ومؤرخيهم وادبائهم عن الهند من المصادر شتى. المؤلف لم يأل جهدا فى جمع ما وصلت إليه يده ولكنه بقى شئ كثير عن الهند فى بعض الكتب التاريخية لم يتمكن المولف من العثور عليه.

فهذه الشذرات هى تكملة لهذا الكتاب وهى مساهمة متواضعة فى وصف الهندية قد اقتبستها من كتاب «آثار البلاد واخبار العباد» لزكريا بن محمد بن محمود القزوينى سنة ٦٠٥-٦٨٣ ﻫ (١٢٠٣-١٢٨٣ م) فان له شخصية بارزة. فى العلوم ينتهى نسبه إلى فقيه المدينة مالك بن أنس، ولد فى القزوين فانتسب إليه وسافر فى ريعان شبابه من قزوين إلى دمشق فسطع نجمه، ولى قضاء الواسط والحلة فى عهد المستعصم العباسى ويعد من أئمة الفن فى التاريخ والجغرافيا وكتابه عجائب البلدان كتاب طريف، له قيمة كبيرة فى هذا الموضوع، فقد اودع فيه العلوم الطبيعية والسياسية والتاريخية والادبية، وجل تصانيفه من الجغرافيا واحوال الكون وكتابه «آثار البلاد» لا يقل قيمة من كتابه (عجائب المخلوقات) كما قال هو نفسه فى مقدمة الكتاب:

> «إنى جمعت فى هذا الكتاب ما وقع لى وعرفته وسمعت به وشاهدته من لطائف صنع الله تعالى وعجائب حكمته المودعة فى بلاده وعباده».

فقد ذكر فى أول الكتاب عن الحاجة الماسة إلى تعمير المدن والقرى وكتب بعده ما اطلع عليه من احوال مدن العرب والفرس والروم وتاريخ بنائها يذكر المؤرخ وفى هذه الابحاث ما يتعلق عن جغرافيا البلاد من حيث المناخ والطبيعة.

واما ما كتب عن الهند فان بعضها من نوادر هذا الكتاب لاتوجد فى المصادر الاخرى فقد نقل عن مسعر بن مهلهل روايات لم نجدها إلى الآن فى مصدر آخر وقد نسب إليه كتاب (عجائب البلدان) ولكننا لم نجد ذكره فى كتب المراجع.

جزيرة الرامنى

فى بحر الصين؛ قال محمد بن زكرياء الرازى : بها ناس عراة لا يفهم كلامهم لأنه مثل الصفير، طول أحدهم أربعة أشبار، شعورهم زغب أحمر، يتسلقون على الأشجار وبها الكركدن وجواميس لا أذناب لها، وبها من الجواهر والأفاويه ما لا يحصى، وبها شجر الكافور والخيزران والبقم وعروق هذا - البقم دواء من سم الافاعى، وحمله شبه الخرنوب وطعمه طعم العلقم. .

قال ابن الفقيه : بها ناس عراة رجال ونساء على أبدانهم شعور تغطى سوآتهم، وهم أمة لا يحصى عددها، ماكولهم ثمار الأشجار، واذا اجتاز بهم شئ من المراكب يأتونه بالسباحة مثل هبوب الريح، وفى أفواههم عنبر يبيعونه بالحديد. (ص ٢٩-٣٠)

سرنديب

جزيرة فى بحر هركند بأقصى بلاد الصين؛ قال محمد بن زكرياء. «هى ثمانون فرسخا فى ثمانين فرسخا» لها ثلاثة ملوك كل واحد عاص على الآخر. ومن عاداتهم أن يأخذوا من الجانى سبعة دراهم على جنايته، والمديون إذا تقاعد عن اداء الدين بعث الملك إليه من يخط حوله خطا أى مكان وجده، فلا يجسر أن يخرج من الخط حتى يقضى الدين أو يحصل رضاء الغريم. فان خرج من الخط بغير إذن، أخذ الملك منه ثلاثة أضعاف الدين، ويسلم ثلثه إلى المستحق ويأخذ الملك ثلثيه.

وإذا مات الملك يجعل فى صندوق من العود والصندل ويحرق بالنار، وترافقه زوجته حتى يحترقا معاً.

وبها أنواع العطر والأفاويه والعود والنارجيل ودابة المسك، وأنواع اليواقيت ومعادن الذهب والفضة ومغاص اللؤلؤ.

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: خير بقعة ضربت إليها آباط الابل مكة ومسجدى هذا والمسجد الاقصى، وجزيرة سرنديب فيها نزل أبونا آدم عليه السلام، بها جبل أهبط عليه آدم عليه السلام، وهو ذاهب فى السماء، يراه البحريون من مسافة أيام وفيه أثر قدم آدم عليه السلام، وهى قدم واحدة مغموسة فى الحجر. ويرى على هذا الجبل كل ليلة مثل البرق من غير سحاب وغيم ولابد له كل يوم من مطر يغسل موضع قدم آدم عليه السلام.

ويقال إن الياقوت الأحمر يوجد على هذه الجبال يحدره السيل منها إلى الحضيض وقطاع الماس ايضاً والبلور. قالوا: أكثر أهل سرنديب مجوس وبها مسلمون ايضاً، ودوابها فى غاية الحسن لا تشبه دوابنا إلا بالنوع، وبها كبش له عشرة قرون.

منها الشيخ الظريف سديد الدين السرنديبى، ورد قزوين وأهل قزوين تبركوا به. وكان قاضى قزوين يدخل مع الولاة فى الأمور الديوانية والعوام يكرهون ذلك، فربما عملوا غوغاة ونهبوا دار القاضى وخربوها، فلما سكن السرنديبى قزوين وتبرك القوم به، كلما كرهوا من القاضى شيئا ذهبوا إلى السرنديبى وقالوا: قم ساعدنا على القاضى! فاذا خرج السرنديبى تبعه ألوف، فالقاضى لقى من السرنديبى التباريح.

فطلبه ذات يوم، فلما دخل عليه تحرك له وانبسط معه وسأله عن حاله ثم قال: إنى أرى فى هذه المدينة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

متروكا، ولست أرى من لايأخذه فى الله لومة لائم غيرك. وأخرج من داره قميصاً غسل مراراً وعمامة عتيقة، وأركبه على دابة وغلمان الاحتساب فى خدمته، وكل من سمع بهذا استحسن وصار السرنديبى محتسباً.

فاذا فى بعض الأيام جاء شخص إلى السرنديبى وقال: فى موضع كذا جماعة يشربون فقام بأصحابه وذهب إليهم فأراق خمورهم وكسر ملاهيهم. وكان القوم صبيانا جهالا قاموا إليه وضربوه وضربوا أصحابه ضرباً وجيعاً، فجاء السرنديبى إلى القاضى وعرفه ذلك، فالقاضى غضب وحواق وقال: ابصروا من كانوا أولئك، فقالوا: مانعرف منهم أحداً.

ثم بعد أيام قالوا للسرنديبى: فى بستان كذا جماعة يشربون، فذهب إليهم بأصحابه وأراق خمورهم وكسر ملاهيهم، فقاموا وقتلوا أصحاب السرنديبى وجرحوه، فعاد السرنديبى إلى بيته وأخذ القميص والعمامة وذهب إلى القاضى وقال: اخلع هذا على غيرى فانى لست أهلا لذلك، فقال القاضى: لاتفعل يا سديد الدين ولاتمنع الثواب! فقال له: دع هذا الكلام، أنت غرضك إنى أقتل وأجرح على يد غيرك، وإنى قد عرفت المقصود ولا أنخدع بعد ذلك. (ص ٤٢-٤٤)

كله
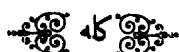
بلدة بأرض الهند فى منتصف الطريق بين عمان والصين، موقعها فى المعمورة فى وسط خط الاستواء، وإذا كان منتصف النهار لايبقى لشئ من الأشخاص ظل البتة. (ص ٥٩)

ارام

مدينة بأرض الهند، فيها هيكل فيه صنم مضطجم، يسمع منه فى بعض الاوقات صفير فيرى قائماً. فاذا فعل ذلك كان دليلا على الرخص والخصب فى تلك السنة، وإن لم يفعل يدل على الجدب، والناس يمتارون من المواضع البعيدة، ذكره صاحب تحفة الغرائب. (ص ٧٧)

جاجلى

مدينة بأرض الهند حصينة جداً، على رأس جبل مشرف نصفها على البحر ونصفها على البر. قالوا: ما امتنع على الاسكندر من بلاد الهند إلا هذه المدينة.

قال مسعر بن مهلهل: أهل هذه المدينة كلها من الكواكب، يعظمون قلب الأسد، ولهم بيت رصد وحساب ومعرفة بعلم النجوم. وعمل الوهم فى طباعهم إذا ارادوا حدوث حادث صرفوا همتهم إليه، وما زالوا به حتى حدث.

حكى إن بعض ملوكهم بعث إلى بعض الاكاسرة هدايا فيها صندوقان مقفلان، فلما فتحوهما كان فى كل صندوق رجل، قيل: من أنتما؟ قالا: نحن إذا أردنا شيئا صرفنا همتنا إليه فيكون. فاستنكروا ذلك، فقالا: اذا كان للملك عدو لايندفع بالسيف فنحن نصرف همتنا إليه فيموت! فقالوا لهما: إصرفا همتكما إلى موتكما. قالا: اغلقوا علينا الباب. فأغلقوا ثم عادوا اليهما فوجدوهما ميتين، فندموا على ذلك وعلموا ان قولهما صحيح.

وبهذه المدينة شجرة الدارصيني وهى شجر حر لا مالك له.

وأهل هذه المدينة لايذبحون الحيوان ولا يأكلون السمك وما كولهم البر والبيض . (ص ٨٠-٨١)

جزيرة جابه

جزيرة في بحر الهند، فيها قوم شقر وجوههم على صدورهم . وبها جبل عليه نار عظيمة بالليل ودخان عظيم بالنهار، ولايقدر أحد على الدنو منه، وبها العود والنارجيل والموز وقصب السكر. (ص ٨٢)

جزيرة السلامط

جزيرة في بحر الهند، يجلب منها الصندل والسنبل والكافور . وبها مدن وقرى وزروع وثمار، وفي بحرها سمكة إذا أدركت ثمار أشجار هذه الجزيرة تصعد السمكة اشجارها وتمص ثمارها ثم تسقط كالسكران، فيأتي الناس يأخذونها .

وحكى صاحب تحفة الغرائب : ان بهذه الجزيرة عينا فوارة يفور الماء منها وينزل في ثقبة بقربها، فما يبقى من الرشاشات على اطرافها ينعقد حجرا صلداً، فما كان من الرشاشات في اليوم يصير حجرا أبيض وما كان في الليل يصير حجرا اسود . (ص ٨٣)

السند

ناحية بين الهند وكرمان وسجستان؛ قالوا : السند والهند كانا أخوين من ولد بوقير بن يقطن بن حام بن نوح عليه السلام .

بها بيت الذهب؛ قال مسعر بن مهلهل : مشيت إلى بيت الذهب المشهور بها فاذا هو من ذهب في صحراء، يكون أربعة فراسخ لايقع عليها ثلج ويثلج ما حولها، وفي هذا البيت ترصد الكواكب، وهو بيت تعظمه

الهند والمجوس، وهذه الصحراء تعرف بصحراء زردشت نبى المجوس، ويقول اهل تلك الناحية: متى يخرج منه إنسان يطلب دولة لم يغلب ولا يهزم له عسكر حيث أراد. وحكى إن الاسكندر لما فتح تلك البلاد ودخل هذا البيت أعجبه، فكتب إلى ارسطاطاليس وأطنب فى وصف قبة هذا البيت فأجابه ارسطو: إنى رأيتك تتعجب من قبة عملها الآدميون، وتدع التعجب من هذه القبة المرفوعة فوقك، وما زينت به من الكواكب وانوار الليل والنهار.

وسأل عثمان بن عفان عبدالله بن عامر عن السند فقال: ماؤها وشل، وتمرها دقل، ولصها بطل! إن قل الجيش بها ضاعوا وإن كثروا جاعوا! فترك عثمان غزوها.

وبها نهر مهران، وهو نهر عرضه كعرض دجلة أو أكثر يقبل من المشرق آخذاً إلى الجنوب متوجهاً نحو المغرب، ويقع فى بحر فارس أسفل السند، قال الاصطخرى: نهر مهران يخرج من ظهر جبل يخرج منه بعض أنهار جيحون، ثم يظهر بناحية ملتان على حد سمندور، ثم على المنصورة ثم يقع فى البحر شرقى الديبل، وهو نهر كبير عذب جداً وان فيه تماسيح كما فى نيل مصر، وقيل: ان تماسيح نهر السند أصغر حجما وأقل فسادا. وجرى نهر السند كجرى نهر النيل، يرتفع على وجه الأرض ثم ينصب، فيزرع عليه كما يزرع بأرض مصر على النيل.

(ص ٩٤-٩٥)

سومناة

بلدة مشهورة من بلاد الهند على ساحل البحر بحيث تغلب أمواجه. كان من عجائبها هيكل فيه صنم اسمه سومناة، وكان الصنم واقفاً

فى وسط هذا البيت لابقائمة من أسفله تدعمه ، ولابعلاقة من أعلاه تمسكه ، وكان أمر هذا الصنم عظيما عند الهند ، من رآه واقفاً فى الهواء تعجب ، مسلماً كان او كافراً ، وكانت الهند يحجون إليه كل ليلة خسوف ، ويجتمع عنده ما يزيد على مأئة الف انسان ، وتزعم الهند ان الأرواح إذا فارقت الاجساد اجتمعت إليه وهو ينشئها فى من شاء ، كما هو مذهب أهل التناسخ ، وان المد الجزر عبادة البحر له . وكانوا يحملون إليه من الهدايا كل شئ نفيس ، وكان له من الوقوف ما يزيد على عشرة آلاف قرية .

ولهم نهر يعظمونه ، بينه وبين سومناة مائتا فرسخ ، يحمل ماؤها إلى سومناة كل يوم ويغسل به البيت ، وكانت سدنته الف رجل من البراهمة لعبادته وخدمة الوفود ، وخمسمأئة أمة يغنين ويرقصن على باب الصنم ، وكل هولاء كانت أرزاقهم من أوقاف الصنم ، واما البيت فكان مبنياً على ست وخمسين سارية من الساج المصفح بالرصاص ، وكانت قبة الصنم مظلمة وضوءها كان من قناديل الجوهر الفائق ، وعنده سلسلة ذهب وزنها مائة من ، كلما مضت طائفة من الليل حركت السلسلة فتصوت الأجراس فتقوم طائفة من البراهمة للعبادة .

حكى ان السلطان يمين الدولة ، محمود بن سبكتكين ، لما غزا بلاد الهند سعى سعيا بليغا فى فتح سومناة وتخريبها ، طمعا بدخول الهند فى الاسلام ، فوصل إليها منتصف ذى القعدة سنة ست عشرة وأربعمائة ، فقاتل الهنود عليها أشد القتال ، وكان الهند يدخلون على سومناة ويبكون ويتضرعون ، ثم يخرجون إلى القتال فقوتلوا حتى استوعبهم الفناء ، وزاد عدد القتلى على خمسين الفا ، فرأى السلطان ذلك الصنم وأعجبه أمره وأمر بنهب سلبه وأخذ خزائنه فوجدوا اصناماً كثيرة من الذهب والفضة وستورا

مرصعة بالجواهر، كل واحد منها بعث عظيم من عظماء الهند. وكانت قيمته ما فى بيوت الأصنام أكثر من عشرين الف دينار.

ثم قال السلطان لأصحابه: ماذا تقولون فى أمر هذا الصنم ووقوفه فى الهواء بلا عماد وعلاقة؟ فقال بعضهم: إنه علق بعلاقة وأخفيت العلاقة عن النظر، فأمر السلطان شخصاً أن يذهب إليه برمح ويدور به حول الصنم وأعلاه وأسفله، ففعل وما منع الرمح شئ. وقال بعض الحاضرين: إنى اظن ان القبة من حجر المغناطيس، والصنم من الحديد، والصانع بالغ فى تدقيق صنعته، وراعى تكافؤ قوة المغناطيس من الجوانب، بحيث لاتزيد قوة جانب على الجانب الآخر، فوقف الصنم فى الوسط، فوافقه قوم وخالفه آخرون. فقال للسلطان: ائذن لى برفع حجرين من رأس القبة ليظهر ذلك، فاذن له فلما رفع حجرين اعوج الصنم ومال إلى أحد الجوانب، فلم يزل يرفع الأحجار والصنم ينزل حتى وقع على الأرض.

(ص ٩٥-٩٧)

صنف

موضع بالهند او الصين ينسب إليه العود الصنفى، وهو أردأ أصناف العود، ليس بينه وبين الحطب إلا فرق يسير. (ص ٩٧)

صيمور

مدينة بأرض الهند قريبة بناحية السند لاهلها حظ وافر فى الجمال والملاحة لكونهم متولدين من الترك والهند، وهم مسلمون ونصارى ويهود ومجوس ويخرج إليها تجارات الترك وينسب إليها العود الصيمورى.

بها بيت الصيمور ، وهو هيكل على رأس عقبة عظيمة عندهم ، ولها سدنة وفيها أصنام من الفيروزج والبيجاذق يعظمونها . وفى المدينة مساجد وبيع وكنائس وبيت النار ، وكفارها لايذبحون الحيوان ولايأكلون اللحم ولا السمك ولا البيض ، وفيهم من يأكل المتردية والنطيحة دون مامات حتف أنفه اخبر بذلك كله مسعر بن مهلهل ، صاحب عجائب البلدان ، وانه كان سياحاً دار البلاد وأخبر بعجائبها . (ص ٩٧)

طيفند

قلعة فى بلاد الهند منيعة ، على قلة جبل ليس لها إلا مصعد واحد ، وعلى رأس الجبل مياه ومزارع وما احتاجوا إليه ، غزاها يمين الدولة محمود بن سبكتكين سنة أربع عشرة وأربعمائة ، وحاصرها زمانا وضيق على أهلها ، وكان عليها خمسمائة فيل فطلبوا الامان فآمنهم ، وأقر صاحبها فيها على خراج ، فأهدى صاحب القلعة إلى السلطان هدايا كثيرة ، منها طائر على هيئة القمرى ، خاصته إذا حضر الطعام وفيه سم دمعت عيناه وجرى منهما ماء وتحجر فاذا تحجر سحق وجعل على الجراحات الواسعة ألحمها ، وهذا الطائر لايوجد إلا فى ذلك الموضع ولايتفرج إلا فيه .

(ص ١٠١)

فيصور

بلاد بأرض الهند يجلب منها الكافور الفيصورى وهو أحسن انواعه وذكروا ان الكافور يكثر فى سنة فيها رعود وبروق ورجف وزلازل ، وان قل ذلك كان نقصا فى وجوده . (ص ١٠٣)

قزدار

ناحية بأرض الهند قال أبوالحسن المتكلم: كنت مجتازا بناحية قزدار، فدخلت قرية من قراه فرأيت شيخاً خياطاً فى مسجد فأودعت ثيابى عنده ومضيت. ثم رجعت من الغد فرأيت باب المسجد مفتوحا والرزمة يشدها فى المحراب، فقلت ما أجهل هذا الخياط! فجلست أفتحها وأرى شيئا فشيئا إذ دخل الخياط، فقلت له: كيف تركت ثيابى ههنا؟ فقال: افتقدت منها شيئا؟ قلت: لا. قال: فما سوالك؟ فأقبلت أخاصمه وهو يضحك. قال: أنتم نشأتم فى بلاد الظلم، وتعودتم أخلاق الأراذل التى توجب السرقة والخيانة وانها لاتعرف ههنا، ولو بقيت ثيابك فى المحراب حتى بليت ما مسها أحد! وإذا وجدنا شيئا من ذلك فى مدد متطاولة نعلم أنه كان من غريب اجتاز بنا، فنركب خلفه ولايفوتنا، فندركه ونقتله. فسألت عن غيره سيرة أهل البلد فقال كما ذكره الخياط. وكانوا لايغلقون الأبواب بالليل، وما كان لأكثرهم أبواب بل شئ يرد الوحش والكلاب.

(ص ١٠٤)

قشمير

ناحية بأرض الهند متأخمة لقوم من الترك، فاختلط نسل الهند بالترك فأهلها أكثر الناس ملاحة وحسنا. ويضرب بحسن نسائهم المثل لهن قامات تامة وصور مستوية وملاحة كثيرة وشعور طوال غلاظ، وهذه الناحية تحتوى على نحو ستين ألفا من المدن والضياع، ولا سبيل إليها إلا من جهة واحدة، ويغلق على جميعها باب واحد.

وحواليها جبال شوامخ لاسبيل للوحش أن يتسلق إليها فضلا عن الانس. وفيها اودية وعرة وأشجار ورياض وأنهار.

قال مسعر بن مهلهل : شاهدتها وهي في غاية المنعة . ولاهلها أعياد في رؤوس الأهلة وفي نزول النيرين شرقهما . ولهم رصد كبير في بيت معمول من الحديد الصيني ، لا يعمل فيه الزمان ، ويعظمون الثريا ولا يذبحون الحيوان ولا يأكلون البيض . (ص ١٠٤-١٠٥)

قمار

مدينة مشهورة بأرض الهند . قال ابن الفقيه : أهلها على خلاف سائر الهنود ولا يبيحون الزنا ويحرمون الخمر ، وملكها يعاقبهم على شرب الخمر ، فيحمى الحديدة بالنار وتوضع على بدن الشارب ولاتترك إلى ان تبرد ، فربما يقضى إلى التلف ! وينسب اليها العود القماري وهو أحسن انواع العود . (ص ١٠٥)

كابا

مدينة بأرض الهند ؛ قال في تحفة الغرائب : بها عمود من الناس وعلى رأس العمود تمثال بطة من الناس ، وبين يدى العمود عين . فاذا كان يوم عاشوراء في كل سنة ينشر البط جناحيه ويدخل منقاره العين ويعب ماءها فيخرج من العمود ماء كثير يكفى لأهل المدينة سنتهم ، والفاضل يجرى في مزارعهم . (ص ١٠٥)

كله

مدينة عظيمة منيعة عالية السور في بلاد الهند كثيرة البساتين ، بها اجتماع البراهمة حكماء الهند ، قال مسعر بن مهلهل : إنها أول بلاد الهند مما يلى الصين ، وإنها منتهى مسير المراكب إليها ولا يتهيأ لها أن تجاوزها وإلا غرقت .

بها قلعة يضرب بها السيوف القلعية وهى الهندية العتيقة، لا تكون فى سائر الدنيا الا فى هذه القلعة، وملكها من قبل ملك الصين، وإليه قبلته وبيت عبادته ورسومه رسوم صاحب الصين، ويعتقدون أن طاعة ملك الصين عليهم مباركة ومخالفته شؤم، وبينه وبين الصين ثلاثمائة فرسخ.
(ص ١٠٥-١٠٦)

كولم

مدينة عظيمة بأرض الهند، قال مسعر بن مهلهل: دخلت كولم وما رأيت بها بيت عبادة ولا صنما وأهلها يختارون ملكا من الصين، إذا مات ملكهم. وليس للهند طبيب الا فى هذه المدينة، عماراتهم عجيبة، اساطين بيوتهم من خرزاصلاب السمك، ولا يأكلون السمك ولا يذبحون الحيوان ويأكلون الميتة، وتعمل بها غضائر تباع فى بلادنا على إنه صينى وليس كذلك لان طين الصين اصلب من طين كولم وأصبر على النار، وغضائر كولم لونها أدكن وغضائر الصين أبيض وغيره من الألوان.

بها منابت الساج المفرط الطول ربما جاوز مائة ذراع وأكثر. وبها البقم والخيزران والقنا بها كثير جداً، وبها الراوند وهو قرع ينبت هناك، ورقه الساذج الهندى العزيز الوجود لأجل أدوية العين، ويحمل إليها اصناف العود والكافور واللبان، والعود يجلب من جزائر خلف خط الاستواء، لم يصل إلى منابته أحد ولايدرى كيف شجره، وإنما الماء يأتى به إلى جانب الشمال. وبها معدن الكبريت الاصفر ومعدن النحاس ينعقد دخانه توتياء جيداً.
(ص ١٠٦-١٠٧)

ملتان

هى آخر مدن الهند مما يلى الصين ، مدينة عظيمة منيعة حصينة جليلة عند أهل الصين والهند ، وإنها بيت حجهم ودار عبادتهم كمكة لنا . وأهلها مسلمون وكفار . والمدينة فى دولة المسلمين ، وللكفار بها القبة العظمى والمعبد الأكبر ، والجامع مصاقب لهذه القبة ، والاسلام بها ظاهر والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر شامل ؛ كل ذلك عن مسعربن مهلهل .

وقال الاصطخرى . مدينة حصينة منيعة ، دار الملك ومجمع العسكر والملك مسلم لايدخل المدينة إلا يوم الجمعة ، يركب الفيل ويدخل المدينة لصلاة الجمعة .

بها صنم يعظمه الهند ويحج إليه من أقصى بلاد الهند ، ويتقرب إليه كل سنة بأموال عظيمة ، لينفق على بيت الصنم والمعتكفين منهم . وبيت الصنم قصر مبنى فى أعمر موضع بين سوق العاجنين وسوق الصفارين ، وفى وسط القصر قبة فيها الصنم .

قال مسعربن مهلهل : سمك القبة فى الهواء ثلاثمائة ذراع ، وطول الصنم عشرون ذراعاً ، وحول القبة بيوت يسكنها خدم الصنم والعاكفون عليه ، وليس فى ملتان عباد الصنم إلا فى هذا القصر .

وصورة الصنم إنسان جالس مربعا على كرسى ، وعيناه جوهرتان ، وعلى رأسه إكليل ذهب ، ماد ذراعيه على ركبتيه ، منهم من يقول من خشب ، ومنهم من يقول من غير خشب ألبس بدنه مثل جلد السختيان الأحمر ، إلا ان يديه لاتنكشفان وجعل أصابعه من يديه كالقابض أربعة فى الحساب ، وملك ملتان لايبطل ذلك الصنم لأنه يحمل إليه أموالا

عظيمة يأخذها الملك . وينفق على سدنة الصنم شيئاً معلوماً . وإذا قصدهم الهند محاربين أخرج المسلمون الصنم ويظهرون كسره أو إحراقه فيرجعون عنهم .

حكى ابن الفقيه أن رجلا من الهند أتى هذا الصنم ، وقد اتخذ لرأسه تاجا من القطن ملطخاً بالقطران ولأصابعه كذلك ، وأشعل النار فيها ، ووقف بين يدى الصنم حتى احترق .

وينسب إليها هارون بن عبد الله مولى الازد ، كان شجاعا شاعرا ، ولما حارب الهند المسلمين بالفيل لم يقف قدام الفيل شئ ، وقد ربطوا فى خرطومه سيفا هذا ما طويلا ثقيلا ، يضرب به يمينا وشمالا لا يرفعه فوق رأس الفيالين على ظهره ويضرب فيه ، فوثب هارون وثبة أعجله بها عن الضرب ولزق بصدر الفيل ، وتعلق بأنيابه ، فجال به الفيال جولة كاد يحطمه من شدة ما جال به . وكان هارون شديد الخلق رابط الجأش فاعتمد فى تلك الحالة على نابيه ، واصلهما بجوف ، فانقلعا من اصلهما وأدبر الفيل وبقى النابان فى يد هارون ، وكان ذلك سبب هزيمة الهند ، وغنم المسلمون ، فقال هارون فى ذلك :

مشيت إليه رادعاً متمهلا	وقد وصلوا خرطومه بحسام
فقلت لنفسى إنه الفيل ضاربا	بأبيض من ماء الحديد هذام
فان تنكائى منه فعذرك واضح	لدى كل منخوب الفؤاد عبام
ولما رأيت السيف فى رأس هضبة	كما لاح برق من خلال غمام
فعافسته حتى لزقت بصدره	فلما هوى لازمت أى لزام
وعذت بنابيه وأدبر هاربا	وذلك من عادات كل محامى

(ص ١٢١-١٢٣)

مليبار

ناحية واسعة بأرض الهند تشتمل على مدن كثيرة، بها شجرة الفلفل وهى شجرة عالية لا يزول الماء من تحتها، وثمرتها عناقيد إذا ارتفعت الشمس واشتد حرها تنضم على عناقيدها أوراقها، وإلا احرقتها الشمس قبل إدراكها، وشجر الفلفل صباح إذا هبت الريح سقطت عناقيدها على وجه الماء، فيجمعها الناس، وكذلك تشنجها ويحمل الفلفل من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب وأكثر الناس انتفاعا به الفرنج يحملونه فى بحر الشام إلى أقصى المغرب. (ص ١٢٣)

مندورفين

مدينة بأرض الهند، قال مسعر بن مهلهل: بها غياض هى منابت القنا، ومنها يحمل الطباشير، والطباشير رماد هذا القنا، وذلك انها إذا جفت وهبت بها الرياح احتك بعضها ببعض وأشتدت فيها الحرارة، فانقدحت فيها نار ربما أحرقت مسافة خمسين فرسخا، فرماد هذا القنا هو الطباشير يحمل إلى سائر البلاد. (ص ١٢٤)

علم اللغة واللغويون فى الهند

للاستاذ السيد محمد الثانى حسنى

يرجع تاريخ العلاقات الهندية العربية إلى عهد عريق فى القدم ولكنها توثقت منذ أول يوم دخل فيه العرب فى الأراضى الهندية ومنذ اليوم بدأت الحضارة العربية تاخذ مكانها من قلوب سكان الهند حتى بدأ علماء الهند يبرعون فى اللغة العربية وآدابها كما برعوا فى لغات وعلوم غيرها. وانتجت أرض الهند غير واحد من شعراء اللغة العربية وكتابها مثل أبى العطاء السندى الذى كان شاعراً عظيما فى العربية مع انه كان هندى الأصل، وكذلك الشيخ ابوبكر ربيع بن صبيح السعدى (م ١٦٠ ﻫ) عالم هندى آخر، واول مؤلف بعد قدوم العرب الى الهند، لا يمكن أن يغفل عنهما التاريخ.

واذا كان علم اللغة نفسها ولا يسهل فهم أى لغة بدون علمها، فيحلو لنا أن نذكر بشئ من التفصيل ما اضافه الهنود الى المكتبة العربية الزاخرة.

وان أول من يدين له علم اللغة العربية فى الهند بالفضل هو حسن بن محمد الصغانى المتوفى سنة ٦٥٠ ﻫ الذى ألف كتابا نافعا جداً وسماه «بالعباب الزاخر» فاصبح ولا يزال يمتاز بين سائر الكتب فى فن اللغة.

إننا نعرف بعد الشيخ الصغانى عالما آخر باسم الشيخ محمد بن الطاهر الفتنى، الذى الف كتابا جامعا ضخما وسماه «بمجمع بحار الأنوار فى مفردات الحديث».

تقف انظارنا على عالم آخر اسمه السيد مرتضى الزبيدى الذى الف معجما كبيراً «باسم تاج العروس» توفى السيد الزبيدى فى ١٢٠٥ ﻫ.

انما ذاع صيت هولاء المؤلفين والعلماء بفضل مصنفاتهم القيمة فى العالم باجمع، واعترف بفضلهم الناقدون فى الهند والاقطار العربية على السواء واستفاد بكتبهم كل من أراد ان يقدم شيئاً فى علم اللغة، فى الهند كان او خارجها، فمنهم من علقوا عليها وبعضهم شرحوا مشكلاتها واسرارها.

إن كتابا «العباب الزاخر فى اللغة والتراكيب» مع أنه يحتوى على عشرين مجلدا، لم يتكامل إلى اليوم، فقد وافى أجل مؤلفه قبل اكماله، كما قال الچلپى مؤلف «كشف الظنون».

ان الصغانى مات قبل أن يكمله، بلغ فيه إلى «الميم» ووقف فى مادة «بكم» كما يبدوا من بيتين من الشعر:

إن الصغانى الذى حاز العلوم والحكم
كان قصارى أمره أن انتهى الى «بكم»

ولد الشيخ الصغانى فى لاهور (مدينة عامرة فى مقاطعة بنجاب) سنة ٥٧٧ ﻫ. كان اسمه الكامل «رضى الدين ابو الفضائل حسن بن محمد حيدر بن على العدوى العمرى الصغانى» نشأ وتعلم فى غزنى (مدينة فى افغانستان) فى أيام الملك خسرو ملك ابن خسرو الغزنوى، ثم سافر من غزنى إلى بغداد وأقام فيها شهورا، ثم جاء إلى الهند وأقام هنا قليلا حتى سافر للحج، ولما فرغ من الحج انتقل إلى اليمن فى طريقه إلى الهند وحضر فى بلاط السيدة زينب بنت السلطان التمش ملكة الهند كسفير للخليفة العباسى «المستنصر بالله». ومن هنا رجع إلى بغداد وتوفى هنالك فى سنة ٦٥٠ ﻫ ـ قال الامام السيوطى اعترافا بفضله «إنه كان حامل لواء اللغة» واعترف الامام الذهبى باعماله الجليلة فقال «إن إليه المنتهى فى اللغة» كما

وصفه الشيخ الدمياطى «انه كان إماما فى اللغة والفقه والحديث» وإن الصغانى انشدنا لنفسه فقال :

تسربلت سربال القناعة والرضا صبيا وكان فى الكهولة يدنى

وقد كان ينهانى أبى حف بالرضا وبالعفو آن أدنى يدا من يدى دنى

وان الصغانى الف كتبا كثيرة أخرى فى اللغة . منها :

١ - مجمع البحرين - يحتوى على اثنى عشر مجلدا .

٢ - أسماء الفار .

٣ - أسماء الذهب .

٤ - اسماء الأسد .

٥ - النوادر .

وان كتابا آخر جامعا ضخما مثل الأول عثرنا عليه هو «مجمع بحار الأنوار فى غرائب التنزيل ولطائف الأخبار» يشتمل على أربع مجلدات ، وهو فى الحقيقة شرح للصحاح الستة ، أوضح فيه مؤلفه معانى القران الكريم اوالآثار المروية عن النبى صلى الله عليه وسلم - وتكلم عن لغاتها وشرحها - وان النواب صديق حسن خان الذى كان عالما ، ومؤلفا هنديا كبيرا وله كتب كثيرة فى اللغة - قد أبدى عن رأيه فى وصف هذا الكتاب (مجمع بحار الأنوار) فقال «كتاب متفق على قبوله من أهل العلم منذ ظهر فى الوجود ، وله منة عظيمة بذلك العمل على أهل العلم» .

الفه الشيخ محمد طاهر ابن على الفتنى الكجراتى الذى كان اماماً بارعا له مكانة علمية كبيرة فى فن الحديث ، ذاع صيته فى الآفاق ، لا يستغنى

عن مؤلفاته علماء الحجاز ومصر والشام، لم يزل مكبا على الدراسة والتصنيف حتى وافاه أجله - ولد فى مدينة «پتن» من مقاطعة گجرات سنة ٩١٣ هـ - واستشهد فى سبيل الله سنة ٩٨٦ هـ. وله كتاب آخر «كتاب فى حل غرائب مشكوة المصابيح».

والكتاب الثالث الواجب ذكره فى هذا الصدد هو «تاج العروس» ويحتوى على أربعة عشر مجلدات، طبع فى مصر واسمه الكامل «تاج العروس» فى شرح جواهر القاموس المحيط للامام مجد الدين الفيروزآبادي. واستفاد مؤلف تاج العروس، كثيرا من كتب أخرى، وقد طبع المتن على حاشيته كما كتب المؤلف مقدمة مفصلة فى الشرح والقى فيها ضوءاً على حقيقة اللغة ومدارج علمائها، وأخبر عمن سبق فى تاليف علم اللغة.

ألفه العلامة الفاضل اللغوى الشهير السيد مرتضى الحسينى البلگرامى الزبيدى الذى تشرف مرارا بزيارة الحرمين الشريفين والبلاد العربية الأخرى، وأصبح تلميذا رشيدا للامام السيد عبد الرحمن العيدروس، سافر إلى مصر فى سنة ١١٢٧ هـ، وحصل هناك على صيت بالغ لم يتيسر لأحد من علماء العرب حينذاك.

ولما تم تاليف «تاج العروس» دعا السيد الزبيدى علماء وطلبة ومحدثين كبارا إلى مأدبة عظيمة فى سنة ١١٨١ هـ - واشترى هؤلاء العلماء وولاة الحكومة هذا الكتاب بثمن غال، قد اشتهر هذا الكتاب بالقاموس، وان كان اسم متنه «القاموس المحيط والقاموس الوسيط الجامع لما ذهب من كلام العرب شماطيط».

واشتملت الصفحات الابتدائية من الكتاب على مصطلحات القاموس، جمعها الشيخ الهروينى، وقد طبع هذا الكتاب فى كلكتة بعد ما قام باصلاحه (بتصحيحه) بعض الأدباء. والكتاب، وكان فى أربع مجلدات، وعدد صفحاته ١٩٧٨ (الف وتسعمأة وثمانية وسبعون) بدأت بمقدمة فى الانجليزية للاستاذ ايم-لمسدن (Professor Lamsden) قد ألقى ضوأ على سيرة المولف، ثم طبع فى مصر واكمل المؤلف كتابه على هذه الكلمات «قد يسر الله إتمامه على الصفا بمكة المكرمة المشرفة تجاه الكعبة المعظمة».

وإن إسم مؤلف «القاموس» الامام مجد الدين ابو طاهر محمد بن يعقوب ابن محمد ابراهيم الفيروزآبادى الشيرازى تعلم على علمائها ثم ذهب إلى العراق واستفاد كثيرا من قاضى بغداد حتى برع فى علم اللغة، كما سافر ايضا إلى الشام، ليجالس علمائها، مثل العلامة ابن القيم، وابن الخباز، والشيخ السبكى، وابن نبات رحمهم الله ورضى عنهم. وأخيرا سافر إلى القاهرة.

انه يقول مخبرا عن عادته «ما كنت أنام حتى أحفظ مائتى سطر» وهذا يدل على قوته فى الحفظ واتقان العلوم المختلفة، كان قاضيا لزبيد عند وفاته فى سنة ٨١٧ هـ.

هناك كتاب آخر يحتوى على أربع مجلدات، وهو دستور العلماء (جامع العلوم فى إصطلاحات الفنون) قد احاط هذا الكتاب بتفاصيل كثيرة، وإن مجلده الرابع هو كملحق للمجلدات الثلاث الأول، ويسمى «ضميمة دستور العلماء» كتبه القاضى عبد النبى بن عبد الرسول الأحمدنكرى. الذى كان ولد فى أحمدنكر (الهند) ونشأ هناك، ولما استكمل دراسته نصب قاضيا لأحمدنكر، ألف كتبا كثيرة واستفاد منها علماء كثيرون.

وألف الشيخ القاضى ابراهيم بن فتح الله الملتانى كتابا على هذا المنوال، لا يختلف كثيرا عن الأول وهذا الكتاب على منهاج العلوم والفنون العربية وقواعدها، كان الشيخ ابراهيم من أهل الملتان (مقاطعة بين السند وبنجاب) قرأ على علماء كبار ثم نصب قاضيا على بيدر (مدينة فى ولاية حيدرآباد) مات فى سنة ٨٦٥ هـ.

وهناك كتاب آخر أسبق على امثاله زمانا لكنه لا يحب لعلم اللغة، بل يقتصر على فرع واحد من فروعها، ولأجل هذا بدأنا بذكره اولا.

هذا الكتاب يدعى باسم «الجماهر فى معرفة الجواهر» أتى فيه مؤلفه ابوريحان البيرونى بذكر الجواهر وأقسامها بالتفصيل، وقد الفها للسلطان مودود بن مسعود البيرونى الخوارزمى فى مدينة السند «بيرون» سنة ٣٦٢ هـ. كان مقربا عند الملوك حريصا للعلم، برع فى الهيئة والنجوم والحكمة والمنطق، وألف فى هذه الفنون كتبا كثيرة جدا، كما ألف كتابا ضخما فى أحوال الهند اسمه «عجائب الهند» وقد ذكر فيه احوال الهند وتفاصيل أديانها، وكتب كثيرا عن الهندسة والجغرافية وكذلك اشتهر البيرونى بقصائده العربية، واليكم البيتان التاليان فى مجالسة الملوك:

ولما مضو واعتضت عنهم عصابة   دعوا بالتناسى فاغتنمت التناسيا
وخلفت فى غزنين لحما كمضغة   على وضم للطير للعلم قاصيا

وكان فى صفىپور (أناؤ) أستاذ فاضل اسمه «الشيخ عبد الرحيم بن عبد الكريم» الف كتابا نافعا جيدا فى اللغة وسماه «بمنتهى الارب فى لغات العرب» وان ضخامة هذا الكتاب وافاداته ليغنى الطالب عن كثير من كتب

اللغة والقاموس والصحاح والنهاية. و «مجمع البحار» و «ديوان الأدب» و «المهذب» و «المزهر» وغيرها كثير من الكتب تعد من مأخذه - توفى الشيخ عبد الرحيم فى سنة ١١٦٧ ﻫ فى كالكتة.

وهناك قرية شهيرة فى «رائے بريلى» يدعوه الناس بدائرة الشاه علم الله وهى معروفة... رجال أسرة حسينية شريفة، وكان فيمن انجبتهم هذه القرية من الأساتذة الفضلاء، كالأستاذ الفاضل السيد محمد الحكم الذى كان حفيدا الامام العبقرى فى زمانه الشاه علم الله رحمة الله عليه. قد اسعده الله بالعلم والعمل والاصلاح والتقى، وانه قام ايضا بتأليف كتاب فى اللغة اسمه «تلخيص الصراح» ولكنه مع الأسف ما يظهر أمام الناس ولم يسعد بالطبع، ومات السيد محمد الحكم سنة ١١٥٠ ﻫ وكان عمره حينئذ اثنتين وأربعين سنة.

وقد صنف المفتى سعد الله بن نظام الدين المرادابادى كتابا باسم «القول المانوس فى صفات القاموس» وكان المفتى سعد الله فاضلا فى النحو واللغة، انه ألف بعض المجلدات للكتاب الضخم المسمى «بتاج اللغات» أيضا. وهو يشتمل على سبع مجلدات، وقد الف هذا الكتاب لملك اوده نصير الدين حيدر، وسافر المفتى سعد الله للحج وحصل على شهادة فى الحديث من شيخ الحرمين الشريفين، ثم رجع إلى رامپور بعد ما عزل الشاه واجد على ملك أوده، وتوفى هناك فى سنة ١٢٩٤ ﻫ.

وكان المفتى سعد الله الف كتابا آخر كجدول الخطأ والصواب فى كتاب اللغة الصراح، وسماه بـ «نور الاصباح فى اغلاط الصراح».

وان الشيخ اسماعيل ابن المفتى وجيه الدين المرادابادى مؤلف آخر الكتاب «تاج اللغات»، وقد اشتهر الشيخ اسماعيل بلقب «لندنى» لأنه سافر إلى

انكلترا بأمر الملك نصير الدين ، وأنه الف بعض مجلدات كتاب تاج اللغات ، كان حراً طليقا فى دينه (عقيدته) وقد ساهم الشيخ اوحد الدين البلگرامى والسيد غنى نقى زيدپورى ايضا فى تأليف كتاب تاج اللغات ، وقد ابتدؤا تاج اللغات بهذه الكلمات «سبحان الذى علم آدم الأسماء بحذافيرها ، والهمه صفات الأشياء بنقيرها وقطميرها» الخ .

إن «تهانه بهون» فى (مظفرنگر) قرية علمية أنجبت كثيرا من العلماء البارعين ، وكان فيهم محمد اعلى بن حامد بن صابر الحنفى الذى حصل على العلم بنفسه رغبة ، ومازال يطالع كتبا كثيرة حتى استكملها وبرع فيها ، ثم الف كتابا جمع فيه مصطلحات سائر العلوم وسماه «بكشاف إصطلاحات الفنون» وانقسم هذا الكتاب إلى بابين ، اشتمل الأول منهما على الكلمات العربية ، والثانى على الكلمات العجمية ، وقد فرغ الشيخ محمداعلى من هذا التصنيف فى سنة ١٠٥٨ هـ . واهتم بطبعه «النادى الأسيوى» (Asiatic Society) .

وكذلك كان النواب صديق حسن خان قد الف كثيرا من الكتب فى كل علم ، وله عدة كتب فى علم اللغة ايضا .

أولها :ـ لف القماط على تصحيح ما استعمله العامة من المعرب والدخيل والمولد والاغلاط ـ أشار فيه المولف إلى أخطاء الناس فى المحاورات العربية ، وطبع هذا الكتاب فى بوفال فى سنة ١٢٩١ هـ ، وعدد صفحاته (٢٦٨) مائتان وثمان وستون .

وثانيها :ـ «البلغة فى أصول اللغة» ـ سرد فيه المؤلف تاريخ علم اللغة وتعريفها ونقد على جميع نواحيها بالتفصيل وهذا ايضا طبع فى بوفال سنة ١٢٩٤ هـ . وفيه مائة واربع وخمسون (١٥٤) صفحة .

وكان اسم النواب أبى الطيب صديق حسن بن أولاد حسن بن ولاد على الحسينى . وقد ولد فى بانس بريلى (مدينة فى مقاطعة اترابراديش) فى سنة ١٢٤٨ هـ ، ثم ذهب إلى قنوج (بلدة أخرى فى اترا براديش نفسها) ومن هنا انتقل إلى بوفال ، ودرس علم الحديث على القاضى زين العابدين بن محمد الانصارى اليمانى ، ثم سافر إلى الحجاز ، وبعد مارجع إلى بوفال تزوج بشاهجهان بيكم أميرة بوفال ، هكذا اسبغ الله عليه نعمه ظاهرة وباطنة ، وافضل عليه ثروة الدين والدنيا .

عدد مؤلفاته بالعربية والأردية والفارسية يزيد على المأتين واثنين وعشرين (٢٢٢) ، توفى النواب صديق حسن خان سنة ١٣٠٧ هـ . فى بوفال .

وهناك كتب كثيرة أخرى فى علم اللغة ، الفها علماء الهند غير ما ذكرناها إلى الآن . وسوف نذكرها موجزا حتى لايطول مقالى هذا إلى حد يملها القارى ، واليكم البقية منها .

«حوار العرب» :ــ الفها المولوى عبدالغنى بن محمد مير الفرخآبادى .

«ازوار اللغة» :ــ يحتوى على أربع مجلدات ضخمة ، ومولفه المولوى وحيد الزمان بن مسيح الزمان اللكهنوى .

«ألفرقية» :ــ الفها السيد غنى تقى زيدپورى . الذى ساهم فى تاليف تاج اللغات .

«المبتكر فيما يتعلق بالمؤنث والمذكر» :ــ بحث فيه المولف على تذكير اللغات وتأنيثها ، واسم المؤلف السيد ذوالفقار أحمد النقوى السارنكپورى .

«موارد المصادر والأفعال» :ــ الفه المولوى عبدالغنى الفرخآبادى .

«نيل الأرب فى مصادر العرب» :ـ الفه الشيخ ظفرالدين بن تمام الدين اللاهورى .

«فيض القاموس»ـ الفه الشيخ فيض الحسن .

«نهج المصادر» :ـ الفه المولوى فيض بخش .

«كواكب العرفان فى تحقيق السبحان» :ـ كتبه المولانا محمد على جوهر .

«منتخب اللغات» :ـ الفه الشيخ عبد الرشيد الطنطاوى الحسنى المدنى بالفارسية وان كان الكتاب على علم اللغة العربية ، ومن مأخذه الصحاح ، الصراح ، الكنز ، المهذب ، ـ وكتب البروفيسور ليدن مقدمة بالانجليزية ، طبع هذا الكتاب فى كلكتة .

وان هذه الكتب التى ذكرناها آنفا كانت قديمة . وهناك مولفون فى عصرنا هذا ايضا قدموا انتاجاتهم فى علم اللغة العربية الحديثة ، وكثير من مؤلفاتهم ماثلة للطبع ، إذا سنح الله لها الطبع والنشر ، سوف تكون نافعة جدا لطلبة علم اللغة العربية وتنير لهم سبلا جديدة كثيرة .

والعمل الذى قدم فى القريب الماضى او يقدم فى عصرنا هذا ، اكثره فى العربية والاردية معا ، يستفيد منها اكثر الطلبة الهنود كما يأتى .

ونذكر فى هذه المناسبة العلامة الجليل السيد سليمان الندوى (رح) الذى كان من «ديسنه» بلدة فى ولاية «بهار» اعترف بفضله العرب والعجم ، تخرج من دار العلوم لندوة العلماء لكهنؤ ، وكان من أرشد تلميذ للعلامة شبلى النعمانى والمولانا حفيظ الله والعلامة فاروق بن على الچرياكوتى ، كان بارعا فى الأدب العربى إلى حد لايصله إلا واحد فى الألف وما يزيد .

قد الف كتابا باسم اللغات الجديدة فاصبح هذا المعجم متداولا فى مدارس الهند، جمع فيه القديم والجديد من الكلمات العربية ومعانيها ما لا يسهل عده. كان العلامة السيد سليمان الندوى قاضى القضاة فى بوفال قبل هجرته إلى كراتشى، توفى العلامة فى ٢٢ من نوفمبر سنة ١٩٥٣ م.

وقد الف الأستاذ السيد طلحة الحسنى الطونكى معجما ضخما فى علم اللغة العربية فى مجلدين على طلاب من جامعة بنجاب، وفى كل صفحة من صفحاته جمع المولف كلمات عربية على طرف ومعانيها على طرف آخر، واسم الكتاب «معجم العربية» وانتقل الاستاذ السيد طلحة الحسنى كاستاذ (Professor) فى قسم العلوم الشرقية بجامعة بنجاب ثم احيل منه وهو لايزال فى كراتشى إلى الحال.

وبقى لنا أن نذكر كتابين كان يحسن أن نذكرهما سابقا، اولهما: اعجاز البيان فى لغات القرآن الفه المولانا روح الله الميرتى، وهو كما يبدو من اسمه يشتمل على لغات القرآن ومعانيها، - ثانيهما تاج اللغات الصحاح فى ست مجلدات - وهذا الكتاب فى العربية والفارسية معا. وهناك كتاب آخر «كوهر منظوم» موضوعه لغات العرب، على عكس ما يبدو من اسمه العجمى ولسانه الفارسية، الفه الشيخ محمد على المولوى.

إذا ما رجعنا قليلا إلى الماضى القريب لجذب انظارنا كتاب آخر اسمه «بيان اللسان»، وهذا فى الحقيقة ترجمة من العربية إلى الاردية وهو نافع جدا لطلبة اللغة العربية، مولفه الأستاذ القاضى زين العابدين سجا خريج دار العلوم القاسمية بديوبند من أهل ميرت. قد بذل جهودا كبير فى تاليف هذا الكتاب. وعلى هذا النمط هناك كتاب أخر اسمه لغات القرآن، او قاموس القرآن. هو معجم للقرآن، الفه المولانا زين العابدين

الميرتى. وهكذا كتاب آخر فى مفردات القرآن، وهو كتاب ضخم جدا فى ست مجلدات، واسمه ايضا لغات القرآن. الفه الشيخان الفاضلان الاستاذ عبدالرشيد النعمانى، والاستاذ عبد الدائم الجلالى.

وأخيرا يحسن بنا أن نلفت انظار قرائنا الى كتابين جامعين أخرين ولاشك انه سعى ناجح مشكور فى اللغة، احدهما من العربية الى الاردية اسمه مصباح اللغات، وانه ترجمة للمعجم الشهير فى العربية المنجد، مع اضافات نافعة كثيرة، عنى بطبعه ونشره المجمع العلمى الشهير بدلهى ندوة المصنفين، والفه الاستاذ الكبير ابو الفضل عبد الحفيظ البلياوى خريج دار العلوم القاسمية واستاذ الادب العربى بدار العلوم التابعة لندوة العلماء فى الهند حاليا. ولقد منحت الحكومة الهندية الاستاذ عبد الحفيظ جائزة على هذا الكتاب اعترافا لهذه الخدمة العلمية الفذة وتقديرا لجهوده البالغة فى هذا الصدد، وقد طبع هذا الكتاب مرارا مع انه لم يمض على الطبعة الأولى اكثر من بضع سنين ـ ولايزال الطلبة الهنود فى المدارس العربية ينتفعون بهذا الكتاب الذى كاد يحتل مكان أى معجم متوسط عربى شهير، لأنه أعم فائدة واكثر نفعا من امثاله لكونه فى اللغة الأردية لغة الطالب الهندى.

والكتاب الثانى فى هذا الصدد هو ايضا من تأليف الأستاذ عبدالحفيظ البلياوى نفسه، وهو معروف بالمعجم الاردى العربى «اردو عربى ڈكشنرى» جمع فيه الاستاذ الفاضل الكلمات الاردية مع ترجمتها إلى العربية، ـ هذه هى الكتب التى لابد من ذكرها للذين يرغبون فى دراسة اللغة العربية.

من النارجيل الى النخيل

(٣)

للاستاذ مولانا قاضی اطهر المبارکپوری
(رئيس تحرير مجلة «البلاغ» الاردية)

مواطن الهنود فی جزيرة العرب

المناطق الساحلية الشمالية والغربية للهند تواجه المناطق الشمالية والشرقية لجزيرة العرب، ويحول بحر الهند[١] بين هذه المناطق من البلدين الشقيقين، وإلى هذا البحر الرابط بين القطرين يرجع الفضل الكبير فيما قام بينهما من الروابط التی نشأت منذ العهد العتيق من التاريخ واستمرت فی سبيلها إلى التوثق والنماء والازدهار. واعتبرت المناطق الساحلية لوضعها الجغرافی الممتاز كمنطقتين من قطر واحد. وكانت الروابط بين البلدين فی بداية الامر تنحصر فی نطاق التجارة والاقتصاد، ثم حصل فيها التقدم والنماء فنشأت إلى جانبها روابط فكرية، وحضارية، وثقافية كانت سببا فی توثيق العلاقات التجارية والاقتصادية العريقة نفسها.

وبالرغم من ذلك لايعثر فی التاريخ القديم على أثر يثبت منه وجود موطن فی الهند استوطنه العرب بصفة دائمة مع ان الهند كانت اوفر حظا من التقدم فی كل ناحية بالنسبة لجزيرة العرب، وكانت الحياة فی الهند اكثر جذبا وخلابة لما كان فيها من الوان المباهج والمتع بالنسبة للحياة العربية المتطبعة بطابع يغلب عليه الجفاف. ويبدو من ذلك ان التجار العرب كانوا يقصدون الهند غير انهم ما كانوا ينتهون من قضاء مأربهم

---

(١) وقد يطلق عليه بحر العرب، وحينا بحر فارس كذلك

التجارى حتى يقفلوا راجعين إلى بلادهم، وما كانوا يرتضون استبدال حياة اخرى بحياتهم العربية الحرة فكانوا يجدون فيها كل متعة ونزهة وبهجة وانى لهم ذلك فى الهند فهو عندهم عطاء من الهواء الصافى الطليق والفضاء الواسع الرحيب المتكون من طبيعة الصحارى الغناء. والهند على غنائها بكثير من مرافق الحياة ومقوماتها لايمكنها ان تهيئ لهم ذلك كله الذى هو اساس كل متعة ولذة عندهم فلهذا السبب لانجد آثارا تدل على موطن عربى قديم فى الهند أو على طول اقامة العرب فيها. وعلى العكس من ذلك نجد أن هناك عددا كبيرا من سكان الهند رحلوا الى جزيرة العرب واتخذوها وطنا لهم بشكل دائم وهجروا قوميتهم ووطنيتهم الهندية فاصبحوا سكان الجزيرة وقد اثر عليهم العرب باخلاقهم وحسن سلوكهم وترحيبهم تاثيرا عميقا وافقدهم الاحتكاك كل مميزات الشخصية وتحولت حياتهم الى حياة عربية خالصة فاصبحوا عربا بالكلية. واما تعامل العرب مع المستوطنين الجدد بالاخلاق وحسن الوفادة والترحيب فكان له سبب آخر إلى جانب ما فطروا عليه من رحب الصدر وسعة القلب والضيافة التى اشتهروا بها فى جميع العصور وكانت صفتهم المميزة حتى فى عصر الجاهلية ـ وذلك ان هؤلاء الهنود المستعربين كفوهم مؤنة الرحلات البحرية إلى الهند لكفالتهم بكل ما يفتقرون اليه من حاجيات حيوية حيث كانوا يقومون باستيرادها عن الهند فيجدونها بكل يسر وسهولة دون ان يكلفوا نفوسهم عناء السفر ويعتبرونهم خير عون فى الحياة الاجتماعية وقد بدأت عملية سكنى الهنود فى الجزيرة بأولئك التجار منهم الذين قطنوا فيها وكانوا يأتون من الهند بما يحتاج اليه العرب من الامتعة فيبيعونه فى مواسم العرب

واسواقهم وكان العرب ينظرون إلى هؤلاء التجار نظرة تقدير واكرام ولم يكن يتمثل ذلك فى الكف عن نهبهم وقتلهم فحسب بل كانوا يرعون جوارهم حق الرعاية بالقيام بحفاظتهم فهناك عدة قبائل عربية كبرى أخذت فى ولائها امثال هؤلاء الهنود وتوثقت بينهم الصلات حتى عدتهم تلك القبائل افرادا منها كغيرهم من الافراد تماما. ومما يلحظ ان الهنود كانوا يتفقون مع العرب الجاهليين فى الوثنية على وجه التقريب فلعبت هذه الصلة العقائدية دورها فى تنمية الروابط وتوطيدها بين الهند وبلاد العرب. ويجد الدارس للتاريخ أن كلا من المشركين والمجوس والصابئين باستثناء اليهود والنصارى كانوا يعدون الهنود شركاءهم فى النزعة والاتجاه وحقا لقد كان كثير من مظاهر الوثنية والعقائد والاعمال يغلبه إلى حد كبير لون الاتحاد والاتفاق وان عدم وجود الخلافات الدينية ووجود التقارب فى النزعة وروح الاتحاد فى معظم العادات والخصال والمثل والتقاليد بين العرب والهنود ساعد كثيرا على ان يندمج الهنود فى البيئة العربية ليصبحوا وحدة من وحداتها.

وهناك سبب آخر فى العلاقات القائمة بين العرب والهنود وهو ان ملوك ايران كانوا مسيطرين على بلوخستان والسند وسرانديب وغيرها من المناطق وكان السكان الهنود فى هذه المناطق من الزط والميد وغيرهم يعملون فى جيش إيران وحكومته وكانوا منضمين إلى «اسوار» جيش الكسرويين الملكى الخاص وقد سكنوا فى مستعمرات ايران بالجزيرة العربية وهكذا كانت تمتد سلسلة هؤلاء الهنود مثل الجنود الايرانيين الآخرين من «ابلة» (البصرة) اهم مستعمرة ايرانية ـ إلى اليمن ، وقد اجتمع فى سواحل

الجزيرة الجنوبية والشرقية عدد كبير من السكان الهنود قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم واصبحت الحياة الوطنية والقومية فى تلك الجهات بوجودهم مهددة باخطار جسيمة منهم. فلما استولى الحبشة على اليمن كان فيه عدد كبير من السكان الهنود ويمكننا ان نستدل على ذلك بان حاكم اليمن السابق «سيف بن ذى يزن» لما وصل إلى بلاط ملك ايران كسرى انوشيروان وقص عليه قصته واخبره بغلبة الاجانب سأل كسرى انوشيروان سيف بن ذى يزن عمن استولى على بلاده من الاجانب الحبشة ام السند كما فى سيرة بن هشام :

« فقال ايها الملك غلبتنا على بلادنا الاغربة. فقال له كسرى : اى الاغربة الحبشة ام السند؟ فقال بل الحبشة[1]. »

وفى رواية للطبرى :

قال : «ايها الملك ان السودان قد غلبونا على بلادنا وركبوا منا امورا شنعة اجل الملك عن ذكرها (ص ١١٧) قال قد علمت ان بلادكم كما وصفت فاى السودان غلبوا عليها الحبشة ام السند[2]. »

ومن خلال هذا الحوار يمكننا ان نقدر ما كان للهنود القاطنين فى المناطق الساحلية والشرقية والجنوبية للجزيرة من عدد وجمع كبير وما كان لهم من نفوذ وقوة بعد ولادة النبى صلى الله عليه وسلم. وحصلت وقعة

(١) سيرة بن هشام ـ الطبعة الجديدة ـ ج ١ ص ٦٣ ـ وكتاب التيجان كلبى طبعة حيدرآباد ـ ص ٣٠٤ وتاريخ الطبرى ـ ج ٢ ص ١١٦ ـ المطبعة الحسينية مصر (٢) تاريخ الطبرى ـ المطبعة الحسينية مصر ـ ج ٢ ص ١١٨.

الاستيلاء على اليمن بعد مولد النبى صلى الله عليه وسلم ويظهر من بعض الروايات انها حصلت بعد المولد بسنتين فيكتب البروفيسور «فيلب حتى» فى تاريخ العرب ان استيلاء ايران على اليمن قد تم بعد ولادة النبى صلى الله عليه وسلم فى سنة ٥٧٥ م. وولد النبى صلى الله عليه وسلم فى سنة ٥٧١ م[١]. وكان قد جرد الحملة على اليمن مسروق بن ابرهة الذى كان قد هاجم ابوه (ابرهة) فى عهد حكمه على مكة المكرمة يريد بذلك هدم بنيان الكعبة وكان مولد النبى صلى الله عليه وسلم بعد هذه الحادثة بخمسة وخمسين يوما[٢]. وقد جهز كسرى انوشيروان جيوشه إلى اليمن لما استغاثه سيف بن ذى يزن حاكم اليمن السابق فاخضعت الجيوش الايرانية كل المنطقة الممتدة من العراق إلى اليمن لحكم ملكهما كسرى انوشيروان.

فقد كان للسند جمع عظيم فى اليمن وما جاوره من المناطق من قبل كما علمنا مما سبق ثم أخذ عدد الهنود يتزايد بعد غلبة انوشيروان على اليمن، وكانوا لانضمامهم إلى الاساورة (فرسان ايران) يساهمون هناك فى الشئون الوطنية السياسية.

وكان باذان الذى اسلم فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم آخر من قدم من ايران من ولاة اليمن. والامام الذهبى لما تعرض لذكر اسمه فى الكتاب تجريد اسماء الصحابة صرح بانه باذان ملك الهند[٣]. لكن الحافظ بن حجر ضعف هذا القول فى «الاصابة» وأثبت ان صحته ملك اليمن[٤].

---

(١) تاريخ العرب لبروفيسور «فيلب حتى» ـ طبع مصر ـ ص ٨٦.

(٢) رحمة للعالمين ج هامش ص (؟)

(٣) تجريد اسماء الصحابة ـ ج ١ ص ٤٥ ـ طبعة حيدرآباد.

(٤) الاصابة فى تمييز الصحابة ـ ج ١ ص ١٧٩.

وسياتى البحث المستفيض عنه فى مكانه . وكان يسكن فى اليمن كذلك منذ عهد كسرى التقى العارف الهندى «بيرزطن هندى» الذى اسلم على عهد بعثته صلى الله عليه وسلم وكان قد عرف الناس فى انحاء اليمن بحشيش القنب (ويسمى بالاردية بهنگ) كدواء استعمله للتداوى فى بعض الامراض حتى لقى هذا الدواء رواجا كبيرا من اهل تلك المناطق[١] . ومن ذلك يظهر أنه كان طبيبا كما تدل عليه القرائن وسنورد احواله فى محله .

وكان اليمن سوقا كبيرة للبضائع الهندية منذ قديم الزمان وكثيرا ما كان يتردد اليها تجار الهند ويقول الاستاذ احمد امين فى «فجر الاسلام» «وكان لسكان اليمن قديما علاقات بالهند والشرق الادنى[٢]» .

ويقول فى مكان آخر من نفس الكتاب :

وكانت التجارة قديما فى يد اليمنيين وكانوا هم العنصر الظاهر فيها فعلى يدهم كانت تنقل غلات حضرموت وظفار وواردات الهند إلى الشام ومصر[٣]» .

وفى ضوء هذه التصاريح يبدو لنا جليا ان منطقة اليمن كلها كانت عامرة بجمع كبير من تجار الهند وكان معظمهم يحترف بالتجارة .

وكما كان الهنود يسكنون بكثرة فى حدود اليمن كذلك مناطق الشمال الشرقى والعراق كانت تسكنها بعض اجناس الهند من الزط والسيابجة وكانت المدينة المركزية «ابلة» للعراق ميناء كبيرا للبوارج والسفن التجارية للصين والهند وايران وكانت لها رابطة قديمة متينة مع الهند ولذا كان

---

(١) الاصابة - ج ١ ص ١٧٨ .

(٢) فجر الاسلام - ج ١ ص ٣٠ . (٣) فجر الاسلام - ج ١ ص ١٣ .

العرب يعرفونها باسم «ارض الهند» تارة وفرج السند والهند طورا . وكان ملوك ايران بعد سيطرتهم على «ابله» يشنون الحملات على الجزيرة برا ويقومون بالهجمات على ارض الهند بحرا . وذكر الطبرى فى تاريخه فى وقائع سنة ١٢ هـ - «وكان فرج الهند اعظم فروج فارس شأنا واشدها شوكة وكان صاحبه يحارب العرب فى البر والهند فى البحر»[1].

ويجب ان يكون لاولئك الزط والميد الذين كانوا فى جيش ايران منذ قديم الزمان دور كبير واسهام فعال فى هذه الحروب التى كانت تنشب فى البر والبحر ولاسيما فيما اذا كانت الحرب مع الهند فعندئذ يجدون الفرص مواتية لتقديم خدماتهم على وجه البصيرة والخبرة والاطلاع فتجل لهم القيمة وتعظم المكانة .

واما محاربة الايرانيين للهند من العراق فى البحر فلقد ظلت سلسلتها تمتد إلى عهد طفولته صلى الله عليه وسلم فان كسرى انوشيروان لما انتهى من توطيد دعائم الحكم فى اليمن جرد على الهند حملة مهيبة بخلاء ودمر سرانديپ وعثر فيها على ثراء ضخم . وتفصيل هذه الحملة على رواية الطبرى كما ياتى :

«فلما دانت لكسرى بلاد اليمن وجه إلى سرنديپ من بلاد الهند وهى ارض الجواهر - قائدا من قواده فى جند كثيف فقاتل ملكها فقتله واستولى عليها . وحمل إلى كسرى منها اموالا عظيمة وجواهر كثيرة»[2] .

---

(١) تاريخ الطبرى - ج ٤ ص ٥ - وكامل بن الاثير ج ٢ ص ١٤٧ .

(٢) تاريخ الطبرى - ج ٢ ص ١٢٤ - وتاريخ ابن خلدون - ج ١ ص ١٧٧ طبع مصر .

وكان الزط والميد من الهند يقومون بخدمات جليلة فى حروب الايرانيين ويساعدونهم على اداء مهماتهم. ويقول العلامة الجليل السيد سليمان الندوى :

«وكانت هناك طريق أخرى للروابط القائمة بين العرب والهنادك وذلك ان كلا من منطقة بلوخستان والسند ظلت خاضعة فى اغلب العصور لسيطرة امبراطور ايران ونتيجة لتلك السيطرة كان الجيش الايرانى قد تمكن من تجنيد بعض ما اختاره من القبائل المحاربة المعروفة بالبسالة والكفاءة الحربية ، وقد ذكر العرب قبيلتين منها الزط والميد وهما جيلان مشهوران من الهند»[1].

واما ماعدا ابلة من مدن العراق فكانت تسكنها كذلك عصابات هندية استوطنت مختلف البقاع من العراق ويتأيد ذلك ببيان البلاذرى التالى الذى سبق اكثر من مرة :

«فانضم إلى الاساورة السيابجة وكانوا قبل الاسلام بالسواحل وكذلك الزط وكانوا بالطفوف يتتبعون الكلاء»[2].

ومما يروى عن الوقائع التى حصلت على عهد خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان الجيش الايرانى عرض على ابى موسى (رضى الله عنه) انه يحب السكنى فى البصرة بعد ان يعتنق الاسلام ويود مساعدة المسلمين بالاسهام فى الجهاد الاسلامى.

قد تبين مما سلف ان سيابجة الهند وزطها كانوا يقطنون بسواحل العراق والطفوف وكانوا فى الغالب ينصرفون إلى تربية الانعام يتنقلون

---

(١) عرب وهند كے تعلقات (الروابط بين العرب والهند) ص ١١.

(٢) فتوح البلدان - ص ٣٦٧ - الطبعة المصرية.

بالسواحل من مكان إلى آخر يستنجعون الكلا ويتتبعون الماء وتطبعت حياتهم بلون الحياة العربية البدوية فاصبحوا اشبه الناس فى منهج معيشتهم بالبدو الرحل وكان هؤلاء الهنود غير الهنود الذين كانوا يعملون فى الجيش الايرانى وكانت مساكنهم متناثرة على طول الساحل العربى من الخليج العربى الذى يشمل كلامن اقطار عمان ومسقط، وقطيف والبحرين والقطر والكويت.

ومما يثبت وجود الهنود بكثرة هائلة فى سواحل الخليج العربى والطفوف فى العصر الجاهلى أن طرفيها قد بلغت بهما زيادة عمرانهم الى حد دفع العرب إلى تسمية الابلة بارض الهند[1] وفرج الهند فى ناحية كما ان عرب عمان والبحرين قد بلغ بهم الاطلاع على احوال مواطنيهم الهنود وعاداتهم وتوافقهم مع اخلاقهم مبلغا جعلهم واسطة وحيدة لتعريف أولئك الهنود بالعرب الآخرين فى ناحية اخرى واما شدة اختلاط العرب بالهنود فى هذه الجهات وتأثرهم بلغتهم وحضارتهم فقد تمخضت عن انحراف وفساد فى لغتهم العربية فحرمت عربية هذه القبائل العربية روعتها وقوة سحريتها لفقدان الفصاحة والبلاغة وبلغ بها الانحطاط والركاكة إلى درجة افقدتهم الاعتماد وخرجت عربيتهم من نطاق التراث الادبى العربى الذى يعول عليه فى الحكم بصحة شئ من الكلام وفساده ويوضع النثر والشعر فى ميزانه لمعرفة الفصاحة والبلاغة وصحة التركيب والاستعارة.

وللبرهنة على ما اسلفناه آنفا نثبت هنا ما اورده العلامة القاضى بن صاعد الاندلسى فى كتاب «طبقات الامم» نقلا عن المورخ العربى

---

(١) كتاب الخراج للامام ابى يوسف - ص ٧١ - طبقات بن سعد. ج ٧ ص ٢ - تاريخ الطبرى وكامل بن الاثير - ج ٢ ص ١٨٨.

المعروف بالهمدانى صاحب الاكليل مما يلقى الضوء على ان هذه القبائل العربية كانت واسطة بين عامة العرب والهنود يقول العلامة :

«ومن وقع من نصر من الأزد بعمان فعنه أتى كثير من اخبار السند والهند وشيء من اخبار فارس[١]» .

واما فساد اللغة فيقول فى ذلك الدكتور مصطفى صادق الرافعى فى «تاريخ آداب العرب» بعنوان «الرحلة إلى البادية» ان اللغة العربية انما اخذت من الاعراب والبدو ولا سيما القيس وتميم غير ان البدو الذين لم تبق لغتهم عربية خالصة لمخالطتهم للعجم لايوخذ منهم واليك نبذة من نصه :

«وخاصة الذين كانوا يسكنون اطراف بلادهم المجاورة لمن حولهم من الامم ، فانه لايوخذ لامن لخم ولامن جذام لمجاورتهم اهل مصر والقبط ...... ولامن عبد القيس وازد عمان لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس ولامن اهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة[٢]» .

وكانت قبيلة عبد القيس ترتبط بسكان الهند برباط قوى وتصادفها بعض الاحيان ظروف وفرص تتيح لها المخالطة والتعامل مع اهل الهند . ويقول اخنس بن شهاب احد شعراء تغلب فى مدح لكيز بن عبدالقيس[٣] :

لكيز لها البحران والسيف كله .

ومما يدل كذلك على ما كان للهنود من الكثرة الكاثرة فى عمران البحرين وعمان ومناطقهما الساحلية انه لما ثارت عاصفة فتنة الارتداد

---

(١) طبقات الامم - ص ٥٩ .

(٢) تاريخ ادب العرب - ج ١ ص ٣٤٣ .

(٣) صفة جزيرة العرب للهمدانى - ج ١ ص ١٥٤ - كما نقل فى عربون كى جهاز رانى (ملاحة السفن عند العرب) ص ٣٠ .

فى هذه الجهات على اثر وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وقامت قبائل مختلفة بالثورة الماجنة ضد الاسلام اشركت هذه القبائل العربية أيضا فى هذه الفتنة أولئك الهنود الذين كانوا يساكنونها فى هذه المناطق والذين لم يكونوا قد اسلموا بعد وخاصة اضطر الزط والسيابجة الذين كانوا يسكنون القطيف وهجر ودارين وجوانا إلى ان يساهموا قبيلة بنى عبدالقيس فى حربهم .

وقد كتب الامام الطبرى فى وقائع سنة ١١ هـ عن ردة اهل البحرين ما يأتى :

ولما مات النبى صلى الله عليه وسلم خرج الحطم بن ضبيعة اخو بنى قيس بن ثعلبة فيمن اتبعه من بكر بن وائل على الردة ومن تأشب اليه من غير المرتدين ممن لم يزل كافرا حتى نزل القطيف وهجر، واستغوى الخط ومن فيها من الزط والسيابجة وبعث إلى دارين»[١].

ولقد قامت هذه القبائل مع من نجحت فى استغوائه وممالاته واستصحبته معها من الزط والسيابجة - ببلبلة صاخبة و ثورة جامحة فى تلك الجهات وحاصرت المسلمين واقامت حولهم من كل جانب حصارا شديدا يمنع عنهم وصول الميرة الاقتصادية والغذائية . ولما بلغ ذلك علاء بن الحضرمى وجه لتاديب بنى عبد القيس وحطم الجارود وبعد معركة حامية استطاع الجارود ان يعاقبهم عقابا شديدا حيث ألحق بهم هزيمة نكراء تبدد بها شملهم ذهب بعضهم ضحية المعركة ومن بقى منهم من المنهزمين

---

(١) تاريخ الطبرى - ج ٣ ص ٢٥٥ و ٢٥٦ - كامل بن الاثير - ج ٢ ص ١٤١

هربوا إلى دارين حيث لحقوا منه ببلادهم بحرا راكبين اليها السفن. كما يقول ابن الاثير:

«وقصد عظم الغلال إلى دارين فركبوا اليها ولحق الباقون ببلادهم»[1].

ولفظ الطبرى فى ذلك كما يلى:

وقصد العظم الغلال لدارين فركبوا فيها السفن ورجع الآخرون إلى بلاد قومهم»[2].

ويتبين من تصريح هذين المؤرخين ان الجيش المنهزم من البغاة والمرتدين الذى كان عدوه ضخما لجأ إلى الفرار ووصل إلى ميناء دارين وخفوا منها إلى أوطانهم فى مختلف الجهات ويستلزم ذلك ان الزط والسيابجة الذين كانوا من بين المنهزمين الفارين لابد ان يكون قد تم رجوعهم إلى الهند حسب ما يقتضيه القياس المؤسس على البيان السالف الذكر.

وان الهنود كما كانوا يسكنون فى المناطق الساحلية من الخليج العربى كذلك كانوا يسكنون فى المناطق الداخلية من شبه جزيرة العرب وكانت لهم فيها مساكن وقرى يسكنونها بصفة دائمة. فنجد بعض الآثار التى يثبت منها وجود الهنود فى المنطقة الوسطى من نجد وكانوا يقطنونها منذ العصور القديمة وقد ظلوا معتنقين لدياناتهم إلى ما بعد عهد بعثته صلى الله عليه وسلم وساعدوا الكفار والمشركين والمرتدين ايام فتنة الارتداد عن طريق تزويدهم بالاسلحة الهندية التى استخدمت ضد المسلمين فى المعارك التى استتبعتها هذه الفتنة الفوضوية. غير انه يتعذر لنا الحكم

---

(١) كامل بن الاثير - ج ٢ ص ١٤٢.

(٢) تاريخ الطبرى - ج ٣ ص ٢٥٩.

الحاسم عن ذلك بوجه من الوجوه هل باعوها من القبائل العربية ام هدوها إليهم فيحتمل ان تكون تبرعا منهم كما يحتمل ان يكون العرب قد اشتروها من هؤلاء الهنود وهناك احتمال ثالث وهو انها جاءتهم مستوردة من الهند بالصفقة على انه يغلب على الظن انها كانت عرضا وتبرعا من مواطنيهم زط الهند وسيابجتها يقصدون بذلك مساعدة العرب فى الحروب الناشبة. فلما حارب المسلمين مسيلمة الكذاب فى اليمامة احدى مناطق نجد بالعلانية بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وجه ابوبكر رضى الله عنه إلى اليمامة خالد بن الوليد رضى الله عنه لقتال مسيلمة الكذاب وجيشه ولما كان خالد بن الوليد فى طريقه إلى اليمامة وقد كان على وشك الوصول اليها اذ صادفته جماعة من بنى حنيفة قوم مسيلمة الكذاب فدارت بينها وبين جيشه معركة حامية انتهت بالقضاء على افراد هذه الجماعة عن بكرة ابيهم فلم يبق منهم إلا مجاعة بن مرارة بن سلمى الذى اسره خالد بن الوليد وأخذه معه وواصل السير حتى نزل بموضع يبعد من اليمامة بميل واحد ولما بلغ ذلك اهل اليمامة خرجوا لملاقاة الجيش المرابط وبيدهم سيوف تلتمع فلما رآها خالد بن الوليد رضى الله عنه خيل اليه انهم يتعاركون فيما بينهم ولما ذكر ذلك لجيشيه اخبره مجاعة بان الامر الواقع ليس كذلك وانماهم يقومون بتجلية سيوفهم الهندية ويعرضونها للشمس استعدادا وتهيئا للحرب. وبصدده يقول البلاذرى :

فرأى خالد البارقة فيهم، فقال يا معشر المسلمين قد كفاكم الله مؤنة عدوكم ألا ترونهم وقد شهر بعضهم السيوف على بعض واحسبهم

قد اختلفوا ووقع بأسهم بينهم . فقال جماعة وهو فى حديدة كلا ولكنها الهندوانية خشوا تحطمها فابرزوها للشمس لتلين متونها[١] .

ويستبين من هذه الرواية ان الهنود القاطنين فى اليمامة وما جاورها من المناطق كانوا قد زودوا مسيلمة الكذاب وجيشه باجود انواع السيوف المصنوعة بالهند وكانت لهذه السيوف شهرة عظيمة بين العرب . وكان للهنود كذلك عدد كبير فى نجران المدينة الشهيرة من اليمن على عهد بعثته صلى الله عليه وسلم وكان عرب نجران متأثرين إلى حد كبير بحياة الهنود وملبسهم كما يظهر ذلك من جملة لرسول الله صلى الله عليه وسلم استعملها بمناسبة خاصة بعث النبى صلى الله عليه وسلم فى الربيع الآخر أو الجمادى الاولى سنة ١٠ خالد بن الوليد إلى قبيلة بنى الحارث فى نجران ليدعوهم للاسلام فدعاهم خالد إلى الاسلام فقبلوا دعوته من دون تردد ودخلوا فى الاسلام فكتب النبى صلى الله عليه وسلم إلى خالد يامره بحضور المدينة على رأس وفد من بنى الحارث بن كعب فقدم خالد المدينة ومعه وفد منهم يتكون من ستة نفر كما فى سيرة ابن هشام :

فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآهم قال من هؤلاء القوم كأنهم رجال الهند . قيل يا رسول الله هؤلاء رجال بنى الحارث بن كعب[٢] .»

---

(١) فتوح البلدان - ص ٩٨ - طبع بمطبعة مصرية - ازهر .

(٢) سيرة ابن هشام - ج ٢ ص ٥٩٣، ٥٩٤ - وتاريخ الطبرى - ج ٣ ص ١٥٧ ولفظ الطبرى «هؤلاء القوم الذين كأنهم (باضافة الذين) و«هؤلاء بنو الحارث» .

ويمكننا فى ضوء الرواية السالفة ان تستنتج ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له معرفة جيدة بصور رجال الهند وشاراتهم وهيئاتهم ويفهم إلى جانب ذلك ان الهنود كان لهم جمع غفير فى مدينة نجران واطراوها وجعلتهم المخالطة للعرب يتشابهون معهم فى كثير من الشئون واقتبس بعضهم من حضارة الآخر واختار كل ما استطاب من الآخر وازداد عن هذا الاختلاط والتفاعل الشديد الشبه فيهم حتى صعب التمييز بين الهنود والسكان المحليين فى بعض الأحيان لما كان بينهم من التقارب الكبير فى اللباس والشارة نتيجة لقبول بعضهم لمؤثرات حضارة البعض الآخر.

ونجد من الآثار ما يثبت ان الهنود أيضا كانوا يسكنون غربى الجزيرة العربية فى الحجاز وكان اهل مكة المكرمة يعرفون عنهم شيئا كثيرا. فمن ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم لما لقى من قومه ما اتى فى بداية عهده بالبعثة من الوان المساوئ والظلم والاذى نظم عمه ابو طالب قصيدة طويلة اشتملت على مئات الابيات اكد فيها عدم اقلاعه عن حماية ابن اخيه وقد ورد فى بعض هذه الأبيات ذكر الهنود بما يأتى:

بضرب ترى الفتيان فيه كأنهم ضوارى اسود فوق لحم حرادل

بنى امـة محـبـوبة هندكيـة بنى جمح عبيد قيس بن عاقل[1]

ومما ينهض معنا دليلا كذلك على اثبات وجود الهنود وخاصة الزط منهم فى مكة المكرمة سند نستفيده من اثر ابن مسعود ويتبين به ان اهل مكة كانت لهم معرفة تامة بالزط وكانوا ملمين بوجوههم وصورهم

---

(١) سيرة ابن هشام ـ ج ١ ص ٢٧٩ ـ طبعت سنة ١٣٧٥ بمصر.

وازيائهم وشاراتهم. فلقد حدث فى مولد عهد الاسلام ان اتجه .
صلى الله عليه وسلم إلى بطحاء مكة ذات ليلة وصحبه عبد الله بن مسه
رضى الله عنه فرأى هناك قوما من الجن وكان يبدو من صورهم وهيئ
وهياكلهم كأنهم الزط من الهند وقد بينه ابن مسعود رضى الله عنه بما يأ

«بينما انا جالس فى خطى اذ اتانى رجال كأنهم الزط
اشعارهم واجسامهم لا ارى عورة ولا ارى قشرا.»[1]

فان اتيان ابن مسعود بهذا التمثيل والتشبيه فى بيانه ان دل
شئ فانما يدل على انه كان يعرف تمام المعرفة ما كان للزط من صو
وهيئة مميزة مع العلم بانه لم يكن قد خرج من مكة المكرمة فى أشد
تكفل تعريفه بهم.

ولا يخفى ان «المدينة المنورة» هى مدينة مركزية فى الحجاز وتا
فى الدرجة الثانية بعد مكة المكرمة. وظلت هذه المدينة سوقا كبيرة
عصرها الجاهلى وكانت هناك روابط تجارية اصيلة تربطها بالبحرين وع
والعراق والشام وغيرها من الاقطار وكانت تجارة سوق المدينة مع
الاقطار عن طريق الاستيراد والتصدير. غير أنه لم يتيسر لنا الاطلا
على وقعة حصلت فى المدينة المنورة على عهد حياة النبى صلى الله ع
وسلم وكانت فيها الدلالة على شئ عن الزط فيكشف مثلا عما اذا كان ل
اسهام فى التجارة على انه ان لم يكن مثل هذه الوقائع فان هناك بعض
روايات يثبت بها وجود الزط فى المدينة المنورة ايضا فقد اثبت الاما
البخارى فى الادب المفرد تحت باب بيع الخادم من الاعراب رواية ع
عمرة الانصارية ربيبة عائشة رضى الله عنها :

---

(١) سنن الترمذى ـ باب الامثال .

« ان عائشة رضى الله عنها وبرت امة لها ، فاشتكت عائشة فسال بنو أخيها طبيبا من الزط[1] » .

أخرج هذه الروايات الامام ابو عبد الله الحاكم فى مستدركه[2] والاغلب ان هذه الوقعة انما كانت بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم كما يشهد بذلك ظاهر لفظ الرواية غير أنها صريحة فى اثبات ان الزط كانوا ايضا فى المدينة المنورة وكان بعضهم يشتغل بالطب فيقوم بالتداوى والعلاج وانما تكفى هذه الوقعة فى اثبات وجودهم فى المدينة فحسب ولا تعين على معرفة وجودهم فى عهد حياته صلى الله عليه وسلم وقبله بالتأكيد غير انه يترجح عند العقل أنهم وجدوا فى المدينة قبل هذه الوقعة بزمن.

وتوجد فى شمال الجزيرة العربية وغربها آثار للهنود ويثبت من بعض الروايات أنهم كانوا يسكنون فى الجهات القريبة من تبوك فلقد اثبت الامام البخارى فى الادب المفرد ما دار بين النبى صلى الله عليه وسلم وابى رهم رضى الله عنه فى غزوة تبوك من الحوار الطويل الذى سأله فيه النبى صلى الله عليه وسلم عن أولئك النفر من قبيلة بنى غفار الذين لم يشتركوا فى هذه الغزوة فاجابه على ذلك :

« فقال : ما فعل النفر الحمر الطوال الثط ، قال فحدثته بتخلفهم. قال فماذا فعل السود الجعاد القصار الذين لهم نعم بشبكة شرخ[3] » .

---

(١) الادب المفرد ـ ص ٢٧ ـ المطبعة التازية بمصر .

(٢) فضل الله الصمد ـ ج ١ ص ٢٦٠ .

(٣) الادب المفرد للامام البخارى ـ ص ١١٢ .

والغالب على الظن ان المراد بـ « النفر الحمر الثط » فى هذه الاثر انما هو قوم من العبيد والموالى الهنود . والمراد بـ « السود الجعاد القصار » العبيد والموالى الذين كانوا ينتمون إلى السلالة الحبشية .

الاحمر الذي يجمع على الحمر والاحامر والاحامرة ، وكذلك المحمرة كلاهما يستعمل فى جزيرة العرب للموالى العجم الذين كان الهنود يمثلون غالبيتهم الكبرى .

وهذا موجز الحديث الذى يتناول بالذكر أولئك الهنود ومساكنهم الذين كانوا يقطنون فى جزيرة العرب . وان باحثا لو قام بدراسة كتب الاحاديث والتاريخ والسير بهذه الوجهة من النظر لعثر على معلومات اوفر واكثر فى هذا الموضوع .

عاش للود للوفاء للوئام

للاستاذ نديم الرافعى

«تحية اكبار» وتقدير لروح الزعيم العالمى الكبير
« جواهرلال نهرو » بمناسبة الذكرى الاولى لوفاته

حى ذكرى الابطال والاعلام ... حى ذكرى النبوغ والالهام
حى ذكرى محطم الاصنام ... حى «نهرو» رمز النهى والسلام
حى عقلا محنكا عبقريا ... حى روحا دقت على الافهام
روح حر بر بكل البرايا ... روح شهم قضى على الآلام
عاش يدعوالورى بدعوة صدق ... عاش للود ، للوفا ، للوئام
طاف شتى البلاد يعلن فيها ... مذهب الحب مذهب الابتسام
جال فى الارض ينشر الوعى والفهم ... ويذكى مبادئ الاسلام
وينادى بنصرة الحق والعدل ... وسحق الطغاة والظلام
كان عونا لكل عبد رقيق ... ونصيرا على مدى الاعوام
كان درعا لكل شعب ضعيف ... كان حصنا ومعقلا للتسام
كان مذ كان سيدا المعيا ... لوذعيا من قبل يوم الفطام

* * * * *

حرر الهند من جوائر حكم ... ذاق منه الهنود كأس الحمام
قد اذاع الشقاق بين بنيها ... فانتهى بالخصام والانقسام
ترك الهند بعد ان دمرتها ... نكسة الضر ثورة الآثام

* * * * *

لم يدعها نهرو ضحية مكر — لم يدعها فريسة للشام

لم يدعها تعيش عيشة بؤس — لم يدعها فى غمرة الاسقام

لم يدعها فى ربقة الذل تجثو — تحت حكم العدى على الاقدام

لم يدعها وشأنها فى ركود — وجمود وحيرة وظلام

* * * * *

فانبرى للبلاد يمسح عنها — وصمة العار اوثة الاجرام

حقق النصر للهنود ومجدا — لم تنله فى سالف الايام

وبفضل النضال حقق حلما — باسما من روائع الاحلام

* * * * *

كرس العمر فى الكفاح لتحيا — امة الهند فى سنا اكرام

آثر السجن والتشرد والنفس على اللهو والهوى والهيام

لقن الغاصب العنيد دروسا — فى احترام الشعب بين الانام

ثم ابدى الاعجاب بالهند حقا — ببلاد عريقة فى المقام

قدر الرائد المسالم «غاندى» — حق تقديره كخير امام

فنحا نحوه بنهج سليم — سالكا فيه مسلك الاقدام

وعلى الرغم من ثقافة نهرو — مستعينا (لآزاد رب الكلام)

مد ايدى الاخاء للصحب طرا — مستفيدا من خبرة الاعلام

* * * * *

حبذا ذاك الزعيم وحيا بطل الهند مرتجاها العصامى

ان «نهرو» مخلد ابد الدهـــر خلود الامجاد فى الاقوام

لو اقام البنديت للان ما استبيحت مذابح (الفيتنام)

* * * * *

فالى روح ذلك الفذ اهدى نفحات من طيبات السلام

والى ذاكر تحيات قلب شاكر شاعر بنبل الهيام

عشت يا مشعل العلوم سراجا ساطعا فى عوالم الاقلام

دمت للعلم بلبلا فى ريا ض الفكر تشدو باعذب الانغام

* * * * *

ما بدا فى السماء بدر منير وتجلت شمس الضحى فى الظلام

وغدا الناس فى سلام وامن فى خلال الوفاء والانسجام

وتصافى الجميع فى موكب الحـــب فهام الورى بسجع الحمام

غردى يا حمائم الدوح دوما واطربينا فانت رمز السلام

اثر الثقافة الهندية فى الثقافة العربية

للاستاذ جمال مفاع على
عضو بعثة الازهر فى الهند

لاشك أن الباحث يجد فى الحياة العربية والثقافة العربية أثرا ملموسا للثقافة والحياة الهندية، وكذلك يلمس تأثر الحياة الهندية والثقافة الهندية بالفكر الاسلامى الذى ورد إلى ربوع الهند فى اسلوب وتعبير عربى، وكأنى ببحر العرب منذ عهود قديمة تضرب أمواجه على شاطئيه فتترك غربيه فلسفة الهند وحكمتها وتترك شرقيه هدى الاسلام وفصاحة العربى.

وموضوعنا اليوم عن التيارات والأمواج التى انتقلت خلال هذا البحر فحملت من شرقيه كثيرا من بذور الحياة المتفتحة فبدت فى التربة العربية ورودا تنبئ عن أصلها سواء فى جوانب الحياة العملية أو طوايا الثقافة والحياة العلمية وليس بخاف أن العرب قد التقوا بالهند قبل شروق الاسلام على العالم، وعبر كل منهم البحر إلى الآخر، فعرف العربى طيب الهند وقال بعضهم فيه شعرا.

رب نار بت أرمقها　　　　نقضم الهندى والغارا[1]

وكما عرفوا منها صورة الطيب التى تمثل جانب الترف والرقة فى الحياة، عرفوا صورة تمثل جانب الجد والصرامة، فقد عرفوا السيف الهندى وسموه بأسماء مختلفة فقالوا «مهند» «هندى» «وهندوانى» وقال قائلهم «كل حسام محكم التهنيد» بل يرى بعض الباحثين أن إطلاق العرب كلمة «هند» على المائة من الابل ينبئ عن تصور الذهن العربى للبلاد الهندية وضخامتها

(١) اشعار عدى بن الرقاع، المراد بالعود: عود الطيب، الغار: نبت طيب الرائحة

وغناها وعند ما أراد أن يرمز إلى أعز مال لديه وهو الجمل رمز إلى المائة منه بكلمة «هند»[1] وأثار آخرون تساؤلا فقالوا إذا كانت العرب تتفاءل بعض الاسماء أو تلحظ بعض المعانى عند التسمية فقالوا «صخر والوليد» وقالوا «خنساء» «آمنة» الا يحس من إطلاق «هند» على بناتهم شئ يشير ولو من بعد إلى انطباع ذهنى أونفسى عن تلك البلاد التى كانت تبهرهم وارداتها وعلى كل إن كان هذا الانطباع الذهنى والنفسى غير واضح فلاشك أن علاقات تجارية وطيدة قامت على مدى عصور طويلة بين العرب والهند فاذا تصورنا بدائية وسائل المواصلات فى تلك العصور وأن التاجر كان يستغرق فى رحلته فترة طويلة فلاشك أن كلا من الطرفين أعجب بما عند الآخر، ومعروف لدى الباحثين أن العلاقات التجارية من أسباب الاحتكاك اللغوى وواضح هذا فى الألفاظ الهندية التى عرفها العرب مثل «زنجبيل وكافور».

ولما انساب الاسلام بفطريته وسلاسته إلى شعوب الأرض كان لقاء الهنود والعرب أوثق عرى من العهود الماضية، وأصبح أعمق معرفة واكثر وضوحا فى جوانب متعددة من الحياة، وليس أدل على ذلك من النصوص الكثيرة التى تزخر بها أمهات الكتب العربية فى وصف الحضارة الهندية وسنضع أمام القارئ بعضا منها «اشتهر الهند بالحساب وعلم النجوم وأسرار الطب والنجر والتصاوير والصناعات العجيبة»[2] «ذكر جماعة من أهل العلم والنظر أن الهند كانت فى قديم الزمان الغرة التى فيها الصلاح والحكمة»[3].

---

(١) راجع القاموس ولسان العرب (٢) رسائل الجاحظ ص ٧٢

(٣) مروج الذهب ١/٣٥

إن الهند لهم معرفة أسرار الطب وعلاج فاحش الأدواء والرقى وخرط التماثيل ونحت الصور وطبع السيوف والشطرنج ولهم ضروب الرقص والسحر[١] «إن الأمم الثمانى التى عنيت بالعلوم هم: الهند والفرس والكلدانيون واليونان والروم وأهل مصر والعرب والعبرانيون»[٢].

«هم الأمة الأولى كثيرة العدد فخمة الملك، قد اعترف لها بالحكمة والتبريز فى كل فنون المعرفة كل الملل السابقة»[٣].

وبعد هذا الاعتراف والتقدير للهند وحضارتها ومعارفها تعالوا لنرى الانطباع الفعلى والأثر الملموس الذى خلفته فى الحياة العربية والاسلامية بجوانبها المختلفة، وسنحاول أن نوجز القول فى المجالات الآتية:

الالهيات والعقائد

معروف لدى كل باحث أن الهند فيها إثراء فلسفى وفكرى وفيها عقائد موغلة فى القدم مثل الجينية والبوذية والهندوسية، ومعروف كذلك أن هذه الفلسفات والديانات تعدت حدود الأرض الهندية، وخرجت تبحث عن الاتباع والمريدين لاسيما فى عهد «أشوكا» الذى ارسل بعثات تبشر بالديانة البوذية فى الشام ومصر وشمالى أفريقيا واليونان، فاذا بحثنا عن رواسب وآثار هذه المعتقدات فى الفكر العربى والاسلام برزت لنا فكرة أساسية والطابع العام للفلسفات الهندية وهما «عقيدة التناسخ فى الارواح» و «عدم التجريد الفلسفى» ونحب أن نلفت النظر أولا إلى أن عقيدة التناسخ عرفها اليونانيون أيضا وقال بها فيثاغورس ورأى وقوع التناسخ بين

---

(١) محاضرات الأدباء للاصفهانى (٢) اخبار الحكماء ص ٢٢٦

(٣) أخبار الحكماء ص ٢٦٦

الانسان والحيوان، ويرجح مؤرخ الفلسفة اليونانية أن هذه العقيدة أصلها هندى؛ اذ ثبت أن الهند كان بينها وبين أوروبا علاقات منذ تاريخ قديم إلى درجة أن «أرسطو» روى أن فلاسفة هنودا وردوا أثينا ليناقشوه فى بعض القضايا الفلسفية، وكذلك عرف «مانى» التناسخ حينما دخل أرض الهند منفيا من فارس، وكذلك سأل الحواريون[1] السيد المسيح عليه السلام عنها، وأما أثرها فى الفكر الاسلامى فكان واضحا كل الوضوح فقد قال بها «احمد بن حائط» وأبومسلم الخراسانى والقرامطة وكان ابن حائط يرى أن الأرواح بعد مفارقتها الأجساد تنتقل إلى أجساد أخرى واحتج لذلك بقوله تعالى فى القرآن الكريم «فى أى صورة ما شاء ركبك»[2]

وقد أوضح الشهرستانى هذا فقال: كان ابن حائط يقول: ان الله خلق عباده سالمين أصحاء عقلاء فى دار سوى هذه الدار، وخلق فيهم المعرفة، وأسبغ عليهم نعمه، ثم إبتدأهم بتكليف شكره، فأطاعه بعضهم فى كل ما أمر، فأبقاهم فى دار النعيم، وعصاه بعضهم فى كل ما أمر، فأخرجهم من النعيم وأدخلهم النار، وبعضهم أطاع فى شئ وعصى فى شئ، فأخرجهم إلى الدار الدنيا وألبسهم الاجسام الكثيفة وابتلاهم بالبأساء والضراء على صور مختلفة من صور الناس وسائر الحيوانات على قدر ذنوبهم، ثم لايزال الحيوان فى الدنيا كرة بعد كرة وصورة بعد أخرى ما دامت معه ذنوبه[3]، وقبل هؤلاء كان السبيئون واتباعهم الذين قالوا بتناسخ الجزء الهى فى الأئمة بعد على (رض)[4].

---

(١) البيرونى ص ٢٧ (٢) سورة الانفطار ٨٦ الآية ٨ (٣) الفصل لابن حزم ص ١ (٤) الشهرستانى ص ٢

وبعد هؤلاء كان النصيرية الذين يعتقدون أن مرتكبى الآثام يعودون إلى الدنيا يهودا أو نصارا أو مسلمين سنيين، أما من لم يؤمن بعلى فيعود بغلا أو حمارا أو كلبا أو نحو ذلك[١].

ومعروف أن نظرية التناسخ تسلم إلى القول بالحلول وقد قال به بعض متصوفة المسلمين.

أما طابع عدم التجريد الفلسفى فقد قالت به فرقة من المسلمين أطلق عليها اسم «السمنية» نسبة إلى المكان الذى كان فيه المركز الروحى لفرقة هندية نادت بنفس هذه النظرية منذ عهود قديمة فى بلد هندى يقال له «سومنات» فى ولاية كجرات الهندية، وقد جادل أهل السنة هذه الفرقة فى كثير من الأمور وأهمها «نظرية المعرفة» فهم كانوا يقولون بوقف المعرفة على الحس، أما النظر المجرد الذى ليس له أصل حسى فلا يفيد علما[٢].

الطب والرياضة

وهذا مجال آخر وضح فيه الأثر الهندى أيما وضوح قبل أن تتوثق علاقة العرب باليونان، ومما ورد فى هذا أن أبا جعفر المنصور وفد عليه جماعة من الهند سنة ١٤٥ هـ وفيهم رجل ماهر فى فن الفلك وحساب الكواكب، وكان من نتيجة زيارته أن أملى ملخصا لكتاب هندى فى الفلك والرياضة وترجم هذا الملخص إلى العربية وسمى «السند هند» وهى تحريف لكلمة «سدهانت» التى تمثل جزء من اسم الكتاب الذى ألفه

---

(١) الشهرستانى ص ٢ (٢) المواقف ص ١

فلكى الهندى «برهمكبت» وقد تتلمذ على هذا الاستاذ الزائر «ابراهيم بن حبيب الفزارى» ويعقوب بن طارق.[1]

وقد قال الاستاذ «نيللو» إن العرب أخذوا عن الهند طرقا مهمة كثيرة النفع فى حل جملة من المسائل الفلكية المتعلقة بعلم حساب المثلثات الكروية.[2]

وطبعا هذا لاينفى أن العرب فيما بعد تأثروا أكثر بنظريات بطليموس وكما جاءت وفود كان من بينها الرياضيون والفلكيون كذلك جاءت وفود إلى بغداد من الأطباء ونذكر من «منكه» «بازيكر» «فلبرفل»، على أن بغداد قد أقام فيها بعض الأطباء الذين كانوا يمثلون الطب الهندى بجانب الطب اليونانى ونذكر منهم «صالح بن بهلة» والواقع أن تنوع الأعشاب والمناخ يؤهل الهند لذلك اكثر من غيرها.

الآداب وما إليها

والمجتمع الاسلامى والعربى إن كان لم ينظر إلى بعض الفلسفات الهندية نظرة تسليم، فلاشك أنه قد تقبل بالرضا التام والقبول المقرون بالأعجاب «الآداب الهندية» وسواء فى ذلك ما كان بمثابة الوسائل للمضمون الأدبى من علوم النحو والبلاغة أو المضمون الأدبى نفسه بجوانبه المختلفة.

فيما يختص بالنحو والبلاغة يقف الانسان طويلا أمام بعض النقاط إن وسعه الشك فى جزء منها لابد له من التسليم باكثرها، فمن ذلك ما روى عن نشأة علم النحو عندهم ونجمله فيما يأتى: يروى أن ملكا

---

(١) علم الفلك لنيللو (٢) «علم الفلك» لنيلو.

هنديا كان مع نسائه فى حوض فقال لاحداهن جملة معناها لا ترشى على الماء، ولكنها فهمت أنه يقول لها «أحضرى حلوى» فذهبت ثم جاءت تحمل الحلوى ولما قدمتها إليه أنكر ذلك منها فقالت له : انك طلبتها وقعت بينهما مخاشنة فى الخطاب احتجب على أثرها الملك حزينا فجاء يه احد العلماء وطمأنه بأنه سيضع قواعد تلافيا لمثل ما حدث من خطأ، ثم ذهب هذا العالم إلى «مهاديو» مصليا مسبحا حتى ظهر له وعلمه بعض القوانين اليسيرة فرجع بها إلى الملك وكانت ذلك بداية علم النحو الهندى[1].

وهذا لايختلف كثيرا عن بعض الروايات فى سبب نشأة النحو العربى، وما روى من أن ابنة ابى الأسود الدؤلى قالت له ليلة : «ما أحسن السماء» فقال لها : نجومها، فقالت يا أبت انما أخبرتك وما سألتك، فقال لها قولى إذن «ما أحسن السماء» ثم ذهب إلى على بن ابى طالب كرم الله وجهه يطلب معونته فى وضع النحو فاذا علمنا تعدد الروايات فى أصل وضع النحو العربى، وعلمنا أن كثيرا من أعلامه من أصل عجمى، وعلمنا أنه نشأ فى البصرة وهى منطقة تشيع، كل هذا يضع أمام الذهن تساؤلا عن مدى تلاقى القصتين لنشاة العلم فى اللغتين.

وهناك أمر آخر أثاره بعض الباحثين وهو مجئ كتاب العين للخليل بن أحمد مرتبا على نمط اللغة السنسكرتية التى ترتب الحروف حسب مخارجها فاذا أضفنا الى ذلك أن البيرونى سنة ١٠٤٨ المؤلف العربى الذى كان يجيد السنسكريتية يقول : ان الهنود كان لهم اوزان شعرية وبحور للنظم ولايستبعد أن يكون الخليل بن أحمد قد نظر فى هذه الأوزان.

---

(١) البيرونى ص ٦٥

أفلا يشكل كل هذا ظلالا هندية فى نشأة هذه العلوم[١] طبعا ليس كل تشابه يقطع بتأثر أحد الطرفين بالآخر، ولكن إذا عرفنا أن هذه العلوم نشأت فى بداية وأواسط القرن الثانى الهجرى وأن هذا الوقت يوافق حركة الترجمة الى اللغة العربية، وإذا عرفنا كذلك أن العرب ترجموا فى هذه المجالات من اللغات الهندية والفارسية قبل اليونانية، وإذا وضعنا فى الاعتبار أن موطن نشأتها هو العراق الذى كان ملتقى الثقافتين الهندية والفارسية بالفكر العربى، كل هذه الملابسات والظروف لاتجعل الأمر مجرد مشابهة، فاذا تأملنا ما ورد فى جانب آخر مكمل لهذه العلوم قوى الاستنتاج الذى قلناه أولا من استفادة هذه العلوم بما عبر إليها الخليج ومنه الثقافة الهندية، ونعنى بهذا الجانب علم البلاغة فقد ورد فى ذلك أن معمرا أبا الاشعث قال لبهلة الهندى : ما البلاغة عند أهل الهند؟ قال بهلة : عندنا فى ذلك صحيفة مكتوبة لا أحسن ترجمتها لك ولم أعالج هذه الصناعة فاثق من نفسى بالقيام بخصائصها وتلخيص لطائف معانيها، قال أبو الاشعث فلقيت بتلك الصحيفة المترجمين فاذا فيها اول البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللحظ، متميز اللفظ، لايكلم الامة بكلام سيدها، ولا الملوك بكلام السوقة، ويكون فى قواه فضل للتصرف فى كل طبقة، ولايدقق المعانى كل التدقيق، ولاينقح الالفاظ كل التنقيح، ولايصفيها كل التصفية، ولا يهذبها غاية التهذيب، ولايفعل ذلك حتى يصادف حكيما أو فيلسوفا[٢].

---

(١) البيرونى ص ٧١ (٢) البيان والتبيين ١/٧٩.

المتأمل فى هذا الكلام يجده نفس الصفات التى امتدحها العرب فى الخطيب من حيث الهيئة، وما سموه فى علم البلاغة «بمقتضى الحال» من تميز اللفظ الذى يوافق ذوق السامع ويلائم حالته الذهنية والنفسية. ومما يزيد هذا الأمر وضوحا أن العلماء العرب اهتموا بالبلاغة الهندية وأخذوا يعقدون المقارنة بينها وبين البلاغة العربية ومن الأمثلة على ذلك ماعقده التنوخى بين بعض النصوص ثم قرر فى ضوئه أن البلاغة الهندية مطنبة على حين أن العربية موجزة[١].

وإذا كان النص الأدبى بعبارته المؤثرة وفكرته السامية وغرضه التهذيبى والامتاعى هو الهدف وهو الغاية من العلوم اللغوية، فان تأثر الأدب العربى بالآداب الهندية أوضح واظهر، وقد تاكد هذا الوضوح فى جانبين، جانب يهدف إلى التهذيب والتربية والتقويم خلال أطار ممتع يتسلل إلى العقل والقلب من بين ثنايا المواقف والحوادث ونعنى به «الجانب القصصى» وجانب يهدف إلى التهذيب بجرعات مركزة فيها خلاصة عمر وعصارات تجارب ونعنى به «جانب الحكم» فأما القصص فيكفينا منه كتابان «كليلة ودمنة» و«الف ليلة وليلة» وأصبح فى حكم المسلم أن أصل الكتابين هندى وإن كانت فارس قد أضافت إليهما وإن كانت الترجمة قد حورت أو لونت بعض الأجزاء. وقدنال كليلة ودمنة من الأعلام العرب كل اهتمام وعناية وقد تمثل ذلك فى صورتين: نظمه شعرا بواسطة اكثر من عالم وأديب عربى منهم «أبان اللاحقى» «وابن الهبارية» فى كتابه نتائج الفطنة ونظمه الثانى الذى اكمله عبد المؤمن بن حسن الصاغانى واسمه «در الحكم

---

(١) نشوار المحاضره ١/٥٧

فى أمثال الهنود والعجم» والثانية: كتب كثيرة ألفت على منواله منها «الصادح والباغم» لابن الهبارية «سلوان المطاع فى عدوان الطباع» لابن ظفر «فاكهة الخلفاء ومناظرة الظرفاء» لابن عربشاه، ويذكر صاحب كشف الظنون: أن المعرى ألف كتابا على منواله ولكنه لم يتمه وكان اسمه «القائف». وإذا كان هذا اهتمام الأدباء العرب بكليلة ودمنة، فلا غرابة فيما تركه هذا الكتاب من أثر فى القصص العربى فقد أوجد لونا جديدا يعتبر من أقوم وسائل التربية، وهو فوق ذلك تنفيس عن الرأى المكبوت والحريات المكبلة فى عهود الاستبداد والقهر، وكأنه اشارة جاءت على لسان الطيور والحيوانات لتقلل من غلواء الملوك وتثير فيهم مشاعر الحب للعدل والانصاف. فيقل الظلم وتنسد الهوة بين الحكام وشعوبهم ويخف خطر بطانات السوء التى ترتع فى عهود الاستبداد السياسى وتزين كل ضلال وانحراف، ولعل ابن المقفع حين ترجم هذا الكتاب كان يرى فى أبى جعفر المنصور ما رآه «بيدبا» فى «دبشليم» بل هو كذلك يدرك ذلك من يقرأ «رسالة الصحابة» لابن المقفع فهى مليئة بالاشارات الخفية والنصائح المغلقة وهى موجهة للمنصور مفعم كان للعرب بعض القصص من هذا النوع ولكنها لا تمثل لونا أدبيا مستقلا كما حدث ذلك فيما بعد وأما الف ليلة وليلة فقد اقتحم كل بيت عربى ودارت طرائفه وقصصه على السنة السمار فى محافل المدن والقرى، وعندنا الآن فى الجمهورية العربية المتحدة ومنذ وعت أذناى الكلام وجداتنا يحدثننا بالكثير من مغامرات «السندباد» و«معروف الاسكافى» والأمر كذلك فى كل الوطن العربى.

وكثيرا ما تمنى الشباب عندنا أن يعثروا على «خاتم سليمان» أويلتقوا «ببدر

الدجى وقر الزمان، وإذا كانت هذه قصة الحياة مهداة على السنة الطير والحيوان أو مغلفة بالخيال بين مغامرات السندباد وخاتم سليمان ، فان الأدب العربى عرف صورة أخرى من تجارب الحياة وأحداثها فى جرعات مركزة من «الحكم» والواقع أن الحكم التى نقلت عن الهند وافقت الذوق العربى تماما ، وذلك لأنها غزيرة المعنى قصيرة الجمل ، ولأنها تمثل تجربة انسانية عامة يلتقى عليها الناس جميعا ولأنها تحمل صدقا وبساطة وهما شيئان ينزع إليهما العقل العربى والنفسية العربية أكثر من النزوع إلى التسلسل الفلسفى وسنضع بعضا من هذه الحكم امام القارى حتى يلمس مدى التئامها مع المشاعر والعقل العربى ومدى اهتمام الكتب العربية بهذا اللون من الأدب . يقول ابن قتيبة «قرأت فى كتاب من كتب الهند : شر المال ما لاينفق منه ، وشر الاخوان الخاذل ، وشر السلطان من خافه البرئ وشر البلاد ماليس فيه خصب ولاأمن» .

« ثلاثة أشياء لاتنال إلا بارتفاع الهمة وعظيم وخطر : عمل السلطان وتجارة البحر ، ومناجزة العدو » .

وفى كتاب ثالث : ليس من خلة يمدح بها الغنى الاذم بها الفقير ، فان كان شجاعا قيل اهوج ، وإن كان وقورا قيل بليد ، وإن كان سنا قيل مهذار وإن كان صموتا قيل عى » .

وفى رابع « العالم اذا اغترب معه من علمه كاف ، كالأسد معه قوته حيث توجه »[1] .

وقد عقد صاحب سراج الملوك فصلا فى الحكم ، وقال هذا مأخوذ من كتاب شاناق الهند « اسمه منتخل الجواهر »[2] .

---

(١) راجع الجميع فى عيون الأخبار ص ٢٦١ (٢) سراج الملوك للطرطوسى سنه ٨٧٦

تأثر الأدب العربي بكل ما تقدم ويقول ابن قتيبة مؤكدا هذا الكلام عندما علق على بعض أشعار أبي نواس حين قال :

قل لزهير إذا حدا أو شدا　　أقل أو اكثر فأنت مهذار

سخنت من شدة البرودة حتى　　صرت عندى كأنك النار

لايعجب السامعون من صفتى　　كذلك الثلج بارد حار

قال « إن هذا الشعر يدل على نظره فى علم الطبائع ، لأن الهند تزعم أن الشئ إذا أفرط فى البرودة عاد حارا مؤذيا »[١].

وعندما قال ابو نواس فى الخمر :

تخيرت والنجوم وقف　　لم يتمكن بها المدار

قال « يريد أن الخمر تخيرت منذ القدم ، وأصحاب الفلك يزعمون : أن الله تعالى حين خلق النجوم جعلها مجتمعة فى برج ، ثم أطلقها من هناك فهى لاتزال جارية ، وعند ما ترجع إلى البرج الذى بدأت منه ينتهى العالم . والهنود يقولون : إنه فى زمان نوح عليه السلام اجتمعت هذه النجوم فى برج الحوت إلا قليلا منها ، ولذلك هلك الناس ولم ينج منهم الا بمقدار ما بقى منها خارج الحوت »[٢] .

وإذا كان هذا هو لقاء الثقافة بفروعها فان هناك لقاء يوميا مع الجماهير العربية وتمثل هذا فى الألفاظ التى تجرى على السنتهم من اسماء النباتات والطيور والحيوانات مثل : زنجبيل ـ كافور ـ انبج ـ فيل ـ طاووس ببغاء ـ أو المصنوعات الهند ـ مثل : كرباس ـ مخمل ـ وليس هذا فقط ، بل عرف المجتمع العربى شيئا من ترويح الهند وفنونها مثل : الشطرنج

(١) طبقات الشعراء (٢) طبقات الشعراء

فهو فى أصله هندى، ومثل بعض ضروب الرقص، وعرف أيضا فى مقابل هذا نماذج بشرية جاءت من المجتمع الهندى فاعطت صورة عن الجدية والعمل، فكان كثير من الهنود يقومون بأعمال الصيرفة والصيدلة، وفى ذلك يروى الجاحظ «كنت لاترى صيدلانى فى بغداد إلا ومعه غلام سندى، وصاحب «كيسه» سندى[١]: على أن هناك نماذج أكثر وضاءة وإشراقا اسهمت فى بناء الحضارة العربية، ونعنى بذلك المرأة الهندية التى عرف لها المجتمع العربى قيمة ذاتية لها وفضلا لأبنائها، أما هى فيقولون فيها «الهنديات عرفن بالوداعة، ولين الجانب والهدوء وحسن رعاية الطفل نحول الخصر وطول الشعر[٢]».

وأما أبناؤها فكان منهم أعلام فى كل مجالات الثقافة العربية وتذكر منهم «أبو العطاء السندى» شاعر من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية، وكان فى لسانه لكنة، فكان يقول فى «مرحبا» «مرهبا» وفى «أظن» «أزن» وفى «جرادة» «زرادة» وقد اضطر أن يتخذ له غلاما ينشد شعره وكان شاعرا مرموقا وقع خلاف بينه وبين العباسيين فلم يهجهم وهى هم ومما قاله فيهم[٣].

فليت جور بنى مروان عادلنا وليت عدل بنى العباس فى النار

«ابن الاعرابى علم من أعلام اللغة والأدب يقال عنه أنه أملى على الناس ما يحمل على أجمال، ومن تلاميذه «ثعلب» و«ابن الكتب» وبقى من مؤلفاته «كتاب فى اسماء البر وصفاتها» و«كتاب فى اسماء الخيل» نجيح

---

(١) الحيوان ٣ ١٣٤ (٢) الاغانى (٣) ترجمته فى الأغانى ١٦ ٨١

السندى، من المحدثين صاحب مغازى وكان الكن فيقول حدثنا قعب وهو يريد «كعب».

وبعد فهذه إطلالة سريعة على أثر التفاعل بين الثقافتين العربية والهندية نرجو أن نعود فنفصل فيه ما أجملناه فان بين البوذية وترك ابى العلاء اللحم وكراهيته لذبح الحيوان، وبين فكرة التناسخ وصوفية السهروردى، وبين السمنية وابوبكر محمدبن زكريا الرازى، صلة تلفت النظر، على أن هناك جانبا مهما وهو الصورة المقابلة ونعنى بها تأثر الحياة الهندية بالفكر الاسلامى والحضارة العربية حتى تكتمل صورة اللقاء تماما ونجتاز معا بحر العرب من كلا جانبيه فان بين شاطئيه كثيرا من عوامل اللقاء.

اسطول گجرات

للاستاذ السيد ابى ظفر الندوى

موقع گجرات الجغرافى

إن هذا القطر الذى يقع جنوبى غربى «الهند» يحيط بطرف منه «بحر العرب» ، وفى جهته الامامية تقع «عمان» وإلى الجهة اليمنى منه يقع «خليج فارس» وإلى الجهة اليسرى يقع خليج «عدن» و «عدن» مرفأ قديم لـ «اليمن» و «حضرموت» واقعة على الجانب المواجه لـ «گجرات» و «البحرين» مركز بحرى على «خليج فارس» ونظرا لهذا الموقع الطبيعى كانت علاقات «گجرات» مع «جزيرة العرب» شيئا استتبعته الطبيعة. وإلى جانب ذلك كانت طريق «السند» مفتوحة لحركة المواصلات منذ مدة ، كما كان للزائر القادم إلى «ديول» - مرفأ السند القديم - ان يبحر اذا ما رغب فى ان يتم سفره عن طريق البحر ، وكذلك كانت المواصلات مع الجنوب عن طريق البر والبحر ، واما طرق المواصلات إلى الشرق من مثل «مارواڑ» و «مالوه» و «خانديس» فانما كانت برية ؛ فكانت التجارة فى هذه المنطقة تسير عن طريق القوافل التجارية . وبالجملة فلقد كان وضع «گجرات» الجغرافى فى منتهى الجودة والجمال لوقوعها بين الشمال والجنوب إلى وسط الجانب الغربى منهما ولمتاخمتها للبحر من جهة ومجاورتها للبر الواسع من جهة أخرى ، وكان موقعها الجغرافى الممتاز هو السبب فى دوام حركة المواصلات وملاحة البوارج لأوربا ، و «مصر» و «جزيرة العرب» و «الشام» و «العراق» و «ايران» ومرور سفنها العابرة للمحيطات بـ «گجرات» فكان لابد للسفن الذاهبة إلى «لنكا» و

« مدراس » و « بنگال » و « آسام » و « برما » و « الصين » من الرسو والوقوف فى مرفأ ما من مرافئ « گجرات » وكان ذالك سببا جوهريا فى غناء « گجرات » وخصبها ورفاهيتها .

المرافئ القديمة لگجرات

من الصعب العسير التعيين والكشف للمواضع التى كانت مرافئ « گجرات » القديمة على وجه التحقيق والتدقيق لان التاريخ القديم للهند يحيط به ظلام حالك اختفت فى دياجيره المعالم التاريخية على أننا نذكر هنا المرافئ التى لم تزل معروفة إلى بداية العهد الاسلامى ونضيف اليها تلك المرافئ التى استطعنا ان نعرفها من كتب تاريخ الروم واليونان . وأسماء هذه المرافئ كما يلى : « دواركا » و « سومناته » و « كتش » و « كهنبايت » و « دلبهى‌پور » و « دهوليرا » ـ دهندهوكا ـ و « بهروچ » و « رورگه » و « گندهار » و « جبےمور » و « سوباره » و « تهانه » ويضيف إليها بعض الناس الاسماء التالية : « نوساری » و « بلی‌مورا » و « كيم » و « پوربندر » و « مانگرول » و « هاتهب »[١] و « سوربه‌پور » و « گنديوى » و « گوپ‌ناته » « مهوه » .

المرافئ فى العهد الاسلامى

فقطر « گجرات » يقع مواجها لجزيرة العرب ، ومن سواحل « ايران » و « العراق » و « الشام » و « مصر » و « افريقيا » كانت تقدم السفن بكثرة إلى مرافئ « گجرات » وبما ان العرب كانوا فى ذروة المجد والحضارة آنئذ وكان نطاق تجارتهم متسعا إلى « الصين » فكانوا يحملون

(١) كتاب باللغة الگجراتيه اسمه : ندوهان وتو ـ ص ٢

اليها البضائع للتجارة وكان توقفهم فى موانئ «گجرات» لمدة من الزمن امرا طبيعياً، وذلك لامور أولا ليقوموا بعملية البيع والشراء كعادتهم فى تعاطى التجارة التى كانت تستمر حتى فى الطريق ثم انهم كانوا يقومون بقضاء حاجات السفر كالتزود بالماء العذب والمواد الغذائية ليتمكنوا من مواصلة السفر وقطع مسافة الطريق إلى بلد يختارونه للتجارة.

ثم لما خضع «گجرات» للحكم الاسلامى، ونشط الملوك الگجراتيون فى تطوير بلادهم وترقيتها افتتح عدد من المرافئ فى «گجرات» و «كاٹھياوار» فقد ورد فى كتب «مرآة سكندرى» و «مرآة احمدى» و «ظفر الواله»[1] بصراحة وجلاء ان هذا القطر كان يضم فى مختلف مناطقه اربعة وثمانين مرفأ فى عهد سلاطين «گجرات» ولم يتسن لى العثور على أسماء هذه المرافئ كلها بالتفصيل غير ان الاسماء التى استطعت ان اكتشفها بالبحث والتتبع هى كما يلى:

ومما ينبغى ان يلحظ قبل المعرفة بالاسماء ان قطر «گجرات» ينقسم الى ثلاثة مناطق منطقة تسمى بـ «گجرات» نفسه ومنطقة أخرى تسمى «كاٹھياوار ـ سورته» واما الثالثة فهى تعرف بـ «كوتش» وكانت مرافئها حسب ما يأتى: «اكهبٹ» و «مانڈوى» و «مدرا» و «جكهو» و «كنڈلا» و «ٹونا». واما مرافئ «كاٹھياوار» فهى كما يلى:

«نولكهى» ـ موربى ـ و «جوديا» و «بيدى» ـ جامنگر ـ و «سلايا» و «اوكها» ـ دواركا ـ و پوربندر ـ و «نوى بندر» و «مادهوپور» و «منگرول» و «چورواڑ» و «ويراول» و «سومناته» و «كوڈی‌نار»

---

(١) ظفرالواله ـ ج ١ ص ٢٣٣

و « ديو » و « جعفرآبادى » و « مهودا » و « بهاونگر » و «دهوليرا» و « دلبهى‌پور » ـ گهوگه ـ و « نوانگر » بالقرب من ديو ـ و «كانف» ـ بالقرب من دهندهوكا ـ و «جهون‌جهون واڑا» . واسماء المرافئ التى كانت تتصل بـ « گجرات » ـ احد اجزاء قطر گجرات ـ كما يلى :

«كهنبايت» و « بيرم » و « بهروج » و « بهاڑبهوت » و «گندهار» و « انكليشور» و « هانسوت » و « سورت » و «راندير » و « ڈرميس » و « نوسارى » و«گنديوى » و « دل‌ساڑ » و «دمن» و «تنكاريه» و « دےهج » و «دهيكاؤن» و « كاوى» و « سنجان» و « بلى‌مور » ـ بالقرب من گنديوى ـ و «چيمور » بالقرب من بمبئ ـ «ومهائم» و « تهانه » و « سوپاره » و «بسى» و « كليان » و « دهانو » .

وكانت هذه المرافئ على ثلاثة انواع ودرجات ففى الدرجة الأولى تأتى تلك المرافئ التى كانت تسع اكبر السفن ثقلا وضخامة كـ « گهوگه » و « ديو » و « بهروچ » و « ديراول » و « سومناته » وغيرها من الموانئ والفرضات .

وفى الدرجة الثانية تحسب تلك المرافئ التى كانت تسمح بالرسو للسفن المتوسطة الحجم فى الضآلة والضخامة . واما الدرجة الثالثة فاعتبرت فيها بقية المرافئ وكانت غالبيتها طبيعية غير مسفلتة . وانما كانت ترسو فيها السفن الصغيرة والزوارق والقوارب فى أغلب الاحيان . يطلق عليها اهل «بنغال» و «بيهار» گهاٹ ـ اى الموارد ـ وفى بعض الاحيان كانت تتجه إلى هذه المرافئ غير الصناعية البوارج والسفن الكبيرة وترسو فيها وقت مد الماء فى البحر لتنتظر الجزر بعد ان تنزل حمولتها وحينما كانت تنتظر تحول المد إلى الجزر

وهى حاملة للبضائع كانت تتعرض للانحراف والاعوجاج لانها كانت تلتصق بالارض بعد ان ينجزر عنها الماء بحكم ثقلها . وقد اتيحت لى فرصة لمشاهدة هذا المنظر فى «رنكون» ـ برهما ـ و «ماندلے» وغيرهما من المرافئ .

المرافئ العصرية

ولما تم استيلاء الحكومة البريطانية على الهند اغلقت هذه المرافئ إلا اربعة منها أبقت عليها للهند بأثرها وهى : «كراتشى» ـ للسند ـ و «بمباى» لكجرات ـ و «مدراس» و «كلكتا» ـ لبنغال ـ غير ان المرافئ التى كانت فى ولايات ملوك الطوائف والمناطق الساحلية ـ قد ابيح استخدامها بشروط خاصة تسببت فى ان هذه المرافئ المسموح باستعمالها لم يعد فى امكان عامة الناس ان ينتفعوا بها فانما كانت كل ولاية تستأثر باستغلالها فى منافعها الخاصة ولقد افتتح عدد من المرافئ فى (كاتهياوار) و (كجرات) منذ مدة تتراوح بين ثلاثين واربعين عاما بعد ان تمت الموافقة على الشروط المعينة . وانفق على ترميم هذه المرافئ وتعميرها من الروبيات مايربو على الملايين بكثير . وفيما يلى نسرد اسماءها :

«اوكها منڈل» ـ بڑوده ـ و «پور بندر» و «مانگرول» و «ديراول» و «سومناته» و «كوڈى‌نار» ـ بڑوده ـ و «جعفرآباد» و «بهاونگر» و «نوانگر» ـ جام نگر ـ و «مانڈوى» ـ كوتش ـ و «كهنبايت» واما غيرها من المرافئ المفتوحة الاخرى فغالبيتها غير مستغلة وان الحكومة تشدد الرقابة على المرافئ لئلا يتمكن التجار من تفريغ سفنهم عن البضائع فى هذه المحطات بدون أن يدفعوا إلى الضباط ما يعنونه من الرسوم .

الملاحة فى بحر العرب عبر التاريخ القديم

اشتغل سكان المناطق العربية الساحلية بالملاحة منذ عصور عتيقة فما يثبت أنهم تعاطوها عبر عصور التاريخ وما قبله غير ان التفصيل عن هؤلاء الملاحين مجهول التجار العرب الذين عرفوا اولا بالكنعانيين ثم اطلق عليهم «الآراميون» ويقال لهم الآن «الفينيقيون» كان لهم فى التجارة عن طريق السفن حذق ومهارة كبيرة. وكان هؤلاء التجار فى الاصل من سكان «البحرين» الذين نزحوا إلى «الشام» واستوطنوها، وكانت مدينتا «صور» و «صيدا» مركزين كبيرين لهم، وكانوا يسافرون إلى «يونان» بالطريق الممتد على طول ساحل «بحر الروم» ثم يبدأ سفرهم منها حتى تتم الرحلة إلى «اوربا» عن هذا الطريق، وكذلك كانوا يقومون بالسفر فى الشرق عن طريق «البحرين» و «البحر الاحمر» ويعبرون المناطق الساحلية لـ «ايران» و «الهند» فيصلون إلى «الصين» حاملين للبضائع والاموال التجارية، ثم ينقلون منها الاشياء المحلية إلى «اوربا» وهكذا كانت التجارة فى كلا الجانبين من الشرق والغرب نهائيا فى ايديهم وكان ذلك سنة ٢٠٠٠ ق.م.[1]

وإن السفن الرائجة فى القرن الثانى عشر الهجرى كانت ذات أحجام كبيرة فالسفينة العادية كانت تتكون من ٩٠ ياردة فى الطول و ٢٠ ياردة فى العرض ونفس هذا القياس كان فى الارتفاع وتكون لها ثلاثة اعمدة تنصب على كل منها عشرة قلوع واشرعة، وحبل من النارجيل طوله مائة ياردة، ومرساة ضخمة من الصلب يبلغ وزنها نحو ثلاثة اطنان وكانت

(١) ارض القرآن ـ الجزء الاول.

مثل هذه السفينة تشحن فيها حمولة توزن بمائة الف «من» واذا كانت السفينة من ناقلات المسافرين حملت نصف هذا الوزن من البضائع التجارية والنصف الآخر من الركاب وامتعتهم واموالهم واسلحتهم الحربية. وكان المنهج العام فى تصميم السفينة وصنعها انهم كانوا يجعلون عرضها وكذلك ارتفاعها ربع ما يكون لها من الطول فكان العرض والارتفاع يتفاوتان بتفاوت طول السفن على حسب هذه الطريقة[١].

وقد كتب «ناصر خسرو» فى سنة ١٠٤٧ م سنة ٤٣٩ ﻫ أن سفن الخليفة الفاطمى «المعز بالله» كانت تمثل فى الطول مائتى ياردة وفى العرض ثمانين ياردة. وبذلك يمكننا أن نقدر كم كان لهذه السفن من العظم والضخامة بالنسبة لذلك العصر. وكانت تتكون هذه السفن الكبيرة من عدة طوابق فالطابق الاول وهو اسفل الطوابق انما كان يستعمل لشحن البضائع ليستقيم وزنها بهذه المشحونات، والطابق الثانى والثالث كانوا يصنعونها للمسافرين واما الطابق الرابع الذى كان اعلى الطوابق عادة ولم يكن يتسع كثيرا فانما كان يختص برئيس الملاحين وعامة الضباط والخدم لهذه السفن كان يختص بهم مكان على حدة كما كان يخصص مكان لمستودع الاسلحة ومسكن الجنود المبذرقين.

وفى القرن الثامن الهجرى كانت تصنع سفن كبيرة وكانت هذه السفن فى العظم والضخامة بحيث تسع لكتيبة مستقلة من الجنود الراكبين. وكان مؤخرها مفتوحاً ولعلهم كانوا يستعملونه كاصطبل يركب فيه الخيل فاذا ما هم الجنود بالنزول على ميناء تسلحوا وركبوا الخيل قبل ان ينزلوا وهكذا

---

(١) الهلال ج ١٠ ص ٥٩.

كانوا يطلعون من السفن بشكل جيش جاهز فاذا رأوا العدو امامهم انقضوا عليه بصورة مفاجئة.[1]

وكانت السفن الحربية تختلف نوعا عن السفن العادية فى الهيئة. كانت توضع على سطحها الاعلى المجانيق وبما ان استخدامها كان يسفر عن جذبات عنيفة فلذلك كانوا يبنون وراءها حائطا متينا ليدافع عنها ضد الجذبات والانفجارات الهائلة. وفى السفن الحربية كانوا يهتمون ببناء سكنات الجنود والمسلحة واما السفن العادية من ناقلات الركاب فكانوا يهتمون فيها إلى جانب الحجرات ببناء كل من المطبخ والمغسلة والمرحاض ومستودع المواد الغذائية علاحدة حتى ان الملاحين الصينيين كانوا يباشرون عملية التفريخ فى بيض الدجاج عن طريق الاستدفاء بحرارة القطن كما كان الخدم والعمال يقومون بانتاج الخضروات ببزر بزورها فى هذه السفن. وكذلك كانوا يعتنون ببناء خزان الماء العذب وكانوا إلى جانب رعايتهم لعدالة التوزيع فى هذا الماء يعملون بالاقتصاد فلم يكونوا يستعملون منه إلا قدرا يكفى لان هذا الماء انما كانوا يحصلون عليه من احد الموانئ او احدى الجزر واذا كان يحصل لهم كذلك فانما كان يحصل بكمية محدودة واما طريقة تكرير المياه لمالحة فلم تكن معروفة عندهم.

وكانت السفن تصنع من خشب «ساكون» الذى كان يستورد فى الغالب من «مالابار» أو «بلسار»[2] وهذا الخشب يكون فى المتانة اجود انواع الخشب لايوثر عليه الماء إلا قليلا كما لايصيبه الديدان بكثير من الضرر.

---

(١) سفرنامه ابن بطوطه ج ٢ باب ٩ (٢) مقدمه مرآة حمدى ص ١٥.

وهذا الخشب يضرب به المثل فى الهند فيقولون : «سو برس گڑا ، سو برس پڑا ، سو برس کہڑا» ومغزاه ان البلى لايتطرق اليه قبل ثلاثمائة سنة .

والسفن التى كانت تجرى ملاحتها فى بحرى العرب والهند كانت تصنع بالخياطة بحبال من النارجيل وكان السبب فى استخدام الحبال بدل المواد الاخرى من الحديد والنحاس وما إلى ذلك ان هذين البحرين توجد فيهما جبال مقناطيسية تلك التى تجذب وتنزع عن بعد كل ما استعمل فى السفن من اللوالب والمسامير من الحديد وغيره مما كان يترتب على انفصال هذه المسامير من السفن انكسارها فيصيبها الغرق وعلى نقيض ذلك كانت السفن فى بحر الروم سالمة مصونة لخلوه من آثار المقناطيسية .

وقد ساهم فى هذه التجارة التى كانت تسير عن طريق السفن ايضا جيل من اليمن يعرف بسبأ احترف هؤلاء بالتجارة سنة ١٠٠٠ ق.م. وابدوا فيها نشاطا زائدا وحيوية كبيرة وكانت لهم علاقات عميمة مع جنوب الهند . ومن الاشياء التى كانوا يشترونها من الهند وينقلونها إلى البلاد التى كانوا يختارونها للبيع الجلود ، والاسرجة ، وجاوترى ، والهليلة ، والبليلة ، وآبنوس وعظام السلحفاة ، وكباب چينى ، وديبا ، ورانگا ، ولوبان وبيد ، ومصبر ، والعاج وثياب من خيوط من مختلف النباتات وهلدى ، والقرنفل ، والهيل ، والفلفل الاسود ، ودارچيف ، وڈلى ، والنارجيل ، والتمر الهندى ، والاسماء العربية التى استعيرت من اللغة الهندية لبعض الاشياء تنهض معنا دليلا على ذلك ومثل هذه الاسماء كثيرة منها : مشك ، فلفل ، كافور ، زنجبيل وصندل ، ونارجيل ، وقرنفل وجائفل[1] .

ومما يثبت هذا كذلك اضافة كلمة «هندى» إلى بعض الاسماء كالعود الهندى والقسط الهندى ، والتمر الهندى .

---

(١) تمدن هند ـ طبع آجرة

والسيف المصنوع من الصلب الخالص الذى كان يستعمله العرب إلى جانب البضائع والامتعة الحديدية فانما كانوا يستوردونه من الهند[١].
وكانت هناك اشياء اخرى كان ينقلها هؤلاء التجار من الهند إلى الخارج، فلقد كتب المورخ «جوزيف» انهم كانوا يقومون فى فلسطين بالتجارة على عهد سليمان «سنة ٩٥٥ ـ ق.م.» فى العاج ومن الحيوان فى القرد والطواويس وغيرها التى كانوا يستجلبونها من سوپاره «بمباى» وروركه «بهروج» ولقد كان للعرب كذلك ولوع زائد بالتجارة فى الثياب. ومن الثياب الهندية التى هى جديرة بالذكر: ململ، وچهينث، ورومال وكانوا يطلقون عليها قرض وشيث وفوطة. وكانت بهروج تستقل بتصدير بعض المنتوجات والحاصلات وقد عد منها نيل وململ ولاكه.

والخلاصة ان التجار العرب كانوا يستوردون كميات كبيرة من البضائع من كجرات عن طريق السفن الكبيرة لانها كانت اقرب البلاد إليهم. وان كلمة «يون» التى استعملت فى اللغة السنسكريتية قبل الحملات الافريقية انما كان المراد بها «اليمن» ولكن لما كثر ورود اليونان بعد حملات اسكندر اطلقت هذه الكلمة على اليونانيين وذلك مما يمكنك ان تجد مثله فى اللغات الاخرى كلغة برما وغيرها.

طراز السفن وشكلها

وكان طراز السفن المختصة بحر العرب يختلف كثيرا من طراز السفن المختصة ببحر الروم فالسفن التى كانت تصنع فى بحر الروم كانت تستعمل فى تركيب خشباتها المسامير، وكان طرفاها يشبهان مختلف الحيوانات كالغراب

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري ـ ذكر السفد ـ مصر

والحروف والجمل ويكون كل من هذين الطرفين حادا ذا سن كالمنقار . وقد اتيح لى ان ارى بعض السفن الملكية فى «رنگون» و«مانڈلى» فوجدت طرفيها يتشابهان مع صورة الثعبان . وعلى نقيض ذلك لم تكن تستعمل المسامير فى صنع السفن الهندية فى بحر العرب وانما كانوا يشدون اخشابها بربطات من الحبل شدا متينا وكانوا يصنعون الشحم فى ثقوب ومنافذ ناتجة عن ربطات الحبل فيطلون أخشابها بهذا الشحم طلاء جيدا لئلا ينفذ فيها الماء.[1] وكانت السفن الگجراتية تصنع منبسطة السطح غير انها لم تكن مرتفعة وذات حد . والسفن القوسية الشكل ذات الحدود ترتفع من جهة وتنخفض من جهة اخرى انخفاضا عظيما عند ما تتصارع الامواج بعنف فلذلك تكون هذه السفن عرضة لتسرب المياه داخلها . واما السفن الگجراتية المسطحة الشكل فانما تكون متساوية فى الارتفاع والانخفاض ، وعند ما اراد زين الدين سلطان كشمير لبناء قصره فى «ڈل» اختار هذه السفن الگجراتية لاستعمالها فى عملية ابراز ارضها وتمت هذه العملية بان شحنت السفن بالتراب واغرقت بترتيب خاص فبرزت الارض وانجزر عنها الماء ثم شيدت عليها بناية القصر ، ولقد كانت هذه السفن المسطحة تتناسب كثيرا مع هذه العملية[2] سكان السواحل فى گجرات ايضا كانوا يشتغلون بالتجارة السائرة عن طريق السفن ولكن الآثار التاريخية لاتثبت سفرهم بهذه السفن خارج الهند إلى الغرب على انهم كانوا يملكون البراعة والمهارة الكاملة فى صناعة السفن .

---

(١) سفرنامه سليمان بصرى ص ٨٨ باريس ـ وظفر الواله المجلدا ص ٤٥ (٢) واقعات كشمير ـ نسخة قلمية ـ حبيب گنج .

نظام الموانئ

لايشرح لنا التاريخ تفصيليا على نوع النظام الذى كانت تلتزمه الموانئ الكجراتية . غير ان كتب التاريخ تتحدث عن بعض الجزئيات بخصوص ذلك كوجود مصلحة خاصة بمراكب بحرية كانت تسمى بالمصلحة البحرية وكان يقوم بمراقبة شئونها وزير مستقل فى زمن الملوك ، ففى عهد « سدهراج » « سنة ٥٣٨ هـ ـ سنة ١١٤٣ م » كان يتولى هذا المنصب وزير يسمى « بهارمل » الذى كان يقدم من « بتن » إلى « كهنبايت » كل شهر[١] . وكذلك كان يعين ضابط على كل ميناء من الموانئ وهذا الضابط كان يسمح للسفن بالرسو فى الميناء طبق رواية تجرى حول سفينة البارسيين فى سيخان . غير ان صلاحيات هذا الضابط كانت مقصورة على ان يسمح للسفن التجارية بالعبور والرسو دون سفن كانت تحمل مسافرين يرغبون فى الاقامة بذلك البلد فانها كانت تحتاج إلى ان تستأذن الملك نفسه . وكانت هناك مصلحة اخرى للرسوم الجمركية كانت تتسلم الرسوم من التجار بعد التفتيش لاموالهم . وكانت تقوم هذه المصلحة بمراقبة صارمة على الصادرات والواردات فكانت بعض الموانئ الكبيرة كميناء « كهنبايت » و « بهروج » موردا عظيما لدخل الحكومة ولهذا فقد كتب السائح الصين «هونغ شيانغ» ان « بهروج » تستلفت انتباه ملوك المناطق المجاورة الذين ينظرون اليها نظرة الطامع لوفرة مالها من خصب وثروة ، ورفاهية .

تتسنى لنا معلومات كثيرة عن المصلحة البحرية فى العهد الاسلامى ببيان من المسافرين . ولا نجد رقيا ملموسا فى هذه الناحية على عهد «الخلجين»

---

(١) موسم بهار ـ ج ٣ طبع بمباى بيان ولاة هند .

و «تغلق» غير ان هذه المصلحة قد ازدهرت ازدهارا كبيرا فى عصر سلاطين كجرات. والذى كانت تسند اليه المنطقة البحرية كانوا يسمونه «امير البحر» وكان هذا المنصب يعتبر معادلا لمنصب وزير البحرية فى الرتبة فانما كان مسئولا امام الملك مباشرة.

وعلى عهد احمدشاه الاول (سنة ٨٣٤ هـ سنة ١٤٣٠ م) كان يشغل منصب «امير البحر» مخلص الملك. ويغلب على ظنى ان كلا من منصبى «شاه بندر» «وامير البحر» كان يسند فى بداية الامر إلى شخص واحد كان يقوم بتنظيم الميناء إلى جانب اشرافه على الشئون البحرية. وفى عهد سلطان (قطب الدين) ظل (خواجه علاء الدين) يضطلع بعبأ منصب (شاه بندر) إلى سنة (٨٦١ هـ ١٤٥٦ م). وفى سنة «٨٦٢ هـ ١٤٥٧ م» كان يشغل هذا المنصب «ناخدا اسمعيل نائته» لميناء «ديو» وفى سنة «٨٧٧ هـ ١٤٧٢ م» فى عهد سلطان محمود اعظم قد اسند منصب «اميرالبحر» الى (فرحت الملك امير طوغان)[١]. وتقلده فى عهد سلطان مظفر منذ سنة (٩٢٦ هـ - ١٥١٩ م) إلى سنة (٩٢٨ هـ - ١٥٢١ م) الملك اباز. ثم وليه فى تولى ذلك المنصب ابنه اسحق سنة ٩٢٨ هـ - الذى عين واليا لـ «سورتة» بعد مدة فى مستهل عهد «بهادرشاه»، وخلفه فى منصبه القديم «محمود آقا»[٢]. وقد اسند منصب امير البحر إلى الملك طوغان بن ابازو منصب «شاه‌بندر» إلى قوام الملك. ومن بعد ذلك قد تولى منصبى «شاه بندر» و «امير البحر» كليهما «مصطفى بهرام خان الرومى»، وكانت «ديو» و «سورت» و «راندير» و «تهارنه» و «دمن» كلها تخضع لسلطته. ثم تقلد منصب امير البحر خان صفر سليمانى، وخلفه بعد استشهاده «رجب خداوند خان» وكان يحتل

(١) مرآة اسكندرى ص ٢١٨ (٢) المرجع السابق ص ٢١٢.

هذا المنصب « الامير الشيخ برهان الملك بنبانى » [١] سنة ٩٤٦م . وفى سنة ٩٥٥ هـ ـ كان « ناصر حبش خان » حائزا على منصب شاه بندر لميناء « ديو » وقد احتل البرتغاليون كلا من « ديو » و « دمن » من بعد . واما بقية المواقى من « بهروج » و « سورت » و « كهنبايت » فقد خضعت لسيطرة الامراء وولاة المناطق . وكانت الاهمية فى عهد المغول فى الناحية العسكرية للشئون البحرية فى الغالبة فكان اهتمامهم بالبحر اقل نسبيا إلى حد كبير . وكان ذلك هو السبب الرئيسى فى ان اسطول السفن لم يكن قويا فى عهدهم بل انه قد بلغ به الضعف ان السفن المخصصة للتجارة والمسافرين لم يكن فيها الا عدد صغير للحكومة فلقد كان الاثرياء يملكون معظم هذه السفن شخصيا ، وهم الذين كانوا يستأثرون بما كانت تدر عليهم السفن من اجور النقل للبضائع الصادرة ، وكانت وظيفة « شاه بندر » تتمثل فى القيام بتفتيش جوازات السفر للسفن المستوردة للبضائع والقبض للرسوم المعينة كما كان يضطلع بمسئولية الدفاع ضد الاعداء كذلك . ولذلك لما تم احتلال البرتغاليين لبهروج على غفلة من شاه بندر على خان عزله سلطان محمود من منصبه عقابا على تقصيره فى المسئولية [٢] . وفى بداية عهد الانجليز وفى اخريات ايام التيموريين كان يتولى مسئولية اقامة النظام فى « سورت » و « بهروج » ثلاثة حكام يعرفون بثلاثة اسماء مختصة : شاه بندر ، قلعدار ، حاكم شهر « ملك الميناء محافظ القلعة ، محافظ المدينة » ولم يكن هناك تفاوت بينهم باعتبار رتبهم ووقع بينهم خلاف شديد نشأ عنه العراك والقتال الداخلى فيما بينهم الذى سبب سقوط معظم المرافئ وتمام احتلال الانجليز لها . وقد

---

(١) ظفر الواله ج ١ ص ٢٨٧ (٢) المرجع السا[illegible]

عثرنا على تفصيل الاسماء لأولئك الذين كانوا ضباطا بحريين فى عهد سلطان محمود الثالث حسبما يأتى : « آقافرخ شاه » و « فتح خان قراحين » و « جهانكير خان » و « مصطفى قرمانى » و « عادل خان قرمانى » و « رجب خداوند خان » و « ارلغ خان سلطانى » و « ماصردريا خان » و « اسمعيل جركس » و « اسدخان » و « فروخان سلطانى » ، وكان خداوندخان يتولى منصب « شاه بندر » جهانكيرخان رئيس اركان المدفعية وكانت مسئولية تسيير المدفعية لتصويب الاحجار أو القنابل القديمة مسندة إلى مصطفى قرمانى واما بقية الضباط الذين قدمنا اسماءهم لم نستطع أن نتعرف على نوع مسئوليتهم .

ومما كان يتبع من القوانين ان رئيس الملاحين كان يقدم قائمة بتفصيل البضائع المستوردة إلى شاه بندر عند وصول السفينة التجارية إلى الميناء ، فاذا بدا له أن يطلع السلطان اطلعه على ذلك ليشترى له ما تستطيبه نفسه من تلك البضائع الواردة واعطى التجار التصريح ببيع مابقى . ولم يكن يسمح من قبل شاه بندر بالمرور للسفن ذاهبة كانت أو آئبة اذا كان ينقصها شئ من المستلزمات وكان يجب على المسافرين ان يحتفظوا عندهم بجوازات سفرهم ولم يكن لسفينة ان تقوم من الميناء أو تدخله بدون اذن منه وكانت هذه الاعمال والشئون البحرية تنقسم الى ثلاثة اقسام : قسم خاص بالتجارة وقسم خاص بشئون المسافرين ، وقسم خاص بامور الحرب .

وانما كانت السفن المختصة بالمسافرين تحمل من الاثقال القدر الذى كان يجب حمله للحصول على الوزن اللازم . واما السفن البحرية فانما كانت مسئوليتها مسندة إلى امير البحر ، على ان بعض امورها كرسوها فى الميناء وعملية الترميم والاصلاح أو التنظيف وتهيئة المواد الغذائية وما إلى ذلك

من مثل هذه الشئون كان يجب فيها الحصول على التصريح من قبل «شاه‌بندر» «كمشنوبورت»، وقد ذكر صاحب «مرآة احمدى» فى خاتمة الكتاب تفصيلا للمصالح والمكاتب الكثيرة لمختلف الشئون ونظرا لذلك التفصيل يجب ان يقدر عدد الموظفين العاملين فى الميناء بمأتى نسمة على متوسط تقدير.

تعريب: عميد الزمان الكيرانوى

«المقال بقية»

«مع الشكر لمجلة «معارف» الصادرة عن مجلس دار المصنفين بأعظم‌كڈه نقلا عن عددها الصادر فى يوليو سنة ١٩٥١ م».

الأنباء الثقافية

الزوار
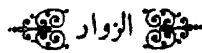
رحبت دلهى عاصمة الجمهورية الهندية فى شهر يوليو بفرقة من الفنانين الاندونيسيين. ومكثت الفرقة فى العاصمة من ١٥ الى ١٨ من شهر يوليو، وعرضت فنونها فى سپرو هاؤس، وكانت القاعة مكتظة بالحضور يشهدون الاستعراض بمتعة واهتمام.

وشرح الفنانون ان رقص لانسو وانواعا من رقص المنديل، شائعة فى اندونيسيا، على ان المنبت الاصلى لرقص لانسو هو جزيرة امبون فى شرق اندونيسيا، واهتمت الفرقة الفنانة فى عرضها بالحان ونغمات تطابق الظروف الاندونيسية مما جذبت القلوب وبهرت الافكار وتشدقت الافواه بالتحسين والاعجاب.

ومما يذكر ان هؤلاء رجال رقص لانسو الوافدين تحت زعامة جيك لاسمانا، يعد اول فرقة للفن الاندونيسى الحديث، تتجول فى البلدان المختلفة، ومكثت فى دلهى فى طريقها الى الدار بعد جولتها الواسعة فى اوربا والشرق الاقصى.

* * * *
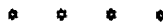
استقبل المجلس وفدا سوريناميا يتكون من ١٣ عضوا ورد للبحث فى الشؤون الاقتصادية التى تهم البلدين الهند وسورينام، وقضى الوفد فى الهند اربعة اسابيع درست خلالها تقدم الهند فى ميادين الاقتصاد، ولاسيما حركة بهودان (منح الاراضى)، واجتمع مع وزراء الهند وتحدث الى موظفيها فى الامور الهامة.

واما فى ميادين النشاط الاثرى فقدم الهند البروفيسور ك. د. بى كادرنجتن استاذ الآثار الهندية فى جامعة لندن، فى شهر اغسطس، كما زارها البروفيسور اے. جى. ميشل نائب المدير لجامعة مقارى فى سدنى باستراليا.

وما عدا ذلك تسنت للهند استقبال جماعة من اساتذة الولايات المتحدة الذين جاؤا اليها تحت برنامج رحلات الدراسة الدولية كما وفد اليها ـ هكذا جماعة من طلبة سكوتلاندا وصلوا فى ١٥ من يوليو ليقوموا بالخدمة التطوعية قرب نادياد.

معارض

يعد المستر زكرياكايا احد كبار الفنانين العرب، وعرض فنه فى اوربا وفى جميع المناطق العربية، فنى شهر اغسطس قام المجلس مع تعاون جامعة الدول العربية لعرض جميع رسومه فى دلهى، وتولت تدشين المعرض شريمتى وجى لكشمى بانديت.

وتبنى المجلس مع تعاون السفارة الرومانية معرضا للفن الجرافى الرومانى وعقد المعرض فى آزاد بهون المقر الرئيسى للمجلس، واعقب المعرض عرض سينمائى لفيلم رومانيا فى سنة ١٩٦٤.

واما من ناحية تعريف الثقافة الهندية فقد نظم المجلس معرضا لستة وخمسين نموذجا من رسوم تمثل عصورا مختلفة للفن الهندى من عصر اجانتا الى العصور الحاضرة، وذلك لعرضها اولا فى موريشس وثانيا فى مدغاسكر، وستتولى السفارات الهندية فى ذينك البلدين عقد المعرض بالنيابة عن المجلس.

المساعدات المالية

قدم المجلس عددا من الاعانات المالية لرجالات العلم والأدب
طالبين اليابانيين مثلا قدمها ليدرسا اللغة الهندية وقدم مساعدة اخرى
ندوب هندى ليشترك فى مؤتمرة دولى للعلوم التاريخية المعقودة فى ويانا .

وثالثة لعالم لتمكينه من جولة يحاضر خلالها فى اوربا. ورابعة
روفيسور فرنسى فى باريس لدراسة اللغتين، الهندية والبنغالية فى الهند .

حلقات الدراسة

نظم المجلس كدابه عدة حلقات الدراسة لتعريف الحياة الهندية
طلاب الاجانب، الذين وفدوا على الهند فى فتراتهم الدراسية الاولى
، كليات الهند ، واستقر منهم ٥٢ طالبا فى مدينة الطلاب الدولى، الذين
دأت لهم دروس اللغة الهندية فعلا واقام فى اغسطس سكرتير المجلس
قرينته حفلة استقبال لهؤلاء الطلاب حيث تيسر لهم الاجتماع مع مستشار
الطلاب الاجانب فى دلهى ومع موظفى الحكومة الهندية ومسؤلى
لمجلس الآخرين .

هذا من ناحية. ومن ناحية اخرى نظم المجلس دراسات تعارفية
طلاب الهنود المرتحلين الى البلدان الاخرى من بينهم جماعة من الموظفين
ى الشوؤن الادارية والعلماء ومهندسى العلوم النووية ، الذين يشدون
حالهم الى الولايات المتحدة تحت برنامج مساعدات الولايات المتحدة ،
كانت كذلك جماعة من الرحالة الامريكيين الذين رغبوا فى تلقى المعلومات
للازمة ، ونظم المجلس هكذا محاضرة لهم تلبية لرغبة شركة اكسبريس
لامريكانية، وعقدت عن المجلس جامعة بنجاب فى تشندى جره دراسات مماثلة .

المعسكرات الصيفية

ودلت التجارب السابقة ان المعسكرات الصيفية فى كاشمير وفى غيرها من المناطق الجبلية فى جنوبى الهند ايام العطلة ذات نفع هام وثبتت مشكورة السعى ، فالاستعدادات فى هذا العام على قدم وساق لاقامة المعسكرات فى دارجيلنج ويورى ايام العطلات الصيفية ، وسيمتد كل معسكر لنحو ١٥ يوما .

المنح الدراسية

قدم المجلس منحة دراسية لطالب اندونيسى لدراسة بهارت ناتيام ولطالب من ماليزيا لتمكينه من اتمام دراساته ، وللطلاب من تاباجو ، والجيبى البريطانى وسورينام لدراسة فن الرقص والموسيقى الهندى .

الهدايا

اثبت التجارب ان برنامج اهداء الكتب له قيمة واهمية ، فبناء على ذلك قدم المجلس كثيرا من الكتب الى الجزائر ، والتونس ، ونيجريا ، واثيوبيا ، وكمبوديا ، وفليبين ، وسيلان وغيرها ، كما اهدى المجلس عددا من الاسطوانات الى الوزير الفرنسى للشوون الثقافية والى عدد من البلدان السالفة الذكر .

THAQĀFATU'L-HIND

Vol. XVI | October 1965 | No. 4

Editor:
S. Taiyebali Lokhandwalla

CONTENTS

	Subjects		Contributors		Page
1.	Impact of Indian Art in Asia	...	MR. K. K. KAUL	...	1
2.	Rihand Dam	..		...	16
3.	India as Described by Quazwini	...	SYED MAHMOOD HASSAN QAISER AMROHVI	...	21
4.	Lexicography and the Lexicographers in India	...	SYED MOHAMMED AL-THANI HASANI	...	38
5.	From the Land of Coconuts to the Land of Dates	...	QAZI ATHAR MUBARAKPURI	...	50
6.	A Poem on Pandit Nehru	...	MR. NADEEM AL-RAFIE	...	68
7.	Impact of Indian Culture on Arab Culture	...	PROF. GAMAL MANNA ALI	...	71
8.	The Fleet of Gujarat	...	SYED ABU ZAFAR AL-NADVI	...	85
9.	Cultural News	...		...	101

THAQĀFATU'L-HIND

(INDIAN CULTURE)

PUBLISHED QUARTERLY

(JANUARY, APRIL, JULY and OCTOBER)

Rates of Subscription, Post Free

INLAND		FOREIGN	
Single Copy	Rs. 2.50	Single Copy	5 Sh.
Annual	Rs. 10 00	Annual	20 Sh.

Copies are sent only on prepayment and not by V. P. P.

All remittances and requests for supply of copies are to be addressed to the Secretary, I. C. C. R. and not to the Editor.

Books for reviews and journals in exchange etc. are to be addressed to the Editor.

Printed and published by
INAM RAHMAN,
SECRETARY, INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS,
Azad Bhavan, New Delhi-1.

Printed at the Nuri Perss Limited, Madras-13.

INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS

AZAD BHAVAN, NEW DELHI 1